

كتابُ الأغاني

تأليف

أبي الفرج الأصفهاني

الجزء الثالث عشر



شركة أبناء شريف الأنصاري
للطباعة والنشر والتوزيع
صيدا - بيروت - لبنان

• المكتبة الحضرية

الخندق العميق - ص.ب: ١١/٨٣٥٥

تلفاكس: ٦٥٥٠١٥ - ٦٣٢٦٧٣ - ٦٥٩٨٧٥ ١ ٠٠٩٦١

بيروت - لبنان

• الدار السنوية الجديدة

الخندق العميق - ص.ب: ١١/٨٣٥٥

تلفاكس: ٦٥٥٠١٥ - ٦٣٢٦٧٣ - ٦٥٩٨٧٥ ١ ٠٠٩٦١

بيروت - لبنان

• المطبعة الحضرية

بوليفار نزيه البرزي - ص.ب: ٢٢١

تلفاكس: ٧٢٠٦٢٤ - ٧٢٩٢٥٩ - ٧٢٩٢٦١ ٧ ٠٠٩٦١

صيدا - لبنان

الطبعة الأولى

٢٠١١م - ١٤٣٢هـ

جميع حقوق هذه الطبعة محفوظة للناشر

حقوق التأليف والاعداد محفوظة لدار ابن الأثير/جامعة الموصل
لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب أو اختزان
مادته بطريقة الاسترجاع أو نقله على أي نحو أو
بأي طريقة، سواء كانت الكترونية أو بالتصوير،
أو التسجيل، أو خلاف ذلك، إلا بموافقة كتابية من
الناشر مقدما.

alassrya@terra.net.lb

E. Mail alassrya@cyberia.net.lb

info@alassrya.com

موقعنا على الإنترنت

www.almaktaba-alassrya.com

أخبار أبي الطمحان القيني

اسمه ونسبه :

أبو الطَّمْحان اسمه حنظلة بن الشَّرقيّ، أحد بني القَيْن بن جَسر بن شَيْع الله، من قُضاعة، وقد تقدّم هذا النسب في عدّة مواضع من الكتاب في أنساب شعرائهم.

إدراكه الجاهلية والإسلام :

وكان أبو الطَّمْحان شاعراً فارساً خارباً^(١) صُعلوكاً. وهو من المخضرمين، أدرك الجاهلية والإسلام، فكان خبيث الدّين فيهما كما يُذكر. وكان ترباً للزبير بن عبد المطلب في الجاهلية ونديماً له. أخبرنا بذلك أبو الحسن الأسدي عن الرياشي عن أبي عُبيدة.

ومما يدلُّ على أنه قد أدرك الجاهلية ما ذكره ابن الكلبي عن أبيه قال: خرج قيسبة بن كلثوم السكوني، وكان ملكاً، يريد الحج - وكانت العرب تحج في الجاهلية فلا يعرض بعضها لبعض - فمرّ ببني عامر بن عُقيل، فوثبوا عليه فأسروه وأخذوا ماله وما كان معه، وألقوه في القِد^(٢)، فمكث فيه ثلاث سنين، وشاع باليمن أن الجنّ استطارت^(٣)ه. فبينما هو في يوم شديد البرد في بيت عجوزٍ منهم إذ قال لها: أتأذنين لي أن آتي الأكمة فأتشرّق^(٤) عليها فقد أضرب بي القُر^(٥)؟ فقالت له: نعم. وكانت عليه جبة له حبرة^(٦) لم يُترك عليه غيرها، فتمشّى في أغلاله وقيوده حتى صعد الأكمة، ثم أقبل يضرب ببصره نحو اليمن، وتغشاه عبرة^(٧) فبكى، ثم رفع طرفه إلى السماء

(١) الخارب من اللصوص: من تخصص بسرقة الإبل.

(٢) القِدّ، بكسر القاف: سير يقتطع من جلد غير مدبوغ، تشدّ به الأقتاب والمحامل، كما تتخذ منه السيّاط.

(٣) استطارته الجنّ: ذهب به.

(٤) أتشرّق: أتعرض لشعاع الشمس بغية الدفء.

(٥) القُرّ، بضم القاف: برد الشتاء القارص.

(٦) الحبرة، بكسر الحاء: ضرب من برود اليمن.

(٧) تغشاه عبرة: غطّت بصره دمة.

وقال: اللّهم ساكن السماء فرّج لي مما أصبحت فيه. فبينما هو كذلك إذ عرض له راكب يسير، فأشار إليه أن أقبل، فأقبل الراكب، فلما وقف عليه قال له: ما حاجتك يا هذا؟ قال: أين تريد؟ قال: أريد اليمن. قال: ومن أنت؟ قال: أنا أبو الطمحان القيني، فاستعبر^(١) باكياً. فقال له أبو الطمحان: من أنت؟ فإني أرى عليك سيما الخير ولباس الملوك، وأنت بدار ليس فيها مالك. قال: أنا قيسبة بن كلثوم السكوني، خرجت عام كذا وكذا أريد الحج، فوثب عليّ هذا الحيّ فصنعوا بي ما ترى، وكشف عن أغلاله وقيوده؛ فاستعبر أبو الطمحان، فقال له قيسبة: هل لك في مائة ناقة حمراء؟ قال: ما أحوجني إلى ذلك! قال: فأنيخ، فأناخ. ثم قال له: أمعك سكين؟ قال: نعم. قال: ارفع لي عن رحلك، فرفع له عن رحله حتى بدت خشبة مؤخره، فكتب عليها قيسبة بالمُسند^(٢)، وليس يكتب به غير أهل اليمن:

بَلِّغَا كِنْدَةَ ^(٣) الْمُلُوكَ جَمِيعاً	حَيْث سَارَتْ بِالْأَكْرَمِينَ الْجِمَالَ
أَنْ رَدُّوا الْعَيْنَ بِالْخَمِيسِ ^(٤) عَجَلاً	وَاصْدُرُوا عَنْهُ وَالرَّوَايَا ^(٥) ثِقَالاً
هَزْنَتْ جَارَتِي وَقَالَتْ عَجِيباً	إِذ رَأَتْنِي فِي جَيْدِي الْأَغْلَالَ
إِنْ تَرَيْنِي عَارِي الْعِظَامَ أُسِيراً	قَدْ بَرَّانِي تَضَعُضَعُ وَاخْتِلَالَ
فَلَقَدْ أَقْدَمُ الْكِتَابَةَ بِالسَّيِّدِ	فَ عَلَيَّ السَّلَاحُ وَالسَّرِبَالُ

[الخفيف]

وكتب تحت الشعر إلى أخيه أن يدفع إلى أبي الطمحان مائة ناقة، ثم قال له: أقرئ هذا قومي: فإنهم سيعطونك مائة ناقة حمراء. فخرج تسير به ناقتة، حتى أتى حضرموت، فتشاغل بما ورد له ونسي أمر قيسبة حتى فرغ من حوائجه. ثم سمع نسوة من عجائز اليمن يتذاكرن قيسبة ويبكين، فذكر أمره، فأتى أخاه الجون بن كلثوم، وهو أخوه لأبيه وأمه، فقال له: يا هذا، إني أدلك على قيسبة وقد جعل لي مائة من الإبل. قال له: فهي لك. فكشف عن الرحل. فلما قرأه الجون أمر له بمائة ناقة، ثم أتى قيس بن معد يكرب الكندي أبا الأشعث بن قيس، فقال له: يا هذا، إن أخي في بني عُقيل أسير، فسر معي بقومك. فقال له: أتسير تحت لوائي حتى أطلب ثأرك

(١) استعبر باكياً: إنحدرت دموعه.

(٢) المسند هو خط اخترعته بلاد اليمن.

(٣) كندة: ملوك اليمن، وقيسبة من السكون، والسكون بطن من كندة.

(٤) الخميس: الجيش المؤلف من خمس فرق، قوامه: الرأس، والقلب والجنحان، الميمنة والميسرة، ثم المؤخرة.

(٥) الروايا، الواحدة راوية: وهي المزايدة تحتوي ماء.

وأنجدك؟ وإلا فامضِ راشداً. فقال له الجون: مسَّ السماءَ أيسر من ذلك وأهونُ عليَّ مما خيَّرته. وضجتِ السَّكون ثم فاؤوا ورجعوا وقالوا له: وما عليك من هذا! هو ابن عمك ويطلب لك بثارك! فأنعم له بذلك^(١). وسار قيس وسار الجون معه تحت لوائه، وكندة والسَّكون معه؛ فهو أوَّل يوم اجتمعت فيه السَّكون وكندة لقيس، وبه أدرك الشرف. فسار حتى وقع بعامر بن عُقيل فقتل منهم مقتلةً عظيمة واستنقذ قيسبة. وقال في ذلك سلامة بن صُبَّيح الكندي:

لا تشتمونا إذ جلبنا لكم أَلْفِي كُمَيْتٍ^(٢) كُلُّهَا سَلَهَبُهُ^(٣)
نحن أبلنا^(٤) الخيل في أرضكم حتى ثأرنا منكم قيسبهُ
واعترضت من دونهم مَدَحِجٌ فصادفوا من خيلنا مَشْغَبُهُ^(٥)
[السريع]

حدثنا إبراهيم بن محمد بن أيوب قال: حدثنا عبد الله بن مُسلم قال:

إعتراف أبي الطمحان بأدنى ذنوبه:

بلغني أنَّ أبا الطمحان القيني قيل له، وكان فاسقاً خارباً، ما أدنى ذنوبك؟ قال: ليلة الدَّير. قيل له: وما ليلة الدَّير؟ قال: نزلت بدَيْرَانِيَّةٍ فأكلتُ عندها طَفِيشلاً^(٦) بلحم خنزير، وشربت من خمرها، وزنيت بها، وسرقت كساءها^(٧) ثم انصرفتُ عنها. أخبرني عمي قال: حدثني محمد بن عبد الله الحزنبل عن عمرو بن أبي عمرو الشيباني عن أبيه قال:

التجاؤه إلى بني فزارة من جناية جناها:

جنى أبو الطمحان القيني جنايةً وطلبه السلطان، فهرب من بلاده ولجأ إلى بني فزارة فنزل على رجل منهم يقال له: مالك بن سعد أحد بني شَمَخ؛ فاواه وأجاره وضرب عليه بيتاً وخلطه بنفسه. فأقام مدةً، ثم تشوَّق يوماً إلى أهله وقد شرب شراباً

(١) أنعم له: أبدى له موافقته بقوله: نعم.

(٢) الكميت من الخيول: الذي خالطت حمرة سواد.

(٣) السلهب من الخيول: الطويل.

(٤) يروى: «لنبيلن الخيل في عرصاتكم»، وأبلنا الخيل: أوقفناها لتبول.

(٥) المشغبة: الجلبة في المعارك.

(٦) الطفيشل على وزن فعيعل: ضرب من المرق.

(٧) الكساء، الواحدة كسوة: الرداء.

ثمل^(١) منه، فقال لمالك: لولا أن يدي تقصر عن دية جنايتي لعدت إلى أهلي. فقال له: هذه إبلي فخذ منها دية جنايتك واردد^(٢) ما شئت. فلمّا أصبح ندِم على ما قاله وكرِه مفارقة موضعه ولم يأمن على نفسه، فأتى مالكا فأنشده:

سأمدح مالكا في كل ركب لقيتهم وأترك كل رذل
فما أنا والبكارة^(٣) أو مخاض^(٤) عظام جلّة سُدُس^(٥) وبُزل^(٦)
وقد عرفت كلابكم ثيابي كأني منكم ونسيْتُ أهلي
نمت بك من بني شَمخ زناد^(٧) لهما ما شئت من فرع وأصل
[الوافر]

قال: فقال مالك: مرحباً! فإنك حبيب ازداد حباً، إنما اشتقت إلى أهلك وذكرته أنه يحبسك عنهم ما تطالب به من عقل^(٨) أو دية، فبذلت لك ما بذلت، وهو لك على كل حال، فأقم في الرّحْب والسّعة. فلم يزل مقيماً عندهم حتى هلك في دارهم.

قال أبو عمرو في هذه الرواية: وأخبرني أيضاً بمثله محمد بن جعفر النّحوي صهر المبرد، قال: حدثنا ثعلب عن ابن الأعرابي قال:

إعتذاره لامراته من ركوبه الأهوال:

عانتب أبا الطمّحان القيني امرأته في غاراته ومخاطرته بنفسه، وكان لصّاً خارباً خبيثاً، وأكثر ثُ لومه على ركوب الأهوال ومخاطرته بنفسه في مذهبها، فقال لها: لو كنت في ريمان^(٩) تحرس بابَه أراجيل^(١٠) أحبوش^(١١) وأغصف^(١٢) ألف

(١) ثمل: سكر.

(٢) أردد: أضف وزد.

(٣) البكارة مفردا بكر وهو الفتى من الإبل.

(٤) المخاض من النياق: الحوامل.

(٥) السُدُس من الإبل التي دخلت في عامها الثامن، والواحد منها سديس الذي ألقى السنّ بعد الرباعية.

(٦) البزل، بضم الباء، الواحد بازل من الإبل: الذي أتمّ الأعوام الثمانية ودخل في عامه التاسع.

(٧) نمت بك زناد: عملت على حمايتك وقوتك.

(٨) العقل: الدية تدفع لأولياء القتيل.

(٩) ريمان، بفتح الراء: هما موضعان: أحدهما حصن من حصون اليمن، والآخر من قصور اليمن.

(١٠) الأراجيل، الواحد راجل: الذي يمشي ولا يستعين براجلته.

(١١) الأحبوش، واحد الأحبيش: الجماعة الكثيرة من الجند.

(١٢) الأغصف من الكلاب: المسترخي الأذنين.

إِذَا لَأَتَنِي حَيْثُ كُنْتُ مَنِيَّتِي يَخْبُ^(١) بِهَا هَادٍ^(٢) بِأَمْرِي قَائِفُ^(٣)
فَمَنْ رَهْبَةٍ أَتَى الْمُتَالِفَ^(٤) سَادِرًا^(٥) وَأَيَّةُ أَرْضٍ لَيْسَ فِيهَا مُتَالِفٌ
[الطويل]

شعره في بجير بن أوس الطائي وإطلاقه من الأسر :

فَأَمَّا الْبَيْتُ الَّذِي ذَكَرْتُ مِنْ شَعْرِهِ أَنَّ فِيهِ لَعَرِيبٌ صَنَعَةٌ وَهُوَ :

أَضَاءَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ وَوَجُوهُهُمْ

فإنه من قصيدة له مدح بها بجير بن أوس بن حارثة بن لأم الطائي، وكان أسيراً في يده، فلما مدحه بهذه القصيدة أطلقه وجزَّ ناصيته، فمدحه بعد هذا بعدة قصائد. وأول هذه الأبيات :

إِذَا قِيلَ : أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ قَبِيلَةً^(٦) وَأَصْبَرُ يَوْمًا^(٧) لَا تُوَارَى كَوَاكِبُهُ^(٨) ؟
فَإِنَّ بَنِي لَأَمَ بْنَ عَمْرِو أَرُومَةَ^(٩) عَلَتْ فَوْقَ صَعْبٍ لَا تُنَالُ مَرَاقِبُهُ^(١٠)
أَضَاءَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ وَوَجُوهُهُمْ دُجَى اللَّيْلِ^(١١) حَتَّى نَظَّمَ الْجَزْعَ^(١٢) ثَاقِبُهُ
لَهُمْ مَجْلَسٌ لَا يَحْصِرُونَ عَنِ النَّدَى^(١٣) إِذَا مَطْلَبُ الْمَعْرُوفِ أَجْدَبَ رَاكِبُهُ
[الطويل]

وَأَمَّا خَبَرُ أَسْرِهِ وَالْوَقْعَةُ الَّتِي أَسِرَ فِيهَا فَإِنَّ عَلِيَّ بْنَ سُلَيْمَانَ الْأَخْفَشَ أَخْبَرَنِي بِهَا عَنْ أَحْمَدَ بْنِ يَحْيَى ثَعْلَبٍ عَنْ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ قَالَ :

- (١) يَخْبُ: يعدو سريعاً، وهو ضرب من سير الإبل.
- (٢) الهادي: هو العالم بالأمور.
- (٣) القائف: المتتبع للأثر والعالم به.
- (٤) المتالف: المهالك.
- (٥) السادر: هو من لا يعبأ بما يحصل له نتيجة عمله.
- (٦) قبيلة: نصبت على التمييز من خير.
- (٧) يوماً: نصبت على التمييز من أصبر، ويكنى عن اليوم بالوقعة الحربية.
- (٨) توارى كواكبه: كناية عن أنه مشهود ذائع الصيت.
- (٩) الأرومة: الأصل والنسب الشريف.
- (١٠) المراقب، الواحدة مراقبة: وهو ما يبدو من قمة الجبل المرتفع.
- (١١) دجى الليل: كناية عن الملمات والأزمات الشديدة.
- (١٢) الجزع اليماني: ضرب من الخرز اليماني والصيني، يختلط فيه السواد والبياض. ينتظم في العقد.
- (١٣) لا يحصرون عن الندى: لا ييخلون، والندى: الكرم والجود.

حرب جديلة والغوث الطائيين :

كان أبو الطمحان القيني مجاوراً في جديلة من طيء، وكانت قد اقتتلت بينها وتحاربت الحرب التي يقال لها: «حرب الفساد»^(١) وتحزبت حزبين: حزب جديلة وحزب الغوث، وكانت هذه الحرب بينهم أربعة أيام، ثلاثة منها للغوث ويومٌ لجديلة. فأما اليوم الذي كان لجديلة فهو «يوم ناصفة». وأما الثلاثة الأيام التي كانت للغوث فإنها «يوم قارات حوق»^(٢) و«يوم البيضة»^(٣) و«يوم عرنان»^(٤) وهو آخرها وأشدّها وكان للغوث، فانهزمت جديلة هزيمةً قبيحة، وهربت فلحقت بكلب وحالفتهم وأقامت فيهم عشرين سنة. وأسّر أبو الطمحان في هذه الحرب: أسره رجلاً من طيء واشتركا فيه، فاشتراه منهما بجير بن أوس بن حارثة لَمَّا بلغه قوله:

أَرَقْتُ وَأَبْتَنِي الْهَمُومُ^(٥) الطَّوَارِقُ وَلَمْ يَلْقَ مَا لَاقَيْتُ قَبْلِي عَاشِقُ
إِلَيْكُمْ بَنِي لَأَمْ تَخَبُّ^(٦) هِجَانُهَا^(٧) بِكُلِّ طَرِيقٍ صَادَفْتَهُ شَبَارِقُ^(٨)
لَكُمْ نَائِلٌ غَمَرٌ^(٩) وَأَحْلَامٌ سَادَةٌ وَالسَّنَةُ يَوْمَ الْخِطَابِ مَسَالِقُ^(١٠)
وَلَمْ يَدْعُ دَاعٍ مِثْلَكُمْ لِعَظِيمَةٍ إِذَا وَزَمْتُ^(١١) بِالسَّاعِدِينَ السَّوَارِقُ
[الطويل]

السوارق: الجوامع^(١٢)، واحداً سارقة.

قال: فابتاعه بجير من الطائيين بحكمهما، فجزّ ناصيته وأعتقه.

- (١) حرب الفساد من أيام العرب كانت بين الغوث وجديلة من طيء، سميت بذلك لما حدث فيها من القتل الفظيع بين الفريقين.
- (٢) قارات، الواحدة قارة: جبال صغيرة وآكام. وحوق، بضم الحاء: موضع في الصحراء.
- (٣) البيضة: عين ماء لبني دارم.
- (٤) عرنان، بكسر العين: جبل يقع بين تيماء وجبلي طيء.
- (٥) آبتني الهموم الطوارق: حلت بساحتي.
- (٦) تخب: تعدو سريعاً، والخبب ضرب من سير الإبل.
- (٧) الهجان: كرام الإبل.
- (٨) الشبارق، بكسر الشين والراء: ضرب من الشجر منبته تهامة ونجد، وثمرته شاقة صغيرة الجرم حمراء مثل الدم تثبت في السباخ والقيعان، وإذا يبس فهو الضريع.
- (٩) نائل غمر: عطاء فيّاض كثير.
- (١٠) المسالق: ذربة حادة.
- (١١) وزمت: عضت عضاً شديداً.
- (١٢) الجوامع: القيود التي تقيد بها أيدي الأسرى.

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدثنا أبو أيّوب المديني قال: حدثني مصعب بن عبد الله الزبيري قال:

كان أبو الطمحان القينيّ مجاوراً لبطن من طيء يقال لهم بنو جديلة، فنطح تيس له غلاماً منهم فقتله، فتعلّقوا أبا الطمحان وأسروه حتى أدّى^(١) ديته مائةً من الإبل. وجاءهم نزيهه، وكان يدعى هشاماً، ليدفع عنه فلم يقبلوا قوله؛ فقال له أبو الطمحان:

أتاني هشامٌ يدفع الضّيمَ^(٢) جاهداً يقول: ألا ماذا ترى وتقول؟!
فقلت له: قُمْ! يا لك الخير أدها مُذَلَّلَةٌ إِنَّ الْعَزِيزَ ذَلِيلٌ
فإن يك دون القَيْنِ^(٣) أغبرُ شامخٌ فليس إلى القَيْنِ الغداة سبيلٌ
[الطويل]

أخبرني عمي قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثني محمد بن عبد الله بن مالك، عن إسحاق قال:

إنتعاش المأمون بيتين لأبي الطمحان:

دخلت يوماً على المأمون فوجدته حائراً متفكراً غير نشيط، فأخذت أحدثه بمُلَحّ الأحاديث وطُرفها^(٤)، أستميله لأن يضحك أو ينشط، فلم يفعل. وخطر ببالي بيتان فأنشدته إِيّاهما، وهما:

ألا علّاني قبل نوح النوائح وقبل نُشُوزِ^(٥) النفس بين الجوانح
وقبل غدٍ يا لهف نفسي على غدٍ إذا راح أصحابي ولستُ برائح^(٦)
[الطويل]

فتنبّه كالمتفزع ثم قال: من يقول هذا ويحك؟ قلت: أبو الطمحان القينيّ يا أمير المؤمنين. قال: صدق والله، أعدهما عليّ. فأعدتهما عليه حتى حفظهما، ثم دعا بالطعام فأكل، ودعا بالشراب فشرب، وأمر لي بعشرين ألف درهم.

(١) أدّى ديته: دفعها.

(٢) الضّيم: الظلم.

(٣) القَيْن: قبيلة الشاعر، والقَيْن هو جدّ أبي الطمحان، وهو القَيْن بن جسر.

(٤) الطُريف من كل شيء: الجديد المستغرب.

(٥) نُشُوز النفس بين الجوانح: مفارقتها الجسد عند الموت. والجوانح، الواحد جانح: ضلوع الصدر.

(٦) راح أصحابي: عادوا إلى بيوتهم بعدما أودعوني لحدي منفرداً.

أخبرني حبيب بن نصر المهلبّي قال: حدثني أحمد بن الحارث الخزاز قال: حدثني المدائني قال:

إستشهاد خالد بن يزيد بيتين له:

عاتب عبد الملك بن مروان الحسن بن الحسن عليهما السلام على شيء بلغه عنه من دعاء أهل العراق إِيَّاهُ إلى الخروج معهم على عبد الملك، فجعل يعتذر إليه ويحلف له. فقال له خالد بن يزيد بن معاوية: يا أمير المؤمنين، ألا تقبل عذر ابن عمك وتُريل عن قلبك ما قد أَشْرَبْتَهُ إِيَّاهُ؟ أما سمعتَ قول أبي الطمحان القيني:

إذا كان في صدر ابن عمك إحنةٌ فلا تستثرها سوف يبدو دفينُها
وإن حمأة^(١) المعروف أعطاك صفوها فخذ عفوه لا يلتبس بك طينُها
[الطويل]

قال المدائني: ونزل أبو الطمحان على الزبير بن عبد المطلب بن هاشم، وكانت العرب تنزل عليه، فطال مقامه لديه، واستأذنه في الرجوع إلى أهله وشكا إليه شوقاً^(٢) إليهم، فلم يأذن له. وسأله المُقام، فأقام عنده مدة، ثم أتاه فقال له:

ألا حنّت المِرقالُ^(٣) واثتَبَ^(٤) ربُّها^(٥) تذكُّرُ أوطاناً وأذكرُ معشري
ولو عرفتُ صرفَ البُيوعِ لسرَّها بمكة أن تبتاع^(٦) حمضاً بإذخِر^(٧)
أسرَّك لو أننا بجنبَي عُنيزة^(٨) وحمض^(٩) وضمران^(١٠) الجناب وصعتر^(١١)
إذا شاء راعيها استقى من وقية^(١٢) كعين الغراب صفوها لم يكدر
[الطويل]

(١) الحمأة: الطين الأسود المنتن. والمقصود بذلك عين الماء يكتنفها صفو وكدره، وهو يطلب منه أن يأخذ الصفو ويترك الطين.

(٢) شوقاً: اشتياًقاً.

(٣) المِرقال من النياق: السريعة، والإرقال: عدو سريع فوق الخبب.

(٤) ائتَبَ: استعدَّ على الرحيل وتجهَّز. (٥) ربُّها: صاحبها.

(٦) تبتاع: تشتري بالمبادلة.

(٧) الإذخر: نبت تشتهر به مكة المكرمة، طيب الرائحة.

(٨) عنيزة: موضع في وادي فلج من ديار بني تميم.

(٩) حمض، بفتح الحاء: موضع في البحرين. (١٠) ضمران، بضمّ الصاد: موضع.

(١١) صعتر، بفتح الصاد وسكون العين: موضع.

(١٢) وقية: موضع صلب يمسك الماء.

فلَمَّا أنشدِه إِيَّاهَا أذنَ له فأنصرف ، وكان نديماً له .

صوت

لا يعتري شَرَبَنَا اللَّحَاءُ وقد تُوَهَّبُ فِينَا الْقِيَانُ^(١) والحلُّ
وفتية كالسيوف نادمتهم لا حَصْرُ^(٢) فيهم ولا بخلُ
[المنسرح]

الشعر للأسود بن يعفر، والغناء لسليم، خفيف ثقيل أول بالنصر.

(١) القيان، الواحدة قينة: الجارية المغنية.

(٢) الحصر: يقصد الشاعر بذلك البخل.

أخبار الأسود ونسبه

نسبه ومنزلته في الشعر :

الأسود بن يَعْفَر - ويقال يُعْفَرُ بضم الياء - ابن عبد الأسود بن جندل بن نهشل بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم . وأمُّ الأسود بن يَعْفَر رُهم بنت العَبَّاب ، من بني سَهْم بن عجل . شاعر متقدِّم فصيح ، من شعراء الجاهلية ، ليس بالمُكثَر . وجعله محمد بن سَلَام في الطبقة الثامنة مع خِداش بن زُهَيْر ، والمُخَبِّل السعدي ، والتَّمَر بن تَوَلِّب العُكلي . وهو من العُشَيِّ - ويقال العُشُو بالواو - المعدودين في الشعراء . وقصيدته الدالية المشهورة :

نام الخلي وما أَحْسَ رُقادي والهَمُّ مُحْتَضِرٌ لَدَيَّ وسادي
[الكامل]

معدودةٌ من مختار أشعار العرب وحِكْمِها ، مُفَضَّلِيَّةٌ مأثورةٌ .

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي وأبو الحسن أحمد بن محمد الأسدي قالًا :
حدثنا الرياشي عن الأصمعي قال :

تقدَّم رجل من أهل البصرة من بني دارم إلى سَوَّار بن عبد الله لِيُقيِمَ عنده
شهادةً ، فصادفه يتمثل قول الأسود بن يَعْفَر :

ولقد علمتُ لو أنَّ عِلْمِي نافعِي أنَّ السبيل سبيلُ ذي الأعواد^(١)
إنَّ المنيَّةَ والحُتوفَ^(٢) كلاهما يُوفي^(٣) المخارم^(٤) يرميان سَوادي^(٥)
ماذا أؤمِّل بعد آل مُحَرَّق^(٦) تركوا مَنازِلهم وبعَدَ إيادِ

(١) ذو الأعواد: هو من أجداد حكيم بني تميم أكثم بن صيفي ، وقيل له ذو الأعواد لسرير كان يُحمل عليه عندما أَسَنَ ، وقد جعل ذلك ملاذ كلِّ محتاج . ولقد ورد البيت في المفضليات ، ضمن قصيدة قوامها ستة وثلاثون بيتاً .

(٢) المنيَّة: الموت والحتوف ، الواحد حتف . (٣) يُوفي: يعلو .

(٤) المخارم ، الواحد مخرم: أفواه الفجاع وطرق الجبال .

(٥) سَوادي: شخصي . (٦) آل مُحَرَّق: هم المناذرة ملوك الحيرة اللخميون .

أهل الخورنق^(١) والسدير وبارق^(٢) والقصر ذي الشرفات من سِنداد^(٣)
 نزلوا بأنقرة^(٤) يفيض عليهم ماء الفرات يفيض من أطواد^(٥)
 جرت الرياح على محل ديارهم فكأنما كانوا على ميعاد
 [الكامل]

ثم أقبل على الدارمي فقال له: أتروي هذا الشعر؟ قال: لا. قال: أفتعرف من يقوله؟ قال: لا. قال: رجل من قومك له هذه النباهة وقد قال مثل هذه الحكمة لا ترويه ولا تعرفه! يا مُزاحم، أثبت شهادته عندك، فإني متوقف عن قبوله حتى أسأل عنه، فإني أظنه ضعيفاً.

أخبرني عمي قال: حدثنا الكراني عن الرياشي عن أبي عبيدة بمثله.
 أخبرني عمي قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد. قال: حدثني الحكم بن موسى السلولي. قال: حدثني أبي. قال:

وعد الرشيد بعشرة آلاف لمن يروي قصيدة «نام الخلي» . . . :

بيننا نحن بالرافقة^(٦) على باب الرشيد وقوف، وما أفقد أحداً من وجوه العرب
 من أهل الشام والجزيرة والعراق، إذ خرج وصيف كأنه دُرّة فقال: يا معشر الصحابة،
 إن أمير المؤمنين يقرأ عليكم السلام ويقول لكم: مَنْ كان منكم يروي قصيدة
 الأسود بن يعفر:

نام الخلي وما أحس رُقادي والهَمُّ مُحْتَضِرٌ^(٧) لديّ وسادي
 [الكامل]

فليدخل فلينشدها أمير المؤمنين وله عشرة آلاف درهم. فنظر بعضنا إلى بعض،
 ولم يكن فينا أحد يرويها. قال: فكأنما سقطت واللّه البدره عن قُربوسي^(٨). قال
 الحكم: فأمرني أبي فرويت شعر الأسود بن يعفر من أجل هذا الحديث.
 أخبرني محمد بن القاسم الأنباري قال: حدثني أبي قال: حدثني عبد الله بن

(١) الخورنق: من قصور المناذرة كان ما بين نهر الحيرة إلى النجف إلى كسكر من هذا الجانب.

(٢) بارق: رافد نهري يقع بين القادسية والبصرة، وهو من أعمال الكوفة.

(٣) سنداد، بكسر السين: منزل لإياد، وهو أسفل سواد الكوفة.

(٤) أنقرة: عاصمة الدولة التركية اليوم.

(٥) الأطواد، الواحد طود: الجبل العالي العظيم.

(٦) الرافقة: بلد متصل البناء بالرقعة على ضفة الفرات، من أعمال الجزيرة.

(٧) محتضر: حاضر. (٨) قربوس الفرس: جنو السرج، وهو الجزء المعوج منه.

عبد الرحمن المدائني قال: حدثنا أبو أمية بن عمرو بن هشام الحراني قال: حدثنا محمد بن يزيد بن سنان قال: حدثني جدي سنان بن يزيد قال كنت مع مولاي جرير بن سَهْم التميمي وهو يسير أمام علي بن أبي طالب عليه السلام ويقول:

يا فرسي سيري وأمّي الشاما وخَلْفِي الأخوال والأعماما
وقَطَّعي الأجواز^(١) والأعلاما^(٢) وقاتلي من خالف الإماما
إني لأرجو إن لقينا العاما جَمَعَ بني أُمَيَّة الطَّغاما^(٣)
أن نَقْتل العاصي والهَماما وأن نُزِيل من رجالِ هامما
[الرجز]

فلما انتهى إلى مدائن كسرى وقف علي عليه السلام ووقفنا، فتمثّل مولاي قول الأسود بن يعفر:

جَرَتِ الرِّيحُ على محل ديارهم فكأنما كانوا على ميعاد
[الكامل]

فقال له علي عليه السلام: فلم لم تقل كما قال الله جلّ وعزّ: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ * وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ * كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا ءَاخِرِينَ﴾ [الدخان: ٢٥ - ٢٨]. ثم قال: يا ابن أخي، إن هؤلاء كفروا النعمة، فحلّت بهم النّعمة، فإياكم وكفر النعمة فتجلّ بكم النّعمة.

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا محمد بن موسى قال: حدثنا أحمد بن الحارث عن المدائني قال:

مرّ عمر بن عبد العزيز ومعه مزاحمٌ مولاه يوماً بقصرٍ من قصور آل جفنة، وقد خرب، فتمثّل مزاحمٌ بقول الأسود بن يعفر:

جرتِ الرِّيحُ على محلّ ديارهم فكأنما كانوا على ميعاد
ولقد غَنَوْا^(٤) فيها بأنعم عيشة في ظلّ مُلكٍ ثابتٍ الأوتاد
فإذا النعيمُ وكل ما يُلهى به يوماً يصير إلى بلى ونفاد
[الكامل]

(٢) الأعلام، الواحد علم: الجبال.

(٤) غنوا: رتعا منعمين وأقاموا.

(١) الأجواز، الواحد جوز: الجهات.

(٣) الطغام: الرعاع وأوغاد الناس.

فقال له عمر: هَلَّا قَرَأْتَ: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾، إلى قوله جَلَّ وَعَزَّ: ﴿كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾.

نسخت من كتاب محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي عن المفضل قال:

كان الأسود بن يعفر مجاوراً في بني قيس بن ثعلبة ثم في بني مُرَّة بن عباد بالقاعة^(١)، فقامرهم^(٢) فقمروه، حتى حصل عليه تسعة عشر بَكراً، فقالت لهم أمه وهي رُهم بنت العَبَّاب: يا قوم، أَتَسْلُبُونَ ابنَ أَخِيكم ماله؟ قالوا: فماذا نصنع؟ قالت: احبسوا قِداحه^(٣). فلما راح القوم قالوا له: أَمْسِكْ. فدخل ليقامرهم فردّوا قِداحه. فقال: لا أَقِيمُ بين قوم لا أَضرب فيهم بِقِدَح؛ فاحتمل قبل دخول الأشهر الحُرْم، فأخذت إبله طائفةً من بكر بن وائل؛ فاستسعى الأسود بني مُرَّة بن عباد وذكرهم الجوار وقال لهم:

يَا لَ عُبَادٍ دَعْوَةً بَعْدَ هَاجِمَةٍ فَهَلْ فِيكُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَزِمَاعٍ^(٤)
فَتَسْعُوا الْجَارَ حَلًّا وَسَطَ بِيوتِكُمْ غَرِيبٍ وَجَارَاتٍ تُرْكَنُ جِياعٍ
[الطويل]

وهي قصيدة طويلة، فلم يصنعوا شيئاً. فادّعى جوار بني مُحَلِّم بن ذهل بن شيبان، فقال:

فُلْ لِبَنِي مُحَلِّمٍ يَسِيرُوا بِذِمَّةٍ يَسْعَى بِهَا خَفِيرٌ^(٥)
[الرجز]

لَا قَدَحَ^(٦) بَعْدَ الْيَوْمِ حَتَّى تُورُوا^(٧)

ويُروى «إِنْ لَمْ تُورُوا». فَسَعَوْا معه حَتَّى اسْتَنْقَدُوا إِبْلَهُ، فَمَدَحَهُمْ بِقَصِيدَتِهِ الَّتِي أَوَّلَهَا:

أَجَارَتْنَا غُضِّي مِنَ السَّيْرِ أَوْ قَفِي وَإِنْ كُنْتَ قَدْ أَزْمَعْتَ بِالْبَيْنِ فَاصْرِفِي^(٨)

(١) القاعة: هي من بلاد سعد بن زيد مناة بن تميم قبل يبرين، وتسمى الأجواف أيضاً.

(٢) قامرهم فقمروه: ربحوا منه الميسر.

(٣) القداح، الواحد قدح: سهام الميسر التي كانوا يتقمارون بها.

(٤) الزماع: العزيمة والإرادة والمضاء في الأمور.

(٥) الخفير: الحامي لمن يجاور.

(٦) القدح: الإشعال.

(٧) توروا: تشعلوا.

(٨) اصرفي: اعدلي عن الرحيل وابقى إلى جوارنا.

أسألك أو أخبرك عن ذي لبانة^(١) سقيم الفؤاد^(٢) بالحسان^(٣) مكلف^(٤)

[الطويل]

يقول فيها :

تداركني أسباب آل محلّم وقد كدت أهوي بين نقين نفنف^(٥)
هم القوم يمسي جارهم في غضارة^(٦) سويّاً سليم اللحم لم يتحوّف^(٧)

[الطويل]

فلما بلغتهم أبياتهم ساقوا إليه مثل إبله التي استنقذوها من أموالهم .

قال المفضل : كان رجل من بني سعد بن عوف بن مالك بن حنظلة يقال له طلحة ، جاراً لبني ربيعة بن عجل بن لجيم ، فأكلوا إبله^(٨) ، فسأل في قومه حتى أتى الأسود بن يعفر يسأله أن يعطيه ويسعى له في إبله . فقال له الأسود : لست جامعهما لك ، ولكن اختر أيهما شئت . قال : أختار أن تسعى لي بإبلي . فقال الأسود لأخواله من بني عجل :

يا جار طلحة هل تردّ لبونّه فتكون أدنى للوفاء وأكرمّا
تالّه لو جاورثّموه بأرضه حتى يفارقكم إذا ما أحرّمّا

[الطويل]

وهي قصيدة طويلة . فبعث أخواله من بني عجل بإبل طلحة إلى الأسود بن يعفر فقالوا : أمّا إذ كنت شفيعه فخذها ، وتولّ ردّها لتحرز المكرمة عنده دون غيرك .

النعمان يحث خالد بن مالك على المطالبة بثأر عمه :

وقال ابن الأعرابي : قتل رجلان من بني سعد بن عجل يقال لهما وائل وسليط ابنا عبد الله ، عمّا خالد بن مالك بن رباعي النهشلي يقال له : عامر بن رباعي ، وكان خالد بن مالك عند النعمان حينئذٍ ومعه الأسود بن يعفر . فالتفت النعمان يوماً إلى خالد بن مالك فقال له : أيّ فارسين في العرب تعرفّ هما أثقل على الأقران وأخفّ على متون الخيل ؟ فقال له : أبيت اللعن ! أنت أعلم . فقال : خالاً ابن عمك الأسود بن

(١) اللبانة : الحاجة .

(٢) سقيم الفؤاد : عليل ، مريض ، متيمّ بالحبّ الشديد .

(٣) الحسان : الجميلات . (٤) مكلف : متيمّ .

(٥) النيق : حرف من حروف الجبل ، وهو أعلى مواضعه ، والنفنف : مهواة بين جبلين .

(٦) غضارة العيش : بحبوحته . (٧) لم يتحوّف : لم ينتقص .

(٨) أكلوا إبله : استحوذوا عليها لأنفسهم .

يَعْفَرُ وَقَاتِلَا عَمَكَ عَامِرَ بْنِ رَبِيعِي (يعني العجليين وائلاً وسليطاً). فتغيّر لون خالد بن مالك. وإِنَّمَا أَرَادَ النعمانُ أَنْ يَحْتَهُ عَلَى الطلَبِ بِثَأْرِ عَمِهِ. فوثب الأسود فقال: أبيت اللعن! عَضَّ بِهِنَّ أُمَّهُ مَنْ رَأَى حَقَّ أَخُوَالِهِ فَوْقَ حَقِّ أَعْمَامِهِ. ثم التفت إلى خالد بن مالك فقال: يَا ابْنَ عَمِّ، الْخَمْرُ عَلَيَّ حَرَامٌ حَتَّى أَثَارَ لَكَ بِعَمَكَ. قال: وعليّ مثل ذلك. ونهضاً يطلبان القوم، فجمعاً جمعاً من بني نهشل بن دارم فأغار بهم على كاظمة^(١)، وأرسلوا رجلاً من بني زيد بن نهشل بن دارم يقال له عبید يتجسس لهم الخبر، فرجع إليهم فقال: جَوَفَ كَاطِمَةُ مَلَأَنَ مِنْ حُجَّاجٍ وَتَجَارٍ، وَفِيهِمْ وائِلٌ وَسَلِيطٌ مُتْسَانِدَانِ^(٢) فِي جَيْشٍ. فركبت بنو نهشل حتى أتوهم، فنَادَوْا: مَنْ كَانَ حَاجِباً فَلِيَمِضْ لِحَجَّهُ، وَمَنْ كَانَ تَاجِراً فَلِيَمِضْ لِتِجَارَتِهِ. فلما خلص لهم وائِلٌ وسليطٌ في جيشهما اقتتلوا، فَقُتِلَ وائِلٌ وَسَلِيطٌ، قَتَلَهُمَا هِزَانُ بْنُ زَهِيرٍ بْنُ جَنْدَلٍ بْنُ نَهْشَلٍ، عَادِي^(٣) بَيْنَهُمَا. وادَّعى الأسود بن يعفر أنه قتل وائلاً. ثم عاد إلى النعمان فلما رآه تبسم وقال: وَفِي نَذْرِكَ يَا أَسْوَدُ؟ قال: نَعَمْ أبيت اللعن! ثم أقام عنده مدّةً يُنَادِمُهُ وَيُؤَاكِلُهُ، ثُمَّ مَرَضَ مَرَضاً شَدِيداً، فَبَعَثَ النعمانُ إِلَيْهِ رَسُولاً يَسْأَلُهُ عَنْ خَبْرِهِ وَهَوْلٍ مَا بِهِ؛ فَقَالَ:

نَفْعٌ قَلِيلٌ إِذَا نَادَى الصَّدَى^(٤) أَصْلاً وَحَانَ مِنْهُ لِبَرْدِ الْمَاءِ تَغْرِيدُ
وَوَدَّعُونِي فَقَالُوا، سَاعَةً انْطَلَقُوا: أَوْدَى فَأَوْدَى^(٥) النَّدَى^(٦) وَالْحَزْمُ وَالْجُودُ
فَمَا أَبَالِي إِذَا مَا مِتَّ مَا صَنَعُوا كُلُّ أَمْرٍ بِسَبِيلِ الْمَوْتِ مَرْصُودُ
[البسيط]

ونسخت من كتاب عمرو بن أبي عمرو الشيباني يَأْتِرُهُ عَنْ أَبِيهِ، قَالَ:

مَا قَالَهُ فِي فَرَسٍ أَخَذَهَا ابْنُهُ جَرَّاحٌ:

كَانَ أَبُو جُعَلٍ أَخُو عَمْرُو بْنِ حَنْظَلَةَ مِنَ الْبَرَاكِيمِ قَدْ جَمَعَ جَمْعاً مِنْ شُدَّاذٍ أَسَدٍ وَتَمِيمٍ وَغَيْرِهِمْ، فَغَزَوْا بَنِي الْحَارِثِ بْنِ تَيْمِ اللَّهِ بْنِ ثَعْلَبَةَ، فَنَذَرُوا^(٧) بِهِمْ وَقَاتَلُوهُمْ قِتَالاً شَدِيداً حَتَّى فَضُّوا جَمْعَهُمْ^(٨). فَلَحِقَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ تَيْمِ اللَّهِ بْنِ ثَعْلَبَةَ

(١) كاظمة: موضع على سيف البحر في طريق البحرين من البصرة بينها وبين البصرة مرحلتان.

(٢) متساندان: متحذان للقيام بمهمة واحدة، يعاضد الواحد منهما الآخر.

(٣) عادي المقاتل بين رجلين: إذا توالى طعنتاه لمقاتل واحد.

(٤) الصدى: طائر خرافي زعمت العرب أنه يخرج من جمجمة القتيل يصيح قائلاً اسقوني اسقوني يُطَالِبُ بِثَأْرِهِ مَنْ قَاتَلَهُ.

(٥) أودى: هلك.

(٦) الندى: الكرم.

(٧) نذروا بهم: أعلموهم وحذروهم.

(٨) فضوا جمعهم: فرقوهم.

جماعة من بني نهشل فيهم جراح بن الأسود بن يعفر، والحُر بن شمر بن هزان بن زهير بن جندل، ورافع بن صهيب بن حارثة بن جندل، وعمرؤ والحارث ابنا حُرير بن سلمى بن جندل، فقال لهم الحارثي: هلم إليّ طلقاء^(١)؛ فقد أعجبني قتالكم سائر اليوم، وأنا خير لكم من العطش. قالوا: نعم. فنزل ليُجزّ نواصيهم. فنظر الجراح بن الأسود إلى فرس من خيلهم فإذا هي أجود فرس في الأرض، فوثب فركبها وركضها ونجا عليها. فقال الحارثي للذين بقوا معه: أتعرفون هذا؟ قالوا: نعم نحن لك عليه خُفراء. فلما أتى جراح أباه أمره فهرب بها في بني سعد فابتطنها^(٢) ثلاثة أبطن، وكان يقال لها: العصماء. فلما رجع النفر التَّهشليُّون إلى قومهم قالوا: إنا خُفراء فارس العصماء، فوالله لناخذنها، فأوعده^(٣). وقال حُرير ورافع: نحن الخفيران بها. وكان بنو جرول حلفاء بني سلمى بن جندل على بني حارثة بن جندل، فأعانه على ذلك التَّيحان بن بلج بن جرول بن نهشل. فقال الأسود بن يعفر يهجو:

أتاني ولم أخش الذي ابتعثابه خفيرا بني سلمى حُرير ورافع
هم خيَّبوني يوم كل غنيمة وأهلكتهم لو أن ذلك نافع
فلا أنا مُعطيهم عليّ ظلامة ولا الحق معروفاً لهم أنا مانع
وإني لأقري الضيف^(٤) وصى به أبي وجار أبي التَّيحان ظمان جائع
فقلوا لتَّيحان ابن عاقرة استها أمجر^(٥) فلاقي الغي أم أنت نازع^(٦)
ولو أن تَّيحان بن بلج أطاعني لأرشدته ولأُمور مطالع
وإن يك مدلولاً^(٧) عليّ فإني أخو الحرب لا قحم^(٨) ولا مُتجاذع^(٩)
ولكن تَّيحان ابن عاقرة استها له ذنب^(١٠) من أمره وتوابع
[الطويل]

قال: فلما رأى الأسود أنهم لا يُقلعون عن الفرس أو يردّوها، أحلفهم عليها فحلفوا أنهم خُفراء لها، فردّ الفرس عليهم وأمسك أمهارها، فردّوا الفرس إلى

(١) الطلقاء: الأسرى حرّروا من أسرهم. (٢) ابتطنها: أنتجها ثلاثة أبطن.

(٣) أوعده: هذّوه. (٤) أقري الضيف: أقوم بضيافته خير قيام.

(٥) مجر: قاصد الشرور.

(٦) النازع: من كف عن الشرور.

(٧) مدلولاً عليّ: مجترئاً. (٨) القحم من الرجال: الطاعن في السن.

(٩) المتجاذع: من يرى أنه حدث صغير السن. (١٠) له ذنب: نتائجه وخيمة.

صاحبها. ثم أظهر الأمهار بعد ذلك، فأوعدوه فيها أن يأخذوها. فقال الأسود:

أَحَقًّا بَنِي أَبْنَاءِ سَلْمَى بْنِ جَنْدَلٍ وَعَيْدُكُمْ إِيَّايَ وَسَطُ الْمَجَالِسِ
فَهَلَّا جَعَلْتُمْ نَحْوَهُ مِنْ وَعَيْدِكُمْ عَلَى رَهْطِ قَعْقَاعٍ وَرَهْطِ ابْنِ حَابِسِ
هُمْ مَنَعُوا مِنْكُمْ تُرَاثَ أَبِيكُمْ فَصَارَ الثَّرَاثُ لِلْكَرَامِ الْأَكَايسِ
هُمْ أوردوكم ضَفَّةَ الْبَحْرِ طَامِيًّا وَهُمْ تَرْكُوكُمْ بَيْنَ خَازٍ^(١) وَنَاكِسٍ^(٢)
[الطويل]

رثاؤه مسروق بن المنذر النهشلي:

وقال أبو عمرو، كان مسروق بن المنذر بن سلمى بن جندل بن نهشل سيِّداً جواداً، وكان مؤثراً للأسود بن يعفر، كثير الرِّفْد له والبرّ به. فمات مسروق واقتسم أهله ماله، وبأن فقدته على الأسود بن يعفر فقال يرثيه:

أَقُولُ لَمَّا أَتَانِي هُلُكُ سَيِّدِنَا لَا يُبْعِدُ إِلَّاهُ رَبُّ النَّاسِ مَسْرُوقًا
مَنْ لَا يَشِيعُهُ^(٣) عَجْزٌ وَلَا بَخْلٌ وَلَا يَبِيتُ لَدَيْهِ اللَّحْمُ مَوْشُوقًا^(٤)
مِرْدَى حُرُوبٍ^(٥) إِذَا مَا الْخِيلُ ضَرَجَهَا^(٦) نَضِخُ الدِّمَاءِ وَقَدْ كَانَتْ أَفَارِيقًا^(٧)
وَالطَّاعِنُ الطَّعْنَةَ النَّجْلَاءَ تَحْسِبُهَا شَنًّا^(٨) هَزِيمًا^(٩) يَمِجُّ الْمَاءُ^(١٠) مَخْرُوقًا
وَجَفْنَةٍ^(١١) كَنْضِيحِ الْبَيْرِ^(١٢) مُتَأَقَّةٍ^(١٣) تَرَى جَوَانِبَهَا بِاللَّحْمِ مَفْتُوقًا^(١٤)
يَسْرَتَهَا لِيَتَامَى أَوْ لِأَرْمَلَةٍ وَكُنْتُ بِالْبَائِسِ الْمَتْرُوكِ مَحْقُوقًا^(١٥)
يَا لَهْفٍ أُمِّي إِذْ أَوْدَى وَفَارَقَنِي أَوْدَى ابْنُ سَلْمَى نَقْيَ الْعِرْضِ مَرْمُوقًا
[البسيط]

(١) الخازي: هو من ذلّ وهان على الناس. (٢) الناكس: هو من طأطأ رأسه خجلاً.

(٣) يشيعه: يرافقه ويصطحبه. (٤) موشوقاً: مقدّداً.

(٥) مردى حروب: يُصطلى بقوّته وشجاعته ومردى ضرب من الأحجار القاسية تكسر به الصخور.

(٦) ضرجها: لطمها.

(٧) الأفاريق: جمع جموع وهو جمع أفراق: الجماعة من القوم.

(٨) الشنّ: القرية البالية لقدمها. (٩) الهزيم: الذي تكسر لشدة يسه.

(١٠) يمجّ الماء من فمه: رمى به.

(١١) الجفنة: القصعة الكبيرة. (١٢) نضيح البئر: الحوض.

(١٣) متأقّة: ممثلة. (١٤) المفتوق: المتشقق.

(١٥) المحقوق: الجديد والمعتمد عليه.

ما أجاب به بنته وقد لامته على جوده :

وقال أبو عمرو: عاتبتُ سلمى بنتُ الأسود بن يعفر أباهما على إضاعته ماله فيما ينوب قومه من حمالة^(١) وما يمنحه فقراءهم ويُعين بهم مُستمنحهم، فقال لها:

وقالت: لا أراك تُلِيق شيئاً^(٢) أتُهْلِك ما جمعتَ وتستفيدُ
فقلت: بحسبها يسرُّ^(٣) وعارٍ^(٤) ومُرتحلٌ^(٥) إذا رحلَ الوفودُ^(٦)
فلومِي إن بدا لكِ أو أفيقي فقبلك فاتني وهو الحميدُ
أبو العوراء لم أكمَد عليه وقيسُ فاتني وأخي يزيدُ
مَضَوْا السبيلهم وبقيتُ وحدي وقد يُغني رباعته^(٧) الوحيدُ
فلولا الشامتون أخذتُ حقي وإن كانت بمطلبه كؤودُ^(٨)

[الوافر]

ويُروى:

وإن كانت له عندي كؤودُ

ما قاله في ابنه جراح وكان ضئيلاً ضعيفاً:

قال أبو عمرو: وكان الجراح بن الأسود في صباه ضئيلاً ضعيفاً، فنظر إليه الأسود وهو يُصارع صبياً من الحي - وقد صرعه الصبي - والصبيان يهزؤون منه، فقال:

سيجرَح جراحٌ وأعقلُ ضيمه^(٩) إذا كان مخشياً من الضَّلَع المُبدي^(١٠)
فأبَاء جراحٍ ذؤابة دارمٍ وأخوال جراحٍ سَراة بني نهدٍ

[الطويل]

(١) الحمالة: المتخذ على عاتقه دفع القتلى.

(٢) تليق شيئاً: تحتفظ به لنفسك وقت الحاجة.

(٣) اليسر من القتبان هم الذين اجتمعوا على الميسر والقِداح.

(٤) العاري: هو من يُقدم على قوم يبتغي مساعدتهم.

(٥) المرتحل: هو من يمتطي الجمل ويعتلي منته بالقتب.

(٦) الوفود: القادمون يبتغون الرغد. (٧) الرباعة: القبيلة.

(٨) العقبة الكؤود: هي التي يصعب تخطيها.

(٩) أعقل ضيمه: ما نزل به من ظلم ومهانة.

(١٠) الضَّلَع المُبدي: البادي اعوجاجه من الرجال.

قال: وكانت أم الجراح أخيدة، أخذها الأسود من بني نهد في غارة أغارها عليهم.

ما قاله لما أسن وكف بصره:

وقال أبو عمرو: لمّا أسنّ الأسود بن يعفر كفّ بصره، فكان يُقاد إذا أراد مذهباً. وقال في ذلك:

قد كنتُ أهدي ولا أهدي فعلمني حُسْنُ المَقَادَةِ أني أفقد البصرَا
أمشي وأتبع جُنَاباً^(١) ليَهْدِيَنِي إنَّ الجنيبة^(٢) مما تجشّم الغدراً^(٣)
[البسيط]

الجُنَاب: الرجل الذي يقوده كما تُقاد الجنيبة. الجَشْم: المشي ببطء. والغدر مكانٌ ليس مستويّاً.

شعر لأخيه حطائط وقد لامته أمه على جوده:

وذكر محمد بن حبيب، عن ابن الأعرابي، عن المفضل: أن الأسود كان له أخ يُقال له حُطَائِط بن يعفر شاعر، وأن ابنه الجراح كان شاعراً أيضاً. قال: وأخوه حُطَائِط الذي قال لأُمّهما رُهم بنت العباب، وعاتبته على جوده فقال:

تقول ابنة العباب رَهم حَرَبْتَنِي^(٤) حُطَائِط لَمْ تَتْرِكْ لِنَفْسِكَ مَقْعِدَا
إذا ما جمعنا صِرْمَةً^(٥) بعد هَجْمَةٍ^(٦) تكون علينا كابن أُمّك أسودا
فقلت، ولم أعَيِ الجواب؛ تأملي أكان هُزْلاً حَتَفُ زَيْدٍ وأربدا
أريني جَوَاداً مات هُزْلاً لَعَلَّنِي أرى ما تَرِينِ أو بخيلاً مُخْلَدا
ذريني^(٧) أكن للمال ربّاً ولا يكن لي المالُ ربّاً تحمدي غِبّه غدا
ذريني فلا أعيأ بما حلّ ساحتني أسودُ فأُكْفَى أو أطيع المسودا
ذريني يكن مالي لِعَرْضِي وقايةً يَقي المالُ^(٨) عِرْضِي قبل أن يتبددا^(٩)

(١) الجُنَاب من الرجال: هو من يسير إلى جانب الآخر.

(٢) الجنيبة: الدابة التي تقاد. (٣) الغدر: هو من حجب الرؤية عن سواه.

(٤) حربتي: استحوذت على مالي خلسة.

(٥) الصرمة: الجماعة من الإبل لا تزيد عن الثلاثين.

(٦) الهجمة: الجماعة من الإبل عددها ما بين الأربعين والسبعين.

(٧) ذريني: اتركني.

(٨) يقي المال: يحمي.

(٩) يتبدد: يتبعثر.

أَجَارَةَ أَهْلِي بِالقَصِيْمَةِ^(١) لَا يَكُنْ عَلَيَّ - وَلَمْ أَظْلَمْ - لِسَانُكَ مِبْرَدًا
[الطويل]

صوت

أَعَاذَلْتِي إِلَّا لَا تَعْذِلِينَا^(٢) أَقْلِي اللُّومَ إِنْ لَمْ تَنْفَعِينَا
فَقَدْ أَكْثَرْتَ لَوْ أَغْنَيْتِ شَيْئاً وَلَسْتُ بِقَابِلٍ مَا تَأْمُرِينَا
[الوافر]

الشعر لأرطاة بن سُهَيْيَّةَ، والغناء لمحمد بن الأشعث، خفيف رملٍ بالبنصر، من
نسخة عمرو بن بانة.

(١) القصيمة: الرمللة التي تنبت الغضا.

(٢) تعذلينا: تلومينا.

أخبار أرطاة ونسبه

نسبه من قبل أبويه :

هو أرطاة بن زُفَر بن عبد الله بن مالك بن شدّاد بن عُقْفَان بن أبي حارثة بن مُرَّة بن نُشْبَة بن غَيْظ بن مُرَّة بن عَوْف بن سعد بن ذُبْيَان. وقد تقدّم هذا النسب في عدّة مواضع من هذا الكتاب. وسُهِيَّة أمّه؛ وهي بنت زامل بن مروان بن زهير بن ثعلبة بن حُدَيْج بن أبي جُشَم بن كعب بن عوف بن عامر بن عوف، سَبِيَّة من كلب، وكانت لضرار بن الأزور ثم صارت إلى زُفَر وهي حاملٌ فجاءت بأرطاة من ضرارٍ على فراش زُفَر؛ فلما ترعرع أرطاة جاء ضرارٌ إلى الحارث بن عوف فقال له :

يا حارث افكك لي بُنيّ من زُفَر

- ويروى: «يا حارٍ أطلق لي» - .

في بعض مَنْ تُطْلِقُ من أسرى مُضَرٍّ

إِنْ أَبَاهُ امْرُؤٌ سَوِيٌّ إِنْ كُفِرَ^(١)

فأعطاه الحارث إِيَّاه وقال: انطلق بابنك، فأدركه نَهْشَل بن حَرِي بن غطفان فانتزعه منه وردّه إلى زُفَر. وفي تصديق ذلك يقول أرطاة لبعض أولاد زُفَر:

فإِذَا خَمَصْتُمْ^(٢) قَلْتُمْ: يَا عَمَّنَا وَإِذَا بَطِنْتُمْ^(٣) قَلْتُمْ: ابْنِ الْأَزُورِ

[الكامل]

قال: ولهذا غلبتُ أمّه سُهِيَّة على نسبه فنسب إليها. وضرار بن الأزور هذا قاتل مالك بن نُؤيرة الذي يقول فيه أخوه متمم:

نَعَمْ الْقَتِيلُ إِذَا الرِّيحُ تَنَاوَحَتْ تَحْتَ الْبُيُوتِ، قَتَلْتَ يَا ابْنَ الْأَزُورِ

[الكامل]

(١) كُفِرَ: يُخْرَجُ عَنْ حَقِّهِ فِي أَبَوَيْهِ.

(٢) خَمَصْتُمْ: جَعَلْتُمْ، وَخَلَّتْ مَعْدَنُكُمْ مِنَ الْأَكْلِ.

(٣) بَطِنْتُمْ: أَنْخَمْتُمْ لِكثْرَةِ مَا أَكَلْتُمْ.

منزلته في الشعر :

وأرطاة شاعر فصيح، معدودٌ في طبقات الشعراء المعدودين من شعراء الإسلام في دولة بني أمية لم يسبقها ولم يتأخر عنها. وكان امرأً صديقاً شريفاً في قومه جواداً. أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال: حدثنا أبو غسان رَفِيع بن سلمة الملقَّب بدماذ، قال: حدثنا أبو عبيدة قال:

إنشاده عبد الملك :

دخل أرطاة بن سهية على عبد الملك بن مروان، فاستنشدته شيئاً مما كان يناقض^(١) به شبيب بن البرصاء، فأنشدته:

أبي كان خيراً من أبيك ولم يزل جنيباً لآبائي وأنت جنيب^(٢)
[الطويل]

فقال له عبد الملك بن مروان: كذبت، شبيبٌ خيرٌ منك أباً. ثم أنشدته:

وما زلتُ خيراً منك مذ عضَّ كارهاً برأسك عادي^(٣) النِّجاد^(٤) رسوب^(٥)
[الطويل]

معرفة عبد الملك مقادير الناس على بعدهم :

فقال له عبد الملك: صدقتَ، أنت في نفسك خيرٌ من شبيب. فعجب من عبد الملك مَنْ حضر ومن معرفته مقادير الناس على بعدهم منه في بواديهم، وكان الأمر على ما قاله: كان شبيب أشرف أباً من أرطاة، وكان أرطاة أشرف فعلاً ونفساً من شبيب.

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال: حدثنا عمرو بن بحر الجاحظ ودماذ أبو غسان، قالا جميعاً، قال أبو عبيدة:

ما قاله لعبد الملك وقد أسنَّ :

دخل أرطاة بن سهية على عبد الملك بن مروان، فقال له: كيف حالك

(١) يناقض: يُعارض.

(٢) الجنيب: المنقاد طوعاً.

(٣) العادي من كل شيء: القديم من عهد عاد تلك القبيلة التي بادت.

(٤) النجاد: حمائل السيف.

(٥) الرسوب: الذي يغور في الضريبة ويرسب.

يا أرطاة؟ - وقد كان أسنّ - فقال: ضعفت أوصالي، وضاع مالي، وقلّ متي ما كنت أحبّ كثرته، وكثر مني ما كنت أحبّ قلته. قال: فكيف أنت في شعرك؟ فقال: واللّه يا أمير المؤمنين ما أطرب ولا أغضب ولا أرغب ولا أرهب^(١)، وما يكون الشعر إلّا من نتائج هذه الأربع، وعلى أني القائل:

رأيتُ المرءَ تأكله الليالي كأكل الأرض ساقطة الحديد
وما تبغي المنية حين تأتي على نفس ابن آدم من مزيد
وأعلم أنها ستكُر حتى تُوفي نذرها بأبي الوليد
[الوافر]

فارتاع^(٢) عبد الملك ثم قال: بل توفي نذرها بك ويلك! ما لي ولك؟ فقال: لا تُرع يا أمير المؤمنين، فإنّما عنيت نفسي - وكان أرطاة يُكنى أبا الوليد - فسكن عبد الملك، ثم استعبر باكياً وقال: أما واللّه على ذلك لتلمن^(٣) بي.

أخبرني به حبيب بن نصر المهلبّي قال: حدثنا عمر بن شبّة. قال: حدثني أبو غسان محمد بن يحيى عن عبد العزيز بن أبي ثابت، فذكر قريباً منه يزيد وينقص ولا يُحيل^(٤) معني.

مدحه مروان لما اجتمع له أمر الخلافة:

أخبرني عبد الملك بن مسلمة القرشي الهشاميّ بأنطاكية^(٥) قال: أخبرني أبي عن أهلنا أن أرطاة بن سهية دخل على مروان بن الحكم لما اجتمع له أمر الخلافة، وفرغ من الحروب التي كان بها متشاغلاً، وصمد^(٦) لإنفاذ الجيوش إلى ابن الزبير لمحاربته، فهتاه وكان خاصاً به وبأخيه يحيى بن الحكم، ثم أنشده:

تشكّي قلوصي^(٧) إليّ الوجي^(٨) تجرّ السريح^(٩) وتُبلي الخداما^(١٠)
تزور كريمةً له عندها يدّ لا تُعدّ وتُهدي السلاما
وقلّ ثواباً له أئها تُجيد القوافي عاماً فعاما

(١) أرهب: أخاف.

(٢) إرتاع: خاف.

(٣) تلمنّ بي: لتنزل بساحتي.

(٤) يُحيل معني: يبدله ويفسده.

(٥) أنطاكية: قرية من بلاد الشام.

(٦) صمد: تجهّز واستعدّ.

(٧) القلوص من النياق: الفتية الشابة.

(٨) الوجي: السريح.

(٩) ما تُشدّ به الخدمة فوق الرسغ.

(١٠) الخدام، الواحدة خدمة: إنها السير الغليظ المحكم يشبه الحلقة التي تشدّ في رسغ البعير.

وسادت معداً على رغمها
 جُعِلَتْ على الأمر فيه صَغاً^(١)
 لقيت الزُحُوفَ^(٢) فقاتلتها
 تشقُّ القوانسَ^(٣) حتى تنا
 نزعت^(٤) على مهلٍ سابقاً
 فزاد لك الله سلطانه
 قُرَيْشٌ وسُدت قريشاً غلاما
 فما زال غمرك حتى استقاما
 فجردت فيهنَّ عَضْباً^(٥) حُساما
 ل ما تحتها ثم تبري العظاما
 فما زادك التُّزَعُ إِلَّا تماما
 وزاد لك الخير منه فداما
 [المقارب]

فكساه مروان وأمر له بثلاثين ناقه وأوقرهنَّ له بُراً وزبيباً وشعيراً.

هجاؤه شبياً :

قال : وكان أرطاة يُهاجي شبيب بن البرصاء ، ولكل واحدٍ منهما في صاحبه هجاءٌ كثير ، وكان كل واحد منهما ينفي صاحبه عن عشيرته في أشعاره ، فأصلح بينهما يحيى بن الحكم ، وكانت بنو مرة تألفه وتنتجعه لصهره فيهم . فلما افترقا سَبَّعه^(٦) شبيبٌ عند يحيى بن الحكم ؛ فقال أرطاة له :

رَمَتْكَ فلم تُشَوِ^(٧) الفؤاد جنوبُ
 وما زودتنا غير أن خلطت لنا
 ألا مُبلَغُ فتیان قومي أنني
 وفي آل عوفٍ من يهود قبيلة
 أبي كان خيراً من أبيك ولم يزل
 وما زلت خيراً منك مذ عضَّ كارهاً
 فما ذنبنا إن أم حمزة جاوزت
 وما كل من يرمي الفؤاد يُصيبُ
 أحاديث منها صادقٌ وكذوبُ
 هجاني ابنُ برصاء اليدين شبيبُ
 تشابه منها ناشئون وشبيبُ
 جَنِيْباً لآبائي وأنت جَنِيْبُ^(٨)
 برأسك عاديُّ النَّجاد رسوبُ
 بيثرب أتياساً لهنَّ نبيبُ^(٩)

(١) الصغا: الميل .

(٢) الزحوف: الجحافل .

(٣) العضب: السيف البتار الشديد القطع .

(٤) القوانس، الواحد قونس: وهو أعلى الخوذة الحديدية .

(٥) نزعت: عدوت .

(٦) سبَّعه: أساء إليه بفاحش القول سباً وشتماً .

(٧) لم تشو: لم تحسن إصابة الشوى ، والشوى هو كل ما كان من الأعضاء لا يسبب مقتلاً ، ولو جرح .

(٨) الجنيب: المنقاد رغماً عنه .

(٩) النبيب: صوت التيوس ساعة هيجانها .

وإنَّ رجالاً بينَ سَلْعٍ ووَاقِمٍ^(١) لأير أبيهم في أبيك نصيبٌ
فلو كنتَ عَوفِيّاً عَمِيتَ وَأَسْهَلْتُ كذاك^(٢) ولكنَّ المريبَ مُريبٌ^(٣)
[الطويل]

حرص العوفيين على العمى عند الكبر :

فأخبرني عمي ، قال : حدثنا الكراني . قال : حدثنا العمري عن العتبي قال
لَمَّا قال هذا الشعر أرطاة في شبيب بن البرصاء كان كلُّ شيخ من بني عوفٍ
يتمنَّى أن يعمى - وكان العمى شائعاً في بني عوف كلما أسنَّ منهم رجل
عمي - فعمر أرطاة ولم يعم ، فكان شبيب يعيِّره بذلك . ثم مات أرطاة وعمي
شبيب ، فكان يقول بعد ذلك : ليتَ أرطاة عاش حتى يراني أعمى فيعلم أنني
عَوفِيٌّ .

ما كان له مع شبيب وقد تمنى لقاءه في يوم قتال :

ونسخت من كتاب ابن الأعرابي في شعر أرطاة قال : كان شبيب بن البرصاء
يقول : وددت أنني جمعني وابنُ الأمة أرطاة بن سهية يومُ قتال فأشفي منه غيظي . فبلغ
ذلك أرطاة فقال له :

إن تلقني لا ترى غيري بناظرة^(٤) تنسَ السلاح وتعرف جبهة الأسد
ماذا تظنُّك تُغني في أخي رَصَد^(٥) من أسد خفَّان^(٦) جابي العين ذي لبد
[البسيط]

- جابي العين وجائب العين : شديد النظر - .

أبي ضراغمة غُبر يعوِّدها أكَل الرجال متى يبدأ لها يُعَدِّ
يا أيُّها المتمني أن يُلاقيني إن تنأ^(٧) آتَكَ أو إن تبغني^(٨) تجد
تَقْضُ اللبانة^(٩) من مُرِّ شرائعه^(١٠) صعب المقادة تخشاه فلا تُعَدِّ
متى تردني لا تصدر لمصدرة فيها نجاة وإن أُصدرك لا ترد

(١) سلع : من جبال المدينة ، أما واقم : فهو أحد أطامها ، وإليه تنسب حرّة واقم .

(٢) الكدى ، الواحدة كدية : هي الأرض الغليظة .

(٣) المريب : المتحير . (٤) الناظرة : العين .

(٥) رصد : ترَقَّب فريسته للإيقاع بها . (٦) خفَّان : موضع تكثر فيه الأسود قرب الكوفة .

(٧) تنأ : تبعد . (٨) تبغني : تطلبني .

(٩) اللبانة : الحاجة . (١٠) الشرائع ، الواحدة شريعة : مورد المياه .

جان^(٢) بإصبعه أو بيضة البلد^(٣)
إلا بما شاركت أم على ولد
ثم استقر بلا عقل ولا قود^(٥)
حتى تبدد كالمزودة^(٧) الشرود^(٨)
ويكشفون قتام^(٩) الغارة العمدة
أضرب برجلي في ساداتهم ويدي
لا يدفع المجد من قيس إلى أحد
عروق ناعمة^(١٣) في أبطح^(١٤) ثند^(١٥)
جبا^(١٧) رفيدة^(١٨) أهل السرو^(١٩) والعدد
[البسيط]

لا تحسبني كفتح^(١) القاع ينقره
أنا ابن عطفان معروف له نسبي
لاقي الملوكة فأثأى^(٤) في دمائهم
من عصابة يطعنون الخيل ضاحية^(٦)
ويمنعون نساء الحي إن علمت
أنا ابن صرمة^(١٠) إن تسأل خيارهم
وفي بني مالك أم وزافرة^(١١)
ضربت فيهم بأعراقي^(١٢) كما ضربت
جدي قضاة^(١٦) معروف ويعرفني

أخبرني عمي، قال: حدثنا محمد بن عبد الله الحزنبلي عن عمرو بن أبي عمرو
الشيباني عن أبيه قال:

خبر حبه لوجزة:

كان أوطاة بن سهية يتحدث إلى امرأة من غني يقال لها وجزة، وكان يهواها ثم
افترقا وحال الزمان بينهما وكبر أوطاة، ثم اجتمعت غني وبنو مرة في دار، فمر أوطاة

- (١) قفع القاع: ضرب من الكمأة.
- (٢) الجاني: الحاصد، جامع الثمار والبذور.
- (٣) بيضة البلد من الرجال: هو خامل الذكر والنسب.
- (٤) أثأى: أثنى فيهم جرحاً وتقتيلاً وطعناً.
- (٥) العقل والقود: دفع دية القتل.
- (٦) ضاحية: بادية.
- (٧) المزودة: المرتبة.
- (٨) الشرود: المشتتة.
- (٩) القتام: الغبار.
- (١٠) صرمة: هو ابن مرة بن عوف بن سعد، أحد أجداد أوطاة.
- (١١) زافرة الرجل: صحبه ومؤيدوه من قبيلته.
- (١٢) الأعراق: الأنساب الرفيعة والأصول.
- (١٣) الناعمة من النبات: هي التي رويت وتغذت.
- (١٤) الأبطح، الواحدة بطحاء: مسيل الماء الواسع.
- (١٥) الثند: الندي.
- (١٦) قضاة: جد الشاعر لأمه، وهي سهية الكلبية.
- (١٧) الجباء بفتح الجيم: الحوض.
- (١٨) رفيدة: هو رفيدة بن ثور جد الشاعر الأعلى لقبائل كلب التي تنسب إليهم والدة الشاعر.
- (١٩) السرو: السؤدد والمجد.

بوجزة وقد هرمت وتغيّرت محاسنها وافتقرت، فجلس إليها وتحدّث معها، وهي تشكو إليه أمرها، فلما أراد الانصراف أمر راعيه فجاء بعشرة من إبله فعقلها بفنائها وانصرف وقال:

مررتُ على حدثي^(١) برُمّان^(٢) بعدما تقطّع^(٣) أقران^(٤) الصّبا والوسائلُ
فكنتُ كظبيّ مفليّتٍ ثمّ لم يزل به الحين^(٥) حتى أعلقتّه الحبال^(٦)
[الطويل]

أرطاة ينسب بوجزة:

قال أبو الفرج الأصبهاني: وقد ذكر أرطاة بن سهية وجزة هذه، ونسب بها في مواضع من شعره، فقال في قصيدة:

وداوية^(٧) نازعتها الليل زائراً لوجزة تهديني النجوم الطوامس^(٨)
أعوج^(٩) بأصحابي عن القصد^(١٠) تعلي^(١١) بنا عرض كسريها^(١٢) المطي^(١٣) العرامس^(١٤)
فقد تركتني لا أعيج^(١٥) بمشرب فأروى ولا ألهو إلى من أجالس^(١٦)
ومن عجب الأيام أن^(١٦) كلّ منزل لوجزة من أكناف رمان دارس^(١٧)
وقد جاورت قصر العذيب^(١٧) فما يرى برمان إلا ساخط العيش بئس^(١٨)
طلاب بعيد واختلاف من النوى^(١٨) إذا ما أتى من دون وجزة قادس^(١٩)
لئن أنجح الواشون بيني وبينها وطال التناي^(٢٠) والنفوس النوافس^(٢١)

- (١) حدثي: محدّثي.
(٢) رمان: جبل في بلاد طيء.
(٣) تقطّع: افترق.
(٤) الأقران: الأصحاب والأحباب والأصدقاء.
(٥) الحين: الموت.
(٦) الحبال، الواحدة حيلة: وهي ما يصاد به.
(٧) الداوية: الفلاة الشاسعة الموحشة.
(٨) النجوم الطوامس: الآفة التي ذهب ضيؤها.
(٩) أعوج: أميل.
(١٠) القصد: الطريق المستقيم، الصراط.
(١١) تعلي: تعلو.
(١٢) كسريها: ناحيتها.
(١٣) المطي، الواحدة مطيّة: ما يمتطى ظهرها من النياق.
(١٤) العرامس، الواحدة عرمس: الناقة القوية.
(١٥) لا أعيج بمشرب: لا أميل قصد اللهو.
(١٦) أن هنا مخففة من أن المشددة.
(١٧) قصر العذيب: إنه القصر الذي أشرف منه سعد بن أبي وقاص يرقب جيش المسلمين وهم يقاتلون جيوش الفرس في القادسية، وكان مريضاً فلم يُشارك في القتال.
(١٨) النوى، الواحدة نية أي القصد إلى جهة أو بلد غير الذي تقيم فيه.
(١٩) قادس: هي القادسية، لانسجام الروي في القصيدة.
(٢٠) التناي: البعد.
(٢١) النوافس، الواحد نافس: الحساد.

لقد طالما عشنا جميعاً ووُدُّنا جميعاً إذا ما يبتغي الأنس أنسُ
كذلك صَرفُ الدهر^(١) ليس بتاركٍ حبيباً ويبقى عمره المتقاعسُ^(٢)

[الطويل]

وقال ابن الأعرابي: كانت بين أرطاة بن سهية وبين رجلٍ من بني أسدٍ يقال له
حيانٌ مهاجئةٌ، فاعترض بينهما حُباشةُ الأسدِي فهجا أرطاة فقال فيه أرطاة:

أبلغ حُباشةً أني غيرُ تاركه حتى أذْلَلَهُ إذ كان ما كانا
الباعثُ القولُ يُسديه ويُلحمه كالمجتدي الثُكلِ إذ حاورتُ حيانا
إن تدعُ خنِيفَ بغياً أو مكائِرةً أدعُ القبائل من قيس بن عيلانا
قد نحبس الحقَّ حتى ما يجاوزنا والحقُّ يحبسنا في حيث يلقانا
نبنِي لآخرنا مجداً نشيِّده إننا كذاك ورثنا المجدَ أولانا

[البيط]

وقال ابن الأعرابي: وفد أرطاة بن سهية إلى الشام زائراً لعبد الملك بن مروان
عام الجماعة^(٣)، وقد هنَّأه بالظفر، ومدحه فأطال المُقام عنده، وأرجف أعداؤه
بموته، فلما قدم - وقد ملأ يديه - بلغه ما كان منهم، فقال فيهم:

إذا ما طلعنا من ثنيةٍ لفلان^(٤) فخبّر رجلاً يكرهون إيابي^(٥)
وخبّرهم أني رجعتُ بغبطة أَحَدُ أَظْفاري ويصرف^(٦) نابي
وإنني ابن حرب لا تزالُ تهرُنِي كلاب عدوي أو تهرُ كلابي

[الطويل]

أرطاة وزميل يتلاحيان:

وقال أبو عمرو الشيباني: وقع بين زُميل^(٧) قاتل ابن دارة^(٨) وبين أرطاة بن سهية
لحاء: فتوعده زميل، وقال: إنني لأحسبك ستجرع مثل كأس ابن دارة. فقال له أرطاة:

(١) صرف الدهر: جمعها صروف أي مصائب.

(٢) المتقاعس: المتأخر.

(٣) عام الجماعة: هو العام الذي فرغ فيه الخليفة عبد الملك بن مروان من قتال الخوارج والزبيريين.

(٤) ثنية لفلان: قرية قريبة من ديار بني مرة.

(٥) إيابي: عودتي.

(٦) صريف الأنياب: سماع صوت يصدر منها كناية عن الغضب.

(٧) زُميل: هو زميل بن عبد مناف الفزاري.

(٨) ابن دارة: هو سالم بن مسافع، ودارة هي أمه.

يا زملُ إني إن أكن لك سائقاً
لا تحسبني كامري صادفته
إني امرؤ أوفي إذا قارعتكم^(١)
تركض برجليك النجاة وألحق
بمضيعة فخدشته بالمرفق
قصب الزهان وما أشأ أتعرق^(٢)

[الكامل]

فقال له زميل :

يا أرط إن تك فاعلاً ما قلته
فافعل كما فعل ابن دارة سالم
وإذا جعلتك بين لحيي شاك الأن
والمرء يستحيي إذا لم يصدق
ثم امش هونك^(٣) سادراً لا تتق
ياب فارعد ما بدا لك وابرق

[الكامل]

أخبرني أبو الحسن الأسدي، قال : حدثنا الرياشي، قال : حدثنا الأصمعي قال :
قال أرطاة بن سهية للربيع بن قعنبة :

لقد رأيتك غرياناً ومؤزراً
فما عرفت أنثى أنت أم ذكر؟

[البسيط]

فقال له الربيع : لكن سهية قد عرفتني . فغلبه وانقطع أرطاة .

أخبرني عمي، قال : حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال : حدثنا قعنبة بن
المحرز عن الهيثم بن الربيع عن عمرو بن جبلة الباهلي قال : تزوج عبد الرحمن بن
سهيل بن عمرو أم هشام بنت عبد الله بن عمر بن الخطاب، وكانت من أجمل نساء
قريش، وكان يجد بها وجداً شديداً، فمرض مرضته التي هلك فيها، فجعل يديم النظر
إليها وهي عند رأسه، فقالت له : إنك لتنظر إليّ نظر رجل له حاجة، قال : إي والله
إن لي إليك حاجة لو ظفرت بها لهان علي ما أنا فيه . قالت وما هي؟ قال : أخاف أن
تتزوجي بعدي . قالت : فما يرضيك من ذلك؟ قال : أن تؤثقي لي بالأيمان المغلظة .
فحلفت له بكل يمين سكنت إليها نفسه ثم هلك . فلما قضت عدتها خطبها عمر بن
عبد العزيز وهو - أمير المدينة - فأرسلت إليه : ما أراك إلا وقد بلغتك يميني . فأرسل
إليها : لك مكان كل عبد وأمة عبدان وأمتان، ومكان كل علق^(٤) علقان، ومكان كل
شيء ضعفه . فتزوجته، فدخل عليها بطلاً بالمدينة، وقيل : بل كان رجلاً من مشيخة
قريش مغفلاً، فلما رآها مع عمر جالسة قال :

(١) قارعتكم : قاتلتكم .

(٣) الهون : التمهّل والتأني .

(٢) أتعرق : أرحل .

(٤) العلق من كل شيء : النفيس .

تبدلت بعد الخيزران جريدةً وبعد ثياب الخز أحلام نائم
[الطويل]
فقال له عمر: جعلتني وملك جريدة وأحلام نائم! فقلت أم هشام: ليس كما
قلت، ولكن كما قال أرمطة بن سهية:

وكائن ترى من ذات بثّ وعولة بكت شجوها بعد الحنين المُرَجع
فكانت كذات البوّ^(١) لمّا تعطّفت على قطع من شلوه^(٢) المتمزّع
متى لا تجده تنصرف لطياتها^(٣) من الأرض أو تعمد لإلف فترجع
عن الدهر فاصفح إنه غير مُعتب وفي غير من قد وارت الأرض فاطمع
[الطويل]

وهذه الأبيات من قصيدة يرثي بها أرمطة ابنه عمراً.

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي، قال: حدثنا الحسن بن عليل، قال: حدثنا
قعب بن المحرز عن أبي عبيدة، قال: كان لأرمطة بن سهية ابن يقال له: عمرو،
فمات، فجزع عليه أرمطة حتى كاد عقله يذهب، فأقام على قبره، وضرب بيته عنده لا
يفارقه حولا. ثم إن الحيّ أراد الرحيل بعد حول لنجعة بغوها، فغدا على قبره،
فجلس عنده حتى إذا حان الرواح ناداه: رُح يا ابن سلمى معنا! فقال له قومه:
نشدك الله في نفسك وعقلك ودينك، كيف يروح معك من مات من حول؟ فقال:
أنظروني الليلة إلى الغد. فأقاموا عليه، فلما أصبح ناداه: اغد يا ابن سلمى معنا، فلم
يزل الناس يذكرونه الله ويُنشدونه، فانتضى سيفه وعقر راحلته على قبره، وقال:
والله لا أتبعكم فامضوا إن شئتم أو أقيموا. فرقوا له ورحموه فأقاموا عامهم ذلك،
وصبروا على منزلهم. وقال أرمطة يومئذ في ابنه عمرو يرثيه:

وقفت على قبر ابن سلمى فلم يكن وقوفي عليه غير مبكى ومجنّع
هل أنت ابن سلمى إن نظرتك رائح مع الركب أو غاد غداة غدٍ معي
أنسى ابن سلمى وهو لم يأت دونه من الدهر إلا بعض صيف ومربع
وقفت على جثمان عمرو فلم أجد سوى جدث^(٤) عاف ببیداء بلقع

(١) البوّ: جلد الحوار يُحشى تبناً لتحنّ الناقة فتدّر اللبن.

(٢) الشلو: كلّ مسلوخ أكل منه شيء وبقيت منه بقية.

(٣) الطيات، الواحدة طية: والمقصود بذلك الوجه الذي يُراد ويقصد.

(٤) الجدث: القبر، الرمس.

ضربتُ عمودَي بانه^(١) سموا معاً فخرت ولم أتبع قَلوصي^(٢) بددع^(٣)
ولو أنها حادت عن الرمس نلتها ببادرة من سيف أشهب^(٤) موقع^(٥)
تركتك إن تحيي تكوسي^(٦) وإن تنؤ على الجُهد تخذلها توال فتصرع
فدع ذكر من قد حالت الأرض دونه وفي غير من قد وارت الأرض فاطمع
[الطويل]

أرطاة يناجي قبر ولده في العشي حولاً كاملاً:

وقد أخبرني بهذا الخبر محمد بن الحسن بن دريد عن أبي حاتم عن أبي عبيدة،
فذكر أن أرطاة كان يجيء إلى قبر ابنه عشياً فيقول: هل أنت رائحٌ معي يا ابن سلمى؟
ثم ينصرف فيغدو عليه ويقول له مثل ذلك حولاً، ثم تمثّل قول لبيد:

إلى الحولِ ثم اسمُ السلام عليكما ومن يبك حولاً كاملاً فقد اعتذر
[الطويل]

أخبرني حبيب بن نصر المهلبّي، قال: حدثنا عمرو بن شبة قال: حدثنا
المدائني قال: قال أرطاة بن سهية يوماً للربيع بن قعنّب كالعابث به:

لقد رأيتك غرياناً ومؤتزراً فما دريتُ أنثى أنت أم ذكر؟
[البسيط]

فقال له الربيع:

لكن سهية تدري إذ أتيتكم على غريجاء^(٧) لما احتلت الأزر
[البسيط]

فغلبه الربيع، ولجّ الهجاء بينهما، فقال الربيع بن قعنّب يهجو أرطاة:

وما عاشت بنو عُقفان إلا بأحلام كأحلام الجوّاري
وما عُقفان من غطفان إلا تلمّس مُظلم بالليل ساري

(١) البانة: شجرة تسمو سيقانها وأغصانها في استواء، وتطول.

(٢) القلوص: الناقة الشابة القوية.

(٣) ددع: كلمة يُدعى بها للعائر في معنى قم وانتعش واسلم.

(٤) الأشهب من السيوف: النصل الذي برد برداً خفيفاً فلم يذهب سواده كله.

(٥) الموقع، هو الوقيع: والوقيع من السيوف ما شحذ بالحجر.

(٦) تكوسي: تمشي على قوائم ثلاث.

(٧) غريجاء: موضع.

إذا نحرث بنو غيظ جَزوراً دَعَوْهم بالمراجل والشفارِ
طُهاة اللحم حتى يُنضجوه وطاهي اللحم في شُغلٍ وعارِ
[الوافر]

فقال أرطاة يُجيبه ويعيره بأن أمّه من عبد القيس :

وهذا الفسوّ^(١) قد شاركت فيه فمن شاركت في أير الحمارِ
وأئي الناس أخبثُ من هَبَلٍ^(٢) فزاريٍّ وأخبثُ ريح دارِ
[الوافر]

أخبرني عبد الله بن محمد اليزيدي، قال: حدثنا أحمد بن الحارث الخراز، قال: حدثنا المدائني عن أبي بكر الهذلي، قال: قدم مُسرف^(٣) بن عقبة المري المدينة، وأوقع بأهل الحرة، فأتاه قومه من بني مُرة وفيهم أرطاة فهتّووه بالظفر واسترفدوه^(٤) فطردهم ونهرهم، وقام أرطاة بن سهية ليمدحه فتجهّمه بأقبح قولٍ وطرده. وكان في جيش مُسرف رجلٌ من أهل الشام من عُذرة، يقال له عُمارة، قد كان رأى أرطاة عند معاوية بن أبي سفيان، وسمع شعره، وعرف إقبال مُعاوية عليه، ورفده له، فأوماً إلى أرطاة فأتاه، فقال له: لا يغررك ما بدا لك من الأمير، فإنه عليلٌ ضجرٌ، ولو قد صحَّ واستقامت الأمور لزال عما رأيت من قوله وفعله، وأنا بك عارفٌ، وقد رأيتك عند أمير المؤمنين - يعني معاوية - ولن تعدم مني ما تحب. ووصله وكساه وحمله على ناقه، فقال أرطاة يمدحه ويهجو مُسرفاً:

لحا الله فودي مُسرف وابن عمه وآثار نعلني مسرف حيث أثارا
مررتُ على ربيعهما فكأنني مررتُ بجبارين^(٥) من سَرُو حَميرا^(٦)
[الطويل]

- ويروى: «تضيّفتُ جبارين» -.

على أن ذا العليا عُمارة لم أجد على البُعد حسنَ العهد منه تغيراً

(١) الفسوّ: هم حي من عبد القيس يعرفون بالفساة.

(٢) الهَبَل من البشر: هو الثقل المسن الكبير.

(٣) هو لقب مسلم بن عقبة المري.

(٤) استرفده: طلب رفته وعونه وعطاءه.

(٥) الجبار: هو المتشوق كبيراً الذي لا يرى لأحد عليه حقاً.

(٦) سَرُو حميرا: محلّتهم.

حباني ببردیه وعَنَس^(١) كأنما بنى فوق متنيها الوليدان قَهَقرا^(٢)

[الطويل]

وقال أبو عمرو الشيباني: خاصمت امرأة من بني مُرة سَهِيَّةَ أُمِّ أرطاة بن سَهِيَّةَ، وكانت من غيرهم أخيدة أخذها أبوه، فاستطالت عليها المرأة وسبَّتْها، فخرج أرطاة إليها فسبها وضربها، فجاء قومه، ولاموه، وقالوا له: ما لك تُدخل نفسك في خصومات النساء! فقال لهم:

يعيِّرُني قومي المجاهل والخنا^(٣) هل الجهل فيكم أن أعاقب بعدما إذا أنا لم أُمْنَعُ عجوزي منكم وقد علمت أفناء^(٤) مُرَّةَ أننا حماة لأحساب العشيرة كلِّها عليهم وقالوا: أنتَ غيرُ حليم تجوز سبِّي واستحلَّ حريمي فكانت كأخرى في النساء عقيم إذا ما اجتدانا^(٥) الشرَّ كلَّ حميم إذا ذمَّ يوم الرِّوع كلَّ مُليم^(٦)

[الطويل]

وتمام الأبيات التي فيها الغناء، المذكورة قبل أخبار أرطاة بن سَهِيَّةَ، وذكرت في قوله في قتلى من قومه قُتِلُوا يوم بناتِ قين^(٧) - هو:

فلا وأبيك لا ننفك نبكي على قتلى هنالك أوجعتنا سنبكي بالرِّماح إذا التقينا بطعن ترعد الأحشاء منه كأن الخيل إذ أنسن كلباً^(١٠) على قتلى هُنالك ما بقينا وأنستنا رجالاً آخرينا على إخواننا وعلى بنيينا يردّ البيض^(٨) والأبدان جونا^(٩) يرين وراءهم ما يبتغينا

[الوافر]

(١) العنس: الناقة العظيمة القوية.

(٢) القهقر، الواحدة قهقرة: الصخرة العظيمة.

(٣) الخنا: الفاحش من القول والفعل.

(٤) أفناء مرّة: أخلاطهم.

(٥) اجتدانا الشرّ: قصدنا الشرّ لندفعه عنا.

(٦) المليم: هو من استحق اللوم لإتيانه الشرّ.

(٧) بنات قين: هي آكام في ديار بني كلب.

(٨) البيض: السيوف.

(٩) الأبدان جونا: الدروع وقد صبغتها الدماء لكثرة ما سالت عليها من الجراح.

(١٠) كلب: اسم القبيلة.

صوت

عجبتُ لمسراها وأتتُ تخلصت إليَّ وباب السجن بالقفل مُغلقُ
 ألمتُ فحيَّتُ ثم قامت فودّعت فلما تولت كادت النفسُ تزهقُ
 [الطويل]

الشعر لجعفر بن علبة الحارثي، والغناء لمعبدٍ ثقیلٍ أوّل بالسبّابة في مجرى
 البنصر عن إسحاق. وذكر عمرو بن بانة أن فيه خفيفاً ثقیلاً أوّل بالوسطى لابن سريج.
 وذكر حمّاد بن إسحاق أن فيه خفيف الثقیل للهذلي.

أخبار جعفر بن عتبة الحارثي ونسبه

هو جعفر بن عتبة بن ربيعة، بن عبد يغوث الشاعر أسير يوم الكلاب، ابن معاوية بن صلاءة بن المعقل بن كعب بن الحارث بن كعب، ويكنى أبا عارم، وعارم ابن له قد ذكره في شعره. وهو من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، شاعر مقل غزل فارس مذكور في قومه، وكان أبوه عتبة بن ربيعة شاعراً أيضاً، وكان جعفر قتل رجلاً من بني عقيل: قيل: إنه قتله في شأن أمة كانا يزورانها فتعائرا عليها. وقيل: بل في غارة أغارها عليهم. وقيل: بل كان يحدث نساءهم فنهوه فلم ينته، فرصدوه في طريقه إليهن فقاتلوه فقتل منهم رجلاً فاستعدوا عليه السلطان فأقاد منه. وأخباره في هذه الجهات كلها تذكر وتنسب إلى من رواها.

أخبرني محمد بن القاسم الأنباري، قال: حدثني أبي، قال: حدثني الحسن بن عبد الرحمن الربيعي، قال: حدثنا أبو مالك اليماني، قال: شرب جعفر بن عتبة الحارثي حتى سكر فأخذه السلطان فحبسه، فأنشأ يقول في حبسه:

لقد زعموا أني سكرت وربما يكون الفتى سكران وهو حليم
لعمرك ما بالسكر عار على الفتى ولكن عاراً أن يُقال لئيم
وإن فتى دامت موثيق عهده على دون ما لاقيته لكريم
[الطويل]

قال: ثم حبس معه رجل من قومه من بني الحارث بن كعب في ذلك الحبس، وكان يقال له دوران، فقال جعفر:

إذا باب دوران ترنم في الدجى وشد بأغلاق علينا وأقفال
وأظلم ليل قام علج^(١) بجلجل^(٢) يدور به حتى الصباح بإعمال
وحراس سوء ما ينامون حوله فكيف لمظلوم بحيلة مُحْتال
[الطويل]

(١) العلج بكسر العين: الرجل الضخم القوي.

(٢) الجلجل، بضم الجيمين: الجسر الصغير.

ويصبرُ فيه ذو الشجاعة والندی على الدّل للمأمور والعِلج والوالي
فأما ما ذكر أن السبب في أخذ جعفرٍ وقتله في غارةٍ أغارها على بني عُقيل،
فإنني نسختُ خبره في ذلك من كتاب عمرو بن أبي عمرو الشيباني يأثره عن أبيه،
قال: خرج جعفرُ بنُ علبَةَ وعليُّ بنُ جُعْدَبِ الحارثي القناني والنضرُ بنُ مُضارب
المعاوي، فأغاروا على بني عُقيل، وإن بني عُقيل خرجوا في طلبهم وافترقوا عليهم
في الطريق ووضعوا عليهم الأرصاد على المضايق، فكانوا كلما أفلتوا من عصبةٍ لقيتهم
أخرى، حتى انتهوا إلى بلادِ بني نهدٍ فرجعتُ عنهم بنو عُقيل، وقد كانوا قتلوا فيهم،
ففي ذلك يقول جعفر:

ألا لا أبالي بعد يومٍ بسَحْبَلٍ^(١) تركت بأعلى سَحْبَلٍ ومضيقة
شَفِيتُ به غيظي وجُرَّبَ موطني^(٢) أرادوا ليثنونني، فقلت: تجنّبوا
فِدَى لبني عمٍّ أجابوا لدعوتي كَأَنَّ بني القرعاء يومَ لقيتهم
تركناهم صرعى كَأَنَّ ضجيجهم أَقول، وقد أَجلت من اليومِ عركة^(٣):
فإنَّ بَقُورِي^(٤) سَحْبَلٍ لأمارَةً إذا لم أَعْدَبْ أن يجيءَ حَمَامِيَا^(٥)
مُراقٍ دم لا يبرح الدهرَ ثاويًا وكان سَنَاءً^(٦) آخر الدهر باقيا
طريقي فمالي حاجةٌ من ورائي شَفَوْا من بني القَرعاء عَمِّي وخاليا
فِرَاخُ القطا لآقِينَ صَقْرًا يمانيا ضجيجُ دباري النِّيبِ^(٧) لاقت مداويا
ليبك العُقَلِيَّين من كان باكيا ونَضَحَ دماء منهم ومحابيا
[الطويل]

- المحابي: آثارهم، حبوا من الضعف للجراح التي بهم -.

ولم أترك لي ريبَةً غير أنني وددتُ مُعَاذًا كان فيمن أتانيا
[الطويل]

(١) سَحْبَل: موضع في ديار بني الحارث بن كعب.

(٢) الحَمَام، بكسر الحاء: الموت، الحين.

(٣) الموطن: الموقع.

(٤) السَنَاء: المجد والفخر والعزّ.

(٥) دباري النِّيب: من أصابه الدبر.

(٦) العركة، الواحدة من العراك: المعركة.

(٧) القُرَى: هو موضع يقع في بلاد بني الحارث بن كعب.

- أراد: وددت أن مُعاداً كان أتاني معهم فَأَقْتُلُهُ - .

شفيتُ غليلي من خُشِينَةٍ بعد ما
أَحَقّاً عباد اللّٰه أن لست رائياً
ولا زائراً شُمَّ العرانيين أنتمي
إذا ما أتيت الحارثيات فانعني
وقودٌ ^(٣) قُلوصي ^(٤) بينهن فإنها
أوصيكم إن مت يوماً بعمارم ^(٥)
كسوتُ الهذيل ^(١) المشرفي اليماني ^(٢)
صحاري نجدٍ والرياح الذواري
إلى عامر يحلّلن رملاً مُعالياً
لهن وخبرهن أن لا تلاقيا
ستبرد أكباداً وتبكي بواكيا
ليُغني شيئاً أو يكون مكانيا
[الطويل]

ويروى:

وعطل قُلوصي في الركاب فإنها
ستبرد أكباداً وتبكي بواكيا
[الطويل]
وهذا البيت بعينه يُروى لمالك بن الريّب في قصيدته المشهورة التي يرثي بها
نفسه . وقال في ذلك جعفر أيضاً:

وسائلةٌ عنا بغيب وسائل
عشيةٌ قُرى سَحبل ^(٦) إذ تعطّفت ^(٧)
ففرج عنا اللّٰهُ مرحى ^(١٠) عدونا
إذا ما قِرى ^(١١) هام الرؤوس اعترامها ^(١٢)
بمصدقنا في الحرب كيف نُحاول
علينا السرايا ^(٨) والعدو المباسل ^(٩)
وضربٌ ببيض المشرفية خابل
تعاورها ^(١٣) منهم أكف وكاهل ^(١٤)

(١) خُشِينَةُ العقيلي قتله جعفر كما عرقب جعفر الهذيل العقيلي فضربه على عرقوبه .

(٢) المشرفي اليماني: السيف المصنوع في اليمن .

(٣) قود: شد الوثاق والقيد . (٤) القلوص من النياق: الفتية القوية .

(٥) هو: عارم بن جعفر بن علبه وكان يُكنى به .

(٦) سَحبل: موضع في ديار بني الحارث بن كعب .

(٧) تعطّفت: مالت وأغارت .

(٨) السرايا، الواحدة سرية: الكوكبة المؤلفة من حوالي أربعمئة مقاتل .

(٩) المباسلة: المجادلة في المعركة .

(١٠) المرحى: ميدان المعركة حيث تجول رعى الحرب .

(١١) القرى: بكسر القاف، في الأصل الضيافة، وقد كنى بها الشاعر عن كثرة القتلى واشتداد المعركة .

(١٢) اعترامها: اشتداد احتدامها .

(١٣) تعاورها: تناوشها وتداولها .

(١٤) الكاهل: الكتف .

إِذَا مَا رُصِدْنَا مَرُصِداً فَرَجَتْ لَنَا
وَلَمَّا أَبَوْا إِلَّا الْمُضْيَّ وَقَدْ رَأَوْا
حَلَفْتُ يَمِينَا بَرَّةً لَمْ أَرِدْ بِهَا
لَيَخْتَضِمَنَّ^(٢) الْهِنْدَوَانِي^(٣) مِنْهُمْ
وَقَالُوا لَنَا: ثِنْتَانِ لَا بَدَّ مِنْهُمَا
فَقُلْنَا لَهُمْ: تَلَكُمُ إِذَا بَعْدَ كَرَةٍ
وَقَتْلَى نَفُوسٍ فِي الْحَيَاةِ زَهِيدَةٍ
نُرَاجِعُهُمْ فِي قَالَةٍ^(٥) بَدَوْا بِهَا
لَهُمْ صَدْرُ سَيْفِي يَوْمَ بَطْحَاءٍ سَحْبِلٍ
بَأَيْمَانِنَا بِيضٌ جَلَّتْهَا الصِّيَاقِلُ
بَأَنْ لَيْسَ مِنَّا خَشْيَةُ الْمَوْتِ نَاكِلُ
مُقَالَةٍ تَسْمِيعٍ^(١) وَلَا قَوْلَ بَاطِلُ
مَعَاقِدٍ يَخْشَاهَا الطَّبِيبُ الْمَزَاوِلُ
صَدُورِ رِمَاحٍ أُشْرِعَتْ أَوْ سَلَاوِلُ
تُغَادِرُ صَرْعَى نَهْضُهَا مُتَخَاذِلُ
إِذَا اشْتَجَرَ الْخَطِيئُ^(٤) وَالْمَوْتَ نَازِلُ
كَمَا رَاجَعَ الْخَصَمَ الْبِذْيُ الْمُنَاقِلُ^(٦)
وَلِي مِنْهُ مَا ضَمَّتْ عَلَيْهِ الْأَنَامِلُ
[الطويل]

عامل مكة أخذ بحق بني عقيل ويقتل جعفر بن علبة:

قال: فاستعدت عليهم بنو عقيل السري بن عبد الله الهاشمي عامل مكة لأبي جعفر؛ فأرسل إلى أبيه علبة بن ربيعة فأخذه بهم، وحبسه حتى دفعهم وسائر من كان معهم إليه، فأما النضر فاستقيد^(٧) منه بجراحة^(٨)، وأما علي بن جعدب فأفلت من الحبس، وأما جعفر بن علبة فأقامت عليه بنو عقيل قسامة^(٩): أنه قتل صاحبهم فقتل به. هذه رواية أبي عمرو.

وذكر ابن الكلبي أن الذي هاج الحرب بين جعفر بن علبة وبني عقيل أن إياس بن يزيد الحارثي وإسماعيل بن أحمر العقيلي اجتمعا عند أمة^(١٠) لشعيب بن صامت الحارثي، وهي في إبل لمولاهما في موضع يُقال له صمعر من بلاد

(١) التسميع: الشهرة وذيق الصيت.

(٢) الاختضام: البتر.

(٣) الهندواني: السيف المصنوع في بلاد الهند.

(٤) اشتجر الخطي: تلاقت والتحمت الرماح المصنوعة في بلدة الخط.

(٥) قالة: قول.

(٦) الناقل: هو من يبادل غيره الحديث ويرد عليه.

(٧) استقيد منه: اقتص منه.

(٨) الجراحة: الطعنة القاتلة.

(٩) القسامة: الشهود يقسمون على أنه اقترف إثماً.

(١٠) الأمة: الجارية.

بلحارث^(١)، فتحدّثا عندها فمالت إلى العقيلي، فدخلتهما مؤاسفة^(٢) حتى تخانقا بالعمائم، فانقطعت عمامة الحارثي وخنقه العقيلي حتى صرعه، ثم تفرّقا. وجاء العقيليون إلى الحارثيين فحكموهم فوهبوا لهم، ثم بلغهم بيتٌ قيل، وهو:

ألم تسأل العبد الزيادي ما رأى بصمعر^(٣) والعبد الزيادي قائمٌ
[الطويل]

فغضب إياسٌ من ذلك فلقي هو وابن عمه النضر بن مضارب ذلك العقيلي، وهو إسماعيل بن أحمر، فشجّه شجّتين وخنقه؛ فصار الحارثيون إلى العقيليين فحكموهم فوهبوا لهم. ثم لقي العقيليون جعفر بن علبة الحارثي فأخذوه فضربوه وخنقوه وربطوه وقادوه طويلاً ثم أطلقوه. وبلغ ذلك إياس بن يزيد فقال يتوجع لجعفر:

أبا عارم! كيف اغتررت؟ ولم تكن تُغرّ إذا ما كان أمرٌ تحاذره^(٤)
فلا صلح حتى يخفق السيف^(٥) بكف فتّى جرّت عليه جرائره
[الطويل]

ثم إن جعفر بن علبة تبعهم ومعه ابن أخيه جعدب، والنضر بن مضارب، وإياس بن يزيد، فلقوا المهدي بن عاصم وكعب بن محمد بجبر - وهو موضع بالقاعة - فضربوهما ضرباً مبرحاً، ثم انصرفوا فضلّوا عن الطريق، فوجدوا العقيليين وهم تسعة، فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى خلى لهم العقيليون الطريق ثم مضوا حتى وجدوا من عقيل جمعاً آخر بسجل فاقتتلوا قتالاً شديداً، فقتل جعفر بن علبة رجلاً من عقيل يقال له خُشينة، فاستعدى العقيليون إبراهيم بن هشام المخزومي عامل مكة، فرفع الحارثيين^(٦) الأربعة من نجران حتى حبسهم بمكة، ثم أفلت منه رجلٌ فخرج هارباً، فأحضرت عقيلٌ قسامة: حلفوا أن جعفرأ قتل صاحبهم. فأفاده إبراهيم بن هشام.

قال: وقال جعفر بن علبة قبل أن يُقتل، وهو محبوس:

عجبتُ لمسراها وأنى تخلّصت إليّ وباب السجن بالقفل مُغلّق
ألّمت فحيثُ ثم قامت فودّعت فلما تولّت كادت النفس تزهقُ

(١) بلاد بلحارث: هم بنو الحارث بن كعب، ورد ذكرها في معجم البلدان لياقوت.

(٢) المؤاسفة: المغاضبة.

(٣) صمعر: موضع.

(٤) أمر تحاذره: تتحاشاه وتتجنّبه.

(٥) يخفق السيف: يهتّز غضباً.

(٦) رفع الحارثيين: أرسلهما.

فلا تحسبي أنني تخشعت^(١) بعدكم
وكيف وفي كفي حسامٌ مُذَلِّق^(٣)
ولا أن قلبي يزدهيه وعيدهم
ولكن عرتني من هوائك صبايةً
فأما الهوى والودُّ مني فطامحٌ
لشيء ولا أنني من الموت أفرق^(٢)
يعضُّ بهامات الرجال ويعلقُ
ولا أنني بالمشي في القيد أخرق^(٤)
كما كنت ألقى منك إذ أنا مُطلقٌ
إليك وجثمانني بمكة موثقٌ
[الطويل]

وقال جعفر بن علبة لأخيه ماعز يحرضه:

وقل لأبي عونٍ إذا ما لقيته
ومن دونه عرض الفلاة يحولُ
[الطويل]

- في نسخة ابن الأعرابي:

..... إذا ما لقيته
ودونه من عرض الفلاة مُحولُ
[الطويل]

بالميم، وبشمّ الهاء في «دونه» بالرفع وتخفيفها، وهي لغتهم خاصة -.

تعلّم وعد الشكّ أنني يشفّني^(٥)
إذا رُمْتُ مشياً أو تبوّأت مضجعاً
ولوبك كانت لابتعثت مطيّتي
إلى العدل حتى يصدر الأمر مصدراً
ثلاثة أحراسٍ معاً وكبول^(٦)
يبيت لها فوق الكعاب^(٧) صليل^(٨)
يعود الحفا أخفافها وتجوّل
وتبرأ منكم قاله وعُدولُ
[الطويل]

ونسخت أيضاً خبره من كتاب للنضر بن حديد، فخالف هاتين الروايتين، وقال فيه: كان جعفر بن علبة يزور نساء من عقيل بن كعب، وكانوا متجاورين هم وبنو الحارث بن كعب، فأخذته عُقيلٌ، فكشفوا دُبُر قميصه، وربطوه إلى جُمّته، وضربوه بالسياط، وكَتَفُوهُ، ثم أقبلوا به وأدبروا على النسوة اللاتي كان يتحدث إليهن على تلك الحال ليغيظوهن، ويفضحوه عندهن، فقال لهم: يا قوم، لا تفعلوا فإن هذا الفعل مثله، وأنا أحلف لكم بما يُثْلَج صدوركم ألا أزور بيوتكم أبداً، ولا أَلَجها. فلم يقبلوا

(١) تخشع: تذلل وخضع.

(٢) أفرق: أخاف.

(٣) حسامٌ مُذَلِّق: سيف جيد الصقل.

(٤) أخرق: أفرق خوفاً ورعباً.

(٥) يشفّني: يُضِنّني ويُهْزِلني.

(٦) كبول، الواحد كبل: القيود والسلاسل.

(٧) الكعاب، الواحد كعب: العظم الناشز فوق القدم.

(٨) الصليل: الصوت المجلجل.

منه . فقال لهم : فإن لم تفعلوا ذلك فحسبكم ما قد مضى ، ومُتُوا عليّ بالكفّ عني فإنني أعدّه نعمة لكم ويدا لا أكفرها أبداً ، أو فاقتلوني وأريحوني ، فأكون رجلاً آذى قوماً في دارهم فقتلوه . فلم يفعلوا ، وجعلوا يكشفون عورته بين أيدي النساء ، ويضربونه ، ويُغرون به سفهاءهم حتى شَفَوْا أنفسهم منه ، ثم خَلَوْا سبيله . فلم تمض إلا أيام قليلة حتى عاد جعفرٌ ومعه صاحبان له ، فدفع راحلته حتى أولجها البيوت ، ثم مضى . فلما كان في ثُقرة من الرمل أناخ هو وصاحبه ، وكانت عقيلٌ ألقى خلق الله لأثر ، فتبعوه حتى انتهوا إليه وإلى صاحبيه ، والعقيليون مُغتربون ليس مع أحدٍ منهم عصاً ولا سلاح ، فوثب عليهم جعفر بن علبه وصاحبه بالسيوف فقتلوا منهم رجلاً وجرحوا آخر وافترقوا ، فاستعدت عليهم عقيل السري بن عبد الله الهاشمي عامل المنصور على مكة ، فأحضرهم وحبسهم ، فأقاد من الجارح ، ودافع عن جعفر بن علبه - وكان يحب أن يدرأ عنه الحد^(١) لخؤوله أبي العباس السفاح في بني الحارث ، ولأن أخت جعفر كانت تحت السري بن عبد الله ، وكانت حظيةً عنده - إلى أن أقاموا عليه قساماً : أنه قتل صاحبهم . وتوعده بالخروج إلى أبي جعفر والتظلم إليه ، فحينئذ دعا بجعفر فأقاد منه ، وأفلت علي بن جعدب من السجن فهرب . قال وهو ابن أخي جعفر بن علبه . فلما أخرج جعفرٌ للقوق قال له غلام من قومه : أسقيك شربة من ماء بارد؟ فقال له : اسكت لا أم لك ، إني إذا لمهيأ^(٢) . وانقطع شسع نعله^(٣) فوقف فأصلحه ، فقال له رجل : أما يشغلك عن هذا ما أنت فيه؟ فقال :

أشدّ قبال نعلي^(٤) أن يراني دوي للحوادث مُستكينا
[الوافر]

قال : وكان الذي ضرب عنق جعفر بن علبه ، نجبة بن كليب أخو المجنون ، وهو أحد بني عامر بن عقيل ، فقال في ذلك :

شفى النفس ما قال ابن علبه جعفر وقولي له : اصبر ليس ينفعك الصبر
هوى رأسه من حيث كان كما هوى عُقابٌ تدلّي طالباً جانب الوكر
أبا عارم ، فينا غرام^(٥) وشدة وبسطة أيمانٍ سواعدها شعر

(١) يدرأ الحد : يدفعه عنه ويحميه .

(٢) المهيأ : هو من لا يصبر على عطشه .

(٣) شسع نعله : أحد سيورها ، وهو ما يدخل الأصبعين ويدخل طرفه في صدر النعل المشدود إلى الزمام .

(٤) قبال النعل : شسعه .

(٥) الغرام ، بضم الميم : شدة الغضب والعنف .

همُ ضربوا بالسيف هامة جعفر ولم يُنجه برّ عريض ولا بحر
وقدناه قود البكر قسراً وعنوة إلى القبر حتى ضم أثوابه القبر
[الطويل]

وقال علة يرثي ابنه جعفرًا:

لعمركُ إني يوم أسلمت جعفرًا وأصحابه للموت لمّا أقاتل
لمجتنب حبّ المنايا^(١) وإنما يهيج المنايا كلّ حقّ وباطل
فراح بهم قومٌ ولا قومَ عندهم مغلّة أيديهم في السلاسل
ورب أخ لي غاب لو كان شاهداً رآه التباليون^(٢) لي غير خاذل
[الطويل]

وقال علة أيضاً لامرأته أمّ جعفر قبل أن يُقتل جعفر:

لعمركُ إن الليل يا أمّ جعفرٍ عليّ وإن علّلتني لطويل
أحاذر أخباراً من القوم قد دنت ورجعة أنقاض^(٣) لهنّ دليل
[الطويل]

فأجابته فقالت:

أبا جعفر! أسلمت للقوم جعفرًا فمت كمدًا^(٤) أو عش وأنت ذليل
[الطويل]

بنت يحيى بن زياد تبكيه وترثيه بأبياته:

قال أبو عمرو في روايته: وذكر شداد بن إبراهيم أنّ بنتاً ليحيى بن زياد بن عبيد الله الحارثي حضرت الموسم في ذلك العام لما قُتل فكفّنته واستجادت له الكفن، وبكته وجميع من كان معها من جواريتها، وجعلن يندبنه بأبياته التي قالها قبل قتله.

أحقّاً عبادة الله أن لست رائيًا صحاريّ نجدٍ والرياح الذّواريّا
[الطويل]

وقد تقدمت في صدره أخباره. وفي هذه القصيدة يقول جعفر:

وددت مُعاذًا كان فيمن أتانيا

(١) المنايا، الواحدة منية: الموت، الحتف.

(٢) التباليون: هم من انتسب إلى تبالة، وتبالة من بلاد اليمن.

(٣) الأنقاض، الواحد نقض من الإبل والخيول: وقد أهزل طول السفر فأنحله.

(٤) كمدًا: حسرة.

فقال معاذٌ يجيبه عنها بعد قتله، ويخاطب أباه، ويعرض له أنه قُتل ظُلماً لأنهم أقاموا قسامة كاذبة عليه حين قُتل، ولم يكونوا عرفوا القاتل من الثلاثة بعينه، إلا أن غيظهم على جعفرٍ حملهم على أن ادَّعوا القتل عليه.

أبا جعفر سَلَب^(١) بنجران واحتسب وقود^(٣) قلوصلأ^(٤) أتلَف السيف ربها إذا ذكرته مُعصر^(٦) حارثيةً فلا تحسبنَّ الدين يا غلب مُنسأً سنقتل منكم بالقتيل ثلاثة تمنيت أن تلقى مُعاذاً سفاهةً

أبا عارم والمُسمنات العواليا^(٢) بغير دم في القوم إلا تماريا^(٥) جرى دمع عَينيهما على الخد صافيا ولا الثائر الحران يُنسي التقاضيا ونُغلي وإن كانت دماء غواليا ستلقى مُعاذاً والقضيب اليمانيا^(٧)

[الطويل]

ووجدتُ الأبيات القافية التي فيها الغناء في نسخة النضر بن حديد أتمَّ مما ذكره أبو عمرو الشيباني. وأولها:

ألا هل إلى فتیانٍ لهوٍ ولذّةٍ وشربة ماءٍ من خدوراء^(٩) باردٍ وسيري مع الفتیان كلَّ عشيةٍ إذا كلحت^(١٣) عن نابها مَجَّ شِدقها

سبيلٌ وتهتافُ الحمامِ المطوقِ^(٨) جرى تحت أظلال الأراك المسوّقِ أباري مُطايهم^(١٠) بصهباء^(١١) سِيلِقِ^(١٢) لغاماً^(١٤) كَمَحَّ البيضة المُترقرقِ

(١) سَلَب: ارتدّ ثوب الحداد الأسود.

(٢) المسمنات العوالي: السمينات.

(٣) قود: حملها على اتباع الركب دون اعتلائها.

(٤) القلوصل من النياق: الفتية القوية.

(٥) التماري: الكذب.

(٦) المُعصر: المدرك من الجوّاري.

(٧) القضيب اليماني: السيف المصنوع في اليمن.

(٨) الحمام المطوق: هو ما كان يطوق عنقه طوق.

(٩) خدوراء: موضع في بلاد بني الحارث بن كعب ذكره ياقوت في معجم البلدان.

(١٠) أباري مطايهم: أسابقيهم.

(١١) الصهباء من النياق: التي يُخالط بياضها حمرة.

(١٢) السيلق: المتابعة سيرها الحثيث.

(١٣) كلحت: عبست وكشرت عن أنيابها.

(١٤) اللغام: زيد الإبل على مشافرها.

وَأَصْهَبَ جَوْنِيَّ^(١) كَانَ بُغَامِهِ^(٢) تَبْعُمُ مَطْرُودٍ مِنَ الْوَحْشِ مُرْهَقٍ^(٣)
 بَرَى لَحْمَ دَقِّيهِ^(٤) وَأَدْمَى أَظْلَهُ^(٥) اجْد تِيَابِي الْفِيَا فِي سَمْلَقًا بَعْدَ سَمْلَقٍ^(٦)

[الطويل]

وذكر بعده الأبيات الماضية . وهذا وهم من النضر ، لأن تلك الأبيات مرفوعة القافية وهذه مخفوضة ، فأتيت بكل واحدة منهما منفردة ولم أخلطهما لذلك .

علبة ينحر أولاد النوق والشيء لتصبح مع النسوة بكاء على جعفر :

أخبرني الحسين بن يحيى المرداسي عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن أبي عبيدة قال : لما قُتل جعفر بن علبة قام نساء الحي يبكين عليه ، وقام أبوه إلى كل ناقة وشاة فنحر أولادها ، وألقاها بين أيديها وقال : ابكين معنا على جعفر ! فما زالت النوق ترغو والشاء تنغو والنساء يصحن ويبكين ، وهو يبكي معهن ، فما رُئي يوم كان أوجع وأحرق مائماً في العرب من يومئذ .

صوت

عَلَّلَانِي إِنَّمَا الدُّنْيَا عَلَّلُ وَاسْقِيَانِي عَلَّا^(٧) بَعْدَ نَهْلٍ^(٨)
 أَصْحَبُ الصَّاحِبِ مَا صَاحِبُنِي وَأَكْفُ الْلُومِ عَنْهُ وَالْعَذْلُ

[الرمل]

الشعر للعجيز السلولي . والغناء لابن سريج ثقیلٌ أوّل بالوسطى عن حبيش . وذكر الهشامي أنه من منحول يحيى المكي .

(١) أصهب جوني : بغير يخالط بياضه حمرة .

(٢) بغام البعير : صوته .

(٣) مُرْهَق : شديد التعب .

(٤) دَقَا البعير : جنباه .

(٥) أَظْلَهُ : باطن منسمه ، أو هو باطن إصبعه .

(٦) السملق من الأراضي : المسطحة الجرداء لا نبت فيها .

(٧) العلل : الشربة الثانية بعد الأولى .

(٨) النهل : أول الشرب .

أخبار العجير السلولي ونسبه

أخبار العجير السلولي ونسبه :

هو - فيما ذكر محمد بن سلام - العجير بن عبد الله بن عبيدة بن كعب بن عائشة بن الربيع بن ضَبِيط بن جابر بن عبد الله بن سلول. ونسخت نسبه من نسخة عبيد الله بن محمد اليزيدي عن ابن حبيب قال: هو العجير بن عبيد الله بن كعب بن عبيدة بن جابر بن عمرو بن سلول بن مُرة بن صعصعة، أخي عامر بن صعصعة. شاعرٌ مقلٌ إسلاميٌّ من شعراء الدولة الأموية. وجعله محمد بن سلام في طبقة أبي زبيد الطائي؛ وهي الخامسة من طبقات شعراء الإسلام.

أخبرني أبو خليفة في كتابه إليّ قال: حدثنا محمد بن سلام الجُمحي، قال: حدثنا أبو الغراف، قال: كان العجير السلولي دَلَّ عبد الملك بن مروان على ماءٍ يقال له: مطلوب^(١)، وكان لناسٍ من خثعم، فأنشأ يقول:

لا نومَ إلا غرارُ العين^(٢) ساهرةً إن لم أروِّغْ بغِيظِ أهلِ مطلوبٍ
إن تشتموني فقد بدلت أيكتمكم^(٣) ذَرَقَ الدَّجَاجُ^(٤) بحَقَّانِ اليعاقِبِ^(٥)
وكنْتُ أخبركم أن سوف يعمرها بنو أميَّة وعداً غير مكذوبٍ
[البسيط]

العجير يذهب ليلاً إلى عبد الملك حين طلبه :

قال: فركب رجلٌ من خثعم يقال له أميَّة إلى عبد الملك حتى دخل عليه فقال: يا أمير المؤمنين، إنَّما أراد العجير أن يصلَ إليك وهو شويعر سأل. وحرَّبه^(٦) عليه. فكتب إلى عامله بأن يشدَّ يدي العجير إلى عنقه ثم يبعثه في الحديد. فبلغ العجير

(١) مطلوب: اسم بئر بين المدينة والشام عميقة القعر يستسقى منها بدلاء.

(٢) غرار، بكسر الغين، و غرار العين: ندرة إغماضها.

(٣) الأيكة: الغضة بنبت فيها الأراك والسدر وسواهما من ناعم الشجر.

(٤) ذرق الدجاج: خرؤه.

(٥) حقان اليعاقب: فراخ الحجل.

(٦) حرَّبه: أثاره وحثه ليغضب.

الخبر فركب في الليل حتى أتى عبد الملك، فقال له: يا أمير المؤمنين، أنا عندك فاحتبسني وابعث من يبصر الأرضين والضياع، فإن لم يكن الأمر على ما أخبرتك فلك دمي حلّ وبل^(١)، فبعث فاتخذ ذلك الماء، فهو اليوم من خيار ضياع بني أمية.

نسخت من كتاب عبيد الله بن محمد اليزيدي عن ابن حبيب عن ابن الأعرابي قال: هجا العجير قوماً من بني حنيفة وشتهم، فأقاموا عليه البيّنة عند نافع بن علقمة الكناني، فأمرهم بطلبه وإحضاره ليقيم عليه الحدّ، وقال لهم: إن وجدتموه أنتم فأقيموا عليه الحدّ وليكن ذلك في ملا يشهدون به لئلا يدّعي عليكم تجاوز الحق. فهرب العجير منهم ليلاً حتى أتى نافع بن علقمة، فوقف له متنكراً حتى خرج من المسجد، ثم تعلّق بثوبه، وقال:

إليك سبقنا السوط والسجن، تحتنا
إلى نافع لا نرتجي ما أصابنا
فإن أك مجلوداً فكن أنت جالدي
تحوم علينا السانحات وتبرح
وإن أك مذبوحاً فكن أنت تذبح
[الطويل]

فسأله عن المطر، وكيف كان أثره، فقال له:

يا نافع يا أكرم البرية! واللّه لا أكذبك العشية
إنالقينا سنة قسيّة^(٥) ثم مُطرنا مطرة رويّه
[الرجز]

فنبت البقل ولا رعيّه^(٦)

- يعني أن المواشي هلكت قبل نبات البقل - فقال له: انج بنفسك فإنّي سأرضي خصومك، ثم بعث إليهم فسألهم الصفح عن حقهم وضمن لهم أن لا يعاود هجاءهم.

أخبرني الحرّمي بن أبي العلاء، قال:

حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني عمر بن إبراهيم السعدي عن عباس بن

(١) حلّ وبل: أي مباح إهداره.

(٢) الحيال من الإبل: النياق التي ضربها الفحل فلم تحمل، والواحدة حائل.

(٣) يُسامين الظلال: يباريتها.

(٤) اللّغ من الإبل، الواحدة لاقح: النياق الحوامل.

(٥) السنة القسيّة: السنة الماحلة لا مطر فيها.

(٦) الرعية: الماشية من غنم وبقر وسواه.

عبد الصمد السعديّ قال: قال هشام بن عبد الملك للعجير السلولي: أصدقت فيما قلته لابن عمك؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، إلا أنني قلت:

فَتَى قَدْ قَدَّ السِّيفُ لَا مِتْضَائِلُ وَلَا رَهْلٌ^(١) لَبَّائِهِ^(٢) وَبَادِلُهُ^(٣)
[الطويل]

- هذا البيت يُروى لأخت يزيد بن الطثيرة^(٤) ترثيه به - .

جميلٌ إذا استقبلته من أمامه وإن هو ولى أشعثُ الرأس^(٥) جافله^(٦)
طويلٌ سطى الساعدين^(٧) عذوّر^(٨) على الحيّ حتى تستقلّ مراجلُهُ
ترى جازريه^(٩) يُرعدان^(١٠) وناره يجرانِ ثنياً^(١٤) خيرها عظمُ جاره
تركنا أبا الأضياف في كل شتوة بمر^(١٦) ومردى^(١٧) كل خصم يُجادلُهُ
مقيماً سلبناه دريسي مُفاضة^(١٨) وأبيض هندیاً^(١٩) طوالاً حمائلُهُ
[الطويل]

(١) الرهل: المسترخي اللحم لكثرة سممه وما عليه من لحم.

(٢) اللبات، الواحدة لبّة: موضع النحر.

(٣) البادل، بأدلة: إنها اللحمة بين العنق والترقوة.

(٤) طثيرة: والدة الشاعر يزيد القشيري.

(٥) أشعث الرأس: متلبد الشعر.

(٦) جافله، من الجفال: كث الشعر كثيف.

(٧) سطى الساعدين: قوي شديد الفتك.

(٨) العذوّر: الصعب المراس وشديد الهمة يسعى في خدمة أضيافه.

(٩) جازريه: الإبل التي نوى ذبحها.

(١٠) يُرعدان: يرتجفان لشدة خوفهما من الذبح.

(١١) عداميل، الواحد عُدمل: كلّ مسن قديم والضحخ القديم من الشجر.

(١٢) الهشيم: الحشيش الجاف، قصد الشاعر بذلك الشجرة اليابسة يحتطبها الحطاب لتكون وقوداً.

(١٣) الصامل: اليابس.

(١٤) الثني من النياق: التي ولدت بطنين.

(١٥) لم تعد: لم تنصرف.

(١٦) مرّ: ماء لبني أسد بينها وبين الخوة يوم شرقي سميراء.

(١٧) المردى: صخرة تكسر بها النوى.

(١٨) الدريس المفاضة: الدرع الواسعة.

(١٩) الأبيض الهندي: السيف المصنوع في بلاد الهند.

فقال هشام: هلك والله الرجل.

ونسخت من كتاب ابن حبيب قال ابن الأعرابي: إصحطب العجير وشاعرٌ من خزاعة إلى المدينة فقصده الخزاعي الحسن بن الحسن بن عليّ عليهم السلام، وقصد العجير رجلاً من بني عامر بن صعصعة كان قد نال سلطاناً، فأعطى الحسن بن الحسن الخزاعي وكساه ولم يعط العامريّ العجير شيئاً، فقال العجير:

العجير يقول حين حرمه العامري العطاء:

يا ليتني يوم حَزَمْتُ القلوص^(١) له يَمَّمْتُها هاشمياً غيرَ ممذوق^(٢)
محضُ النَّجار^(٣) من البيت الذي جُعِلت فيه النبوة يجري غير مسبوق
لا يُمسك الخيرَ إلا ريثُ يُسألَه ولا يلاطم^(٤) عند اللحم في السوق
[البسيط]
فبلغتُ أبياته الحسن، فبلغ إليه بصلة إلى محلة قوم، وقال له: قد أذاك حظك وإن لم تتصدَّ له.

العجير يشرب حتى ينتشي فيأمر بنحر جملة.

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدثنا محمد بن الحسن بن دينار الأحول قال: حدثني بعض الرواة أن العجير بن عبد الله السلولي مرّ بقوم يشربون فسقوه، فلما انتشى قال: انحروا جملي واطعمونا منه. فنحروا وجعلوا يُطعمونه ويسقونه ويغثونه بشعر قاله يومئذٍ، وهو:

عللاني إنما الدنيا عللٌ واسقياني عللاً بعد نهلٍ
وانشلا ما اغبرَّ من قدركما واصبحاني^(٥) أبعد الله الجمل
أصحبُ الصاحب ما صاحبني وأكفُّ اللوم عنه والعذل^(٦)
وإذا أتلَفَ شيئاً لم أقلُّ أبداً يا صاح ما كان فعلُ
[الرمل]

قال: فلما صحا سأل عن جملة فقل له: نحرت البارحة. فجعل يبكي ويصيح: وغربتاه! وهم يضحكون منه. ثم وهبوا له بعيراً فارتحل^(٧) وانصرف إلى أهله.

(٢) الممذوق: الممزوج.

(٤) يلاطم: يدفع سواء في الزحام ليمر.

(٦) العذل: اللوم.

(١) القلوص من الإبل: الفتى القوي.

(٣) محض النجار: صريح النسب أصيله.

(٥) أصبحاني: إسقياني الصبح.

(٧) ارتحل: وضع على الجمال الرحل.

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حدثنا محمد بن يزيد قال: حجَّ العجير السلولي فنظر إلى امرأته، وكان قد حجَّ بها معه، وهي تلحظ فتى من بُعد وتكلمه فقال فيها:

أيا ربَّ لا تغفر لعثمَةَ ذنبَها وإن لم يعاقبها العجير فعاقبِ
أشارت، وعقد اللّه بيني وبينها إلى راكب من دونه ألف راكبِ
حرامٌ عليك الحجُّ لا تقربنّه إذا حان حجّ المسلمات التوائبِ
[الطويل]

العجير يكل زواج ابنته إلى خالها ثم يطلقها من المولى بعد قدومه:

وقال ابن الأعرابي: غاب العجير غيبة إلى الشام، وجعل أمر ابنته إلى خالها، وأمره أن يزوجه بكفء. فخطبها مولى لبني هلال كان ذا مال، فرغبت أمها فيه وأمرت خال الصبية الموصى إليه بأمرها أن يزوجه منه ففعل. فلاذت الجارية بأخيها الفرزدق بن العجير، وبرجال من قومها، وبابن عم لها يقال له قيل، فمنعوا جميعاً منها سوى ابن عمها القيل فإنه ساعد أمها على ما أرادت، ومنع منها الفرزدق. فلما قدم العجير أخبر بما جرى ففسخ النكاح وخلع ابنته من المولى وقال:

ألا هل لبعجان الهالكي زاجرٌ وبعجان مأدوم الطعام سمينُ
أليس أمير المؤمنين ابن عمها وبالحنو^(١) أسادُ لها وعرينُ
وعاذت^(٢) بحقوي^(٣) عامر وابن عامر ولله قد بتت عليّ يمينُ
تنالونها^(٤) أو يخضب الأرض^(٥) منكم دمٌ خرّ عنه حاجب وجبينُ
[الطويل]

وقال أيضاً في ذلك:

إذا ما أتيت الخاضبات أكفّها عليهنّ مقصور الحجال^(٦) المروّق^(٧)
فلا تدعونّ القيل^(٨) إلا لمشربٍ رواءٍ ولكنّ الشجاع الفرزدقُ

(١) الحنو: هو حنو ذي قار يقع قرب الكوفة.

(٢) عاذت: لجأت واحتمت.

(٣) الحقو: معقد الإزار.

(٤) تنالونها: أي لا تنالونها، فحذف «لا» النافية.

(٥) خضب الأرض بالدماء: لطمها.

(٦) مقصور الحجال: النسوة المصونات في بيوتهن العفيفات.

(٧) المروّق: المسدل عليه ستور تمنع الرؤية.

(٨) القيل: اسم ابن عم الجارية التي يتحدث عنها.

هو ابنٌ لبيضاء الجبين نجيبه تلقت^(١) بطهر لم يجئ وهو أحمق
تداعى إليه أكرم الحي نسوة أطفن بكسري بيتها^(٢) حين تطلق^(٣)
فجاءت بعريان اليدين كأنه من الطير بازٍ ينفض الطل أزرق
[الطويل]

قول العجير في رفيق:

وقال ابن الأعرابي: كان للعجير رفيقٌ يقال له أصبح، وكانا يصيبان الطريق وفيه يقول العجير:

ومنخرقٍ عن منكبيه قميصه وعن ساعديه، للأخلاء^(٤) واصل
إذا طال بالقوم المطا^(٥) في تنوفة^(٦) وطول السرى^(٧) ألفيته غير ناكل^(٨)
دعوت وقد دبّ الكرى^(٩) في عظامه وفي رأسه حتى جرى في المفاصل
كما دبّ صافي الخمر في مخّ شاربٍ يميل بعطفه، عن اللبّ ذاهل
فلبّى ليثنييني بثنيي لسانه ثقلين من نوم غلوب الغياطل^(١٠)
فقلت له: قم فارتحل ليس هاهنا سوى وقفة الساري مناخٍ لنازل
فقام، اهتزاز الرمح يسرو قميصه^(١١) ويحسر^(١٢) عن عاري الذراعين ناحل
[الطويل]

وقال ابن الأعرابي: كانت للعجير امرأة يقال لها: أم خالد، فأسرع في ماله فأتلفه وكان جواداً، ثم جعل يدان حتى أثقل بالدين ومدّ يديه إلى مالها، فمنعته منه وعاتبته على فعله، فقال في ذلك:

تقول، وقد غالبتها، أم خالد على مالها: أغرقت ديناً فأقصر^(١٣)
أبى القصر من يأوي إذا الليل جئنني إلى ضوء ناري من فقير ومقتـر

(١) تلقت: علقـت.

(٢) كسري بيتها: جانيه.

(٣) تطلق: وقت الولادة وما يصاحبه من آلام.

(٤) الأخلاء، الواحد خليل: الصاحب والصديق.

(٥) المطا: السير الممتد السهل.

(٦) التنوفة: المفازة والأرض الشاسعة المترامية الأطراف.

(٧) السرى، بضم السين: السير ليلاً.

(٨) الناكل: الجبان، الرعديد.

(٩) الكرى: النعاس.

(١٠) الغياطل، الواحدة غيطلة: غلبة النعاس.

(١١) يسرو قميصه: يخلعه عن جسده.

(١٢) يحسر: يكشف.

(١٣) أقصر: توقّف وامتنع.

أيا موقديّ ناري ارفعها لعلّها
أمن راكبٍ أمسى بظهر تنوفةٍ
ولا قدرٍ دون الجارٍ إلا ذميمةٌ
تكاد الصّبا^(١) تبتّزه^(٢) من ثيابه
وماذا علينا أن يخالس^(٣) ضوءها
كريمٌ نشأه^(٤) شاحب المتحسّر^(٥)

[الطويل]

- المتحسر: ما انكف وتجرد من جسمه .

فيخبرنا عمّا قليل ولو خلت
له القدر لم نعجب ولم نتخبّر

[الطويل]

صوت

سلي الطارق المعترّ^(٦) يا أمّ مالك
أبسط وجهي أنّه أول القرى
فلا قصر حتى يفرج الغيث من أوى
أقي العرض^(٨) بالمال التّلاذ^(٩) وما عسى
يؤدّي إليّ النّيل^(١٠) قنيان ماجدٍ
إذا ما أتاني بين قدري ومجزري^(٧)

[الطويل]

- القنيان: ما اقتني من المال . يقول: إنه لبذله القرى^(١١) كأنه موسر، وإذا سرح
ماله علم أنه مقتر - .

إذا مُتّ يوماً فاحضري أمّ خالد
تُراثك من طرف^(١٢) وسيف وأقدر^(١٣)

[الطويل]

(١) الصّبا: النسيم الرقيق يهب من مطلع الثريا إلى بنات نعلش .

(٢) تبتّزه: تجرّده . (٣) يخالس ضوءها: ينظر إليه خلصة .

(٤) النّشأ: هو ما يخبر المرء به عن سواه من مدح أو ذم .

(٥) شاحب المتحسّر: شاحب الوجه إما من مرض أو تعب .

(٦) الطارق المعترّ: من يقصد سواه لسوء حاله ليلاً يطلب رفده ومساعدته .

(٧) المجزري: المذبح . (٨) أقي العرض: أحمية من انتقاص الناس له .

(٩) المال التّلاذ: الموروث عن الأجداد . (١٠) النّيل: ما حصله المرء وناله .

(١١) القرى، بكسر القاف: الضيافة . (١٢) الطرف، بكسر الطاء: الكريم من الجياد .

(١٣) الأقدر من الخيول: هو الذي يجاوز حافرا رجليه مواقع حافري قائمته .

قال ابن حبيب: من الناس من يروي هذه الأبيات الأخيرة التي أولها:

سلي الطارق المعترّ يا أمّ مالك

لعروة بن الورد، وهي للعجير.

العجير يفد على عبد الملك فيقيم ببابه.

أخبرني حبيب بن نصر المهلبّي قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد. قال: حدثنا علي بن الصباح عن هشام بن محمد قال: وفد العجير السلولي - وسلول بن مرة بن صعصعة - على عبد الملك بن مروان، فأقام ببابه شهراً لا يصل إليه لشغل عرض لعبد الملك، ثم وصل إليه فلما مثل بين يديه أنشد:

ألا تلك أمّ الهبزريّ^(١) تبينّت
وقالت: تضاءلت الغداة ومَن يكن
فقلت لها: إنّ العجير تقلّبت
فمنهنّ إدلاجي^(٥) على كلّ كوكب
وَقَرعي بكفّي باب ملك كأنما
ويوم تبارى ألسن القوم فيهم
لو أنّ الجبال الضّمّ يسمعن وقّعها
فرحّت جواداً والجواد مثابرٌ
عظامي ومنها ناحل^(٢) وكسير^(٣)
فتّى قبل عام الماء^(٤) فهو كبيرٌ
به أبطن أبليّنّه وظهورُ
له من عُمانيّ النجوم^(٦) نظير^(٧)
به القوم يرجون الأذنين^(٨) نُسورُ
وللموت أرحاء^(٩) بهنّ تدور^(١٠)
لُعْدن وقد بانّت بهنّ فطور^(١١)
على جرّيه، ذو علة ويسيرُ
[الطويل]

(١) أم الهبزريّ: الحمى.

(٢) الناحل: الهزيل لشدة مرضه.

(٣) الكسير: المكسور.

(٤) عام الماء: العام الخصيب لكثرة ما نزل فيه من مطر.

(٥) إدلاجي: مسيري ليلاً.

(٦) عُمانيّ النجوم: النجوم جهة عمان تشع ليلاً.

(٧) نظير: شبيه، مثيل.

(٨) الأذنين: الحاجب.

(٩) الأرحاء، الواحد رحي: حجر الطاحون استعمله لألسن الناس الذين فسدت أخلاقهم بحيث تنطق بسوء القول.

(١٠) تدور: تلوك سيرة الآخرين من بني آدم.

(١١) الفطور: الشقوق.

فقال له: يا عجير ما مدحت إلا نفسك، ولكننا نعطيك لطول مقامك. وأمر به بمائة من الإبل يُعطاها من صدقات بني عامر، فكتب له بها:

أخبرني حبيب بن نصر المهلبّي قال: حدثنا محمد بن سعد الكرائيّ قال: حدثنا العمريّ عن العتبّي، قال: نظر أبي إلى فتى من بني العباس يسحب مطرف^(١) خزّ عليه، وهو سكران - وكان فتى متهتكا - فحرك رأسه ملياً، ثم قال: لله درّ العجير السلوليّ حيث يقول:

وما لبس الناس من حُلّة^(٢) جديد ولا خلقاً^(٣) يُرتدى
كمثل المروءة للأبسين فدعني من المطرف المُستدى^(٤)
فليس يُغيّر فضل الكريم خُلوقه^(٥) أثوابه والبلى
وليس يُغيّر طبع اللئيم مطارف خزرقاق السُدى^(٦)
يجود الكريم على كلّ حال ويكبو اللئيم إذا ما جرى
[المقارب]

قوله في ابنه الفرزدق:

أخبرني عمي قال: حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدثني أبو القاسم اللّهيّ عن أبي عبيدة قال: كان العجير السلولي له ابن يقال له الفرزدق، وفيه يقول العجير:

ولقد وضعتك غير مُتّرك من جابر^(٧) في بيتها الضّخم
واخترت أمك من نساءهم وأبوك كلّ عزّور^(٨) شهم
فلئن كذبت المنح من مائة^(٩) فلتقبلن بسائغ وخم^(١٠)

(١) المطرف من الأردية: الثوب المصنوع من الخز المربع ذي الأعلام.

(٢) الحُلّة، بضم الحاء: رداء ذو إزار.

(٣) الخلق: البالي.

(٤) المستدى: المحبوك وقد جُمعت سُداه والتحمت.

(٥) الخُلوقه، بضم الخاء: البلى.

(٦) السُدى: بضم السين، ما مدّ من الثوب.

(٧) من جابر: أي قبيلة جابر، وجابر هذا من جدود العجير.

(٨) العزّور من الرجال: السّيئ الطبع.

(٩) من مائة: يقصد بذلك من الإبل مائة.

(١٠) الوخم: من لا تُحمد عقباه.

إِنَّ النَّدَى وَالْفَضْلَ غَايَتَنَا وَنَجَاتَنَا وَطَرِيقَ مَنْ يَحْمِي
[الكامل]

أخبرني عمي قال: حدثنا الكراني، قال: قال الحرمازي: وقف العجير السلولي
لبعض الأمراء، وقد علق به غريمٌ له من أهله فقال له:

أَتَيْتَكَ أَنَّ الْبَاهِلِيَّ يَسُوقُنِي بَدِينٍ وَمَطْلُوبُ الدُّيُونِ رَقِيقٌ
ثَلَاثَتَنَا إِنْ يَسَّرَ اللَّهُ: فَائِزٌ بِأَجْرٍ، وَمُعْطَى حَقِّهِ، وَعَتِيقٌ
[الطويل]

فأمر بقضاء دينه:

بنت عمه تختار العامري عليه وتزوجه ليساره:

وقال ابن الأعرابي: كانت للعجير بنت عمٍّ، وكان يهواها وتهواه، فخطبها إلى
أبيها فوعده وقاربه^(١). ثم خطبها رجلٌ من بني عامرٍ موسر، فخيرها أبوها بينه وبين
العجير، فاخترت العامريَّ ليساره^(٢)، فقال العجير في ذلك:

أَلَمَّا عَلَى دَارٍ لَزِينَبَ قَدْ أَتَى لَهَا بِلَوَى^(٣) ذِي الْمَرْخِ صَيْفٌ وَمَرْبَعٌ^(٤)
وَقُولَا لَهَا: قَدْ طَالَمَا لَمْ تَكَلِّمِي وَرَاعَاكَ بِالْعَيْنِ الْفَوَادِ الْمَرْوَعُ
وَقُولَا لَهَا: قَالَ الْعَجِيرُ: وَخَصَّنِي إِلَيْكَ، وَإِرْسَالِ الْخَلِيلَيْنِ يَنْفَعُ
أَأَنْتِ الَّتِي اسْتَوْدَعْتُكَ السَّرَّ فَاَنْتَحَى^(٥) لِي الْخَوْنُ^(٦) مَرَّاحٌ^(٧) مِنْ الْقَوْمِ أَفْرَعٌ^(٨)
إِذَا مِتَ كَانَ النَّاسُ نَصَفَيْنِ: شَامَتْ وَمِثْنٍ بِمَا قَدْ كُنْتَ أُسْدِي وَأَصْنَعُ
وَمُسْتَلْحَمٌ^(٩) قَدْ صَكَّهُ^(١٠) الْقَوْمُ صَكَّةً بَعِيدِ الْمَوَالِي نَيْلَ مَا كَانَ يَمْنَعُ
رَدَدْتُ لَهُ مَا أَفْرَطَ الْقَتْلَ بِالضَّحَى وَبِالْأَمْسِ حَتَّى اقْتَالَه^(١١) فَهُوَ أَصْلَعُ
وَلَسْتُ بِمَوْلَاهُ وَلَا بِابْنِ عَمِّهِ وَلَكِنْ مَتَى مَا أَمْلَكَ النِّفْعَ أَنْفَعُ
[الطويل]

(٢) اليسار: الغنى.

(١) قاربه: أي وافقه الرأي.

(٣) اللوى: منقطع الرمال.

(٤) ذو المرخ: إنه وإدٍ تكثر فيه الأشجار قرب فذك.

(٥) انتحى: توجه.

(٦) الخوف: الخيانة.

(٧) مَرَّاحٌ، من صيغ المبالغة من المرح.

(٨) الأفراع: هو من له جمّة وكثير الشعر.

(٩) المستلحم: هو من ثابر على القتال فأرهقه حتى احتوشه عدوه.

(١٠) صَكَّهُ: لطمه لطمه قوية.

(١١) إقتاله: حمّله على إبدال ما معه بسواه.

وقال ابن الأعرابي: كان العجير يتحدث إلى امرأة من بني عامر يقال لها: جُمْلٌ فألفها وعلقها. ثم انتجع^(١) أهلها نواحي نصيبين، فتتبعنها نفسه، فسار إليهم فنزل فيهم مجاوراً، ثم رأوه مُنازلاً ملازماً مُحادثاً تلك المرأة فنهوه عنها، وقالوا: قد رأينا أمرك فإمّا أن انقطعَ عنها أو ارتحلت عتاً، أو فأذن بحرب. فقال: ما بيني وبينها ما يُنكر، وإنما كنت أتحدث إليها كما يتحدث الرجل الكريم إلى المرأة الحرة الكريمة، فأماً الريبة فحاش لله منها. ثم عاود مُحادثتها: فانتهبوا^(٢) ماله وطرده. فأتى محمد بن مروان بن الحكم وهو يومئذ يتولّى الجزيرة لأخيه عبد الملك بن مروان، فأثاه مستعدياً على بني عامر وعلى الذي أخذ ماله خُصوصية^(٣)، وهو رجل من بني كلاب يقال له ابن الحسام، وأنشده قوله:

عفا يافع^(٤) من أهله فطلوب^(٥) وأقفر لو كان الفؤاد يثوب^(٦)
وقفتُ بها من بعد ما حلّ أهلها نصيبين والراقي الدموع طيب
وقد لاح معروف القتير^(٧) بك اليوم من ريب الزمان ندوب^(٨)
وسالمتُ رَوَحات المطي^(٩) منها تشتكى وُصْلوب^(١١) وأحمدت^(١٠)
وما القلب أم ما ذكره أم صبية أريكة^(١٢) منها مسكن فهروب^(١٣)
حصان^(١٤) الحميّا^(١٥) حرة حال دونها حليل لها شاكي السلاح^(١٦) غضوب
شموس^(١٧)، دنو الفرقدين اقترابها لغنيّ مقاريف الرجال^(١٨) سبوب^(١٩)

(١) إنتجع: انتقل إلى نجع آخر وارتحل.

(٢) خُصوصية: بالذات.

(٣) طلب: اسم قلب يقع عن يمين سميراء في طريق الحاج.

(٤) يثوب: يرجع ويهتدي.

(٥) الندوب: آثار الجراح في الجسد.

(٦) أحمدت: مدحت وشكرت.

(٧) أريكة: اسم لجبل في البادية.

(٨) حصان: متزوجة.

(٩) شاكي السلاح: المدجج بسلاحه.

(١٠) الشموس: الملتهب حماسة بحيث لا يمكن السيطرة عليه.

(١١) مقاريف الرجال: المتهمون منهم.

(١٢) السبوب: الكثير السبب والشتم.

(١٣) إنتهبوا ماله: سرقوه.

(١٤) يافع: مكان.

(١٥) يثوب: يقصد الشاعر بالقتير: الشيب ألم برأسه.

(١٦) الندوب: آثار الجراح في الجسد.

(١٧) أحمدت: المدحت وشكرت.

(١٨) أريكة: اسم لجبل في البادية.

(١٩) حصان: متزوجة.

(٢٠) شاكي السلاح: المدجج بسلاحه.

(٢١) الشموس: الملتهب حماسة بحيث لا يمكن السيطرة عليه.

(٢٢) مقاريف الرجال: المتهمون منهم.

(٢٣) السبوب: الكثير السبب والشتم.

أَحَقُّا عِبَادَ اللَّهِ! أَنْ لَسْتُ نَاضِرًا
عَدْتَنِي الْعِدَا عَنْهَا بُعِيدَ تَسَاعَفٍ^(١)
لَقَدْ أَحْسَنْتَ جُمْلَ لَوْ أَنَّ تَبِيعَهَا^(٢)
تَصْدِينَ حَتَّى يَذْهَبَ الْيَأْسُ بِالْمُنَى
إِلَى وَجْهَهَا إِلَّا عَلَيَّ رَقِيبٌ
وَمَا أَرْتَجِي مِنْهَا إِلَيَّ قَرِيبٌ
إِذَا مَا أَرَادَتْ أَنْ تُثِيبَ يَثِيبُ^(٣)
وَحَتَّى تَكَادَ النَّفْسُ عَنْكَ تَطِيبُ
[الطويل]

- هذا البيت يروى لابن الدُمَيْنة، وهو بشعره أشبه، ولا يُشاكل أيضاً هذا المعنى ولا هو من طريقه؛ لأنه تشكى في سائر الشعر قومها دونها، وهذا بيت يصف فيه الصّدّ منها، ولكن هكذا هو في رواية ابن الأعرابي -.

وَأَنْتِ الْمُنَى لَوْ كُنْتَ تَسْتَأْنِفِينَا^(٤)
أَيُّوْكَلَ مَالِي وَابْنُ مَرْوَانَ شَاهِدٌ
فَتَى مُحَضُّ أَطْرَافِ الْعُرُوقِ^(٧) مَسَاوِرُ^(٨)
بَخِيرَ وَلَكِنْ مُعْتَفَاكُ^(٥) جَدِيدُ^(٦)
وَلَمْ يَقْضَ لِي وَابْنُ الْحُسَامِ قَرِيبٌ!
جِبَالُ الْعَلَا طَلَقُ الْيَدَيْنِ وَهَوْبُ^(٩)
[الطويل]

فأمر محمد بن مروان بإحضار ابن الحسام الكلابي فأحضر، فحبسه حتى ردّ مال العجير، وأمر العجير بالانصراف إلى حيّه، وترك النزول على المرأة أو في قومها. قال: وقال العجير فيها أيضاً:

هَاتِيكَ جُمْلَ بَأَرْضَ لَا يَقْرَبُهَا
وَدُونَهَا مَعْشَرَ خَزَرٍ عَيُونِهِمْ^(١٢)
عَدُّوا عَلَيْنَا ذُنُوباً فِي زِيَارَتِهَا
إِلَّا هَبْلُ^(١٠) مِنَ الْعِيْدِي مُعْتَقْدُ^(١١)
لَوْ تَخْمَدُ النَّارُ مِنْ حَرٍّ لَمَا خَمَدُوا^(١٣)
لِيَحْجِبُوهَا وَفِي أَخْلَاقِهِمْ نَكْدُ^(١٤)

(١) التساعف: التقارب واللقاء.

(٢) يثيب: يمنح الوّد والعطف.

(٣) تستأنفيننا: تتبعين سيرتك الأولى من الوّد واللقاء.

(٤) المعتفى: المقصد حيث بغية المرء.

(٥) جديد: قاحل لا رواء فيه.

(٦) محض أطراف العروق: طيب الأعراق والنسب الشريف.

(٧) المساوِر: المناضل.

(٨) هوب: كريم.

(٩) هوب: كريم.

(١٠) الهبل، بكسر الهاء، من الرجال: الطويل الضخم.

(١١) المعتقد من الفحول المنسوبة إلى العيدي: هو الموائب للتلقيح.

(١٢) خزر العيون: هم ضيق العيون لشدة كراهيتهم وعداوتهم.

(١٣) لما خمدوا: لما استكانوا عن عداوتهم.

(١٤) النكد: كل ما يسبب الحزن من أخلاق فاسدة.

وَحَالَ مِنْ دُونَهَا شَكْسٌ^(١) خَلَّاقُهُ
فَلَيْسَ إِلَّا عَوِيلٌ^(٣) كَلَّمَا ذُكِرَتْ
وَتَيَّمَتْنِي جُمْلَ فَاَسْتَمَرَّ بِهَا
قَالُوا، غَدَاةً اسْتَقَلْتُ: مَا لِمَقْلَتِهِ^(٧)
فَقُلْتُ: لَا! بَلْ غَدْتُ سَلْمَى لَطِيَّتِهَا
إِنْ كَانَ وَصْلُكَ أَبْلَى الدَّهْرِ جِدَّتِهِ
فَقَدْ أَرَانِي وَوَجَدِي إِذْ تَفَارَقْنِي
تَبْكِي عَلَى بَطْلِ حُمَّتْ مَنِيَّتِهِ^(١٤)
وَقَدْ خَلَا زَمَنٌ لَوْ تَصْرَمِينَ لَهُ
أَزْمَانُ تَعْجِبْنِي جَمْلٌ وَأَكْتَمَهُ
فَقَدْ بَرِئْتُ عَلَى أَنِّي إِذَا ذُكِرْتُ
مِنْ عَهْدِ سَلْمَى الَّتِي هَامَ الْفَوَادُ بِهَا
قَدْ قُلْتُ لِلْكَاشِحِ^(٢٠) الْمَبْدِي عِدَاوَتَهُ
أَلَا تَبَيَّنْ لِي لَا زَلْتَ تُبْغِضْنِي

كَأَنَّهُ نَمِرٌ فِي جِلْدِهِ الرُّبْدُ^(٢)
أَوْ زَفْرَةٌ طَالَمَا أَنْتَ بِهَا الْكَبْدُ
شَحَطٌ^(٤) مِنَ الدَّارِ لَا أُمَّ^(٥) وَلَا صَدَدٌ^(٦)
أَمِنْ قَذَى^(٨) هَمَلْتُ^(٩) أُمَّ عَارَهَا رَمْدٌ^(١٠)
فَلَيْتَهُمْ مِثْلَ وَجْدِي^(١١) بُكْرَةً وَجَدُوا
وَكُلَّ شَيْءٍ جَدِيدٍ هَالِكٌ نَفْدٌ^(١٢)
يَوْمًا كَوَجَدَ عَجُوزَ دَرْعِهَا قَدْدٌ^(١٣)
وَكَانَ وَاتِرَ أَعْدَاءِ^(١٥) بِهِ ابْتَرَدُوا
وَصَلِي لَأَيَقَنْتُ أَنِّي مَيِّتٌ كَمْدٌ^(١٦)
جُمْلًا حَيَاءً، وَمَا وَجَدْتُ كَمَا أَجَدْتُ
يَنْهَلُ دَمْعِي^(١٧) وَتَحْيَا غُصَّةٌ تَلْدُ^(١٨)
أَزْمَانُ أَزْمَانُ سَلْمَى طِفْلَةٌ رُؤْدٌ^(١٩)
قَدْ طَالَمَا كَانَ مِنْكَ الْغَشَّ وَالْحَسْدُ
حَتَّامٌ أَنْتَ إِذَا مَا سَاعَفْتُ^(٢١) ضَمْدٌ^(٢٢)

[البسيط]

(١) الشكس الأخلاق: الصعب الذي لا يستسلم لنكده.

(٢) الربد من الألوان: من خالط سواده احمرار وكدره.

(٣) العويل: البكاء والنحيب.

(٤) شحط من الدار: البعد.

(٥) الأُم: القصد.

(٦) الصد: القرب.

(٧) المقلة: شحمة العين أو هي السواد والبياض منها.

(٨) القذى: ما يقع في العين أو في الشراب من تبنه ونحوها.

(٩) هملت: أدمعت.

(١٠) الرمد: مرض يصيب العيون في أوقات من السنة.

(١١) الوجد: شدة الحب ولوعته.

(١٢) نفد: فاني، هالك.

(١٣) القدد، الواحدة قدة: القطع.

(١٤) المنيّة: الموت.

(١٥) واتر الأعداء: مسبب موتهم ولا يستطيعون القود منه لقوته وشجاعته.

(١٦) الكمد: الشديد الحزن.

(١٧) ينهل دمع: ينهمر بغزارة.

(١٨) غصة تلد: تعترض في حلق المرء.

(١٩) الرؤد من النساء: الشابة الجميلة جداً.

(٢٠) الكاشح: المبغض والحقود.

(٢١) ساعفت: وافقت وبادرت.

(٢٢) الضمد: الحاقه.

وصية عبد الملك لمؤدب ولده:

وقال ابن حبيب: قال عبد الملك لمؤدب ولده: إذا رَوَيْتَهُمْ شعراً فلا تروهم إلا مثل قول العجير السلولي:

يَبِينُ^(١) الْجَارَ حِينَ يَبِينُ عَنِّي وَلَمْ تَأْنَسْ إِلَيَّ كَلَابُ جَارِي
وَتَظْعَنُ جَارَتِي^(٢) مِنْ جَنْبِ بَيْتِي وَلَمْ تُسْتَرْبَسْتِ مِنْ جِدَارِي
وَتَأْمَنُ أَنْ أَطَالَعَ حِينَ آتِي عَلَيْهَا وَهِيَ وَاضِعَةُ الْخِمَارِ
كَذَلِكَ هَدَيْتُ آبَائِي قَدِيمًا تَوَارَثَهُ النَّجَارُ^(٣) عَنِ النَّجَارِ
فَهَدَيْتُ هَدِيَّتَهُمْ وَهُمْ افْتَلَوْنِي^(٤) كَمَا افْتُلِيَ الْعَتِيقُ^(٥) مِنَ الْمِهَارِ
[الوافر]

وقال ابن حبيب أيضاً: نزل العجير بقوم فأكرموه وأطعموه وسقوه، فلما سكر قام إلى جملة فعقره، وأخرج كبده وجب سنامه^(٦)، فجعل يشوي ويأكل ويُطعم ويغني:

عَلَّلَانِي إِنَّمَا الدَّنْيَا عَلَّلُ وَاسْقِيَانِي عَلَّلًا^(٧) بَعْدَ نَهْلٍ^(٨)
وَانْشَلَا^(٩) لِي اللَّحْمُ مِنْ قَدْرِكَمَا وَاصْبَحَانِي^(١٠) أَبْعَدَ اللَّهِ الْجَمْلُ
[الرم]

فلما أفاق سأل عن جملة فأخبر ما صنع به، فجعل يبكي ويصيح: واغربتاه! وهم يضحكون منه. ثم أعطوه جملاً وزودوه، فانصرف حتى لحق بقومه.

أخبرني عمي بهذا الخبر، قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثنا الحكم بن موسى بن الحسين بن يزيد السلولي قال: حدثني أبي عن عمه، فقال فيه:

-
- (١) يبين الجار: يبدو للعيان.
(٢) تظعن جارتني: ترحل عن ربنا.
(٣) النجار: الأصول والأحساب الرفيعة.
(٤) افتلونني: فصلوني عن لذاتي لنباهتي.
(٥) العتيق من المهار: الكريم من صغار الجياد.
(٦) جب سنامه: قطعه.
(٧) عللاني: ألهياني بالطعام والشراب. والعلل: الشرب الثاني.
(٨) النهل: الشرب الأول.
(٩) انشلا لي اللحم: أخرجاه بأيديكم بلا ملعقة.
(١٠) أصبحاني: إسقيني الصبح من الخمر أو اللبن في الصباح الباكر.

مرّ العجير بفتيان من قومه يشربون نبيذاً لهم فشرب معهم، وذكر باقي القصة نحواً مما ذكر ابن حبيب، ولم يقل فيها: - فلما أصبح جعل يبكي ويصيح: واغربته! - ولكنه قال: فلما أصبح ساق قومه إليه ألف بعير مكان بعيره.

سليمان بن عبد الملك يعجب بشعر العجير:

أخبرني عمي وحبیب بن نصر المهلبی قالاً: حدثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حدثني الحكم بن موسى بن الحسين السلولي قال: حدثني أبي عن عمه قال: عرض العجير لسليمان بن عبد الله، وهو في الطواف، وعلى العجير بُردان يساويان مائة وخمسين ديناراً، فانقطع شسع^(١) نعله فأخذها بيده، ثم هتف بسليمان، فقال:

ودلّيت دلوي في دلاء كثيرة إليك فكان الماء ريان معلماً^(٢)
[الطويل]

فوقف سليمان ثم قال: لله درّه ما أفصحه، والله ما رضي أن قال ريان حتى قال معلماً، والله إنه ليُخَيَّلُ إليّ أنه العجير، وما رأيته قط إلا عند عبد الملك. ف قيل له: هو العجير. فأرسل إليه: أن صر إلينا إذا حللنا. فصار إليه، فأمر له بثلاثين ألفاً وبصدقات قومه، فردّها العجير عليهم ووهبها لهم.

رثاء العجير لابن عمه:

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال: حدّثني هارون بن موسى الفروي^(٣) قال: كان ابن عم للعجير السلولي إذا سمع بأضياف عند العجير لم يدعهم حتى يأتي بجزور كوما^(٤)، فيقطعن في لبّتها عند بيته، فيبيتون في شواء وقدير^(٥)، ثم مات، فقال العجير يرثيه:

تركنا أبا الأضياف في ليلة الصّبا بمر^(٦) ومردى كل خصم يجادلُهُ^(٧)
وأرعيه سمعي كلّما ذكر الأسي وفي الصدر مني لوعة ما تزايلُهُ

(١) شسع النعل: هو زمام بين الأصبع الوسطى والتي تليها.

(٢) الريان: الكثير الراوي. والمعلم: هو ذو علامة، لاشتهاره بين القوم.

(٣) الفروي: هو من نسب إلى جدّه أبي فروة.

(٤) الكوما من النياق: السمينة العظيمة والقوية.

(٥) القدير: اللحم المطبوخ في القدر.

(٦) مرّ، بفتح الميم: ماء لبنى أسد مات بها جابر بن زيد، وهو ابن عم العجير.

(٧) يجادله: يحاوره وينتصر عليه.

وكنْتَ أَعْيَرُ الدَّمْعَ قَبْلَكَ مَنْ بَكَى فأنتَ على مَنْ ماتَ بعدَكَ شاغلُهُ

[الطويل]

هكذا ذكر هارون بن موسى في هذا الخبر، والبيت الثالث من هذه الأبيات
للشَّمرِ دلِّ بنِ شريك لا يُشَكُّ فيه، من قصيدة له طويلة. فيه غناء قد ذكرته في أخباره.

صوت

فتاةٌ كأنَّ رضابَ^(١) العبير بفيها يُعَلُّ^(٢) به الزَّنجبيلُ

قتلتُ أباهَا على حُبِّها فتبخَلُ إنْ بخَلَّتْ أو تُنيلُ

[المقارب]

الشعر لخزيمة بن نهد، والغناء لطويس، خفيف رملٍ بالبِئصر عن يحيى المكي.

(١) الرضاب: الريق.

(٢) يعَلُّ به: يُمزج.

أخبار خزيمه بن نهـد ونسبه

هو خُزيمَةُ بن نهـد بن زيد بن ليث بن سُود بن أسلم بن الحاف بن قضاة .
شاعرٌ مقلٌّ من قدماء الشعراء في الجاهلية . وفاطمة التي عناها في شعره هذا : فاطمة
بنتُ يذكر بن عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار ، كان يهواها فخطبها من أبيها فلم يزوجه
إياها ، فقتله غيلة . وإياها عنى بقوله :

إذا الجوزاء^(١) أردفت^(٢) الثريا^(٣) ظننت بآل فاطمة الظنونا
[الوافر]

خزيمة يشبب بفاطمة بنت يذكر بن عنزة :

أخبرني بخبره محمد بن خلفٍ وكيعٌ قال : حدّثنا عبيد الله بن سعد الزبيري
قال : حدّثني عمّي قال : حدّثني أبي - أظنه عن الزهري - قال : كان بدءُ تفرّق بني
إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام عن تهامة ونزعهم عنها إلى الآفاق ، وخروج من
خرج منهم عن نفسه ، أنه كان أوّل من ظعن^(٤) عنها وأخرج منها قضاة بن معدّ .
وكان سبب خروجهم أن خزيمه بن نهـد بن زيد بن سود بن أسلم بن الحاف بن
قضاة بن معدّ كان مشؤوماً فاسداً ، متعرّضاً للنساء ، فعلق فاطمة بنتُ يذكر بن عنزة
- واسم يذكر عامر - فشبب بها وقال فيها :

إذا الجوزاء أردفت الثريا ظننتُ بآل فاطمة الظنونا
وحالت دون ذلك من همومي همومٌ تُخرِجُ الشجن^(٥) الدفينا
أرى ابنة يذكرٍ ظعنت ، فحلّت جنوبَ الحزن^(٦) يا شحطاً مبيناً^(٧)
[الوافر]

(١) الجوزاء : برج في السماء . (٢) أردفت : ألحقت خلفها .

(٣) الثريا : هي مجموعة كواكب في عنق الثور سُميت بذلك لكثرة كواكبها مع ضيق المحل .

(٤) ظعن : ارتحل .

(٥) الشجن : شدّة الحزن .

(٦) الحزن ، بسكون الزاي : ما غلظ من الأرض وارتفع .

(٧) الشحط المبين : البعد القصي .

مقتل يذكر بن عنزة:

قال: فمكث زماناً، ثم إن خزيمة بن نهد، قال ليذكر بن عنزة: أحب أن تخرج معي حتى نأتي بقرظ. فخرجا جميعاً، فلما خلا خزيمة بن نهد بيذكر بن عنزة قتله، فلما رجع - وليس هو معه - سأله عنه أهله، فقال: لست أدري، فارقني وما أدري أين سلك. فكان في ذلك شرٌّ بين قضاة نزار ابني معد، وتكلموا فيه فأكثروا، ولم يصحَّ على خزيمة عندهم شيء يطالبون به، حتى قال خزيمة بن نهد:

فتاة كأن رضاب العبير بفيها يُعلَّ به الزنجبيل^(١)
قتلت أباهَا على حبِّها فتبخلُ إن بخلت أو تنيلُ
[المقارب]

فلما قال هذين البيتين تثار الحَيَّان فاقتتلوا وصاروا أحزاباً، فكانت نزار بن معد، وهي يومئذٍ تنتسب فتقول: كندة بن جُنادة بن معد. وحاء وهم يومئذٍ ينتمون فيقولون حاء بن عمرو بن أد بن أد. وكانت قضاة تنتسب إلى معد، وعك يومئذٍ تنتمي إلى عدنان فتقول: عك عدنان بن أد، والأشعريون ينتمون إلى الأشعر بن أد. وكانوا يتبدون^(٢) من تهامة إلى الشام، وكانت منازلهم بالصفاح، وكان مرّ وعُسفان لربيعة بن نزار، وكانت قضاة بين مكة والطائف، وكانت كندة تسكن من الغمر إلى ذات عرق، فهو إلى اليوم يسمى غمر كندة. وإياه يعني عمر بن أبي ربيعة بقوله:

إذا سلكت غمر ذي كندة مع الصبح قصد لها الفرقدُ
هنا لك إمّا تُعزى الهوى وإما على إثرهم تكمَدُ
[المقارب]

وكانت منازل حاء بن عمرو بن أد، والأشعر بن أد، وعك بن عدنان بن أد، فيما بين جُدَّة إلى البحر.

القارطان:

قال: فيذكر بن عنزة أحد القارطين^(٣) اللذين، قال فيهما الهذلي:

وحَتَّى يؤوب^(٤) القارطان كلاهما ويُنشر في القتلى كليب لوائل
[الطويل]

(١) يُعلَّ به الزنجبيل: يُمزج به الزنجبيل وهو الخمرة.

(٢) يتبدون: يسكنون البادية.

(٣) القارط: هو من يجني ثمر السنط.

(٤) يؤوب: يعود، يرجع.

والآخر من عنزة، يقال له: أبو رُهم، خرج يجمع القرظ فلم يرجع ولم يُعرف له خبر.

انهزام قضاعة وقتل خزيمه بن نهدي:

قال: فلما ظهرت نزار^(١) على أن خزيمه بن نهدي قتل يذكر بن عنزة قاتلوا قضاعة أشد قتال، فهزمت قضاعة وقتل خزيمه بن نهدي وخرجت قضاعة متفرقين، فسارت تيم اللات بن أسد بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة، وفرقة من بني ربيعة بن ثور بن كلب بن وبرة، وفرقة من الأشعريين، نحو البحرين حتى وردوا هجر، وبها يومئذ قوم من النبط، فنزلت عليهم هذه البطون فأجلتهم، فقال في ذلك مالك بن زهير:

نزعنا من تهامة أي حي فلم تحفل بذاك بنو نزار
ولم أك من أنيسكم ولكن شرينا دار أنسية بدار
[الوافر]

فلما نزلوا هجر قالوا للزرقاء بنت زهير - وكانت كاهنة - ما تقولين يا زرقاء؟ قالت: «سَعَف وإهان»^(٢)، وتمر وألبان، خير من الهوان». ثم أنشأت تقول:

ودع تهامة لا وداع مخالق بذمامه لكن قلى^(٣) وملام
لا تُنكري هجراً مقام غريبة لن تعدمي من طاعنين تهام
[الكامل]

فقالوا لها: فما ترين يا زرقاء؟ فقالت: «مقام وتُنوخ، ما ولد مولود وأنقفت فروخ»^(٤)، إلى أن يجيء غراب أبقع، أصمع^(٥) أنزع^(٦)، عليه خلخال ذهب، فطار فألهب^(٧)، ونعق فنعب، يقع على النخلة السحوق^(٨) بين الدور والطريق، فسيروا على وتيرة، ثم الحيرة الحيرة!». فسُميت تلك القبائل تنوخ لقول الزرقاء: «مقام وتُنوخ».

(١) ظهرت نزار: علمت بما فعل خزيمه بذكر بن عنزة.

(٢) الإهان: عرجون النخل.

(٣) القلى، بكسر القاف: البغض والكراهية.

(٤) أنقفت فروخ: فقست، والفروخ، الواحد فرخ الطير.

(٥) الأصمع: صغير الأذن.

(٦) الأنزع: الأجلح وهو من انحسر شعره من جانبي جبهته.

(٧) ألهب: جد في طيرانه وأسرع.

(٨) النخلة السحوق: الطويلة المرتفعة في السماء.

ولحق بهم قوم من الأزد فصاروا إلى الآن في تنوخ، ولحق سائر قضاة موت ذريع؛ وخرجت فرقة من بني حُلوان بن عمران بن الحاف بن قُضاة يقال لهم: بنو تَزِيد، فنزلوا عبقرَ من أرض الجزيرة، فنسج نساؤهم الصوفَ وعملوا منه الزرابي^(١)؛ فهي التي يقال لها العبقرية، وعملوا البرود التي يقال لها التزيدية^(٢). وأغارت عليهم الترك فأصابتهم، وسبت منهم. فذلك قول عمرو بن مالك:

أَلَا لَّهِ لَيْلٌ لَمْ نَنَمْهُ على ذات الخضاب مجنَّبينا^(٣)
وليلتنا بآمد^(٤) لَمْ نَنَمْهَا كليتنا بمياً فارقينا^(٥)
[الوافر]

بهاء تلحق بالترك وتهزمهم:

وأقبل الحارث بن قُرَادٍ البهراني ليعيث في بني حُلوان، فعرض له أَبَاغُ بن سُلَيْح صاحبُ العين^(٦)، فاقتتلا، فقتل أَبَاغُ، ومضت بهراء حتى لحقوا بالترك، فهزموهم واستنقذوا ما في أيديهم من بني تَزِيد. فقال الحارث بن قُرَادٍ في ذلك:

كَأَنَّ الدَّهْرَ جُمِعَ فِي لَيْالٍ ثَلَاثِ بَيْتُهُنَّ بِشَّهْرٍ زَوْرٍ^(٧)
صَفَفْنَا لِلْأَعَاجِمِ مِنْ مَعَدٍّ صَفُوفاً بِالْجَزِيرَةِ كَالسَّعِيرِ
[الوافر]

سليح بن عمرو ونزولها ناحية فلسطين:

وسارت سُلَيْحُ بنُ عمرو بن الحاف بن قُضاة يقودها الحِدرجَانُ بن سلمة حتى نزلوا ناحية فلسطين على بني أَدِينَةَ بن السَّمِيدَعِ من عاملة. وسارت أسلم بن الحاف وهي عُدرة ونهدٌ وحوتكة وجُهينة والحارث بن سعد، حتى نزلوا من الحِجر إلى وادي القُرَى، ونزلت تنوخ بالبحرين سنتين. ثم أقبل غرابٌ في رجليه حلقتا ذهب وهم في مجلسهم، فسقط على نخلة في الطريق، فينشق نَعَقَاتٌ ثم طار؛ فذكروا قول الزرقاء، فارتحلوا حتى نزلوا الحيرة فهُم أَوَّلُ مَنْ اخْتَطَّهَا: منهم مالكُ بنُ زهير. واجتمع إليهم

(١) الزرابي: هو ما يتكأ عليه من الوسائد والبسط من فراش البيوت.

(٢) التزيدية: هي الأثواب المنسوبة إلى تَزِيد.

(٣) المجنبون: هم من انقطعت ألبان إبلهم.

(٤) آمد: هي ديار بكر، مدينة تركية على دجلة شرقي الأناضول.

(٥) مَيَّافَارِقِينَ: أشهر مدينة بديار بكر.

(٦) العين: هي العين المعروفة بعين أَبَاغ.

(٧) شهرزور: من مدن الفرس، وشهر تعني المدينة.

لَمَّا ابْتَنَوْا بِهَا الْمَنَازِلَ نَاسٌ كَثِيرٌ مِنْ سَقَّاطٍ^(١) الْقَرْىَ فَأَقَامُوا بِهَا زَمَانًا؛ ثُمَّ أَغَارَ عَلَيْهِمْ سَابُورُ^(٢) الْأَكْبَرُ، فَقَاتَلُوهُ فَكَانَ شِعَارُهُمْ يَوْمَئِذٍ: يَا آلَ عِبَادِ اللَّهِ! فَسُمُّوا الْعِبَادَ، وَهَزَمَهُمْ سَابُورٌ، فَصَارَ مَعْظَمُهُمْ وَمَنْ فِيهِ نَهَوْضٌ إِلَى الْحَضَرِ مِنَ الْجَزِيرَةِ يَقُودُهُمُ الضَّيِّزُ بْنُ مَعَاوِيَةَ التَّنُوحِي، فَمَضَى حَتَّى نَزَلَ الْحَضَرَ وَهُوَ بِنَاءُ بَنَاهِ السَّاطِرُونَ^(٣) الْجُرْمَقَانِي، فَأَقَامُوا بِهِ، وَأَغَارَتْ حِمِيرٌ عَلَى بَقِيَّةِ قِضَاعَةَ، فَخَيَّرُوهُمْ بَيْنَ أَنْ يُقِيمُوا عَلَى خَرَجٍ يَدْفَعُونَهُ إِلَيْهِمْ أَوْ يَخْرُجُوا عَنْهُمْ، فَخَرَجُوا - وَهُمْ كَلْبٌ، وَجَرْمٌ وَالْعَلَافُ، وَهُمْ بَنُو زَبَّانَ بْنِ تَغْلِبَ بْنِ حُلَوَانَ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ عَمِلَ الرِّحَالَ الْعِلَافِيَّةَ، - وَعَلَافٌ لِقَبِ زَبَّانَ - فَلَحَقُوا بِالشَّامِ، فَأَغَارَتْ عَلَيْهِمْ بَنُو كِنَانَةَ بْنِ خَزِيمَةَ بَعْدَ ذَلِكَ بِدَهْرٍ، فَقَتَلُوا مِنْهُمْ مَقْتَلَةً عَظِيمَةً، وَانْهَزَمُوا فَلَحَقُوا بِالسَّمَاءِ^(٤)، فَهِيَ مَنَازِلُهُمْ إِلَى الْيَوْمِ.

صوت

إِنِّي امْرُؤٌ كَفَّنِي رَبِّي وَنَزَّهَنِي عَنْ الْأُمُورِ الَّتِي فِي غَبِّهَا^(٥) وَخُمٌ^(٦)
وَأَنَا إِنْسَانٌ أَعِيشُ كَمَا عَاشَ الرِّجَالُ وَعَاشَتْ قَبْلِي الْأُمَمُ
[البسيط]

الشعر للمغيرة بن حبناء، من قصيدة مدح بها المهلب بن أبي صفرة، والغناء لأبي العُبَيْس بن حمدون ثَقِيلٌ أَوَّلُ بِالْبَنْصَرِ، وهو من مشهور أغانيه وجيدها.

(١) سَقَّاطُ الْقَرْىَ: هم النازلون في المدن من أماكن متفرقة.

(٢) سابور: هو سابور ذو الأكتاف، من أكاسرة الفرس.

(٣) الساطرون: من أكاسرة الفرس قتله سابور ذو الأكتاف وتولى الملك بعده.

(٤) السماء: بادية تقع بين الكوفة والشام.

(٥) الغب: العاقبة.

(٦) الوخم: الفاسد المضّر الذي لا يُوافق.

نسب المغيرة بن حبناء وأخباره

المغيرة بن حبناء بن عمرو بن ربيعة بن أسيد بن عبد عوف بن ربيعة بن عامر بن ربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم. وحبناء لقب غلب على أبيه واسمه جُبَيْر بن عمرو ولُقِّب بذلك لِحَبْنٍ^(١) كان أصابه. وهو شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية، وأبوه حبناء بن عمرو شاعرٌ، وأخوه صخر بن حبناء شاعر، وكان يهاجيه، ولهما قصائد يتناقضانها كثيرة، سأذكر منها طرفاً. وكان قد هاجى زياداً الأعجم فأكثر كل واحدٍ منهما على صاحبه وأفحش، ولم يغلب أحدٌ منهما صاحبه، كانا متكافئين في مهاجتهما ينتصف كل واحد منهما من صاحبه.

مديحه لطلحة الطلحات :

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال: أخبرني عبيد الله بن محمد بن عبد الملك الزيات قال: حدّثني الحسن بن جهور عن الجرمازي قال: قدم المغيرة بن حبناء على طلحة الطلحات الخزاعي ثم المليحي، أحد بني مليح، فأنشده قوله فيه:

رضاك وأرجو منك ما لست لاقيا
أحب، وأعصي في هواك الأدانيا
لتجزيني ما لا إخالك جازيا
تقصّر دوني^(٣) أو تحلّ ورائيا
لتمطرني عادت عجاجاً^(٥) وسافيا^(٦)
فأبّن ملاء غير دلوي كما هيا
من القوم حراً بالخسيسة راضيا
وإن تنأ عني تُلّفني عنك نائيا
[الطويل]

لقد كنت أسعى في هواك وأبتغي
وأبذل نفسي في مواطن غيرها
حفاظاً وتمسيكاً^(٢) لما كان بيننا
رأيتك ما تنفك منك رغبة
أراني إذا استمطرت منك رغبة^(٤)
وأدليت دلوي في دلاء كثيرة
ولست بلاقٍ ذا حفاظٍ ونجدة
فإن تدنّ مني تدنّ منك مودتي

(٢) التمسك: المصانعة والمداهنة.

(٣) تقصّر دوني: لا ينالني ردها.

(٤) استمطرت رغبة: طلبت إنعاماً رغبت فيه.

(٥) العجاج: الغبار.

(١) الحبن: ورم يصيب بطن ابن آدم.

(٦) السافي من الرياح: ما يحمل من غبار ورمال.

قال: فلما أنشد هذا الشعر، قال له: أما كنّا أعطيناك شيئاً؟ قال: لا. فأمر طلحة خازنه فأخرج دُرْجاً فيه حجارة ياقوت، فقال له: اختر حجرين من هذه الأحجار أو أربعين ألف درهم! فقال: ما كنت لأختار حجارة على أربعين ألف درهم! فأمر له بالمال. فلما قبضه سأله حجراً منها، فوهبه له فباعه بعشرين ألف درهم. ثم مدحه، فقال:

أرى الناس قد ملّوا الفَعَال ولا أرى بني خلف إلا زَوَاء المَوَارِد^(١)
إذا نفعوا عادوا لمن ينفعونه وكائن^(٢) ترى من نافع غير عائِد
إذا ما انجلت^(٣) عنهم غمامة غمرة^(٤) من الموت أجلت عن كرامِ مذاوِد^(٥)
تسود غطاريف^(٦) الملوك ملوكهم وما جدّهم يعلو على كل ماجِد
[الطويل]

مديحه للمهلب بن أبي صفرة:

أخبرني هاشم بن محمد، قال: حدّثنا المغيرة بن محمد المهلب عن رواية باهلة، أن المهلب بن أبي صفرة لما هزم قطري بن الفُجاءة بسابور^(٧) جلس للناس، فدخل إليه وجوههم يهنئونه وقامت الخطباء فأثنت عليه ومدحته الشعراء، ثم قام المغيرة بن حنبل في أخرياتهم فأنشده:

حال الشّجَا^(٨) دون طعم العيش والسهْر واعتاد عينك من إدمانها الدّرر^(٩)
واستحقّبتك^(١٠) أُمور كنت تكُرّها لو كان ينفع منها النَّأي^(١١) والحذر
وفي المَوَارِد^(١٢) للأقوام تهلكة إذا المَوَارِدُ لم يُعلم لها صدر
ليس العزيزُ بمن تُغشى محارمُه ولا الكريمُ بمن يُجفى ويُحتقر

(١) زَوَاء المَوَارِد: أي أن ماءهم يروي غليل العطاش بسبب عذوبة ماء مواردهم.

(٢) كائن: اسم كناية يعني الكثير.

(٣) إنجلت: إنكشفت.

(٤) غمامة غمرة: المصيبة العظيمة.

(٥) المذاود، الواحد مذود: حامي الجَمي.

(٦) الغطاريف، الواحد غطريف: السيد الشريف وسيد القوم الكريم.

(٧) سابور: كورة مشهورة في بلاد فارس.

(٨) الشّجَا: الهمّ والحزن.

(٩) درر الدمع: انهماره.

(١٠) استحقبتك: ادخرتك.

(١١) النَّأي: البعد.

(١٢) الموارِد، الواحد مورد، وموارد الأمور: مداخلها.

حتى انتهى إلى قوله :

إِلاَّ المَهْلَبُ بَعْدَ اللّٰه والْمَطَرُ
مِبارِكُ سَيِّبُهُ^(٢) يُرْجى وَيُنْتَظَرُ
كِلَاهِمَا نافعٌ فِيهِمْ إِذا افْتَقَرُوا
وَذا يَعِيشُ بهِ الْأَنْعام والشَّجَرُ
فَلا ربيعُثُهم تُرْجى وَلا مَضْرُ
والرَّأْسُ فِيهِ يَكُونُ السَّمْعُ والبَصْرُ
عَلَى مَنَازِلِ أَقْوامٍ إِذا ذُكِرُوا
فِيها يُعَدُّ جَسِيمُ الْأَمْرِ والْخَطَرُ
أَسبابٌ مَعْضَلَةٌ يَعِيا بِها البَشَرُ
مِنْه الْحِياءُ وَمِنْ أَخلاقه الْخَفَرُ^(٧)
يُخْزِي بهِ اللّٰه أَقْواماً إِذا غَدَرُوا
حِزْماً وَعِزْماً وَيَجْلُو وَجْهه السَّفَرُ
لَوْلا يَكْفُفُها^(٩) عَنْ مِصرَهم^(١٠) دَمَرُوا^(١١)
كَأَنما بَيْنَهم عِثْمانُ أَوْ عَمْرُ
إِذا تَكَنَّفَهم^(١٢) مِنْ هَوْلِها ضَرُرُ
يَنْتابُ نائِلُهُ^(١٤) الْبِادُونُ وَالْحَضَرُ
[البسيط]

أَمسى الْعِبادُ بَشَرٌ لاَّ غِياثَ لَهُم
كِلَاهِمَا طيِّبٌ تُرْجى نَوافِلُهُ^(١)
لاَّ يَجْمُدانِ^(٣) عَلَيْهِم عِنْدَ جِهادِهِم
هَذا يَذودُ^(٤) وَيَحْمِي عَنْ ذِمَّارِهِم^(٥)
وَاسْتَسْلَمَ النَّاسُ إِذْ حَلَّ الْعَدُوُّ بِهِم
وَأَنْتَ رَأْسٌ لأَهْلِ الدِّينِ مَنْتَخَبٌ
إِنِ الْمَهْلَبُ فِي الْأَيَّامِ فَضَّلَهُ
حِزْمٌ وَجُودٌ وَأَيَّامٌ لَهُ سَلَفَتْ
ماضٍ عَلَى الْهَوْلِ ما يَنْفَكُ مَرْتَحِلاً^(٦)
سَهْلُ الْخِلَائِقِ يَعْفُو عِنْدَ قَدْرَتِهِ
شِهَابٌ حَرْبٍ إِذا حَلَّتْ بِسَاحَتِهِ^(٨)
تَزِيدُهُ الْحَرْبُ وَالْأَهْوالُ إِنِ حَضَرَتْ
ما إِنِ يَزَالُ عَلَى أَرْجاءٍ مُّظْلَمَةٍ
سَهْلٌ إِلَيْهِمْ حَلِيمٌ عَنْ مِجَاهِلِهِم
كَهْفٌ يَلْودُونَ مِنْ ذُلِّ الْحِياةِ بِهِ
أَمِنْ لَخائِفِهِمْ فيضٌ لَسائِلِهِم^(١٣)

فلما أتى على آخرها قال المهلب : هذا والله الشعر ، لا ما نعلل به ، وأمر له
بعشرة آلاف درهم وفرسٍ جوادٍ ، وزاده في عطائه خمسمائة درهم .
والقصيدة التي منها البيتان اللذان فيهما الغناء المذكور بذكره أخبار المغيرة ، من

(١) نوافله : عطاياه .

(٣) لا يجمدان : لا يبخلان .

(٥) الذمار ، بكسر الهمزة : الحياض والجمى .

(٧) الخفر : الحياء .

(٩) يكففها : يدفعها عنه .

(١١) دمروا : هلكوا .

(١٣) السائل : المعتفي ، طالب الرشد .

(٢) السيب : الكرم .

(٤) يذود : يحمي ويدافع .

(٦) مرتحلاً : متصدياً لصعاب الأمور .

(٨) حلت بساحته : نزلت وحطت بساحته .

(١٠) المصير : البلد .

(١٢) تكنفهم : أحاط بهم من كل الجهات .

(١٤) نائله : عطاؤه .

قصيدة له مدح بها المهلب بن أبي صفرة أيضاً. وأولها:

أمن رسوم ديارِ هاجك القِدم^(١) وما يهيجُك من أطلال منزلة
بئس الخليفةُ من جارٍ تَضُنُّ به^(٧) دارُ التي كاد قلبي أن يُجنَّ بها
إذا تذكروها قلبي تضيِّفه والبين^(١٣) حين يروع^(١٤) القلبَ طائفه
إني امرؤ كَفَنِي ربي وأكرمني وإنما أنا إنسان أعيش كما
أَقَوْتُ^(٢) وأقفر منها الطَّفُّ والعلمُ^(٣) عَفَى^(٤) معالمها الأرواح^(٥) والديمُ^(٦)
إذا طربت أنافي^(٨) القدر والحُممُ^(٩) إذا ألم^(١٠) به من ذكرها لَمَمُ^(١١)
همُّ تضيِّق به الأحشاء والكَطْمُ^(١٢) يُبدي ويُظهر منهم بعض ما كتموا
عن الأمور التي في غبِّها وخمُ^(١٥) عاش الرجال وعاشت قبلي الأممُ
[البسيط]

سبب قوله قصيدة الصوت :

وهي قصيدة طويلة، وكان سببُ قوله إيَّاها أن المهلب كان أنفذ بعض بنيهِ في جيشٍ لقتال الأزارقة، وقد شدَّت منهم طائفةٌ تُغير على نواحي الأهواز، وهو مقيمٌ يومئذٍ بسابور، وكان فيهم المغيرةُ بن حبياء، فلما طال مُقامه واستقر الجيش لحق بأهله، فألَمَ بهم وأقام عندهم شهراً، ثم عاود، وقد قف الجيش إلى المهلب فقبل له: إن الكتابَ خطُّوا على اسمه، وكُتِبَ إلى المهلب أنه عصي وفارق مكتبه بغير إذن، فمضى إلى المهلب، فلما لقيه أنشده هذه القصيدة واعتذر إليه فعذره، وأمر بإطلاق

- (١) هاجك القدم: حرَّك مشاعرك طول العهد بتلك الديار.
- (٢) أقوت: أقفرت من ساكنيها.
- (٣) الطَّفُّ والعلم: موضعان.
- (٤) عَفَى معالمها: اندرست أطلالها ورسومها.
- (٥) الأرواح، الواحد ريح.
- (٦) الديم، الواحدة ديمة، بكسر الدال: الأمطار التي تدوم أياماً.
- (٧) تَضُنُّ به: تبخل به.
- (٨) الأنافي، الواحد أنفية: أحجار الموقد حيث توضع القدور للطبخ.
- (٩) الحُمم، بضم الحاء، الواحدة حُممة: الفحم.
- (١٠) ألَمَ بها: حلَّ بها.
- (١١) اللمم: ضرب من الجنون.
- (١٢) الكَطْم: مخرج نفس الإنسان.
- (١٣) البين: البعد.
- (١٤) يروع: يربع، يخيف.
- (١٥) غبها وخم: الغب: العاقبة والوخم: الفاسد المضر الذي لا يوافق.

عطائه وإزالة العتب عنه، وفيها يقول يذكر قدومه إلى أهله بغير إذن:

ما عاقني ^(١) عن قُفول الجند ^(٢) إذ قفلوا
ولو أردتُ قُفولاً ما تجهمني ^(٣)
إني ليعرفني راعي سريرهم
والطالبون إلى السلطان حاجتهم
فسوف تُبلغك الأنباء إن سلّمت
إن المهلّب إن أشق لرؤيته
إن الكريم من الأقوام قد علموا
والقائل الفاعل الميمون طائره
كم قد شهدت كراماً من مواطنه
أيام أيام إذ عضّ الزمان ^(١٠) بهم
وإذ يقولون: ليت الله يهلكهم
أيام سابور إذ ضاعت رباعتهم ^(١١)
إذ ليس شيء من الدنيا نصول به
وعاترات ^(١٥) من الخطّي ^(١٦) مُحَصَّدة

عِيّ بما صنعوا حولي ولا صممُ
إذن الأمير ولا الكتاب إذ رقموا
والمُحدجون ^(٤) إذا ما ابتلت الحُزْمُ
إذا جفا ^(٥) عنهم السلطان أو كرموا ^(٦)
لك الشواحج ^(٧) والأنفاس والأدُم ^(٨)
أو أمتدحه فإن الناس قد علموا
أبو سعيد إذا ما عُدت النعمُ
أبو سعيد وإن أعداؤه رغموا
ليست بغيث ولا تقوالهم زعموا ^(٩)
وإذ تمنى رجال أنهم هُزموا
والله يعلم لو زلت بهم قدمُ
لولاه ما أوطنوا داراً ^(١٢) ولا انتقموا
إلا المغافر ^(١٣) والأبدان ^(١٤) واللجمُ
نفضي بهنّ إليهم ثم ندعُمُ
[البسيط]

(١) عاقني: أخرجني.

(٢) قفول الجند: رجوعهم وعودتهم.

(٣) تجهمني: استقبلني بوجه مكفهر عبوس.

(٤) المُحدجون: هم الذين يشدون الأحداج على الإبل.

(٥) جفا السلطان: أعرض ونأى.

(٦) كرموا: هابوا.

(٧) الشواحج، الواحد شاحج: البغال.

(٨) الأدم من النياق: التي أشرب لونها سواداً أو بياضاً، والواحدة أدماء.

(٩) ولا تقوالهم زعموا: جاؤوا بقول كاذب.

(١٠) عضّ الزمان: كناية عن ضيق الحال ونزول الكوارث.

(١١) رباعتهم: ما كانوا عليه من الأمور.

(١٢) أوطنوا داراً: اتخذوها موطناً لهم.

(١٣) المغافر، الواحد مغفر، بكسر الميم: هو زرد من الدرع يوضع تحت القلنسوة.

(١٤) الأبدان، الواحد بدن: الدرع القصير.

(١٥) العاترات: المتحركات بسهولة للبنها.

(١٦) الخطّي: الرمح المنسوب إلى الخطّ، وهي بلدة تقع على شاطئ البحرين، حيث كانت تجلب الرّماح ثم تقوم وتصقل ثم تباع.

سبب التهاجي بين زياد الأعجم والمغيرة بن حنناء :

هكذا ذكر عمرو بن أبي عمرو الشيباني في خبر هذه القصيدة، ونسخت من كتابه . وذكر أيضاً في هذا الكتاب أن سبب التهاجي بين زياد الأعجم والمغيرة بن حنناء، أن زياداً الأعجم والمغيرة بن حنناء وكعباً الأشقري، اجتمعوا عند المهلب وقد مدحوه فأمر لهم بجوائز وفضل زياداً عليهم، ووهب له غلاماً فصيحاً يُشَدُّ شعره، لأن زياداً كان أَلْكَنَ لا يُفصح، فكان راويته يُشَدُّ عنه ما يقوله، فيتكلف له مؤونة، ويجعل له سهماً في صلاته، فسأل المهلب يومئذ أن يهب له غلاماً كان له يعرفه زياد بالفصاحة والأدب، فوهبه له فنفسوا عليه^(١) ما فضل به؛ فانتدب^(٢) له المغيرة من بينهم، فقال للمهلب: أصلح الله الأمير، ما السبب في تفضيل زياد علينا؟ فوالله ما يُغني غناءنا في الحرب، ولا هو بأفضلنا شعباً، ولا أصدقنا ودّاً، ولا أشرفنا أباً، ولا أفصحنا لساناً! فقال له المهلب: أما إني والله ما جهلت شيئاً مما قلت، وإن الأمر فيكم عندي لمتساوٍ، ولكن زياداً يُكرِّم لِسَنَّهُ وشعره وموضعه من قومه، وكلُّكم كذلك عندي، وما فضلت به بما يُنْفَسُ به، وأنا أعوضكم بعد هذا بما يزيد على ما فضلت به . فانصرف، وبلغ زياداً ما كان منه، فقال يهجو:

أرى كل قوم ينسل^(٣) اللؤم عندهم ولؤم بني حنناء ليس بناسل
يشبُّ مع المولود مثل شبابه ويلقاه مولوداً بأيدي القوابل^(٤)
ويُرْضَعُه من ثدي أمٍّ لئيمة ويُخْلَقُ من ماءٍ امرئٍ غير طائل^(٥)
تعالوا فعدّوا في الزمان الذي مضى وكل أناسٍ مجدهم بالأوائل
لكم بفعالٍ يعرف الناس فضله إذا ذكر الأملاء^(٦) عند الفضائل
فغازيكم في الجيش ألام من غزا وقافلکم^(٧) في الناس ألام قافل
وما أنتم من مالٍ غير أنكم كمغرورة بالبو^(٨) في ظل باطل

(١) نفسوا عليه: حسدوه .

(٢) انتدب له المغيرة: تصدّى له .

(٣) ينسل: يبدو . وفي الأصل أخذت العبارة من نسل ريش الطائر: سقط .

(٤) القوابل، الواحدة قابلة: الداية .

(٥) الطائل من الرجال: الخسيس .

(٦) الأملاء، جمع ملا من الأشراف: وهم يلفتون الأنظار بما يملكون من مزايا رفيعة .

(٧) القافل: العائد .

(٨) مغرورة بالبو: أي الناقة المخدوعة بجلد صغيرها الذي ذبح لتدرّ لبنها عندما تراه .

بنو مالك زُهرُ الوجوه^(١) وأنتم تبين ضاحي لؤمكم في الجحافل^(٢)
[الطويل]

يعني برصاً كان بالمغيرة بن حبناء.

أخبرني عبيد الله بن محمد الرازي قال: حدثنا أحمد بن الحارث الخزاري قال:
حدثني المدائني قال:

عير زياد الأعجم المغيرة بن حبناء في مجلس المهلب بالبرص، فقال له
المغيرة: إن عتاق الخيل لا تشينها الأوضاح^(٣)، ولا تعير بالغرر والحجول، وقد قال
صاحبنا بلعاء بن قيس لرجل عيره بالبرص: «إنما أنا سيف الله جلاه واستله على
أعدائه» فهل تُغني يا ابن العجماء غنائي، أو تقوم مقامي؟ ثم نشب الهجاء بينهما.

نسخت من نسخة ابن الأعرابي، قال: كان المغيرة بن حبناء يوماً يأكل مع
المفضل بن المهلب، فقال له المفضل:

فلم أر مثل الحنظلي ولونه أكيل كرام أو جليس أمير
[الطويل]

فرفع المغيرة يده وقام مغضباً، ثم قال له:

إني امرؤ حنظلي حين تنسبني لام^(٤) العتيك ولا أخوالي العوق^(٥)
[البسيط]

- العوق من يشكر، وكانوا أخوال المفضل -.

لا تحسبن بياضاً في منقصة إن اللّهاميم^(٦) في ألوانها بلق
[البسيط]

وبلغ المهلب ما جرى، فتناول المفضل بلسانه وشتمه، وقال: أردت أن يتمصغ
هذا أعراضنا، ما حملك على أن أسمعته ما كره بعد مواكلتك إياه؟ أما إن كنت تعافه
فاجتنبه أو لا تؤذه. ثم بعث إليه بعشرة آلاف درهم، واستصفحه عن المفضل، واعتذر
إليه عنه، فقبل رِفده وعذره، وانقطع بعد ذلك عن مواكلة أحدٍ منهم.

(١) زهر الوجوه: كناية عن نباههم وحسن مظهرهم.

(٢) الجحافل، جمع جحفل: الحشد العظيم من الجند والقوم.

(٣) الأوضاح، الواحد وضح: التحجيل في القوائم بالبياض.

(٤) م: مخففة من «من» بحذف النون.

(٥) العتيك والعوق: من قبائل العرب.

(٦) اللّهاميم، الواحد لهموم: الجواد من الخيول.

مناقضات زياد الأعجم والمغيرة بن حبناء :

- رجع الخبر إلى سياقته مع زياد والمغيرة - فقال المغيرة يجيب زياداً :

أزيادُ إنك والذي أنا عبده
فألحق بأرضك يا زيادُ ولا ترُم
أظننتَ لؤمك يا زيادُ يسدُّه
عِلج تعصَّبَ ثم راق بقوسه^(٢)
ألقي العصابة يا زيادُ فإنما
واعلم بأنك لست مني ناجياً
تهجو الكرامَ، وأنت الأُمُّ من مشى
ولقد سألت بني نزارٍ كلَّهم
بالله مالكَ في معدِّ كلِّها
فقال زياد يجيبه :

ما دون آدمَ من أبٍ لك يُعلمُ
ما لا تطيق وأنت عِلج^(١) أعجمُ
قوسٌ سترتَ بها قفاك وأسهمُ
والعِلج تعرفه إذا يتعمَّمُ
أخزأك ربي إذ غدوتَ ترنَّمُ
إلا وأنت ببَظُر^(٣) أمك ملجمُ
حسباً، وأنت العِلج حين تكلمُ
والعالمين من الكهول فأقسموا
حسبٌ وإنك يا زيادُ مؤذَمُ^(٤)
[الكامل]

ألم تر أنني وتَّرت قوسي
عوى فرميته بسهام موتٍ
وكنْتُ إذا غمزْتُ قناة قوم^(٥)
هم الحشو القليل لكل حيٍّ
فلمست بسابقي هَرماً ولما
فحاول كيف تنجو من وقاعي

لأبقع من كلاب بني تميم
كذلك يُردُّ ذو الحمق اللئيمُ
كسرتُ كعوبها أو تستقيمُ
وهم تبعُ كزائدة الظليم^(٦)
يمرُّ على نواجذك^(٧) القدومُ^(٨)
فإنك بعد ثالثة^(٩) رميمُ^(١٠)

(١) العِلج، بكسر العين: الرجل من كفار العجم.

(٢) راق بقوسه: نبه بفضلِه وزاد فضلاً.

(٣) البظر: هنة بين أسكتي فرج المرأة.

(٤) المؤذَم من الكلاب: هو ما جعلت في عنقه قلادة.

(٥) غمز قناة قوم: ذكر مفاسدهم.

(٦) الظليم: ذكر النعام، وزائدة الظليم: هنة وراء ظلفه.

(٧) النواجذ: الأضراس.

(٨) القدوم، بفتح القاف: آلة النجار ينحت بها الأخشاب.

(٩) بعد ثالثة: يقصد بذلك الليلة الثالثة.

(١٠) رميم: هالك.

سراتُكم الكلابُ البُقْع فيكم للؤمكم وليس لكم كريمٌ
فقد قدّمتْ عبودتكم ودمتم على الفَحْشاء والطبع اللئيم
[الكامل]

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي، قال: حدثنا عمر بن شَبّة قال: حدثنا
المدائني قال: قال زياد الأعجم يهجو المغيرة بن حنّاء:

عجبتُ لأبيض الخُصيينِ عبدٍ كأنَّ عِجانه ^(١) الشُّعري العبور ^(٢)
[الوافر]

ف قيل له: يا أبا أمّامة، لقد شرفته إذ قلت فيه:

كأنَّ عِجانه الشُّعري العبور

ورفعت منه. فقال: سأزيده رفعةً وشرفاً، ثم قال:

لا يبرحُ الدهرَ منهم خارئٌ أبداً إلا حسبتَ على بابِ استه القمرأ
[البسيط]

قال، وتقاولا في مجلس المهلب يوماً، فقال المغيرة لزياد:

أقول له وأنكر بعض شأني ألم تعرف رقاب بني تميم؟
[الكامل]

فقال له زياد:

بلى فعرفتُهنَّ مقصّراتٍ جباهَ مذلّةٍ وسِبالٍ لوم ^(٣)
[الوافر]

المغيرة يهجو زياداً بتحريض من ربيعة:

نسخت من كتاب عمرو بن أبي عمرو الشيباني، قال: كانت ربيعة تقول لزيادٍ
الأعجم: يا زياد، أنت لساننا، فاذب ^(٤) عن أعراضنا بشعرك، فإنّ سيفنا معك.
فقال المغيرة بن حنّاء فيه، وقد بلغه هذا القول من ربيعة له:

يقولون: ذبّ يا زياد ولم يكن ليوقظ في الحرب الملمة نائماً
ولوأنهم جاؤوا به ذا حفيظةٍ فيمنعهم أو ماجداً أو مراغماً

(١) العجان، بكسر العين: القضيبي الممدود من الخصية إلى الدبر.

(٢) الشُّعري العبور: كوكب يطلع في الجوزاء ويصادف طلوعه في شدة الحرّ.

(٣) السبال، الواحدة سبلة: مقدّم الشعر أو مجتمعه في الذقن.

(٤) ذبّ: حام ودافع عن أعراضنا.

ولكنهم جاؤوا بأقلف^(١) قد مضت
لئيماً ذميماً أعجمياً لسانه
وما خلّت عبد القيس إلا نفاية^(٢)
إذا كنت للعبدّي جاراً فلا تزل
أناساً يُعدّون الفساء لجارهم
من الفسوّ يقضون الحقوق عليهم
لهم زجل^(٣) فيه إذا ما تجاوبوا
لعمرك ما نجّى ابن زروان إذ عوى
أظنّ الخبيث ابن الخبيثين أنني
لعمرك لا تهدي ربيعة للحججا^(٤)
له حجج سبعون يُصبح رازماً^(٥)
إذا نال ذنّاً^(٦) لم يبال المكارما
إذا ذكر الناس العُلا والعظائم
على حذرٍ منه إذا كان طاعماً
إذا شبعوا عند الجُبة الدراهما
ويُعطون مولاهاهم إذا كان غارماً
سمعت زفيراً فيهم وهماهما^(٧)
ربيعه من يوم ذلك سالماً
أسلم عرضي أو أهاب المقاوماً؟
إذا جعلوا يستنصرون الأعاجما
[الطويل]

عبد القيس تعتذر إلى المغيرة :

قال : فجاءت عبد القيس إلى المغيرة ، فقالوا : يا هذا ، ما لنا ولك ، تعمّنا بالهجاء لأنّ
نبحك ممّا كلب ، فقال : وقلت ، قد تبرأنا إليك منه ، فإن هجأك فاهجّه ، وخلّ عتاً
ودعنا ، وأنت وصاحبك أعلم ، فليس ممّا له عليك ناصر . فقال :

لعمرك إنني لابن زروان إذ عوى
وما لك أصل يا زياد تعدّه
ألم تر عبد القيس منك تبرأت
وما طاش سهمي عنك يوم تبرأت
ولا غاب قرن الشمس^(٨) حتى تحدّثت
لمحتقر في دعوة الودّ زاهد
وما لك في الأرض العريضة والد
فلاقيت ما لم يلق في الناس واحد
لُكيز بن أفضى منك ، والجنّد حاشد
بنفيك سُكّان القرى والمساجد
[الطويل]

- رفع «المساجد» ، لأنه جعل الفعل لها ، كأنه قال : وأهل المساجد ، كما

(١) الأقلف : هو العظيم القلفة الذي لم يختن ، والمعنى هنا الأقلف القلب أي الذي لا يعي خيراً .

(٢) الرازم : من لا يقدر على النهوض لشدة هزاله وضعفه .

(٣) الدنّ : وعاء الخمر .

(٤) النفاية ، بضم النون : الردئ .

(٥) الزجل : الصوت .

(٦) الهماهم : ترديد الأسد صوته في صدره .

(٧) قرن الشمس : ناحيتها .

قال الله عز وجل: ﴿وَسَلِّ الْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢]. وتحدثت المساجد، وإنما يريد من يصلي فيها) -.

فأصبحت عِلْجاً من يزرك ومن يزّر
وأصبحن قُلُفاً^(٢) يغتزلن بأجرة
نَفَرْنَ مِنَ المَوسَى وأقررنَ بالتي
بإِصْخَر^(٥) لم يلبسن من طول فاقَةٍ^(٦)
وما أنت بالمنسوب في آل عامرٍ
ولا رببتك الحنظليّة إذ غذت
ولكن غذاك المشركون وزاحمت
ولم أر مثلي يا زياداً! بعرضه
ولو أنني غشيتك السيف لم يقل
بناتك يعلم أنهنّ ولائد^(١)
حواليك لم تجرح بهن الحدائد^(٣)
يقرّ عليها المقرّفات الكواسد^(٤)
جديداً ولا تُلقى لهن الوسائد
ولا ولدتك المحصنات المواجد^(٧)
بنيها ولا جيبك عليك القلائد^(٨)
قفاك وخديك البُطور العوارد^(٩)
وعرضك يستبان^(١٠) والسيف شاهد
إذا متّ إلا مات عِلْجٌ معاهد^(١١)
[الطويل]

المغيرة وجوائز المهلب :

ونسخت من كتاب عمرو بن أبي عمرو أيضاً، قال: رجع المغيرة بن حبناء إلى أهله وقد ملأ كَفْيَهُ بجوائز المهلب وصلاته والفوائد منه، وكان أخوه صخر بن حبناء أصغر منه، فكان يأخذ على يده وينهاه عن الأمر يُنكر مثله، ولا يزال يتعتّب عليه في الشيء بعد الشيء ممّا ينكره عليه، فقال فيه صخر بن حبناء:

(١) الولائد، الواحدة وليدة: الجواري.

(٢) القلف، الواحد أقلف: من لم يختتن.

(٣) لم تجرح بهن الحدائد: أي لم تستعمل في ختانهن.

(٤) المقرّفات، الواحدة مقرّفة: الهجينات في أصولهن.

(٥) إصطخر: من بلاد الفرس.

(٦) طول الفاقّة: شدّة الحاجة.

(٧) المحصنات المواجد: النيبات في أحسابهن وأصولهن.

(٨) جيبك عليك القلائد: وضعت القلائد، الواحدة قلادة: وهي ما تضعه المرأة في عنقها.

(٩) العوارد، الواحدة عاردة: إنها الغليظة من البطور المنتصبة.

(١٠) يَسْتَبَان: يتشّاتمان.

(١١) العِلْج: هو من كفار العجم وكبارهم. والمعاهد: من أهل الذمّة.

صخر والمغيرة يتلاحيان لما تعتب المغيرة عليه :

رَأَيْتُكَ لَمَّا نِلْتَ مَا لَّا وَعَضَّنَا زَمَانٌ نَرَى فِي حَدِّ أَنْيَابِهِ شَغْبًا^(١)
تَجَنَّى عَلَيَّ الدَّهْرَ أَتَيْ مَذْنَب فَأَمْسَكُ وَلَا تَجْعَلْ غِنَاكَ لَنَا ذَنْبًا
[الطويل]

فقال المغيرة يجيبه :

لَحَا اللَّهُ أَنَا عَنْ الضَّيْفِ بِالْقَرَى وَأَقْصَرْنَا عَنْ عِرْضِ وَالِدِهِ دَبًّا
وَأَجْدَرْنَا أَنْ يَدْخُلَ الْبَيْتَ بِأَسْتِهِ إِذَا الْقُفُّ^(٢) دَلَى مِنْ مَخَارِمِهِ^(٣) رَكْبًا
أَأَنْبَأكَ الْأَفَّاكَ عَنِّي أَنَّنِي أَحْرَكَ عَرْضِي إِنْ لَعَبْتَ بِهِ لَعِبًا
[الطويل]

أخت صخر تشكوه إلى المغيرة :

ونسخت من كتاب عمرو بن أبي عمرو، قال : جاءت أخت المغيرة بن حنبل إليه تشكو أخاها صخرًا، وتذكر أنه أسرع في مالها وأتلفه، وأنها منعتة شيئاً يسيراً بقي لها، فمدَّ يده إليها وضربها، فقال له المغيرة معنفاً :

أَلَا مِنْ مَبْلَغٍ صَخْرَ بْنَ لَيْلَى فَإِنِّي قَدْ أَتَانِي مِنْ نَثَاكَ^(٤)
رِسَالَةٌ نَاصِحٍ لَكَ مُسْتَجِيبٍ إِذَا لَمْ تَرْعَ حَرَمَتَهُ رَعَاكَ
وَصَوْلٍ لَوْ يَرَاكَ وَأَنْتَ رَهْنٌ تُبَاعُ، بِمَالِهِ يَوْمًا فَدَاكَ
يَرَى خَيْرًا إِذَا مَا نِلْتَ خَيْرًا وَيَشْجِي^(٥) فِي الْأُمُورِ بِمَا شَجَاكَ
فَإِنَّكَ لَا تَرَى أَسْمَاءَ أَخْتَا وَلَا تَرِيَنِّي أَبْدًا أَخَاكَ
فَإِنْ تَعْنُفَ بِهَا أَوْ لَا تَصِلْهَا فَإِنَّ لَأَمَّهَا وَلَدًا سِوَاكَ
يَبْرُ وَيَسْتَجِيبُ إِذَا دَعْتَهُ وَإِنْ عَاصِيَتُهُ فِيهَا عَصَاكَ
وَكُنْتَ أَرَى بِهَا شَرْفًا وَفَضْلًا عَلَى بَعْضِ الرِّجَالِ وَفَوْقَ ذَاكَ
جَزَانِي اللَّهُ مِنْكَ وَقَدْ جَزَانِي وَمَتَّى فِي مَعَاتِبِنَا^(٦) جَزَاكَ

(١) الشغب : إثارة الشر والفوضى .

(٢) قُفٌّ، بضم القاف : ما غلظ من الأرض وارتفع .

(٣) المخارم، الواحد مخرم : الطرق في الجبال .

(٤) النثا، يفتح النون : هو ما أخبرت به عن رجل من حسن أو سيئ .

(٥) يشجي : يحزن .

(٦) المعاتب، الواحدة معتبة : الملامة .

وَأَعْقَبَ أَصْدَقَ الْخَصْمِينَ قَوْلًا وَوَلَّى اللُّؤْمَ أَوْلَانَا بِذَاكَ
فَلَا وَاللَّهِ لَوْلَمْ تَعْصِ أَمْرِي لَكُنْتَ بِمَعَزِلٍ عَمَّا هُنَاكَ

[الوافر]

قال: فأجابه أخوه صخر بن حبناء فقال:

أَتَانِي عَنْ مُغِيرَةَ ذَرُوءُ قَوْلٍ^(١) تَعَمَّدَهُ فَقُلْتُ لَهُ: كَذَاكَ
يَعْمُ بِهِ بَنِي لَيْلَى جَمِيعًا فَوَلَّ هَجَاءَهُمْ رَجُلًا سَوَاكَ
فَإِنْ تَكُ قَدْ قَطَعْتَ الْوَصْلَ مِنِّي فَهَذَا حِينَ أَخْلَفَنِي مُنَاكَ
تُثْمِّنِي إِذَا مَا غِبْتَ عَنِّي وَتُخْلَفَنِي مِنَايَ إِذَا أَرَاكَ
وَتَوَلِّينِي مَلَامَةَ أَهْلِ بَيْتِي وَلَا تَعْطِي الْأَقَارِبَ غَيْرَ ذَاكَ
فَإِنْ تَكُ أَخْتَنَّا عَتَبْتَ عَلَيْنَا فَلَا تَصْرِمُ^(٢) لظَّنِّهَا أَخَاكَ
فَإِنْ لَهَا إِذَا عَتَبْتَ عَلَيْنَا رِضَاهَا صَابِرِينَ لَهَا بِذَاكَ
وَإِنْ تَكُ قَدْ عَتَبْتَ عَلَيَّ جَهْلًا فَلَا وَاللَّهِ لَا أَبْغِي رِضَاكَ
فَقَدْ أَعْلَنْتُ قَوْلَكَ إِذْ أَتَانِي فَأَعْلِنَ مِنْ مَقَالِي مَا أَتَاكَ
سَيُغْنِي عَنْكَ صَخْرًا رَبُّ صَخْرِ كَمَا أَغْنَاكَ عَنْ صَخْرٍ غَنَاكَ
وَيُغْنِيَنِي الَّذِي أَغْنَاكَ عَنِّي وَيَكْفِينِي إِلَهَ كَمَا كَفَاكَ
أَلَمْ تَرْنِي أَجُودُ لَكُمْ بِمَالِي وَأَرْمِي بِالنَّوَاقِرِ^(٣) مِنْ رِمَاكَ
وَإِنِّي لَا أَقُودُ إِلَيْكَ حَرْبًا وَلَا أَعْصِيكَ إِنْ رَجُلٌ عَصَاكَ
وَلَكِنِّي وَرَاءَكَ شَمَّرِي^(٤) أَحَامِي - قَدْ عَلِمْتَ - عَلَى حَمَاكَ
وَأَدْفَعُ أَلْسِنَ الْأَعْدَاءِ عَنْكُمْ وَيَعْنِينِي^(٥) الْعَدُوُّ إِذَا عَنَاكَ
وَقَدْ كَانَتْ قُرَيْبُهُ ذَاتَ حَقٍّ عَلَيْكَ فَلَمْ تُطَالِعْهَا بِذَاكَ
رَأَيْتُ الْخَيْرَ يُقْصِرُ مِنْكَ دُونِي وَتَبْلُغُنِي الْقَوَارِصُ مِنْ أَذَاكَ

[الوافر]

ونسخت من كتاب عمرو بن أبي عمرو أيضاً قال: كان حبناء بن عمرو قد

(٢) تصرم: تقطع.

(١) ذرو قول: طرف منه.

(٣) النواقر، الواحدة ناقرة: المصائب والبلايا.

(٤) شمري: هو من يمضي في الأمور.

(٥) يعنيني: يقصديني.

غضب على قومه في بعض الأمر، فانتقل إلى نجران، وحمل معه أهله وولده، فنظرت امرأته سلمى إلى غلام من أهل نجران يضرب ابنه المغيرة - وهو يومئذ غلام - فقالت لحبناء: قد كنت غنياً عن هذا الذل، وكان مقامك بالعراق في قومك أو في حي قريب من قومك أعز لك! فقال حبناء في ذلك:

تقول سليمى الحنظلية لابنها غلام بنجران الغداة غريب
رأت غلمة ثاروا إليه بأرضهم كما هرّ كلب^(١) الدار بين كليب
فقالت: لقد أجرى أبوك لما ترى وأنت عزيز بالعراق مهيب
[الطويل]

وقال أيضاً:

لعمرك ما تدري أشيء تريده إليك أم الشيء الذي لا تحاوله
متى ما يشأ مستقبس الشر^(٢) يلقيه سريعاً وتجمعه إليه أنامله
[الطويل]

أخبرني عيسى بن الحسن الوراق، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثني أبو الشبل النضري، قال: كان المغيرة بن حبناء أبرص، وأخوه صخر أعور، وأخوه الآخر مجذوماً، وكان بأبيهم حين^(٣)، فلقب حبناء - واسمه جبير بن عمرو - فقال زياد الأعجم يهجوهم:

إن حبناء كان يدعى جبيراً فدعوه من لؤمه حبناء
ولد العور منه والبُرص والجذ مى^(٤)، وذو الداء يُنتج الأدواء
[الخفيف]

فيقال: إن هذه الأبيات كانت آخر ما تهاجيا به؛ لأن المغيرة قال - وقد بلغه هذا الشعر -: ما ذنبنا فيما ذكره، هذه أدواء ابتلانا الله عز وجل بها، وإنني لأرجو أن يجمع الله عليه هذه الأدواء كلها! فبلغ ذلك زياداً من قوله، وإنه لم يهجه بعقب هذه الأبيات، ولا أجابه بشيء، فأمسك عنه. وتكافأ.

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد، قال: حدثنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعي

(١) هرّ الكلب: صوّت.

(٢) مستقبس الشر: مثير ناره.

(٣) الجبن، بكسر الحاء: الدملة المقيحة.

(٤) الجذامى، الواحد أجذم: المقطوع اليد، أو الذاهب الأنامل.

عن عمه، وأخبرني به الحسن بن علي عن ابن مهرويه عن أبيه عن الأصمعي، قال؛
لم يقل أحد في تفضيل أخ على أخيه وهما لأب وأم، مثل قول المغيرة بن
حباء لأخيه صخر:

أبوك أبي وأنت أخي ولكن تفاضلت الطبائع والظُروفُ
وأُمك حين تُنسب أم صدق ولكنَّ ابنها طبعٌ ^(١) سخيْفٌ ^(٢)
[الوافر]

قال: وكان عبدُ الملك بن مروان إذا نظر إلى أخيه معاوية - وكان ضعيفاً -
يتمثل بهذين البيتين.

قول الحجاج في يزيد بن المهلب:

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثني أحمد بن محمد بن جُدان، قال:
حدثني أحمد بن محمد بن مَخْلَدٍ المهلبِيّ، قال:
نظر الحجاج إلى يزيد بن المهلب يخطر في مشيته، فقال: لعن الله المغيرة بن
حباء حيث يقول:

جميلُ المحيّا بخترِي ^(٣) إذا مشى وفي الدرعِ ضخمُ المنكبين شناقٌ ^(٤)
[الطويل]

فالتفت إليه يزيد، فقال: إنه يقول فيها:

شديدُ القوى من أهل بيتٍ إذا وهى ^(٥) منَ الدين فتقٌ ^(٦) حُمّلوا فأطاقوا ^(٧)
مراجيحٌ ^(٨) في اللاؤاء ^(٩) إن نزلت بهم ميامينٌ قد قادوا الجيوش وساقوا
[الطويل]

أخبرني محمد بن مزيد، قال: حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه، قال: حدثني
من حضر ابن حباء لما قتل - وهو وجود بنفسه - فأخذ بيده من دمه - وكتب بيده
على صدره: «أنا المغيرة بن حباء». ثم مات.

(١) الطبع، بفتح الطاء وكسر الباء: اللثيم الطبع والأخلاق.

(٢) السخيف: قليل العقل لا يحسن التصرف. (٣) البخترى: هو من يمشي مشية الخيلاء.

(٤) الشناق، بكسر الشين: الطويل. (٥) وهى: ضعف.

(٦) الفتق: التملص والإنشقاق. (٧) أطاقوا: بذلوا ما بوسعهم.

(٨) مراجيح: ذوو أحلام يغفرون لمن أساء لهم.

(٩) اللاؤاء: الشدة والمحنة.

صوت

بسَطْتُ رابِعَةَ الحبل لَنَا فَوَصَلْنَا الحبل مِنْهَا مَا اتَّسَعُ^(١)
 كَيْفَ تَرْجُونَ سِقَاطِي بَعْدَ مَا جَلَّلَ الرَّأْسَ بِيَاضٍ وَصَلَعُ
 رُبِّ مَنْ أَنْضَجْتُ غِيظاً صَدْرَهُ قَدْ تَمَنَّى لِي مَوْتاً لَمْ يُطْعَ
 وَيَرَانِي كَالشَّجَا^(٢) فِي حَلْقِهِ عَسِيراً مَخْرُجُهُ مَا يَنْتَزِعُ
 وَيَحْيِيَّيْنِي إِذَا لَاقِيَتْهُ وَإِذَا أَمَكِنَ مِنْ لَحْمِي رَتَعُ^(٣)
 وَأَبَيْتُ اللَّيْلَ^(٤) مَا أَهْجَعَهُ وَبَعَيْنِي إِذَا النَّجْمُ طَلَعُ
 [الرمل]

الحبل هاهنا: الوصل؛ والحبل أيضاً: السبب يتعلّق به الرجل من صاحبه، يقال: عَلِقْتُ مِنْ فُلَانٍ بِحَبْلٍ؛ والحبل: العهد، والميثاق، والعقد يكون بين القوم؛ وهذه المعاني كلّها تتعاقب ويقوم بعضها مقام بعض. والشجا: كلُّ ما اغتُصَّ به من لقمة أو عظم أو غيرهما.

الشعر لسويد بن أبي كاهل الشكري، والغناء لعلّويه، ثاني ثقيل بالبنصر، عن عمرو بن بانه في الأول والثاني من الأبيات، وليونس الكاتب في الثالث والرابع والثاني ماخوري بالوسطى، عن علي بن يحيى، والهشامي. ولمالك فيها ثقيل بالبنصر، عن الهشامي أيضاً، ولا بن سُرَيْج فيها خفيف ثقيل، عن علي بن يحيى.

(١) اتّسع: امتدّ، واتسع الحبل: كناية عن حسن العلاقة.

(٢) الشجا: كلُّ ما اغتُصَّ به من لقمة أو عظم أو سواه.

(٣) رتع: أكل ونعم بما يحصل عليه من خير.

(٤) دجا الليل: أرخى سدوله، والشاعر يقصد الحوادث الجسم والمصائب.

أخبار سويد بن أبي كاهل ونسبه

سُوَيْد بن أَبِي كاهل بن حارثة بن حِسل بن مالك بن عبد سعد بن جُشم بن ذبيان بن كنانة بن يشكر. وذكر خالد بن كلثوم أنَّ اسم أبي كاهل شبيب، ويكنى سويد أبا سعد.

أنشدني وكيعٌ عن حمادٍ، عن أبيه، لسويد بن أبي كاهل شاهداً بذلك:

طبقة سويد:

وجعله محمد بن سلامٍ في الطبقة السادسة، وقرّنه بعنترة العبسي وطبقته.

وسويد شاعر متقدّم من مخضرمي الجاهلية والإسلام، كذلك ذكر ابن حبيب. وكان أبوه أبو كاهل شاعراً، وهو الذي يقول:

كَأَنَّ رَحْلِي عَلَى صَقْعَاءَ^(١) حَادِرَةٍ^(٢) طَيًّا^(٣) قَدْ ابْتَلَّ مِنْ طَلٍّ^(٤) خَوَافِيهَا
[البسيط]

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي، قال: حدثنا محمد بن إسحاق البغوي، قال: حدثنا أبو نصر صاحب الأصمعي أنه قرأ شعر سويد بن أبي كاهل على الأصمعي، فلما قرأ قصيدته:

بَسَطْتُ رَابِعَةَ الْحَبْلِ لَنَا فَوَصَلْنَا الْحَبْلَ مِنْهَا مَا اتَّسَعَ
[الرمل]

فَضَّلَهَا الْأَصْمَعِيُّ، وقال: كانت العرب تفضّلها وتقدّمها وتعدّها من حكمها. ثم قال الأصمعي: حدثني عيسى بن عمر أنّها كانت في الجاهلية تسمّى: «اليتيمة».

(١) الصقعاء من الخيول والطيور: ما كان في وسط رأسها بياض.

(٢) الحادرة، من الحدودرة: وهي كلّ ما انحطّ من أعلى إلى أسفل.

(٣) الطيّاً، مؤنثة الطيان: هو الشديد الجوع.

(٤) الطلّ: المطر الضعيف.

بين سويد وزیاد الأعجم :

أخبرني محمد بن خلف وكيع، قال: حدثني محمد بن الهيثم بن عدي، قال: حدثنا عبد الله بن عباس، قال:

قال زياد الأعجم يهجو بني يشكر:

إذا يشكري مَسَّ ثوبك ثوبه فلا تذكرن الله حتى تطهرا
فلو أن من لؤم تموت قبيلة إذا لأمات اللؤم لا شك يشكرا
[الطويل]

قال: فأتت بنو يشكر سويد بن أبي كاهل ليهجو زياداً، فأبى عليهم، فقال زياد:

وأنبتتهم يستصرخون ابن كاهل وللؤم فيهم كاهل^(١) وسنام^(٢)
فإن يأتينا يرجع سويد ووجهه عليه الخزايا غبرة وقتام^(٣)
دعي إلى ذبيان طورا، وتارة إلى يشكر ما في الجميع كرام
[الطويل]

فقال لهم سويد: هذا ما طلبتم لي! وكان سويد مغلباً^(٤). وأما قوله:

دعي إلى ذبيان طورا وتارة إلى يشكر

فإن أم سويد بن أبي كاهل كانت امرأة من بني غبر، وكانت قبل أبي كاهل عند رجل من بني ذبيان بن قيس بن عيلان، فمات عنها، فتزوجها أبو كاهل، وكانت فيما يقال حاملاً، فاستلاط^(٥) أبو كاهل ابنها لما ولدته، وسمّاه سويداً، واستلحقه^(٦)، فكان إذا غضب على بني يشكر ادّعى إلى بني ذبيان، وإذا رضي عنهم أقام على نسبه فيهم.

وذكر علان الشعوبي، أنه ولد في بني ذبيان، وتزوجت أمه أبا كاهل - وهو غلام يَفْعَة^(٧) - فاستلحقه أبو كاهل وادّعاه، فלحق به.

(١) الكاهل: الكتف.

(٢) السنام: حدة ظهر الجمل.

(٣) القتام: الغبار.

(٤) المغلب، اسم فاعل: المنتصر دائماً.

(٥) استلاط: إدعى ابناً ليس من صلبه.

(٦) استلحقه بنسبه: إدعى ابناً ليس من صلبه لنجاسة المدعى، من ذكاء وشجاعة وسواه.

(٧) اليفع من الفتيان: من ناهز البلوغ.

إنتماء سويد إلى قيس :

ولسويد بن أبي كاهل قصيدةٌ ينتمي فيها إلى قيس، ويفتخر بذلك، وهي التي أولها:

أبى قلبه إلا عميرة إن دنت^(١) وإن حضرت دار العدا فهو حاضر
شموس^(٢) حصان السر^(٣) رياً كأنها مُرببة^(٤) ممّا تضمّن حائر^(٥)
[الطويل]

ويقول فيها أيضاً:

أنا الغطفاني زين ذبيان فابعدوا فللزنج أدنى منكم ويحابر^(٦)
أبت لي عبس أن أسام دنيّة وسعد وذبيان الهجان^(٧) وعامر
وحي كرام سادة من هوازن لهم في الملمات^(٨) الأنوف الفواخر^(٩)
[الطويل]

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي، قال: حدثنا أحمد بن معتب الأودي عن الحرمازي^(١٠)، أن سويد بن أبي كاهل جاور في بني شيان، فأساؤوا جواره، وأخذوا شيئاً من ماله غضباً، فانتقل عنهم وهجاهم فأكثر، وكان الذي ظلمه وأخذ ماله أحد بني محلم، فقال يهجوهم وإخوتهم بني أبي ربيعة:

حشر الإله مع القروء محلماً وأبا ربيعة ألام الأقوام
فلأهدين مع الرياح قصيدة مني مغلغلة^(١١) إلى همّام
الظاعنين^(١٢) على العمى قدامهم والنازلين بشر دار مُقام

(١) دنت: قربت.

(٢) الشموس: الذي يصعب ترويضه لشدة نفوره وإبائه.

(٣) حصان السر من النساء: العفيفة المصونة والمخلصة لزوجها.

(٤) المربية: قصد الشاعر بذلك الدرة التي يحتفظ برعايتها الصدف في قعر البحر.

(٥) الحائر: البحر العميق.

(٦) يحابر: علم، وهو يحابر بن مالك بن أد بن مراد، وبه سميت القبيلة يحابر.

(٧) الهجان: ذو النسب الرفيع.

(٨) الملمات: الكوارث والمصائب.

(٩) الأنوف الفواخر: كناية عن تكبر وشموخ أصحابها.

(١٠) الحرمازي، نسبة إلى الحرمة شدة الذكاء، وبنو الحرماز حي من أحياء العرب.

(١١) مغلغلة: قاصدة.

(١٢) الظاعنين: الراحلين.

والواردين إذا الميأه تُقْسَمَت نَزَحَ^(١) الرّكي^(٢) وعاتمَ الأسدام^(٣)
[الكامل]

وقال يهجو بني شيان^(٤):

لعمري لبئس الحيّ شيبانُ إن علا عُنيزةَ يومٍ ذو أهابي^(٥) أغبرُ
فلما التقوا بالمشرفية^(٦) ذبذبت مُوليةً أستاذ^(٧) شيبان تقطرُ
[الطويل]

يعني يوم عنيزة، وكان لبني تغلب على بني شيان، وفيه يقول مهلهل:

كأنّا عُدوة^(٨) وبني أبينا بجنب عُنيزة رَحيا مُدير
[الوافر]

وقال أيضاً:

فأدوا إلى بهراء فيكم بناتِه وأبناءه إنَّ القُضاعيَّ أحمرُ
[الطويل]

كانت بهراء أغارت على بني شيان، فأخذوا منهم نساء، واستقوا نعماً^(٩)، ثم
إنهم اشتروا منهم النساء وردوهُنَّ، فغيرهم سويد بأنهم رُدَدْنَ حَبالي، فقال:

ظَلَلَن يُنازِعَن العُضاريط^(١٠) أزرها وشيبان وسط القطقطانة^(١١) حُضِرُ
فمنا يزيدُ إذ تحدَّى جُموعكم فلم تُفرحوه^(١٢)، المرزبان^(١٣) المسور^(١٤)
[الطويل]

(١) نَزَحَ، بضم الجزئين، الواحد نزوح من الآبار: التي جفّ ماؤها.

(٢) الرّكي، الواحدة ركية: البئر.

(٣) عاتم الأسدام، الواحد سدم: المياه المحتبسة في باطن الأرض.

(٤) شيان: من قبائل العرب وعُنيزة من أيامهم.

(٥) ذو أهابي: ذو تراب ثائر.

(٦) المشرفية: السيف.

(٧) الأستاذ، الواحد إست: عجز المرء أو حلقة دبره.

(٨) العُدوة، بضم الغين، الهزيع الأخير من الليل، ما بين صلاة الفجر حتى طلوع الشمس.

(٩) النعم: الماشية من إبل وغنم وسواه.

(١٠) العُضاريط، الواحد عضروط: الضعفاء من الخدم والأتباع.

(١١) القطقطانة: موضع كان سجن النعمان بن المنذر.

(١٢) فلم تُفرحوه: لم تغلبوه.

(١٣) المرزبان: من أسماء الأسد.

(١٤) المسور: المرتفع.

- يزيد: رجل من يشكر، برز يوم ذي قارٍ إلى أسوار، وحمل على بني شيبان، فانكشفوا من بين يديه - .

فاعترضه الإشكري دونهم، فقتله، وعادت شيبان إلى موقفها، ففخر بذلك عليهم، فقال:

وأحجمتم حتى علاه بصارم حسام إذا مسّ الضريبة^(١) يبتز^(٢)
ومنا الذي أوصى بثلاث ثرائه على كل ذي باع يقل ويكثر
ليالي قُلت: يا ابن حلزة ارتحل فزابن^(٣) لنا الأعداء واسمع وأبصر
فأدى إليكم رهنكم وسط وائل حباه^(٤) بها ذو الباع عمرو بن منذر
[الطويل]

يعني الحارث بن حلزة، لما خطبه دون بكر بن وائل حتى ارتجع رهائهم. وقد ذكر خبره في ذلك في موضعه.

قال: فاستعدت بنو شيبان عليه عامر بن مسعود الجمحي، وكان والي الكوفة، فدعا به، فتوَّعده، وأمره بالكف عنهم بعد أن كان قد أمر بحبسهم، فتعصبت له قيس، وقامت بأمره حتى تخلصته، فقال في ذلك:

يكف لساني عامر وكأنا يكف لساناً فيه صابٌ وعلقم^(٥)
أترك أولاد البغايا وغيبتي وتحبسني عنهم ولا أتكلم
ألم تعلموا أنني سويدٌ وأنني إذا لم أجد مُستأخراً أتقدم
حسبتهم هجائي إذ بطنتم^(٦) غنيمةً عليّ دماء البُدن إن لم تندموا
[الطويل]

قال الحرمازي في خبره هذا: وهاجى سويد بن أبي كاهل حاضر بن سلمة الغبري، فطلبهما عبد الله بن عامر بن كريز، فهربا من البصرة، ثم هاجى الأعرج أخا بني حمّال بن يشكر، فأخذهما صاحب الصدقة، وذلك في أيام ولاية عامر بن مسعود الجمحي الكوفة، فحبسهما، وأمر أن لا يخرجاً من السجن حتى يؤدّيا مائةً من الإبل، فخاف بنو حمّال على صاحبهم ففكّوه، وبقي سويد، فخذله بنو عبد سعد، وهم قومه، فسأل بني غُبَر، وكان قد هجاهم لما ناقض شاعرهم، فقال:

- (١) الضريبة: المضروب بالسيف.
(٢) يبتز: يقطع.
(٣) زابن: حامى ودافع.
(٤) حباه: أعطاه، وهبه.
(٥) الصاب والعلقم: شجر مرّ.
(٦) بطنتم: شبعتم وأتخمتم لكثرة ما أكلتم.

مَنْ سَرَّهُ النَّيْكَ بَغِيرَ مَالٍ فَالْعُبْرِيَّاتُ عَلَى طَحَالٍ^(١)
شِوَاغِرٍ^(٢) يُلْمَعِنُ^(٣) لِلْقُفَالِ^(٤)

[الرجز]

فلما سأل بني عُبر، قالوا له: يا سويد «ضيعت البكار بطحال» فأرسلوها مثلاً. أي إنك عممت جماعتنا بالهجاء في هذه الأرجوزة، فضاع منك ما قدّرت أنا نفديك به من الإبل. فلم يزل محبوساً حتى استوهبته عبس وذبيان لمديحه لهم، وانتمائه إليهم، فأطلقوه بغير فداء.

صوت

أَخْضَنِي الْمُقَامَ الْعَمْرُ^(٥) إِنْ كَانَ غَرْنِي سَنَا خُلْبٍ^(٦) أَوْ زَلَّتِ الْقَدَمَانِ
أَتَرَكَنِي جَذَبَ الْمَعِيشَةَ مَقْفِرًا وَكَفَّكَ مِنْ مَاءِ النَّدَى تَكْفَانٍ^(٧)

[الطويل]

الشعر للعتّابي، والغناء لمخارق ثاني ثقيل بالوسطى، وقيل: إن فيه للواثق ثاني ثقيل آخر.

(١) طحال، بكسر الطاء: موضع.

(٢) الشواغر من النساء: من ترفع رجلها عند النكاح.

(٣) يلمعن: يشرن.

(٤) القُفال، بضم القاف: العائدون من أسفارهم.

(٥) الغمر: الكثير.

(٦) الخلب من البروق: الخادع لا مطر فيه.

(٧) تكفان: تمطران مطراً غزيراً.

أخبار العتابي ونسبه

هو كلثوم بن عمرو بن أيوب بن عُبَيْد بن حُبَيْش بن أَوْس بن مسعود بن عمرو بن كلثوم الشاعر، وهو ابن مالك عتاب بن سعد بن زهير بن جُشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غَنَم بن تغلب. شاعر مترسل بليغ مطبوع، متصرف في فنون الشعر ومقدم. من شعراء الدولة العباسية، ومنصور التَّمَرِي تلميذه وراويته، وكان منقطعاً إلى البرامكة، فوصفوه للرشيد، ووصلوه به، فبلغ عنده كل مبلغ، وعظمت فوائده منه، ثم فسدت الحال بينه وبين منصور وتباعدت. وأخبار ذلك تُذكر في مواضعها.

وأخبرني الحسن بن علي، قال: حدثني القاسم بن مَهرويه، قال: حدثني جعفر بن المفضل، عن رجل من ولد إبراهيم الحَرَّاني^(١)، قال: كثر الشعراء بباب المأمون، فأوذَن بهم، فقال لعلِّي بن صالح صاحب المصلَّى: اعرضهم، فمن كان منهم مُجيداً فأوصله إليّ، ومن كان غير مجيد فاصرفه، وصادف ذلك شُغلاً من عليّ بن صالح كان يريد أن يتشاغل به عن أمر نفسه، فقام مُغضباً، وقال: واللّه لأعمّتهم بالجرّمان، ثم جلس لهم، ودعا بهم فجعلوا يتغالّبون^(٢) على القرب منه، فقال لهم: على رسلكم^(٣) فإنّ المدى أقرب من ذلك، هل فيكم من يُحسن أن يقول كما قال أخوكم العتابي:

ماذا عسى مادحٌ يُثني عليك وقد ناداك في الوحي تقديسٌ وتطهيرُ
فُت الممادح إلا أنّ ألسننا مُستنطقات بما تحوي الضمائرُ
[البسيط]

قالوا: لا! واللّه ما بنا أحدٌ يُحسن أن يقول مثل هذا، قال: فانصرفوا جميعاً.

(١) الحَرَّاني: نسبة إلى حرّان من مدن العراق سكنها الصابئة، وبينها وبين الرها مسيرة يوم، وبين الرقة يومان، على طريق الموصل والشام.

(٢) يتغالّبون: يتسابقون ويتدافعون.

(٣) على رسلكم: تمهلوا.

أخبرني الحسن، قال: حدثنا ابن مهرويه، قال: حدثني أبو بكر أحمد بن سهل، قال: تذاكرنا شعر العتّابي، فقال بعضنا: فيه تكلف، ونصره بعضنا، فقال شيخ حاضر: ويحكم أيقال: إن في شعره تكلفاً؟ وهو القائل:

رُسلَ الضمير إليك تترى بالشوق ظالعة^(١) وخسرى^(٢)
متزجيات^(٣) ما ينين^(٤) على الـ وجى^(٥) من بُعد مسرى^(٦)
ما جفّ للعينين بعد لك يا قرير العين مجرى
فاسلم سلمت مبراً من صبوتي^(٧) أبداً معرى^(٨)
إن الصبابة^(٩) لم تدع مني سوى عظم مبرى^(١٠)
ومدامع عبرى على كبد عليك الدهر حرى^(١١)

[مجزوء الكامل]

- في هذين البيتين غناء - أو يقال: إنه متكلف؟ وهو الذي يقول:

فلو كان للشكر شخص يبين إذا ما تأمله الناظر
لمثّله لك حتى تراه لتعلم أنني امرؤ شاكر
[المقارب]

الغناء في هذين البيتين لأبي العُبَيْس، ثقیل أول، ولرذاذ خفيف ثقیل. فحدثني أبو يعقوب إسحاق بن يعقوب النوبجي عن أبي الحسن علي بن العباس وغيره من أهله قالوا: لما صنع رذاذ لحنه في هذا الشعر.

فلو كان للشكر شخص يبين

فُتِنَ به الناس، وكان هجّيراهم^(١٢) زماناً، حتى صنع أبو العباس فيه الثقیل الأول فأسقط لحن رذاذٍ وغلب عليه:

أخبرني إبراهيم بن أيوب، عن عبد الله بن مسلم، وأخبرني علي بن سليمان الأخفش، عن محمد بن يزيد، قالوا جميعاً:

- | | |
|--|------------------------------------|
| (١) ظالعة: غمزت في مشيتها فظهر عرجها. | (٧) الصبوة: جهل الفتوة. |
| (٢) الخسرى: المنهكة لشدة تعبها. | (٨) معرى: مكشوف لا يستره شيء. |
| (٣) المتزجيات: المدفوعة بقوة إلى الأمام. | (٩) الصبابة: شدة الشوق والحب. |
| (٤) ما ينين، من وني: فتر وبطؤ. | (١٠) المبرى: الشديد الهزال والضعف. |
| (٥) الوجى: الحفا. | (١١) حرى: محترقة. |
| (٦) المسرى: المشي ليلاً مسافة طويلة. | (١٢) هجّيراهم: عادتهم وديدهم. |

كتب المأمون في إشخاص^(١) كلثوم بن عمرو العتابي، فلما دخل عليه قال له: يا كلثوم، بلغتني وفاتك فساءتني، ثم بلغتني وفادتك فسرّتني. فقال له العتابي: يا أمير المؤمنين، لو قسمت هاتان الكلمتان على أهل الأرض لوسعتها فضلاً وإنعاماً، وقد خصصتني منهما بما لا يتسع له أمانة، ولا ييسط لسواه أمل، لأنه لا دين إلا بك، ولا دنيا إلا معك. فقال له: سلني. فقال: يدك بالعطاء أطلق من لساني بالسؤال. فوصله صلات سنية، وبلغ به من التقديم والإكرام أعلى محل.

وذكر أحمد بن أبي طاهر عن عبد الله بن أبي سعد الكراني، أن عبد الله بن سعيد بن زرارة، حدثه عن محمد بن إبراهيم اليساري، قال:

لما قدم العتّابي مدينة السلام على المأمون، أذن له فدخل عليه وعنده إسحاق بن إبراهيم الموصلي، وكان العتّابي شيخاً جليلاً نبيلاً، فسلم فردّ عليه وأدناه، وقربه حتى قرب منه، فقبل يده: ثم أمر بالجلوس فجلس، وأقبل عليه يسأله عن حاله، وهو يجيبه بلسان ذلق طلق، فاستظرف المأمون ذلك، وأقبل عليه بالمداعة والمزاح، فظن الشيخ أنه استخفص به، فقال: يا أمير المؤمنين: الإيناس قبل الإيساس^(٢). فاشتبه على المأمون قوله، فنظر إلى إسحاق مستفهماً، فأوماً إليه، وغمزه على معناه^(٣) حتى فهم، فقال: يا غلام، ألف دينار! فأتي بذاك، فوضعه بين يدي العتّابي، وأخذوا في الحديث، وغمز المأمون إسحاق بن إبراهيم عليه، فجعل العتّابي لا يأخذ في شيء إلا عارضه فيه إسحاق، فبقي العتّابي متعجباً، ثم قال: يا أمير المؤمنين، أتأذن لي في سؤال هذا الشيخ عن اسمه؟ قال: نعم، سل. فقال لإسحاق: يا شيخ من أنت؟ وما اسمك؟ قال: أنا من الناس، واسمي كل بصل. فتبسم العتّابي وقال: أمّا أنت فمعروف، وأمّا الاسم فممنكر. فقال إسحاق: ما أقلّ إنصافك، أنتكر أن يكون اسمي كل بصل؟ واسمك كل ثوم، وكل ثوم من الأسماء، أو ليس البصل أطيب من الثوم؟ فقال له العتّابي: لله درك، فما أحجك^(٤)، أتأذن لي يا أمير المؤمنين في أن أصله بما وصلّتي به؟ فقال له المأمون: بل ذلك موقر عليك ونأمر له بمثله. فقال له إسحاق: أمّا إذا أقررت بهذا، فتوهمني تجدني، فقال: ما أظنك إلا إسحاق الموصلي، الذي تناهى^(٥) إلينا خبره، قال: أنا حيث ظننت. وأقبل

(١) إشخاص: إحضار.

(٢) الإيساس: عملية يعمد إليها الحالب فيمسح ضرع الناقة يسكنها لتدرّ لبنها.

(٣) غمزه على معناه: أشار.

(٤) ما أحجك: ما أعظم حجتك!

(٥) تناهى إلينا خبره: وصل إلينا خبره.

عليه بالتحية والسلام، فقال المأمون، وقد طال الحديث بينهما: أمّا إذ قد اتّفقتما على المودة، فانصرفا متنادمين. فانصرف العتّابي إلى منزل إسحاق فأقام عنده.

وذكر أحمد بن طاهر أيضاً أنّ مسعود بن عيسى العبدّي، حدّثه عن موسى بن عبد الله التميمي، قال: وفد إلى عبد الله بن طاهر جمعٌ من الشعراء، فعلم أنّهم على بابه، فقال لخدام له أديب: اخرج إلى القوم، وقلّ لهم: من كان منكم يقول كما قال العتّابي للرّشيد:

مُسْتَنْبِطٌ^(١) عَزَمَاتِ الْقَلْبِ^(٢) مِنْ فِكْرِ مَا بَيْنَهُنَّ وَبَيْنَ اللَّهِ مَعْمُورُ
[البسيط]

فليدخل، وليعلم أنّي إن وجدته مقصّراً عن ذلك حرّمته، فمن وثق من نفسه أنه يقول مثل هذا فليقم. قال: فدخلوا جميعاً إلّا أربعة نفر.

أخبرني الحسن بن علي قال، حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثنا عبد الله بن سعد عن إبراهيم بن الحدين، قال: وجد^(٣) الرشيد على العتّابي، فدخل سراً مع المتظلمين بغير إذن، فمثل بين يدي الرشيد، وقال له: يا أمير المؤمنين، قد أدتني الناس لك ولنفسي فيك، وردّني ابتلاؤهم إلى شكرك، وما مع تذكرك قناعة بغيرك، ولنعم الصّائئ لنفسي كنت، لو أعانني عليك الصبر. وفي ذلك أقول:

أَخْضَنِي الْمَقَامَ الْغَمْرِ^(٤) إِنْ كَانَ غَرْنِي سَنَا خُلْبِ^(٥) أَوْ زَلَّتِ الْقَدَمَانِ
أَتَرَكَنِي حَدَبَ الْمَعِيشَةِ مُقْتَرَأً^(٦) وَكَفَّأكَ مِنْ مَاءِ النَّدَى تَكْفَانِ^(٧)
وَتَجْعَلَنِي سَهْمَ الْمَطَامِعِ بَعْدَ مَا بَلَلْتُ يَمِينَ بِالنَّدَى وَلِسَانِي
[الطويل]

قال: فأعجب الرشيد قوله، وخرج وعليه الخلع، وقد أمر له بجائزة، فما رأيت العتّابي قط أبسط منه يومئذ.

بشار يحقد على إجادة العتّابي :

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثني ابن مهرويه، قال: حدثنا أحمد بن خلّاد، قال: حدثني أبي، قال: جاء العتّابي وهو حدّث إلى بشار، فأشده:

-
- (١) إستنبط: إستخرج.
(٢) عزمات القلب: حسن السريرة وطهارة القلب.
(٣) وجد: غضب وحق.
(٤) الغمر: الماء الطافي الغزير.
(٥) سنا خلب: ضوء البرق الخادع لا يحمل مطراً.
(٦) مقترأ: مفتقراً.
(٧) تكفان: تشحان خيراً وفيضاً.

أَيَصْدِفُ عَنْ أَمَامَةٍ أَمْ يُقِيمُ؟! وَعَهْدُكَ بِالصُّبَا عَهْدٌ قَدِيمٌ
أَقُولُ لِمُسْتَعَارِ الْقَلْبِ عَفَى^(١) عَلَى عِزَمَاتِهِ السَّيْرِ الْعَدِيمِ
أَمَا يَكْفِيكَ أَنْ دَمُوعَ عَيْنِي شَابِيبٌ^(٢) يَفِيضُ بِهَا الْهَمُومُ^(٣)
أَشِيمُ^(٤) فَلَا أَرُدُّ الطَّرْفَ^(٥) إِلَّا عَلَى أَرْجَائِهِ مَاءً سَجُومٌ^(٦)
[الوافر]

قال: فمدَّ بشاراً يده إليه: ثم قال له: أنت بصير؟ قال: نعم. قال: عجباً لبصير ابن زانية، أن يقول هذا الشعر. فحجل العتّابي وقام عنه.

أخبرني محمد بن يونس الأنباري الكاتب، قال: حدثني الحسن بن يحيى أبو الحمار عن إسحاق، قال:

كَلَّمَ الْعَتَّابِيُّ يَحْيَى بْنَ خَالِدٍ فِي حَاجَةٍ بِكَلِمَاتٍ قَلِيلَةٍ، فَقَالَ لَهُ يَحْيَى: لَقَدْ نَدَرَ كَلَامَكَ الْيَوْمَ وَقُلْ. فَقَالَ لَهُ: وَكَيْفَ لَا يَقُلُّ وَقَدْ تَكْتَفِنِي^(٧) دُلُّ الْمَسْأَلَةَ، وَحَيْرَةَ الطَّلَبِ، وَخَوْفُ الرَّدِّ؟! فَقَالَ: وَاللَّهِ لَئِنْ قُلْتُ كَلَامَكَ لَقَدْ كَثُرَتْ فَوَائِدُهُ. وَقَضَى حَاجَتَهُ. وَأَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ مَهْرُويَه، قَالَ: حَدَّثَنَا عَثْمَانُ الْوَرَّاقُ، قَالَ:

سخرية العتّابي من الناس:

رَأَيْتُ الْعَتَّابِيَّ يَأْكُلُ خَبِزاً عَلَى الطَّرِيقِ بَبَابِ الشَّامِ، فَقُلْتُ لَهُ: وَيْحَكَ، أَمَا تَسْتَحِي؟ فَقَالَ لِي: أَرَأَيْتَ لَوْ كُنَّا فِي دَارٍ فِيهَا بَقَرٌ، كُنْتُ تَسْتَحِي وَتَحْتَشِمُ أَنْ تَأْكُلَ وَهِيَ تَرَاكَ؟ فَقَالَ: لَا. قَالَ: فَاصْبِرْ حَتَّى أَعْلَمَكَ أَنَّهُمْ بَقَرٌ. فَقَامَ فَوَعِظَ وَقَصَّ وَدَعَا، حَتَّى كَثُرَ الزَّحَامُ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: رَوَى لَنَا غَيْرُ وَاحِدٍ، أَنَّهُ مِنْ بَلْعِ لِسَانِهِ أَرْنبَةٌ أَنْفُهُ لَمْ يَدْخُلِ النَّارَ. فَمَا بَقِيَ وَاحِدٌ إِلَّا وَأَخْرَجَ لِسَانَهُ يَوْمِيَّ بِهِ نَحْوَ أَرْنبَةِ أَنْفِهِ، وَيَقْدَرُهُ حَتَّى يَبْلُغَهَا أَمْ لَا. فَلَمَّا تَفَرَّقُوا، قَالَ لِي الْعَتَّابِيُّ: أَلَمْ أَخْبِرْكَ أَنَّهُمْ بَقَرٌ؟

إعجاب يحيى البرمكي بالعتّابي:

أخبرني الحسن حدثنا ابن مهرويه، قال: حدثني أبو عصام محمد بن العباس،

(١) عَفَى: محا، درس.

(٢) شَابِيبٌ، الواحدة شَوْبُوبٌ: الدفعة من المطر.

(٣) يَفِيضُ بِهَا الْهَمُومُ: تثيرها المصائب المتتالية لكثرتها.

(٤) أَشِيمُ: أستطلع الأفق.

(٥) الطَّرْفُ، بسكون الراء: النظر.

(٦) ماء سَجُومٌ: منهزم بغزارة.

(٧) تَكْتَفِنِي: نزل بي وأحاطني.

قال: قال يحيى بن خالد البرمكي لولده: إن قدرتم أن تكتبوا أنفاس كلثوم بن عمرو العتّابي، فضلاً عن رسائله وشعره، فلن ترؤا أبداً مثله.

أخبرني أبي، قال: أخبرنا الحارث بن محمد عن المدائني، وأخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا الخزاز عن ابن الأعرابي، قال:

أنكر العتّابي على صديق له شيئاً، فكتب إليه: «إما أن تُقرّ بذنبك فيكون إقرارك حجةً علينا في العفو عنك، وإلا فطُبْ نفساً بالانتصاف منك، إن الشاعر يقول:

أقرّر بذنبك ثم اطلب تجاوزنا عنه فإن جحود الذنب ذنبان»
[البيط]

أخبرنا الحسن بن علي، أخبرنا ابن مهبويه، قال: حدثني عبد الواحد بن محمد، قال:

وقف العتّابي بباب المأمون يلتمس الوصول إليه، فصادف يحيى بن أكثم جالساً ينتظر الإذن، فقال له: إن رأيت - أعزك الله - أن تذكر أمري لأmir المؤمنين إذا دخلت فافعل. قال له: لست - أعزك الله - بحاجبه. قال: فإن لم تكن حاجباً فقد يفعل مثلك ما سألت، واعلم أن الله - عز وجل - جعل في كل شيء زكاة، وجعل زكاة المال رَفَد^(١) المستعين، وزكاة الجاه إغاثة الملهوف. واعلم أن الله - عز وجل - مقبل عليك بالزيادة إن شكرت، أو التغيير إن كفرت، وإني لك اليوم أصلح منك لنفسك، لأنني أدعوك إلى ازدياد نعمتك، وأنت تأبى. فقال له يحيى: أفعَلْ وكرامةً. وخرج الإذن ليحيى، فلما دخل لم يبدأ بشيء بعد السلام إلا أن استأذن المأمون للعتّابي، فأذن له.

أخبرني الحسن، قال: حدثنا ابن مهبويه، قال: حدثني أبو الشَّبل، قال:

قال العتّابي لرجلٍ اعتذر إليه: إني إن لم أقبل عُذرَكَ لكنتُ ألام منك، وقد قبلتُ عُذرَكَ، فدم على لوم نفسك في جنائتك، نَزِدْ في قبول عُذرِكَ، والتَّجَافِي عن هفوتك.

قال: وقيل له: لو تزوّجت! فقال: إني وجدتُ مكابدة العِفَّة أيسرَ عليّ من الاحتيال لمصلحة العيال.

أخبرني الحسن، قال: حدثنا ابن مهبويه، قال: قال جعفر بن المفضل؛ قال لي أبي:

(١) رَفَد المستعين: إعانة طالب الحاجة.

رَأَيْتَ الْعَتَّابِيَّ جَالِسًا بَيْنَ يَدَيِ الْمَأْمُونِ وَقَدْ أَسَنَّ ، فَلَمَّا أَرَادَ الْقِيَامَ قَامَ الْمَأْمُونُ فَأَخَذَ
بِيَدِهِ ، وَاعْتَمَدَ الشَّيْخَ عَلَى الْمَأْمُونِ ، فَمَا زَالَ يُنْهَضُهُ رَوِيدًا رَوِيدًا حَتَّى أَقْلَهُ فَنَهَضَ ، فَعَجِبْتُ
مِنْ ذَلِكَ ، وَقُلْتُ لِبَعْضِ الْخَدَمِ : مَا أَسْوَأَ أَدَبَ هَذَا الشَّيْخِ ، فَمَنْ هُوَ ؟ قَالَ : الْعَتَّابِي .

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ مَهْرُويَه ، قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْأَشْعَثِ ،
قَالَ : قَالَ دَعْبَلُ : مَا حَسَدْتُ أَحَدًا قَطُّ عَلَى شَعْرِ كَمَا حَسَدْتُ الْعَتَّابِي عَلَى قَوْلِهِ :

هَيبَةُ الْإِخْوَانِ قَاطِعَةٌ لِأَخِي الْحَاجَاتِ عَنْ طَلْبِهِ
فَلِإِذَا مَا هَبَبْتُ ذَا أَمَلٍ مَاتَ مَا أَمَلْتُ مِنْ سَبَبِهِ^(١)
[المديد]

قَالَ ابْنُ مَهْرُويَه : هَذَا سَرَقَهُ الْعَتَّابِي مِنْ قَوْلِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ : «الْهَيْبَةُ مَقْرُونَةٌ بِالْحَيْبَةِ ، وَالْحَيَاءُ مَقْرُونٌ بِالْحِرْمَانِ ، وَالْفُرْصَةُ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ» .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ دَاوُدَ ، عَنْ أَبِي الْأَزْهَرِ ، عَنْ عَيْسَى بْنِ الْحَسَنِ بْنِ دَاوُدَ
الْجَعْفَرِيِّ عَنْ أَخِيهِ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، بِذَلِكَ .

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ مَهْرُويَه عَنْ أَبِي الشَّيْبَلِ . قَالَ :

دَخَلَ الْعَتَّابِي عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ ، فَمَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَأَنْشَدَهُ :

حُسْنُ ظَنِّي وَحَسَنُ مَا عَوَّدَ اللَّـ هـ سِوَايَ مِنْكَ الْغَدَاةُ أَتَى بِي
أَيُّ شَيْءٍ يَكُونُ أَحْسَنَ مِنْ حُسـ نَ يَقِينُ حِدَا إِلَيْكَ رِكَابِي
[الخفيف]

قَالَ : فَأَمَرَ لَهُ بِجَائِزَةٍ ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِ مِنَ الْغَدِ ، فَأَنْشَدَهُ :

وَذُكُّ يَكْفِينِيكَ فِي حَاجَتِي وَرَوَيْتِي كَافِيَةً عَنْ سَوْأَلٍ
وَكَيْفَ أَخْشَى الْفَقْرَ مَا عِشْتَ لِي وَإِنَّمَا كَفَّاكَ لِي بَيْتَ مَالٍ
[السريع]

فَأَمَرَ لَهُ بِجَائِزَةٍ ، ثُمَّ دَخَلَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ ، فَأَنْشَدَهُ :

بَهَجَاتِ الثِّيَابِ^(٢) يُخْلِقُهَا^(٣) الدَّهـ رُ وَثُوبُ الثَّنَاءِ^(٤) غَضُّ جَدِيدُ

(١) سببه : مودّته وصحبته .

(٢) بهجات الثياب : طرائفها وجديدها .

(٣) يخلقها : يلبسها .

(٤) الثناء : المدح .

فاكسُني ما يبيد أصلحك اللّ - ه فاللّهُ يكسوك ما لا يبيدُ
[الخفيف]

فأمر له بجائزة، وأنعم عليه بخلعة سنّية.

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا ابن مهرويه، قال: حدثني عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبو دُعامة، قال:

العتابي وطوق بن مالك:

قال طوق بن مالك للعتابي: أما ترى عشيرتك؟ - يعني بني تغلب - كيف تُدُلّ عليّ، وتتمرّغ وتستطيل، وأنا أصبر عليهم؟! فقال العتابي: أيّها الأمير، إنّ عشيرتك من أحسن عشيرتك، وإنّ عمّك من عمّك خيرُهُ، وإنّ قريبك من قرب منك نفعُهُ، وإنّ أخفّ الناس عندك أخفُّهم ثِقلاً عليك، وأنا الذي أقول:

إنّني بلوتُ الناس في حالاتهم وخبرْتُ ما وصلوا من الأسباب
فلِإِذا القِرابَة لا تقرب قاطعاً وإِذا المودّة أقرب الأُنساب
[الكامل]

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي، قال: حدثنا الرياشي، قال:

شكا منصور النمري للعتابي إلى طاهر بن الحسين، فوجّه طاهر إلى العتّابي، فأحضره، وأخفى منصوراً في بيتٍ قريبٍ منهما، وسأل طاهر العتّابي أن يصالحه، فشكا سوء فعله به، فسأله أن يصفح عنه، فقال: لا يستحقّ ذلك. فأمر منصوراً بالخروج، فخرج وقال للعتّابي، لم لا أستحقّ هذا منك؟ فأنشأ العتّابي يقول:

أصحبْتُك الفضلَ إذ لا أنت تعرفُهُ حقاً ولا لك في استصحابه أربٌ^(١)
لم ترتبطك على وصلي محافظة ولا أعاذك مما اغتالك الأدبُ
ما من جميل ولا عُرفٍ نطقَتْ به إلا إليّ وإن أنكرت ينتسبُ
[البسيط]

قال: فأصلح طاهرٌ بينهما - وكان منصور من تعليم العتّابي وتخريجهِ^(٢) - وأمر طاهر للعتّابي بثلاثين ألف درهم.

أخبرني عمر عن عبد الله بن أبي سعدٍ عن الحسين بن يحيى الفهري عن العباس بن أبي ربيعة السلميّ، قال:

(٢) من تعليم العتّابي: أي من تلامذته.

(١) أرب: مصلحة وغاية.

شكا منصور النمري كلثوم بن عمر العتّابي إلى طاهرٍ . ثم ذكر مثله .

العتّابي يفضل العلم والأدب على المال :

أخبرني عليُّ بن صالح بن الهيثم الأنباري الكاتب، قال : حدثني أبو هفان،

قال :

كان العتّابيُّ جالساً ذات يوم ينظر في كتابٍ ، فمرَّ به بعض جيرانه ، فقال : أيش ينفع العلم والأدب مَنْ لا مال له؟ فأشد العتّابي يقول :

يا قاتِلَ اللّٰه أَقْوَماً إِذَا ثَقِفُوا ذا اللبِّ ^(١) ينظر في الآداب والحكم
قالوا : وليس بهم إلا نفاسته ^(٢) أنافعُ ذا من الإقتار والعدم ^(٣)
وليس يدرون أنّ الحظَّ ما حُرِّموا لحاهم اللّٰه ، مِنْ عِلْمٍ وَمِنْ فَهْمٍ ^(٤)
[البسيط]

أخبرني علي بن أبي صالح وعمي ، قالوا : حدثنا أحمد بن طاهرٍ ، قال : حدثنا أبو حيدرة الأسدي ، قال :

قال العتّابيُّ في عزل طاهر بن علي ، وكان عدوّه :

يا صاحباً متلّوناً متبايناً فعلي وفعلهُ
ما إن أحبُّ له الردى ^(٥) ويسرّني واللّٰه عزُّهُ
لم تعدّ فيما قلت لي وفعلت بي ما أنت أهلُّهُ
كم شاغل بك عدوّتيه ^(٦) وفارغٌ ^(٧) مَنْ أَنْت شُغْلُهُ
[مجزوء الكامل]

أخبرني أحمد بن الفرّج ، قال : حدثني أحمد بن يحيى بن عطاء الحراني عن عبيد اللّٰه بن عمّارٍ ، قال : حدثنا عبد اللّٰه بن أبي سعيدٍ ، قال : حدثني عبد الرحيم بن أحمد بن زيد بن الفرّج ، قال :

(١) ثقّفوا ذا اللب : جرّبوا العاقل الأريب صاحب العقل الراشد .

(٢) نفاسته : حسدهم له .

(٣) الإقتار والعدم : الفقر الشديد والحاجة .

(٤) الفهم : بتحريك الجزئين : الحذف وشدة الذكاء .

(٥) الردى : الموت .

(٦) عدوتيه : جانيه ، من جاني الوادي .

(٧) فارغ : لا يهتم للأمر .

مدحه جعفر لما أَمَنه عند الرشيد :

لَمَّا سَعَى مَنْصُورُ النَّمِرِيِّ بِالْعَتَّابِيِّ إِلَى الرَّشِيدِ اغْتَاظَ عَلَيْهِ، فَطَلَبَهُ، فَسْتَرَهُ
جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى عَنْهُ مَدَّةً، وَجَعَلَ يَسْتَعِظُفُهُ عَلَيْهِ، حَتَّى اسْتَلَّ مَا فِي نَفْسِهِ، وَأَمَّنَهُ، فَقَالَ
يَمْدَحُ جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى :

مَا زِلْتُ فِي غَمَرَاتٍ^(١) الْمَوْتَ مُطَّرِحاً قَدْ ضَاقَ عَنِّي فَسِيحُ الْأَرْضِ مِنْ حَيْلِي
وَلَمْ تَزَلْ دَائِباً تَسْعَى بِلَطْفِكَ لِي حَتَّى اخْتَلَسْتَ حَيَاتِي مِنْ يَدَيَّ أَجْلِي
[البسيط]

أَخْبَرَنِي عَمِي، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَعْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ خَلَادٍ
عَنْ أَبِيهِ، قَالَ:

عَادَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ طَاهِرٍ وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مَصْعَبٍ، كَلْثُومُ بْنُ عَمْرٍو
الْعَتَابِيُّ، فِي عِلَّةٍ اعْتَلَاهَا، فَقَالَ النَّاسُ: هَذِهِ خَطَرَةٌ خَطَرَتْ! فَبَلَغَ ذَلِكَ الْعَتَابِي، فَكَتَبَ
إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ:

قَالُوا: الزِّيَارَةُ خَطَرَةٌ خَطَرَتْ وَنَجَارُ بِرِّكَ لَيْسَ بِالْخَطَرِ
أَبْطُلَ مَقَالَتُهُمْ بِثَانِيَةٍ تَسْتَنْفِدُ الْمَعْرُوفَ مِنْ شُكْرِي
[الكامل]

فَلَمَّا بَلَغَتْ أَبْيَاتُهُ عَبْدَ اللَّهِ بْنُ طَاهِرٍ ضَحْكٌ مِنْ قَوْلِهِ، وَرَكِبَ هُوَ وَإِسْحَاقُ بْنُ
إِبْرَاهِيمَ، فَعَادَاهُ مَرَّةً ثَانِيَةً.

أَخْبَرَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ الْقَاسِمِ الْكُوكَابِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو الْعَيْنَاءِ، قَالَ: حَدَّثَنِي
أَبُو الْعَلَاءِ الْمَعْرِي، قَالَ:

عَتَبَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ هِشَامَ بْنِ بَسْطَامٍ التَّغْلِبِيَّ عَلَى كَلْثُومِ بْنِ عَمْرٍو التَّغْلِبِيِّ فِي
شَيْءٍ بَلَغَهُ عَنْهُ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ:

صوت

لَقَدْ سُمِّنِي الْهَجْرَانِ حَتَّى أَدَقَّتْنِي عَقُوبَاتِ زَلَّاتِي وَسُوءِ مَنَاقِبِي
فَهَا أَنَا سَاعٍ فِي هَوَاكَ وَصَابِرٌ عَلَى حَدِّ مَصْقُولِ الْغَرَارِينَ^(٢) قَاضِبٍ^(٣)

(١) غمرات الموت: شدة وطأته على نفس الشاعر.

(٢) الغرارين: الحدّين. (٣) قاضب: قاطع، باتر.

ومنصرف عما كرهت وجاعلٌ رضاك مثلاً بين عيني وحاجبي
[الطويل]

قال: فرضي عنه، ووصله صلاة سنية.

الغناء في هذه الأبيات لسعيد مولى فائد، ثاني ثقل بالبنصر، عن يحيى المكي، وذكر الهشامي أنه منحول يحيى، وذكر أحمد بن المكي في كتابه، أنه لأبي سعيد، جعله في باب الثقل الأول بالبنصر، ولعله على مذهب إبراهيم بن المهدي، ومن قال بقوله.

أخبرني الحسين بن القاسم، قال: حدثني محمد بن عبد الرحمن بن يونس السراج، قال: أخبرني الحسين بن داود الفزاري عن أبيه، قال:

كان أخوان من فزارة يخفران قرية بين آمد وسميساط، يقال لها تل حوم، فطال مقامهما بها حتى أثريا، فحسدهما قوم من ربيعة، وقالوا: يخفران هذان الضياع في بلدنا! فجمعوا لهما جمعاً، وساروا إليهما، فقاتلوهما، فقتل أحدهما، وعلى الجزيرة يومئذ عبد الملك بن صالح الهاشمي، فشكا القيسي أمره إلى وجوه قيس، وعرفهم قتل ربيعة أخاه، وأخذهم ماله. فقالوا له: إذا جلس الأمير فادخل إليه. ففعل ذلك، ودخل على عبد الملك، وشكا ما لحقه، ثم قال له: وحسب الأمير أنهم لما قتلوا أخي وأخذوا مالي قال قائل منهم:

إشربا ما شربتما إن قيساً من قتيل وهالك وأسير
لا يحوزن أمرنا مضري بخفير ولا بغير خفير
[الخفيف]

فقال عبد الملك: أتدبني^(١) إلى العصبية؟ وزبره^(٢)، فخرج الرجل مغموماً، فشكا ذلك إلى وجوه قيس، فقالوا: لا تُرع، فوالله لقد قذفتها في سويداء قلبه، فعاوده. فعاوده في المجلس الآخر، فزبره، وقال له قوله الأول، فقال له: إني لم آتك أندبك للعصبية، وإنما جئتك مستعدياً^(٣)، فقال له: حدثني كيف فعل القوم؟ فحدثه وأنشده، فغضب فقال: كذب لعمرى، ليحوزنّها. ثم دعا بأبي عصمة أحد قواده، فقال: اخرج فجرد السيف في ربيعة، فخرج وقتل منها مقتلة عظيمة، فقال كلثوم بن عمرو العتابي قصيدته التي أولها:

(١) أتدبني إلى العصبية: أتحملي على ذلك وتثير حفيظتي.

(٢) زبره: وبّخه.

(٣) مستعدياً: طالباً العون والنصرة.

ماذا شجاك^(١) بحوَّارين^(٢) من طليل ودمنية^(٣) كشفت عنها الأعاصيرُ
[البسيط]

يقول فيها :

هذي يمينك في قرباك صائلةٌ وإن كان مئاً ذوؤُ إفك^(٤) ومارقة^(٥)
وصارمٌ من سيوف الهند مشهورٌ وعصبَةٌ دينها العُدوان والزورُ
فإن مئاً الذي لا يستحثُّ إذا حثَّ الجيادُ وضمتها المضاميرُ
مُستنبطٌ عزماتِ القلب من فكرٍ ما بينهنَّ وبين الله معمورُ
[البسيط]

يعني عبد الله بن هشام بن بسطام التغلبي، وكان قد أخذ قوادهم .

فبلغت القصيدة عبد الملك، فأمر أبا عصمة بالكف عنهم، فلما قدم الرشيد الرافقة أنشده عبد الملك القصيدة، فقال: لمن هذه؟ فقال لرجل من بني عتاب يقال له كلثوم بن عمرو، فقال: وما يمنعه أن يكون بابنا. فأمر بإشخاصه من رأس عين^(٦)، فوافى^(٧) الرشيد وعليه قميصٌ غليظ، وفروةٌ وخُفٌّ، وعلى كتفه ملحفةٌ جافيةٌ بغير سراويل، فلما رُفِع الخبرُ بقدمه أمر الرشيد بأن تفرش له حُجرة، وتُقام له وظيفة، ففعلوا، فكانت المائدة إذا قُدِّمت إليه أخذ منها رقاقةً وملحاً وخلط الملح بالتراب فأكله بها، فإذا كان وقت النوم نام على الأرض والخدم يتفقدونه، ويتعجبون من فعله، وسأل الرشيد عنه، فأخبروه بأمره، فأمر بطرده، فخرج حتى أتى يحيى بن سعيد العُقيلي وهو في منزله، فسلم عليه، وانتسب له، فرحب به، وقال له: ارتفع. فقال: لم آتكَ للجلوس، قال: فما حاجتك؟ قال: دابةٌ أبلغ عليها إلى رأس عين، فقال: يا غلام! أعطه الفرس الفلاني. فقال: لا حاجة لي في ذلك، ولكن تأمر أن تشتري لي دابةً أتبلغ عليها. فقال لغلامه: امض معه فابتع له ما يريد. فمضى معه، فعدل به العتابي إلى سوق الحمير، فقال له: إنما أمرني أن أبتاع لك دابةً. فقال له: إنه أرسلك معي، ولم يرسلني معك، فإن عملت ما أريد وإلا انصرف. فمضى معه فاشترى حماراً بمائة وخمسين درهماً، وقال: ادفع إليه ثمنه، فدفَعَ إليه، فركب

(١) شجاك: أحزنك.

(٢) حوَّارين: إحدى قرى حلب.

(٣) الدمنة: آثار الديار والأطلال.

(٤) الإفك: الكذب.

(٥) المارقة: جماعة الخارجين عن القانون.

(٦) رأس عين: هي مدينة كبيرة من مدن الجزيرة بين حرَّان ونصيبين.

(٧) فوافى الرشيد: مثل بين يديه.

الحمار عُرياً بمرشحةٍ عليه وبرذعةٍ، وساقاه مكشوفتان، فقال له يحيى بن سعيد: فضحتني، أمثلي يحمل مثلك على هذا؟ فضحك، وقال: ما رأيتُ قدرك يستوجب أكثر من ذلك. ومضى إلى رأس عين.

لوم زوجته له وما قال في ذلك :

وكانت تحته امرأةٌ من باهلة، فلامته، وقالت: هذا منصورُ النمريُّ قد أخذ الأموال فحلّى نساءه، وبنى داره، واشترى ضياعاً، وأنت هاهنا كما ترى! فأنشأ يقول:

تلوم على ترك الغنى باهليّةً رأت حولها النسوان ترفلن^(٣) في الثرا^(٤)
 زوى الفقر عنها كل طرف^(١) وتالد^(٢) أسرك أتي نلت ما نال جعفر
 مقلدة أعناقها بالقلائد^(٥) وإن أمير المؤمنين أغصني^(٦)
 من العيش أو ما نال يحيى بن خالد! رأيت رفيعات الأمور مشوبة
 مُعصّهما بالمشركات البوارد^(٧) دعيني تجئني ميتتي مطمئنة
 بمستودعات في بطون الأسود^(٨) ولم أتجشم هول تلك الموارد
 [الطويل]

وهذا الخبرُ عندي فيه اضطراب؛ لأن القصيدة المذكورة التي أولها:

ماذا شجاك بحواريين من طلل

للعتابي في الرشيد، لا في عبد الملك، ولم يكن كما ذكره في أيام الرشيد متنقّصاً منه. وله أخبار معه طويلة، وقد حدثني بخبره هذا لما استوهب رفع السيف عن ربيعة جماعة على غير هذه الرواية.

أخبرني عمي قال: حدثني عبد الله بن أبي سعد، قال: حدثني مسعود بن إسماعيل العدوي عن موسى بن عبد الله التميمي قال:

(١) الطرف: الجديد أو الحديث من المال.

(٢) التالد: الموروث القديم.

(٣) ترفلن: ترتدين جديد الأثواب وتتبخترن بها.

(٤) الثرا: أصلها الثراء، مخففة لضرورة الشعر، وتعني الغنى أو الثروة وكثرة المال.

(٥) القلائد، الواحدة قلادة: هي ما تتزين به النسوة في جيدهن.

(٦) أغصني: جعل في حلقي ما يعترض أنفاسي.

(٧) المشركات البوارد: السيوف التي تثبت الضرائب ولا تنثني.

(٨) الأسود: من الحيات الخبيثة، والواحد أسود، الذكر منها خاصة.

عتب الرشيد على العتابي أيام الوليد بن طريف، فقطع عنه أشياء كان عوّده إيّاها، فأثاه متنصلاً بهذه القصيدة:

ماذا شجاك بحوَّارين من طلل
شجاك حتى ضمير القلب مشترك
في ناظري انقباض عن جفونهما
لو كنتَ تدرين ما شوقي إذا جعلتُ
علمت أن سُرَى^(٢) ليلي ومُطلعي
إذ الركائب مَخسوفٌ نواظرها
نادتكَ أرحامنا اللَّاتي نمتَ بها
مُستنبط عزمات القلب من فِكْرٍ
فُتَّ المدائح إلّا أن أنفسنا
ماذا عسى مادحٌ يُثني عليك وقد
إن كان منّا دُؤو إفك^(٩) ومارقة^(١٠)
فلان منّا الذي لا يستحث إذا
ومن عرائقه السفّاح عندكم
الآن قد بُعدت في خطو طاعتكم

ودمنة كشفت عنها الأعاصيرُ
والعين إنسانها بالماء مغمورُ
وفي الجفون عن الآماق تقصيرُ
تنأى^(١) بنا وبك الأوطان والدورُ
من بيت نجران^(٣) والغورين تغوير^(٤)
كما تضمّنت الدُّهن القوارير^(٥)
كما تنادى جِلاد^(٦) الجِلَّة^(٧) الخور^(٨)
ما بينهن وبين اللّه معمورُ
مستنطقات بما تحوي الضمائرُ
ناداك في الوحي تقديس وتطهيرُ
وعصبة دينها العدوان والزورُ
حُتّ الجياد وحازتها المضاميرُ^(١١)
مجرّب من بلاء الصّدق مخبور^(١٢)
خُطاهم حيث يحتل الغشامير^(١٣)

[البسيط]

الرشيد يرضي عن العتابي ويرد أرزاقه ويصله :

- يعني يزيد بن مزيد، وهشام بن عمرٍ والتغلبيّ، وهو من وُلد سُفّيح بن السفّاح - قال: فرضي عنه وردّ أرزاقه ووصله.

(١) تنأى: تبتعد. (٢) سُرَى الليل: السير ليلاً.

(٣) نجران: موضع بالبحرين وموضع قرب دمشق.

(٤) التغوير: الدخول في الغور. (٥) القوارير، الواحدة قارورة: القناني من الزجاج.

(٦) الجِلاد، بكسر الجيم: الإبل القوية الصلبة. (٧) الجِلَّة: الحسان من الإبل.

(٨) الخور من النياق: الغزيرة اللبن. (٩) الإفك: الكذب.

(١٠) المارقة: الجماعة الخارجة عن طاعة أولي الأمر.

(١١) المضامير، الواحد مضمار حيث تروض الخيول.

(١٢) المخبور: المدرب. (١٣) الغشامير: الظلمة.

صوت

تطاول ليلي لم أنمه تقلُّباً كأن فراشي حال من دونه الجمرُ
 فإن تكن الأيامُ فرّقنَ بيننا فقد بانَ مني في تذكُّره العذرُ
 [الطويل]

الشعر للأبيرد الرياحي، والغناء لبابويه، ثقیلٌ أوّل بالوسطى عن عمرو، وفيه
 رملٌ نسبه يحيى المكي إلى ابن سريج. وقيل إنه منحول.

أخبار الأبيرد ونسبه

الأبيرد بن المعدر بن قيس بن عتاب بن هرمي بن رياح بن يربوع بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم. شاعرٌ فصيحٌ بدويٌّ، من شعراء الإسلام وأول دولة بني أمية. وليس بكثيرٍ، ولا ممن وفد إلى الخلفاء فمدحهم. وقصيدته هذه التي فيها الغناء يرثي بها بُريداً أخاه، وهي معدودة من مختار المراثي.

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعي قال: حدثنا دماذ عن أبي عبيدة قال:

الأبيرد يهوى امرأة من قومه فزوّجت غيره:

كان الرياحي يهوى امرأة من قومه ويُجنّ بها حتى شُهر ما بينهما، فحجبت عنه، وخطبها فأبوا أن يزوّجوها إياه، ثم خطبها رجلٌ من ولد حاجب بن زُرارة، فزوّجته، فقال الأبيرد في ذلك:

إذا ما أردتَ الحسن فانظر إلى التي تبغى لقيط قومَه وتخيرا^(١)
لها بشر^(٢) لو يدرج الذرّ فوقه لبان مكان الذرّ^(٣) فيه فائرا
لعمري لقد أمكنت منا عدونا وأقررت^(٤) للعادي فأخني^(٥) وأهجرا^(٦)

[الطويل]

أخبرني أبو خليفة الفضل بن الحباب في كتابه إليّ قال: حدثنا محمد بن سلام الجمحي قال:

قدم الأبيرد الرياحي على حارثة بن بدر فقال: اكسني بُردين أدخل بهما على الأمير - يعني عبيد الله بن زياد - وكساه ثوبين فلم يرضهما، فقال فيه:
أحارث! أمسك فضل برديك إنما أجاع وأعرى الله من كنت كاسيا

(١) تخير: إنتخب.

(٢) البشر، بفتح الباء والشين: الجلد.

(٣) الذرّ: صغار النمل.

(٤) أقررت للعدى: خضعت لإرادتهم.

(٥) الخنا قولاً وعملاً: الفحش.

(٦) أهجر: قال مستهجن القول الفاحش.

وكنـت إذا استمـطرت منـك سحابةً لتمـطرنـي عادت عـجـاجاً^(١) وسافـيا^(٢)
أحارثُ عاوـذُ شـربك الخـمرَ إنـني أرى ابن زيادٍ عنـك أصـبح لاهـيا
[الطويل]
فبلغت أـبيـأته هـذه حارثة فـقال: قـبـحه اللـه: لـقد شـهد بـما لـم يـعلم. وإنـما أدعُ
جوابه لما لا يـعلم. هـكذا ذكـر مـحمد بن سـلام.

أخبرني حبيب بن نصر المهلب قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثنا الأصمعي
قال: هـجا الأبيـرد الـرياحي حارثة بن بدر فقال:

أحارثُ راجع شـربك الخـمرَ إنـني أرى ابن زيادٍ عنـك أصـبح لاهـيا
أرى فيك رأياً من أبيه وعمه وكان زيادٌ ماقتاً^(٣) لك قالـيا^(٤)
[الطويل]

وذكر البيتين الآخرين اللذين ذكرهما محمد بن سلام، وقال في خبره هذا:
فكان حارثة يكسوه في كل سنة بردين، فحبسهما عنه في تلك السنة، فقال حارثة بن
بدر يجيبه:

فإن كنت عن بردٍ مستغنياً لقد أراك بأسمال الملايس^(٥) كاسيا^(٦)
وعشتَ زماناً أن أعينك^(٧) كسوتي قنعت بأخلاق^(٨) وأمـسيت عاريا
وبردين^(٩) من حوك العراق^(١٠) كسوتها على حاجة منها لأـمـك باديا
[الطويل]

فقال الأبيـرد يهجو حارثة بن بدر:

زعمت عُـدانة^(١١) أن فيها سيـداً ضـخماً يواريه جـنـاحُ الجـُنـدِ^(١٢)
يُرويه ما يُروى الذباب وينتشي لـؤمـاً ويشـبـعه ذراعُ الأرنبِ
[الكامل]

(١) العجاج: الغبار.

(٢) السافي من الرياح: التي تثير التراب.

(٣) ماقتاً: كارهاً.

(٤) قالياً: مبغضاً.

(٥) أسمال الملايس: الأثواب الرثة البالية.

(٦) كاسياً: لابساً.

(٧) أعينك كسوتي: ألبسك.

(٨) الأخلاق من الأثواب: البالي منها، والواحد خَلَقَ.

(٩) بردين: ثوبين.

(١٠) حوك العراق: نسجه.

(١١) عُـدانة: قبيلة من قبائل العرب.

(١٢) الجُنـدِ: الجراد.

وقال أيضاً لحارثة بن بدر:

ألا ليت حظي من غُدانة أنها
أبى الله أن يهدي غُدانة للهدى
فلو أنني ألقى ابن بدر بموطن
تقاصر حتى يستقيد^(٤) وبذه^(٥)
أيا فارط الحى^(٨) الذي قد حشا لكم
وعَمي الذي فك السמידع^(١١) عنوة
كلنا غني عن أخيه حياته
ألم ترنا إذ سقت قومك سائلاً
بني الردف حمالين كل عزيمة
وإننا لنعطي النصف من لو نضيمه^(١٤)

تكون كفافاً^(١) لا علي ولا ليا
وأن لا تكون الدهر إلا مواليا^(٢)
نعدُّ به من أولينا المساعيا^(٣)
قُروم^(٦) تسامى من رياح^(٧) تساميا
من المجد أنهاء^(٩) ملاء الخوابيا^(١٠)
فلست بنعمى يا ابن عقرب جازيا
ونحن إذا متنا أشد تغانيا
ذوي عددٍ للسائلين معاطيا
إذا طلعت والمترعين^(١٢) الجوابيا^(١٣)
أقر ولكنا نحب العوافيا^(١٥)

[الطويل]

الردف الذي عناه هاهنا: جدّه عتاب بن هرمي بن رياح، كان ردف ابن المنذر،
إذا ركب ركب وراءه، وإذا جلس جلس عن يمينه، وإذا غزا كان له المرباع؛ وإذا
شرب الملك سقي بكأسه بعده، وكان بعده ابنه قيس بن عتاب يردف^(١٦) النعمان.
وهو جد الأبيرد أيضاً.

(١) الكفاف: ما يكفي الإنسان من طعام وملبس وغيره.

(٢) الموالي: العبيد والأرقاء.

(٣) المساعي: أفعال الكرماء والسادة.

(٤) يستقيد: يستعبد ويخضع.

(٥) بذه: تفوق عليه.

(٦) القروم: السادة.

(٧) رياح: قبيلة من قبائل العرب.

(٨) فارط الحى: هو من سارع لإصلاح الحياض والدلاء.

(٩) الأنهاء، الواحد نهى: الغدران.

(١٠) الخوابي، الواحدة خابية: الحياض تجمع فيها المياه.

(١١) السמידع: السيد الشجاع.

(١٢) أترع: ملاً.

(١٣) الجوابي، الواحدة جابية: الحياض تجمع فيها المياه.

(١٤) نضيمه: نظلمه.

(١٥) العوافي، الواحدة عافية: السلامة.

(١٦) يُردف: يُتبع وراءه حيثما ارتحل.

أخبرني هاشم بن محمد قال: حدثنا أبو غسان عن أبي عبيدة قال:

الأبيرد وسعد العجلي:

كانت بنو عجل قد جاورت بني رياح بن يربوع في سنة أصابت عَجلاً، فكان الأبيرد يعاشر رجلاً منهم، يقال له سعد، ويجالسه، وكان قصده امرأة سعد هذا، فمالت إليه فومقته^(١)، وكان الأبيرد شاباً جميلاً ظريفاً طريراً^(٢)، وكان سعد شيخاً هماً^(٣) فذهب بها كل مذهب حتى ظهر أمرها وتحدث بهما، وأتتهم الأبيرد بها، فشكاه إلى قومه واستعذروهم منه^(٤)، فقالوا له: ما لك تتحدث إلى امرأة الرجل؟ فقال: وما بأس بذلك^(٥)! وهل خلا عربي منه؟ قالوا: قد قيل فيكما ما لا قرار عليه، فاجتنب محادثتها، وإياك أن تعاودها. فقال الأبيرد: إن سعداً لا خير فيه لزوجته. قالوا: وكيف ذلك؟ قال: لأنني رأيته يأتي فرسه البلقاء، ولا فضل فيه لامرأته، فهي تبغضه لفعله، وهو يتهمها لعجزه عنها. فضحكوا من قوله، وقالوا له: وما عليك من ذلك؟ دع الرجل وامرأته ولا تعاودها ولا تجلس إليها. فقال الأبيرد في ذلك:

ألم تر أن ابن المعدر قد صحا وودع ما يلحى^(٦) عليه عواذله^(٧)
غدا ذو خلاخيل عليّ يلومني وما لوم عذال عليه خلاخله^(٨)
فدع عنك هذا الحلبي إن كنت لائمي فإنني امرؤ لا تزدهيني صلاصله^(٩)
إذا خطرت عنس^(١٠) به شدنية^(١١) بمطرد الأرواح ناء مناهله^(١٢)
تبين أقوام سفاهة رأيهم ترحل عنهم وهو عف منازله

(١) ومقته: نظرت إليه بعيني المحب.

(٢) طريراً من الشباب: من طرّ شارب.

(٣) الهَم، بكسر الهاء، من الرجال: الفاني من الشيوخ.

(٤) استعذروهم: استعدهم عليه واستنصرهم.

(٥) ما بأس بذلك: لا ملامة فيه.

(٦) يلحى: يلام.

(٧) العواذل، الواحد عاذل: اللائم.

(٨) يقصد الشاعر بذلك أنه لا يهتم لأمر من يتحلّى بالخلاخل من الرجال لأنه يشبه بالنساء.

(٩) صلاصله: رنين صوته.

(١٠) العنس من الإبل: القوية الصلبة.

(١١) الشدنية من النياق: التي تنسب إلى موضع في بلاد اليمن.

(١٢) مناهله: ينباع المياه التي يقصدها العطاش.

لهم مجلسٌ كالرُدن^(١) يجمع مجلساً
تبرأت من سعد وخُلّة بيننا
متى تنتجُ البلقاء يا سعد أم متى
يحدث سعد أنّ زوجته زنت
فإن تسمُ عيناها إليّ فقد رأت
فتى فُدد السيف لا متضائلٌ
لئاماً مساعيه كثيراً هتامله^(٢)
فلا هو معطيني ولا أنا سائله
تُلَقَّح من ذات الرباط^(٣) حوائله^(٤)
ويا سعد إنّ المرء تزني حلائله
فتى كحسام أخلصته صياقله^(٥)
ولا رهل^(٦) لبّاته^(٧) وأباجله^(٨)

[الطويل]

- وهذا البيت الأخير يروى للعجير السلولي، ولأخت يزيد بن الطثرية -
فاعترضه سلمان العجلي فهجاه وهجا بني رياح فقال:

لعمرك إنّني وبني رياح
يسوقون ابن وجرة مزمراً^(٩)
وكم من شاعر لبني تميم
كسونا - إذ تخرق ملبساه -
وإن يُذكر طعامهم بشرّ
شريع^(١٠) من مني أبي سواج
وسوداء المغابن^(١٢) من رياح
إذا ما مرّ بالقعقاع^(١٥) ركب
لكالعاوي فصادف سَهم رام
ليحميهم وليس لهم بحام
قصير الباع من نفر لئام
دواهي يبترين من العظام
فإنّ طعامهم شرّ الطعام
وآخر خالص من حيض آم^(١١)
على الكردوس^(١٣) كالفأس الكهام^(١٤)
دعتهم من ينيك على الطعام

(٢) هتامله: كلامه الخفي الذي لا يُفهم.

(١) الردن: هو أصل الكم.

(٣) الرباط من الخيول: الخمس منها فما فوقها.

(٤) الحوائل من الإبل: التي حمل عليها ولم تلحق.

(٥) الصياقل، الواحد صيقل: السيف الأملس.

(٦) الرهل: المسترخي لتقدمه في السن.

(٧) اللبّات، الواحدة لبّة: وهي موضع النحر.

(٨) أباجله، الواحد أبجل: هو عرق غليظ في يد الإنسان أو رجله.

(٩) المزمر: الخانق الشديد الغضب.

(١٠) الشريع: الممزج اللونين.

(١٢) المغابن، الواحد مغبن: الإبط.

(١١) الآم: الأمة المملوكة.

(١٣) الكردوس: كلّ عظم كثير اللحم.

(١٤) الفأس الكهام: الكليل بالذي لا يقطع.

(١٥) القعقاع: موضع.

تداولها^(١) غواة الناس حتى تؤوب^(٢) وقد مضى ليل التمام^(٣)
[الوافر]

وقال الأبيرد أيضاً مجيباً له

عوى سَلَمَانُ من جو فلاقى
عوى من جُبْنِه وشقيّ عجل^(٤)
بنو عجلٍ أذلُّ من المطايا
تحياً المسلمون إذا تلاقوا
إذا عجلية ولدت غلاماً
يمصُّ بشديها فرخٌ لئيم
خبيث الريح ينشأ بالمخازي
أنا ابن الأكرمين بني تميم
وكائن^(٩) من رئيس قطرته^(١٠)
وجيشٍ قد ربعناه وقوم

أخو أهل اليمامة سهم رامي
غواة الذئب مُختلط الظلام^(٥)
ومن لحم الجزور^(٦) على الثمام^(٧)
وعجلٌ ما تحياً بالسلام
إلى عجلٍ فقبح من غلام
سُلاله أعبدٍ ورضيعُ أم
لئيمٍ بين آباء لئام
ذوي الآكال^(٨) والهمم العظام
عواملنا^(١١) ومن ملك هُمام^(١٢)
صَبَحناه بذي لجب لُهام^(١٣)
[الوافر]

وقال أيضاً الأبيرد مجيباً له :

أخذنا بآفاق السماء فلم ندع
من القُلح^(١٤) فسَاءَ ضروطٌ يهره^(١٥)
لسلمان سلمان اليمامة منظرا
إذا الطير مرّت على الدوح صرصر^(١٦)

(١) تداولها: تعاقب عليها.

(٢) تؤوب: تعود.

(٣) ليل التمام: أطول ليالي الشتاء.

(٤) قصد الشاعر بشقي عجل: سلمان العجلي.

(٥) مختلط الظلام: أي مع تبشير الفجر الأولى والليل معتكر.

(٦) الجزور: الذبائح.

(٧) الثمام: النباتات الخفيفة.

(٨) ذوي الآكال: هم سادة الأحياء الذين يحصلون على المرباع.

(٩) كائن: اسم كناية يدل على الكثير.

(١٠) قطرته: صرعه وجزته على التراب.

(١١) عواملنا، الواحد عامل: الرماح.

(١٢) الملك الهُمام: العظيم.

(١٣) اللهام من الجيوش: اللجب لكثرة ما فيه من جنود.

(١٤) الفُلح، الواحد أفلح: الفاسد الأسنان.

(١٥) يهره: يجعله يصدر صوتاً كالكلاب لشدة خوفه.

(١٦) صرصر الطير: صاح صياحاً شديداً.

وأقلح عجليّ كأن بخرطمه^(١) يزُلُّ النوى^(٢) عن ضرسه فيردّه إذا شرب العجليّ نجّس كأسه شديد سواد الوجه تحسب وجهه إذا ما حساها لم تزده سماحة فلا يشربن في الحيّ عجلٌ فإنّه يقاسي نداماهم وتلقى أنوفهم ولم تك في الإشرار عجل تذوقها ويُنفق فيها الحنظليون ما لهم ولكنها هانت وحرّم شربها لعمرى لئن أزنتم^(١٥) أو صحتم

نواجذ خنزير إذا ما تكشرا إلى عارض فيه القوادح أبخرا^(٣) وظلت بكفّي جانب^(٤) غير أزهر^(٥) من الدم بين الشاربين مقيراً^(٦) ولكن أرتة أن يصرّ^(٧) ويحصرا^(٨) إذا شرب العجليّ أخنى^(٩) وأهجر^(١٠) من الجدع^(١١) عند الكأس أمراً مذكراً^(١٢) ليالي يسبها^(١٣) مقال^(١٤) حميرا إذا ما سعى منهم سفيه تجبراً فمالت بنو عجل لما كان أكفراً لبئس الندامى كنتم آل أبجرا [الطويل]

مجائل وعردة يتفاخران بنحر الشياه والإبل :

أخبرني عبيد الله بن محمد الرازي قال: حدثنا أحمد بن الحارث، قال: حدثنا المدائني قال: كان مجائل بن مرة بن مَحْكان السعدي وابن عم له يقال له: عردة، وقد كان عردة اشترى غنماً له فأنهبها، وكانت مائة شاة، فاشترى مرة بن مَحْكان مائة من الإبل فأنحر بعضها^(١٦) وأنهب باقيها، وقال أبو عبيدة: إنهما تفاخرا، فغلبه مرة، فقال الأبيرد لعردة:

- (١) الخطم: الخيشوم، وهو مقدم الأنف والفم.
- (٢) النوى، الواحدة نواة: ما في الثمرة من بذور.
- (٣) الأبخر من الرجال: ذو رائحة الفم الكريهة.
- (٤) الجانب من الرجال: القصير الحقيق.
- (٥) الأزهر من الرجال: الوضاء الوجه، الجميل.
- (٦) المقيّر: المطليّ بالقار وهو القطران.
- (٧) يصرّ: ينكمش على نفسه لشدة صرّه.
- (٨) يحصر: يبخل بما لديه.
- (٩) أخنى: أفحش قولاً وفعلاً.
- (١٠) أهجر: قال قولاً فاحشاً.
- (١١) الجدع: قطع الأنف.
- (١٢) مذكراً: شديداً.
- (١٣) يسبها: يأسرهما ويستعبدها.
- (١٤) المقال: هو الملك من ملوك حمير في بلاد اليمن.
- (١٥) أزنتم: اتهمتم.
- (١٦) أنحر بعضها: عرضها للذبح.

شرى مائةً فأنهبها جميعاً وبتّ تقسم الحذف النقادا^(١)
[الوافر]

فبعث عبيد بن زياد فأخذ مرّةً بن محكان فحبسه وقيّده، ووقع بعد ذلك من قومه لحاء^(٢)، فكانت بينهم شجاجة^(٣) ثم تكافأوا وتوافقوا على الديات فأنبئ مرّةً بن محكان وهو محبوسٌ، فعرف ذلك فتحمل جميعها في ماله، فقال في الأبيرد:

لله عينا من رأى من مكبل^(٤) كمرّةٍ إذ شدّت عليه الأدهم^(٥)
فأبلغ عبيد الله عني رسالةً فإنك قاضٍ بالحكومة عالم
فإن أنت عاقبت ابن محكان في الندى^(٦) فعاقب هداك الله أعظم حاتم^(٧)
تعاقب خرقاً أن يجود بماله سعى في ثأى^(٨) من قومه متفاقم^(٩)
كأن دماء القوم إذ علقت به على مكفهر^(١٠) من ثنايا المخارم^(١١)
[الطويل]

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال: حدثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي، قال: حدثنا عمي قال: أتى رجل الأبيرد الرياحي وابن عمه الأخوص، وهما من رهط ردف الملك من بني رياح، يطلب منهما قطراناً لإبله فقالا له: إن أنت بلغت سحيم بن وثيل الرياحي هذا الشعر أعطيناك قطراناً. فقال: قولاً. فقالا: اذهب فقل له:

فإن بُداهتي^(١٢) وجراء حولي لذو شق^(١٣) على الحطّم^(١٤) الحرون^(١٥)
[الوافر]

قال: فلما أتاه وأنشد الشعر أخذ عصاه، وانحدر في الوادي، وجعل يُقبل فيه ويدبر، ويهمهم بالشعر. ثم قال: اذهب فقل لهما:

-
- (١) النقاد: ضرب من الأغنام قبيح المنظر. (٢) اللحاء: اللوم.
(٣) الشجاجة: شدة الرؤوس وجرح الوجوه. (٤) مكبل: مقيد بالسلاسل.
(٥) الأدهم، الواحد أدهم: السلاسل والقيود. (٦) الندى: الجود والكرم.
(٧) حاتم: هو حاتم الطائي، مضرب مثل الكرم في الجاهلية.
(٨) الثأى: الجرح والقتل ونشر الفساد في الأرض.
(٩) متفاقم: ممتدّ ومنتشر بشكل عظيم. (١٠) المكفهر: المتلبّد الذي تغيّر لونه.
(١١) المخارم، الواحد مخرم: الطرق وسط الجبال.
(١٢) البداهة، بضم الباء: أول عدو الجواد. (١٣) الشق: المشقة والتعب.
(١٤) الحطّم: القاسي والعنيف في تصدّيه لعدوّه. (١٥) الحرون: الصعب الانقياد.

فإنَّ غلّالتي وجراء حولي
 أنا ابن الغرّ من سلفي رياح
 أنا ابن جلا^(٣) وطلاعُ الثنايا^(٤)
 وإنّ مكاننا من حميري
 وإنّ قناتنا^(٦) مشط^(٧) شظاها
 لذو شقّ على الضّرع^(١) الظّنون^(٢)
 كنصل السيف وضاح الجبين
 متى أضع العمامة^(٥) تعرفوني
 مكانّ الليث من وسط العرين
 شديد مدّها عُقّ القرين^(٨)
 [الوافر]

- قال الأصمعي: إذا مسست شيئاً خشناً فدخل في يدك قيل: مشطت يدي
 والشظا: ما تشظّى منها - .

وإنني لا يعود إليّ قرني
 بذلي لبدي صددُ الركب^(٩) عنه
 عذرتُ البزل^(١١) إذ هي صاولتني
 وماذا تبتغي الشعراء متّي
 أخو الخمسين مُجتمعٌ أشديّ
 سأحيا ما حييت وإنّ ظهري
 غداة الغبّ إلا في قرين
 ولا تؤتني فريسته لحين^(١٠)
 فما بالي وبال ابنّي لبون^(١٢)
 وقد جاوزتُ رأس الأربعين
 ونجّذني^(١٣) مداورة الشؤون^(١٤)
 لذو سنّدٍ إلى نضدٍ أمين^(١٥)
 [الوافر]

(١) الضّرع: الصغير من كلّ شيء .

(٢) الظّنون: الذي لا يؤثّق بعده .

(٣) جلا: بان وظهر، وأنا ابن جلا: كناية عن أصالة نسبه ونبله .

(٤) الثنايا، الواحدة ثنية: العقبة الكأداء، كناية عن قدرته على اعتلاء قمة المجد .

(٥) متى أضع العمامة: أي يعتمرها كناية عن استعدادة للحرب .

(٦) القناة: الرمح .

(٧) مشط شظاها: يفرّق ويترد، يحذر الشاعر عدوّه من الاقتراب من جانبه .

(٨) القرين: صاحب المرافق .

(٩) يصدّ الركب: يردهم ويمنعهم من تحقيق بغيتهم .

(١٠) الحين: الموت والهلاك .

(١١) البزل من الإبل: هو ما بلغ التاسعة من عمره .

(١٢) ابن لبون: هو ما كان في عامه الثاني من الإبل .

(١٣) نجّذني: جعلني مجرباً .

(١٤) الشؤون: الحدّثان والمصائب .

(١٥) النضد: الأقارب من الأعمام والأخوال النبلاء .

قال: فأتياه فاعتذرا إليه، فقال: إِنَّ أَحَدَكُمْ لَا يَرَى أَنْ يَصْنَعَ شَيْئاً حَتَّى يَقِيسَ شَعْرَهُ بِشَعْرِنَا، وَحَسْبُهُ بِحَسْبِنَا، وَيَسْتَطِيفُ^(١) بِنَا اسْتَطَافَةَ الْمَهْرِ الْأَرْنِ^(٢). فَقَالَا لَهُ: فَهَلْ إِلَى النِّزَعِ مِنْ سَبِيلٍ^(٣)؟. فقال: إِنَّا لَمْ تُبْلَغْ أُنْسَابُنَا.

قال اليزيدي: أبيات سحيم هذه من اختيارات الأصمعي:

والقصيدة التي رثى بها الأبيرد أخاه بريداً، وفي أولها الغناء المذكور، من جيد الشعر، ومختار المراثي، المختار منها قوله:

تطاول ليلي لم أنمه تقلباً كأن فراشي حال من دونه الجمرُ
أراقب من ليل التمام نجومه لدُنْ^(٤) غاب قرْنُ الشمس حتى بدا الفجرُ
تذكرت قرماً^(٥) بأن^(٦) منّا بنصره ونائله^(٧) يا حبذا ذلك الذُّكْرُ
فإن تكن الأيام فرّقن بيننا فقد عذرتنا في صحابتنا العذرُ
وكنت أرى هجراً فراقك ساعةً ألا لا بل الموت التفريق والهجرُ
أحقاً عباد الله أن لست لاقياً بريداً طوال الدهر ما لألّا العُفرُ^(٨)!
فتى إن هو استغنى تخرّق في الغنى^(٩) فإن قلّ مالاً لم يؤدّ متنه^(١٠) الفقرُ
وسامى جسيمات الأمور^(١١) فنا لها على العسر حتى أدرك العسر اليسرُ
ترى القوم في العزّاء^(١٢) ينتظرونه إذا ضلّ رأيي القوم أو حَزَبَ الأمرُ^(١٣)
فليتك كنت الحي في الناس باقياً وكنت أنا الميت الذي غيب القبرُ
فتى يشتري حسنَ الثناء بماله إذا السنة الشهباء^(١٤) قلّ بها القطرُ^(١٥)
كأن لم يُصاحبنا بُريدٌ بغبطة ولم يأتنا يوماً بأخباره السّفَرُ
لعمري لنعم المرء عالى نعيّه^(١٦) لنا ابنٌ عزيز بعد ما قصر العصرُ

(١) يستطيف: يجول ويصول.

(٢) المهر الأرْن: الشديد الحيوية، الممتلئ نشاطاً.

(٣) يقصد الشاعر بذلك أنهم طلبوا منه التوقف عن الشحنة والخصام.

(٤) لدُنْ غاب قرن الشمس: منذ غيابها.

(٥) القَرَم: الفحل والسيد العظيم.

(٦) بأن: غاب.

(٧) النائل: العطاء.

(٨) لألّا العفر: حرّكت الطباء أذنابها.

(٩) تخرّق في الغنى: أسرف في إنفاقه.

(١٠) لم يؤدّ متنه: لم يتعب ظهره.

(١١) جسيمات الأمور: المصاعب العظيمة.

(١٢) العزّاء: هي الأرض الصلبة القاسية.

(١٣) حزب الأمر: اشتدّت المحن والمصائب.

(١٤) السنة الشهباء: المجذبة، الممحلة.

(١٥) القطر: المطر.

(١٦) نعيه: نشر خبر موته.

ولم تشنه الأطباع^(١) دوني ولا الجُدر^(٢)
 بي الأرض فرط الحزن^(٤) وانقطع الظهرُ
 أخو سكرة طارت بهامته الخمرُ
 وبَثِّي وأحزاناً تضمَّنْها الصدرُ
 من الأجر لي فيه وإن سرَّني الأجرُ
 وسمعي عمّا كنت أسمعُه وقرُّ^(٦)
 شماتة أعداء عيونهم خُزُّ^(٨)
 وهوجُ^(٩) من الأرواح غدوتها شهرُ^(١٠)
 بأودٍ^(١٢) فرواه الروافد والقطرُ
 نباتٌ إذا صاب الربيع بها نضرُ
 وربُّ الهدايا^(١٤) حيث حلَّ بها النحرُ
 رفاقٌ من الآفاق تكبيرُها جأرُ
 وما في يمينٍ قالها صادقٌ وزرُ
 بريدٌ لنعم المرء غيَّبه القبرُ
 ومسرُّ حرب^(١٥) لا كهامُ^(١٦) ولا عُمرُ^(١٧)
 وصُرِّمت الأسباب^(١٨) واختلط النَّجرُ^(١٩)

تمضت به الأخبار حتى تغلغلت
 ولما نعى الناعي بُريداً تغوّلت^(٣)
 عساكر تغشى النفس^(٥) حتى كأنني
 إلى الله أشكو في بُريدٍ مصيبتني
 وقد كنت أستعفي إلهي إذا شكا
 وما زال في عينيَّ بعد غشاوة
 على أنني أقنى الحياء^(٧) وأتقي
 فحياءك عني الليل والصبحُ إذ بدا
 سقى جدثاً^(١١) لو أستطيع سقيته
 ولا زال يرعى من بلاد ثوى بها^(١٣)
 حلفتُ برَبِّ الرافعين أكفَّهم
 ومجتمع الحجاج حيث توافقت
 يمين امرئٍ ألى وليس بكاذب
 لئن كان أمسى ابنُ المعذرٍ قد ثوى
 هو الخلفُ المعروف والدين والتقى
 أقام فننادى أهله فتحملوا

(٢) الجُدر، الواحد جدار: الحيطان.

(٤) فرط الحزن: شدته.

(١) الأطباع، الواحد طبع: الأنهار.

(٣) تغوّلت الأرض: ماتت.

(٥) عساكر تغشى النفس: شدائد أَلَمَت بالنفس.

(٦) الوقر: الصمم.

(٧) أفنى الحياء الشاعر: لزمه.

(٨) خرز العيون: ضيقو العيون، دلالة على لؤم الطبع.

(٩) الهوج من الأرواح: الشديدة الهبوب. (١٠) غدوتها شهر: أي بعيد مدى هبوبها.

(١١) الجدث: القبر. (١٢) أود، بفتح الهمزة وضمها: موضع.

(١٣) ثوى في المكان: أقام وقر.

(١٤) الهدايا من الإبل: هي التي كرسّت لذبحها في مكة المكرمة، فقلّدت بما يدلّ على ذلك.

(١٥) مسرّ حرب: مشعل حرب. (١٦) الكهام: الكليل والضعيف.

(١٧) الغمر: هو من لم يجرب الأمور. (١٨) صرّمت الأسباب: قطعت الحبال.

(١٩) النجر: الأصل.

فتى كان يُغلي اللحم نيئاً ولحمه
فتى الحي والأضياف إن رَوَّحتهم^(٢)
إذا جارة حَلَّت لديه وفى بها
عَفِيف عن السوآت ما التبست به
سلكت سبيل العالمين فما لهم
وكل امرئ يوماً سيلقى حَمَامَهُ^(٨)
وأبليت خيراً في الحياة وإثما
وقال يرثيه أيضاً، وهي قصيدة طويلة:

إذا ذكرت نفسي بريداً تحاملت
وذكرنيك الناس حين تحاملوا^(١٠)
فلا يُبعدنك الله خير أخى امرئ
وصولاً لذي القربى بعيداً عن الخنا
أخو ثقة لا ينتحي القوم دونه
ولا يركب الوجناء^(١٧) دون رفيقه

رخص لجاديه^(١) إذا تُنزل القدرُ
بليل وزاد السفر^(٣) إن أرمل^(٤) السفرُ
فآبت^(٥) ولم يهتك لجارته سترُ
صليبٌ فما يُلفى^(٦) لعود به كسرُ
وراء الذي لا قيت معدى^(٧) ولا قصرُ
وإن نأت الدعوى^(٩) وطال به العمرُ
ثوبك عندي اليوم أن ينطق الشعرُ

إليّ ولم أملك لعينيّ مدمعا
عليّ وأضحوا جلد أجرب مُولعا^(١١)
فقد كنت طلاع النجاد^(١٢) سميدعا^(١٣)
إذا ارتادك الجادي^(١٤) من الناس أمرعا^(١٥)
إذا القوم خالوا^(١٦) أو رجا الناس مطمعا
إذا القوم أزجوهن حسرى^(١٨) وظلعا^(١٩)
[الطويل]

(١) الجادي: طالب العطاء.

(٣) زاد السفر: تحضير ما المسافر بحاجة إليه من زاد وطعام.

(٤) أرمل السفر: افتقر، ونفذ منه الزاد.

(٦) يُلْفى: يُرى، يُعثر عليه.

(٨) الحمام: الموت.

(١٠) تحاملوا: كثرُوا في إلحاحهم وطلباتهم.

(١٢) طلاع النجاد: كناية عن أنه يتغلب على الصعاب ويسمو في الأمجاد.

(١٣) السميدع: السيد الشجاع الكريم.

(١٤) ارتادك الحادي: قصدك وعرج على ديارك بما معه من ركب.

(١٥) أمرع: نزل بضيافته وعاش ناعم البال في بحبوحة.

(١٦) خالوا: اعتقدوا وظنّوا.

(١٧) الوجناء من النباق: القوة السريعة الصلبة.

(١٨) الحسرى: الكليلة.

(١٩) الظلع، الواحدة ظلع من الإبل: هي التي تغمز من عرج في مشيها.

صوت

يا زائرين مَن الخيام حيا كما الله بالسلام
 يُحزُنني أن أطفُتُ ما بي ولم تنالا سَوَى الكلام
 بُورك هارون مَن إمام بطاعة الله ذي اعتصام
 له إلى ذي الجلال قُربى ليست لعدل ولا إمام

[مخلع البسيط]

الشعر لمنصور النمري، والغناء لعبد الله بن طاهر، رمل، ذكر ذلك عبيد الله ابنه، ولم ينسبه إلى الأصابع التي بني عليها، وفيه للرفّ خفيف رمل بالوسطى، عن عمرو بن بانه، وفيه ثقیلٌ أوّلٌ بالبنصر مجهول الأصابع. ذكر حبش أنه للرفّ أيضاً.

أخبار منصور النمري ونسبه

منصور بن الزبرقان بن سلمة - وقيل منصور بن سلمة بن الزبرقان - بن شريك بن مطعم الكيش الرخم، بن مالك بن سعد بن عامر بن سعد الضحيان بن سعد بن الخزرج بن تيم الله بن النمر بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دُعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار. وإنما سمي عامر الضحيان لأنه كان سيد قومه وحاكمهم، وكان يجلس لهم إذا أضحى النهار، فسُمي الضحيان. وسمي جد منصور «مطعم الكيش الرخم»، لأنه أطعم ناساً نزلوا به ونحر لهم، ثم رفع رأسه فإذا رخم يحمن حول أضيافه، فأمر بأن يُذبح لهم كبشٌ ويُرمى به بين أيديهم، ففعل ذلك، فنزلن عليه، فمزقنه؛ فسمي مطعم الكيش الرخم. وفي ذلك يقول أبو نعيجة النمري يمدح رجلاً منهم:

أبوك زعيمٌ بني قاسط وخالك ذو الكبش يقري^(١) الرخم^(٢)
[المقارب]

وكان منصور شاعراً من شعراء الدولة العباسية من أهل الجزيرة، وهو تلميذ كلثوم بن عمرو العتابي وراويته، وعنه أخذ، ومن بحره استقى، وبمذهبه تشبّه. والعتابي وصفه للفضل بن يحيى بن خالد وقرّضه^(٣) عنده حتى استقدمه من الجزيرة واستصحبه، ثم وصله بالرشيد. وجرت بعد ذلك بينه وبين العتابي وحشة حتى تهاجرا وتناقضا، وسعى كل واحد منهما على هلاك صاحبه، وأخبار ذلك تُذكر في مواضعها من أخبارهما - إن شاء الله تعالى - وكان النمري قد مدح الفضل بقصيدة، وهو مقيم بالجزيرة، فأوصلها العتابي إليه، واسترفده له، وسأله استصحابه، فأذن له في القدوم، فحظي عنده، وعرف مذهب الرشيد في الشعر، وإرادته أن يصل مدحه إياه بنفي الإمامة عن ولد علي بن أبي طالب - عليهم السلام - والطعن عليهم، وعلم مغزاه في ذلك مما كان يبلغه من تقديم مروان بن أبي حفصة، وتفضيله إياه على الشعراء في الجوائز، فسلك مذهب مروان في ذلك، ونحا نحوه، ولم يصرح بالهجاء والسب كما كان يفعل مروان،

(١) يقري: يستضيف.

(٢) الرخم: طائر من فصيلة النسريات، ورتبة الجوارح.

(٣) قرّضه: مدحه وأشاد بشعره.

ولكنه حام ولم يقع وأوماً ولم يُحَقِّق، لأنه كان يتشيع، وكان مروان شديد العداوة لآل أبي طالب، وكان ينطق عن نية قوية يقصد بها طلب الدنيا، فلا يُبقي ولا يذر.

أخبرني محمد بن جعفر النحوي صهر المبرّد قال: حدثنا محمد بن موسى بن حمّاد قال: حدثني عبد الله بن أبي سعد الكراني، وأخبرني به عمي قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد حديث محمد بن جعفر النحوي أنه قال: حدثني محمد بن عبد الله بن آدم بن جُشم العبدي قال: حدثنا ثابت بن الحارث الجُشمي قال:

كان منصورُ النمري مُصافياً للبرامكة، وكان مسكنه بالشام، فكتب يسألهم أن يذكروه للرشد، فذكروه ووصفوه، فأحبّ أن يسمع كلامه، فأمرهم بإقدامه، فقدم ونزل عليهم، فأخبروا الرشد بموضعه وأمرهم بإحضاره، وصادف دخوله إليه يوم نوبة مروان، على ما سمعه من بيانه، وكان مروان يقول قبل قدومه: هذا شامي وأنا حجازي، أفتراه يكون أشعر منّي، ودخله من ذلك ما يدخل مثله من الغم والحسد، واستنشد الرشد منصوراً، فأنشده:

أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَيْكَ خُضْنَا	غِمَارَ الْهَوْلِ مِنْ بِلْدِ شَطِيرِ ^(١)
بِخُوصِ ^(٢) كَالْأَهْلَةِ خَافِقَاتِ	تَلِينَ عَلَى السُّرَى ^(٣) وَعَلَى الْهَجِيرِ ^(٤)
حَمَلْنَا إِلَيْكَ أَحْمَالاً ثِقَالاً	وَمِثْلَ الصَّخْرِ وَالْدَّرِ النَّثِيرِ
فَقَدْ وَقَفَ الْمَدِيحُ بِمَنْتَهَاهِ	وِغَايَتِهِ وَصَارَ إِلَى الْمَصِيرِ
إِلَى مَنْ لَا يُشِيرُ إِلَى سِوَاهِ	إِذَا ذُكِرَ النَّدَى، كَفَّ الْمَشِيرِ

[الوافر]

فقال مروان: ودِدْتُ، والله أنه أخذ جائزتي وسكت.

وذكر في القصيدة يحيى بن عبد الله بن حسن قال:

يَذُلُّ مَنْ رِقَابَ بَنِي عَلِيٍّ	وَمَنْ وَلِيَ بِالْمَنْ الصَّغِيرِ
مَنْتَ عَلَى ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ يَحْيَى	وَكُنْ مِنَ الْخُتُوفِ عَلَى شَفِيرِ ^(٥)

[الوافر]

(١) شطير: بعيد.

(٢) الخوص، الواحدة خوصاء: هي ناقة في عينيها غُور وصغر.

(٣) السرى، بضم السين: سير الليل.

(٤) الهجير: قيط الظهيرة صيفاً.

(٥) الختوف على شفير: الموت يكاد يقع، والشفير: الجانب.

مروان ينشد الرشيد :

قال مروان : فما برحتُ حتى أمرني هارون أمير المؤمنين أن أنشده ، وكان يتبسم في وقت ما كان ينشده النمري ، ويأخذ على بطنه ، وينظر إلى ما قال ، فأنشدته :

موسى وهارون هما اللذان	في كتب الأخبار يوجدان
من ولد المهدي مهديان	قُدّا ^(١) عنانين على عنان ^(٢)
قد أطلق المهدي لي لساني	وشدّ أزري ^(٣) مابه حباني ^(٤)
من اللّجين ^(٥) ومن العقيان ^(٦)	عيدية ^(٧) شاحطة الأثمان ^(٨)
لو خايلت ^(٩) دجلة بالألبان	إذا لقيل اشتبه النهران

[الرجز]

قال : فوالله ما عاج^(١٠) النمري بذلك ولا احتفل به ، فأوماً إليّ هارون أن زده ؛ فأنشدته قصيدتي التي أقول فيها :

خلّوا الطريق لمعشر عاداتهم	حطمُ المناكب كل يوم زحام
إرضوا بما قسم الإله لكم به	ودّعوا وراثة كل أصيد ^(١١) حام ^(١٢)
أنى يكون وليس ذاك بكائن	لبنى البنات وراثة الأعمام

[الكامل]

قال : فوالله ما عاج بشيء منها ، وخرجت الجائزتان ، فأعطي مروان مائة ألف ، وأعطي النمري سبعين ألفاً ، وقال : أنت مزيد في ولد علي .

قال : ولقد تخلّص النمري إلى شيء ليس عليه فيه شيء ، وهو قوله :

فإن شكروا فقد أنعمت فيهم	وإلا فالندامة للكفور
وإن قالوا بنو بنتٍ فحقّ	ورُدّوا ما يناسب للذكور

[الوافر]

(١) قُدّا : قيسا .

(٢) العنان ، بكسر العين : السير يشد به لجام الحصان .

(٣) الأزر : الظهر ، وشدّ به أزره : قوى ظهره . (٤) حباني : وهبني ، أعطاني ، منحني .

(٥) اللجين ، بضم اللام : الفضة . (٦) العقيان : الذهب الخالص .

(٧) العيدية من الإبل : النجيات . (٨) شاحطة الأثمان : غالية الأثمان .

(٩) خايلت : فاخرت . (١٠) عاج : مال وانعطف .

(١١) الأصيد : السيد الشريف والملك . (١٢) الحامي : المدافع عن الحياض .

قال: فكان مروان يتأسف على هذا المعنى أن يكون قد سبقه إليه، وإلى قوله:

وما لبني بناتٍ من ثراثٍ مع الأعمام في ورق الزبور
[الوافر]

أخبرني بهذا الخبر محمد بن عمران الصيرفي، قال: حدثني الغنوي عن محمد بن محمد بن عبد الله بن آدم عن أبي معشر العبدى، فذكر القصة قريباً مما ذكره محمد بن جعفر النحوي يزيد وينقص، والمعنى متقارب.

أخبرني عمي قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثني محمد بن عبد الله بن طهمان السلمي قال: حدثني أحمد بن سيار الشيباني الشاعر قال:

كان هارون الرشيد يحتمل أن يمدح بما يمدح به الأنبياء ويغضب لمن قال كأنه رسوله:

كان هارون أمير المؤمنين يحتمل أن يمدح بما تمدح به الأنبياء فلا يُنكر ذلك ولا يردّه؛ حتى دخل عليه نفرٌ من الشعراء فيهم رجلٌ من ولد زهير بن أبي سلمى، فأفرط في مدحه حتى قال فيه:

فكأنه بعد الرسول رسولٌ

فغضب هارون ولم ينتفع به أحد يومئذٍ، وحرّم ذلك الشاعر فلم يُعطه شيئاً، وأنشد منصور النمري قصيدةً مدحه بها وهجا آل علي وثلّبهم، فضجر هارون وقال له: يا ابن اللخناء^(١)، أتظن أنك تتقرب إليّ بهجاء قوم أبوهم أبي، ونسبهم نسبي، وأصلهم وفرعهم أصلي وفرعي؟! فقال: وما شهدنا إلا بما علمنا. فازداد غضبه، وأمر مسروراً فوجاً^(٢) في عنقه وأخرج، ثم وصل إليه يوماً آخر بعد ذلك فأنشده:

عليكم بالسّداد من الأمور	بني حسن ورهط بني حسين
غداة الرّوع بالبيض الذّكور ^(٣)	فقد ذقتهم قراع بني أبيكم
وضمّوكم إلى كنف وثير ^(٥)	أحين شفوكم من كل وتر ^(٤)
سقيتم من نوالهم الغزير ^(٦)	وجادوكم على ظمإٍ شديد
بفعلهم وأدى للثّور ^(٧)	فما كان العقوق لهم جزاءً

(٢) وجأه في عنقه: ضربه.

(١) ابن اللخناء: ابن الممتنة.

(٤) الوتر: الثأر.

(٣) البيض الذكور: السيوف القاطعة.

(٦) النوال الغزير: العطاء العظيم.

(٥) الكنف الوثير: الجانب اللين.

(٧) الثور، الواحد ثأر: الإنتقام للمقتول من قاتله بقتله.

وإنك حين تبلغهم أذاة وإن ظلموا لمحزون الضمير
[الوافر]

فقال له: صدقت، وإلا فعليّ وعليّ، وأمر له بثلاثين ألف درهم.

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا يزيد بن محمد المهلب قال: حدثني
عبد الصمد بن المعدّل قال:

دخل مروان بن أبي حفصة وسلّم الخاسر، ومنصور النمري على الرشيد،
فأنشده مروان قصيدته التي يقول فيها

أتى يكون وليس ذاك بكائن لبني البنات وراثته الأعمام
[الكامل]

وأنشده سلم فقال:

حضر الرّحيل وشدّت الأحداج^(١)

وأنشده النمري قصيدته التي يقول فيها:

إن المكارم والمعروف أودية أحلك الله^(٢) منها حيث تجتمع
[البسيط]

الرشيد يميز شاعره الخاص عن سائر الشعراء:

فأمر لكل واحد منهم بمائة ألف درهم، فقال له يحيى بن خالد: يا أمير
المؤمنين، مروان شاعرك خاصّة قد ألحقتهم به. قال: فليزّد مروان عشرة
آلاف.

أخبرني عمي قال: أخبرنا ابن أبي سعد قال: حدثني عليّ بن الحسن الشيباني
قال: أخبرني أبو حاتم الطائي، عن يحيى بن زبيّة الطائي، عن الفضل قال:
حضرت الرشيد، وقد دخل منصور النمريّ عليه فأنشده:

ما تنقضي حسرة مني ولا جزع إذا ذكرت شباباً ليس يُرتجع
بأن الشباب وفاتتني بلدته صروف دهر وأيام لها خدع
ما كنت أوفي شبابي كنه غرته حتى انقضى فإذا الدنيا له تبع
[البسيط]

(١) الأحداج، الواحد جدج، بكسر الحاء: المحفة كالهودج.

(٢) أحلك الله: جعلك في المقام الأسنى.

قال: فتحرك الرشيد لذلك ثم قال: أحسن والله، لا يتهناً أحدٌ بعيش حتى يخطر في رداء الشباب.

أخبرني عمي قال: حدثنا ابن سعد قال: حدثنا محمد بن عبد الله بن آدم العبدى عن أبي ثابت العبدى عن مروان بن أبي حفصة، قال: خرجنا مع الرشيد إلى بلاد الروم، فظفر الرشيد، وقد كاد أن يعطب^(١)، لولا الله عز وجل ثم يزيد بن مزيد. فقال لي وللنمري: أنشدا. فأنشدته قولي:

طرقتك زائرة فحيي خيالها غراء^(٢) تخلط بالحياء دلالها^(٣)
[الكامل]

ووصفت الرجال من الأسرى كيف أسلموا نساءهم، والظفر الذي رزقه، فقال: عُدوا قصيدته؛ فكانت مائة بيت، فأمر لي بمائة ألف درهم، ثم قال للنمري: كيف رأيت فرسي فإني أنكرته؟ فقال النمري:

مُضِرٌّ عَلَى فَأْسِ اللِّجَامِ^(٤) كَأَنَّهُ إِذَا مَا اشْتَكَّتْ أَيْدِي الْجِيَادِ يَطِيرُ
فَظَلَّ عَلَى الصَّفْصَافِ^(٥) يَوْمَ تَبَاشَرَتْ ضِبَاعٌ وَذُؤْبَانٌ بِهِ وَنَسُورُ
فَأَقْسَمَ لَا يَنْسَى لَكَ اللَّهَ أَجْرَهَا إِذَا قُسِّمَتْ بَيْنَ الْعِبَادِ أَجُورُ

قال النمري: ثم قلت في نفسي: ما يمنعني من إذكاره بالجائزة؟ فقلت:

إِذَا الْغَيْثُ أَكْدَى^(٦) وَاقْشَعَرَّتْ نَجُومُهُ^(٧) فَغِيثُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَطِيرُ
وَمَا حَلَّ هَارُونَ الْخَلِيفَةَ بِلَدَهُ فَأَخْلَفَهَا غَيْثٌ^(٨) وَكَادَ يَضِيرُ^(٩)

[الطويل]

فقال: أذكرتني. ورأيتهُ مُتَهَلِّلًا لذلك. قال: فألحقني بمروان وأمر لي بمائة ألف

درهم.

(١) كاد يعطب: على وشك أن يهلك.

(٢) غراء: بيضاء.

(٣) دلال المرأة: غنجها.

(٤) مُضِرٌّ عَلَى فَأْسِ اللِّجَامِ: أي عضَّ عليه، وفأس اللجام هي الحديدية القائمة في حنك الحصان.

(٥) الصففصاف: إحدى مدن بلاد الروم.

(٦) أكدي الغيث: منع قطره ولم ينهمر.

(٧) اقشعرت نجومه: امتنعت نجومه وتقبضت وتجمعت ولم ينزل المطر.

(٨) أخلف الغيث: امتنع عن الهطول.

(٩) كاد المطر يضير: كاد المطر يتلف تلك الأقطار لشدة غزارته.

محمد الراوية المعروف بالبيدق ينشد قصيدة النمري :

أخبرني عمي، قال: حدثني ابن أبي سعد، قال: حدثني محمد بن عبد الله بن طهمان، قال: حدثني محمد الراوية المعروف بالبيدق - وكان قصيراً، فلقب بالبيدق^(١) لقصره، وكان يُنشد هارون أشعار المحدثين - وكان أحسن خلق الله إنشاداً - قال: دخلت على الرشيد وعنده الفضل بن الربيع، ويزيد بن مزيّد، وبين يديه خوان^(٢) لطيف عليه جديان ورُغفان سميد^(٣) ودجاجتان، فقال لي: أنشدني، فأنشدته قصيدة النمري العينية، فلما بلغت إلى قوله:

أئي امرئ بات من هارون في سخط^(٤) فليس بالصلوات الخمس ينتفع
إن المكارم والمعروف أودية أحلك الله منها حيث تتسع
إذا رفعت امرأ فالله يرفعه ومن وضعت من الأقوام متّضع
نفسي فداؤك والأبطال معلمة^(٥) يوم الوغى^(٦) والمنايا^(٧) بينها قرع
[البسيط]

قال: فرمى بالخوان بين يديه وصاح، وقال: هذا والله أطيب من كل طعام وكل شيء، وبعث إليه بسبعة آلاف دينار، فلم يعطني منها ما يرضيني، وشخص إلى رأس العين، فأغضبني وأحفظني، فأنشدت هارون قوله:

شاء من الناس راتع^(٨) هامل^(٩) يعللون النفوس^(١٠) بالباطل
فلما بلغت إلى قوله:

إلا مساعير^(١١) يغضبون لها بسلة البيض^(١٢) والقنا الذابل^(١٣)
[المنسرح]

(١) البيدق من الرجال: الصغير الجرم. (٢) الخوان، بكسر الخاء: المائدة عليها طعام.

(٣) السّמיד: لباب الدقيق. (٤) السخط: الغضب.

(٥) والأبطال معلمة: هم من ميّز نفسه بإشارات تدلّ عليهم أثناء القتال.

(٦) الوغى: الحرب. (٧) المنايا، الواحدة منية: الموت.

(٨) الراتع: المنعم في عيشه ورزقه.

(٩) الهامل: هو من ترك يفعل ما يشاء، ولم يهتم لأمره.

(١٠) يُعللون النفوس: يمتنون أنفسهم بما ينفعهم.

(١١) المساعير من الأبطال: هم الذين يثيرون الحروب ويخوضون غمارها، والواحد مسعار، بكسر الميم.

(١٢) بسلة البيض: تجريد السيف من أغمارها.

(١٣) القنا الذابل: الرماح اللدنة.

الرشيد يبعث بمن يقتل النمري في يوم وفاته :

قال : أراه يحرض عليّ ، ابعثوا إليه من يجيء برأسه . فكلّمه فيه الفضل بن الربيع فلم يغن كلامه شيئاً ، وتوجّه إليه الرسول فوافاه^(١) في اليوم الذي مات فيه ودُفن . قال : وكان إنشاد محمد البيدق يُطرب كما يطرب الغناء .

سبب غضب الرشيد على النمري :

أخبرني عمي ، قال : حدثنا ابن أبي سعد ، قال : حدثنا علي بن الحسين الشيباني ، قال : أخبرني منصور بن جهور ، قال : سألت العتابي عن سبب غضب الرشيد عليه ، فقال لي : استقبلت منصوراً النمري يوماً من الأيام فرأيتُه مغموماً واجماً كئيباً ، فقلت له : ما خبرك؟ فقال : تركت امرأتي تُطلق^(٢) ، وقد عسر عليها ولادها ، وهي يدي ورجلي ، والقيمة بأمرى وأمر منزلي . فقلت له : لم لا تكتب على فرجها «هارون الرشيد»؟ قال : ليكون ماذا؟ قال لتلد على المكان ، قال : وكيف ذلك؟ قلت : لقلوك :

إن أخلف الغيث^(٣) لم تخلف مخايله^(٤) أو ضاق أمر ذكرناه فيتسع
[البسيط]

فقال لي : يا كشخان^(٥) ، والله لئن تخلصن امرأتي لأذكرنّ قولك هذا للرشيد . فلما ولدت امرأته خبر الرشيد بما كان بيني وبينه ، فغضب الرشيد لذلك وأمر بطلبي ، فاستترت عند الفضل بن الربيع ، فلم يزل يُسأل فيّ حتى أذن لي في الظهور ؛ فلما دخلت عليه ، قال لي : قد بلغني ما قلته للنمري ، فاعتذرت إليه حتى قبل ، ثم قلت : والله يا أمير المؤمنين ما حملة على التكذب عليّ إلا وقوفي على ميله إلى العلوية ، فإن أراد أمير المؤمنين أن أنشده شعره في مديحه فعلت . فقال : أنشدني . فأنشدته قوله :

شاء من الناس راتع هامل يعلون النفوس بالباطل
حتى بلغت إلى قوله :

إلا مساعير يغضبون لها بسلة البيض والقنا الذابل
[المنسرح]

(١) وافاه : وصل إليه وأدركه .
(٢) امرأتي تطلق : أي على وشك الولادة .
(٣) أخلف الغيث : امتنع عن الانهمار .
(٤) المخايل : الواحدة مخيلة : السحب والغيوم .
(٥) الكشخان : الديوث .

غضب الرشيد وطلبه نبش جثة النمري :

فغضب من ذلك غضباً شديداً، وقال للفضل بن الربيع : أحضره الساعة . فبعث الفضل في ذلك ، فوجده قد توفي ، فأمر بنبشه ليحرقه ، فلم يزل الفضل يلطف له حتى كف عنه .

الفضل بن الربيع يحمي النمري :

أخبرني عمي قال : حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدثنا يحيى بن الحسن بن عبد الخالق ، قال : حدثني بعض الزينيين ، قال : حبس الرشيد منصوراً النمري بسبب الرفض^(١) ، فتخلّصه الفضل بن الربيع ، ثم بلغه شعره في آل عليّ عليه السلام ، فقال للفضل : اطلبه . فستره الفضل عنده ، وجعل الرشيد يُلحّ في طلبه ، حتى قال يوماً للفضل : ويحك يا فضل تُفوّتني النمري ؟ قال : يا سيدي ، هو عندي قد حصلته . قال : فجئني به . وكان الفضل قد أمره أن يطوّل شعره ، ويكثر مباشرة الشمس ليشحب وتساء حالته ، ففعل ، فلما أراد إدخاله عليه ألبسه فروة مقلوبة ، وأدخله عليه ، وقد عفا^(٢) شعره ، وساءت حالته ، فلما رآه ، قال : السيف ! فقال الفضل : يا سيدي من هذا الكلب حتى تأمر بقتله بحضرتك ؟ قال : أليس هو القائل :

إِلَّا مَسَاعِيرَ يَغْضَبُونَ لَهَا بِسَلَّةِ الْبَيْضِ وَالْقَنَا الذَّابِلُ
[المنسرح]

فقال منصور : لا يا سيدي ما أنا قائلٌ هذا ، ولقد كذب عليّ ، ولكني القائل :

يَا مَنْزَلَ الْحَيِّ ذَا الْمَغَانِي أَنْعِمُ صَبَاحاً عَلَى بِلَاكَا^(٣)
هَارُونَ يَا خَيْرَ مَنْ يُرْجَى لَمْ يُطْعِ اللَّهَ مَنْ عَصَاكَ
فِي خَيْرِ دِينَ وَخَيْرِ دُنْيَا مَنْ اتَّقَى اللَّهَ وَاتَّقَاكَ
[مخلع البسيط]

فأمر بإطلاقه وتخليه سبيله ، فقال منصورٌ يمدح الفضل بن الربيع :

رَأَيْتُ الْمُلُوكَ مُذْ آزَرَ تَ^(٤) قَدْ قَامَتْ مَحَانِيهِ^(٥)
هُوَ الْأَوْحَدُ فِي الْفَضْلِ فَمَا يُعْرِفُ ثَانِيَهُ
[الهزج]

(١) الرفض : التعصّب لآل علي ، والرافضة هم غلاة الشيعة .

(٢) عفا شعره : طال وكثر .

(٣) البلي ، بكسر الباء : القِدَم .

(٤) آزرت : حصلت على الوزارة .

(٥) محانية : معاطفة .

أخبرني عمي، قال: حدثنا ابن أبي سعد، قال: حدثني علي بن مسلم بن الهيثم الكوفي عن محمد بن أرتبيل، قال:

اجتمع عند المأمون قبل خلافته، وذلك في أيام الرشيد، منصور النمري والخريمي والعباس بن زفر، وعنده جعفر بن يحيى، فحضر الغداء، فأتى المأمون بلون من الطعام، فأكل منه فاستطابه، فأمر به فوضع بين يدي جعفر بن يحيى، فأصاب منه، ثم أمر به فوضع بين يدي العباس فأكل منه، ثم نحاه، فأكل منه بعده الخريمي وغيره - ولم يأكل منه النمري - وذلك بعين المأمون، فقال له: لم تأكل؟ فقال: لئن أكلت ما أبقى هؤلاء إني لنهم. قال: فهل قلت في هذا شيئاً؟ قال: نعم، قلت:

لهفي أتعلمها قيساً وأكلها
ما كان جدي ولا كان الهمام أبي
شتان^(٣) من سؤر عباس وفضلته
ما زال يلقم والطباخ يلحظه
إني إذا لدنيء النفس والخطر^(١)
ليأكلا سؤر^(٢) عباس ولا زفر
وسؤر كلب مغطى العين بالوبر
وقد رأى لقما في الحلق كالعجر^(٤)
[البسيط]

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي وعمي، قالوا: حدثنا الحسن بن عليل العنزي، قال: أخبرني علقمة بن نصر بن واصل النمري، قال: سمعت أسيخنا يقولون: إن منصور بن بجرة بن منصور بن ضليل بن أشيم بن قطن بن سعد بن عامر الضحيان بن سعد بن الخزرج بن تيم الله بن النمر بن قاسط، قال هذه القصيدة:

ما تنقضي حسرة مني ولا جزع^(٥)
بان الشباب^(٦) وفاتتني بشرته^(٧)
ما كنت أول مسلوب شبيبته
إذا ذكرت شبابا ليس يُرتجع
صروف دهر وأيام لها خدع
مكسو شيب فلا يذهب بك الجزع
[البسيط]

فسمعها منصور بن سلمة بن الزبرقان بن شريك بن مطعم الكبش الرخم بن

(١) الخطر: الرفعة وعظم القدر.

(٢) السؤر: البقايا والفضلات من الأطعمة.

(٣) شتان: اسم فعل ماضٍ بمعنى بُعد.

(٤) العجر، الواحدة عجرة: العقد.

(٥) الجزع: الخوف، الرعب.

(٦) بان الشباب: رحل.

(٧) الشرّة: الحماس والنشاط.

مالك بن سعد بن عامر الضحيان فاستحسنها، فاستوهبها منه فوهبها له، وكان منصور بن بكرة هذا موسراً لا يتصدى لمدح ولا يفد إلى أحد ولا ينتجعه^(١) بالشعر، وكان هارون الرشيد قد جرد السيف في ربيعة، فوجّه منصور بن سلمة هذه القصيدة إلى الرشيد، وكان رجلاً تقتحمه^(٢) العين جداً، ويزدرية من رآه لدمامة خلقه، فأمر الرشيد لما عُرِضت عليه بإحضار قائلها. قال منصور: فلما وصلت إليه عرّفني الحاجب أنّه لما عرضت عليه قرأها واختارها على جميع شعر الشعراء جميعاً، وأمره بإدخالها، فلما قرُبت من حاجبه الفضل بن الربيع ازدروني لدمامة خلقي، وكان قصيراً أزرق أحمر أعمش^(٣) نحيفاً. قال: فردّني، وأمر بإخراجي فأخرجت، فمرّ بي ذات يوم يزيد بن مَزِيد الشيباني، فصحت به: يا أبا خالد، أنا رجلٌ من عشيرتك، وقد لحقني ضيم^(٤)، وعدت بك^(٥). فوقف، فعرفته خبري، وسألته: أنْ يذكرني إذا مرّت به رقعتي، ويتلطف في إيصالي، ففعل ذلك، فلما دخلت على أمير المؤمنين أنشدته هذه القصيدة:

أتسلو وقد بانَ الشباب المزايلُ

الرشيد يرفع السيف عن ربيعة:

فقال لي: غداً إن شاء الله أمر برفع السيف عن ربيعة - وخرج يزيد يركض، فما جاءت العصر من الغد حتى رفع السيف عن ربيعة بنصيبين وما يليها، وأنشدته القصيدة، فلما صرت إلى هذا الموضع:

جلساء الرشيد يظنون في هذا البيت حتف منصور:

يُجرّد فينا السيفَ من بين مارقٍ^(٦) وعانٍ^(٧) بُجودٍ^(٨) كلهم متحاملٌ
[الطويل]

قالوا: فلما سمع المجلساء هذا البيت، قالوا: ذهب الأعرابي وافتضح، فلما قلت:

(١) لا ينتجع بالشعر: لا يرتزق به. (٢) تقتحمه العين: تزدرية لحقارة مظهره.

(٣) الأعمش: هو من ضعف بصره وسال دمه.

(٤) الضيم: الظلم والعسف. (٥) عدت بك: لجأت إليك محتمياً.

(٦) المارق: العاصي، الخارج عن الطاعة لأولي الأمر.

(٧) العاني: الأسير.

(٨) البجود، جمع بجد: الجماعة من البشر.

وقد علم العُدوان والجور^(١) والخنا^(٢) بأَنَّكَ عِيَّافٌ^(٣) لَهَنَ مُزَايِلُ^(٤)
ولو علموا فينا بأمرِكَ لم يكن لنا منك أرحام ونعتدُّ طاعةً وما يحفظ الأنساب مثلك حافظٌ جعلناكَ، فامنعنا، مَعَاذًا ومفزعاً وأنت إذا عاذت بوجهك عُودٌ

يَنال برِيّاً بالأذى متناولٌ وبأساً إذا اصطكَّ^(٥) القنا والقنابلُ^(٦) ولا يصلُّ الأرحام مثلك واصلٌ لنا حين عضَّتْنا الخطوب الجلائلُ^(٧) تطامن^(٨) خوفٌ واستقرَّتْ بَلَابِلُ^(٩)

[الطويل]

فقال الجلسة: أحسن والله الأعرابيُّ يا أمير المؤمنين! فقال الرشيد: يُرفع السيف عن ربيعة ويحسن إليهم.

أخبرني عمي، قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حدثني عليُّ بن الحسن بن عبيد البكري، قال: أخبرني أبو خالد الطائي عن الفضل، قال: كنا عند الرشيد وعنده الكسائي، فدخل إليه منصور النمري، فقال له الرشيد: أنشدني. فأشده قوله:

ما تنقضي حسرةٌ مني ولا جزعٌ إذا ذكرتُ شباباً ليس يُرتجعُ فتحرَّك الرشيد، ثم أنشده حتى انتهى إلى قوله:

ما كنت أوفي شبابي كنه^(١٠) عزَّته حتى انقضى فإذا الدنيا له تبع^(١١) [البسيط]

فطرب الرشيد، وقال: أحسنت والله، وصدقت، لا والله لا يتهنأ أحد بعيش حتى يخطر في رداء الشباب، وأمر له بجائزة سنيّة.

أخبرني عمي، قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حدثني محمد بن عبد الله بن طهمان السلمي، قال: حدثني أحمد بن سنان البيسانى، وأخبرني عمي

(١) الجور، بفتح الجيم: الظلم. (٢) الخنا: الفاحشة قولاً وفعلاً.

(٣) العياف، من صيغ المبالغة: هو من يأنف الضيم.

(٤) المزاييل: المفارق. (٥) اصطكَّت القنا: التحمت الرماح وتشاجرت.

(٦) القنابل، بفتح القاف: الجماعة من الفرسان.

(٧) عضَّتْنا الخطوب الجلائل: آلمتنا المصائب العظيمة التي حلَّت بنا.

(٨) تطامن خوف: سكن. (٩) استقرَّتْ بلابل: هدأت النفوس وسكن خوفهم.

(١٠) الكنه: القدر. (١١) التبّع: الخاضع التابع.

قال: أخبرنا ابن أبي سعد، قال: حدثنا مسعود بن عيسى، عن موسى بن عبد الله التميمي: أن جماعة من الشعراء اجتمعوا ببغداد وفيهم منصور النمرى، وكانوا على نبذ، فأبى منصور أن يشرب معهم، فقالوا له: إنما تعاف الشرب لأنك رافضي، وتسمع وتُصغي إلى الغناء، وليس تركك النبذ من ورع. فقال منصور:

صوت

خلا بين ندماني موضع مجلسي ولم يبقَ عندي للوصل نصيبُ
ورُدَّت على الساقى تفيض وربّما رددتُ عليه الكاسَ وهي سليب^(١)
وأى امرئ لا يستهش إذا جرت عليه بنانٌ كفهنّ خضيب
[الطويل]

الغناء لإبراهيم، خفيف ثقيل، مطلق في مجرى البنصر. ومن الناس من ينسبه إلى مخارق، هكذا في الخبر.

وقد حدثني علي بن سليمان الأخفش، قال: حدثنا محمد بن يزيد المبرّد، قال: كتب كلثوم بن عمرو العتابي إلى منصور النمرى قوله:

تفضّت لباناتٌ ولاح مشيبُ وأشفى^(٢) على شمس النهار غروبُ
وودّعت إخوان الصّبا وتصرّمت^(٣) غواية قلبٍ كان وهو طروبُ
ورُدّت على الساقى تفيض وربّما رددت عليه الكاس وهي سليبُ
ومما يهيج الشوق لي فيردّه خفيفٌ على أيدي القيان صخوبُ
عطون^(٤) به حتى جرى في أديمه^(٥) أصابيح في لبّاتهنّ^(٦) وطيبُ
[الطويل]

فأجابه النمرى وقال:

أوحشة ندمانيك تبكي فرّبما تلاقيهما والحلم عنك عزوب^(٧)

(١) سليب: فارغة.

(٢) أشفى: شارف.

(٣) تصرّمت: تقطّعت.

(٤) عطون به: مدّدن أعناقهنّ وتناولنه.

(٥) الأديم: الجلد المدبوغ.

(٦) اللّبات، الواحدة لبّة: موضع النحر من الرقبة.

(٧) العزوب: الشديد البعد.

تري خلفاً من كل نيل وثروة
يُغنِيكَ يا بُنتي فتستصحب الثُّهى^(٢)
وإنَّ امرأاً أودى السَّماع بلبّه^(٤)
سماعَ قِيان^(١) عودهنَّ قريبُ
وتحتازك الآفات^(٣) حين أغيبُ
لُعْرِيانُ من ثوب الفلاح سليبُ
[الطويل]

النمري ينشد يزيد بن مزيد فيعطيه مائة دينار :

أخبرني عمي، قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حدثنا محمد بن عبد الله بن آدم بن جُشم العبدي أبو مسعر، قال: أتى النمري يزيد بن مزيد ويزيد يومئذ في إضافة^(٥) وعسرة، فقال: اسمع مِنِّي جُعِلت فداك. فأنشده قصيدة له، يقول فيها:

لو لم يكن لبني شيبان من حسب
تأوي المكارم من بكر إلى ملك
أبٌ وعمٌّ وأخوالٌ مناصبهم
إنَّ أبا خالد لما جرى وجرت
لما تلعبهنَّ الجري^(٨) قدَّمه
إن الذين اغتروا^(١١) بالحُرَّ غرَّته
ضرباً دراكاً^(١٥) وشدَّاتٍ على عُنق^(١٦)
لا تقربنَّ يزيداً عند صولته
سوى يزيدَ لفاتوا الناس في الحسبِ
من آل شيبانَ يحويهنَّ من كسبِ
في منبت النَّبع^(٦) لا في منبت الغرب^(٧)
خيْلُ الندى أحرزَ الأولى من القصبِ
عِتق^(٩) مُبينٌ ومحضٌ غير مؤتشب^(١٠)
كمغتزي^(١٢) الليث في عريسه^(١٣) الأشب^(١٤)
كأنَّ إيقاعها النيران في الحطبِ
لكنَّ إذا ما احتبى^(١٧) للجود فاقترَبِ
[البسيط]

(١) القيان، الواحدة قينة: الجواري المغنيات. (٢) النهي: العقول.

(٣) الآفات: الأمراض. (٤) اللَّب: العقل.

(٥) الإضافة: ضيق العيش وعسره.

(٦) النبع: شجر طويل الأغصان تتخذ منه الأقواس.

(٧) الغرب: ضرب من الشجر، وهو دون النبع أهمية.

(٨) تلعبهن الجري: تطيل بهن مطاردة الصيد.

(٩) العِتق من الجياد: الكريم.

(١٠) مؤتشب: مخطَّط.

(١٢) مغتزي الليث: قاصد الأسد.

(١٤) الأشب: الشجر الملتف.

(١٦) العنق: ضرب من العدو السريع.

(١٣) عريس الأسد: عرينة الذي يأوي إليه.

(١٥) ضرباً دراكاً: متتالياً لا يتوقَّف.

(١٧) إحتبى: جلس القرفصاء مشتملاً عليه ثوبه.

فقال يزيد: واللّه ما أصبح في بيت مالي شيء، ولكن انظر يا غلام كم عندك فهاته. فجاءه بمائة دينار وحلف أنّه لا يملك يومئذ غيرها.

منصور يتحسر على شبابه لما نظرت الغانية إلى غيره:

وقد أخبرني عمي بهذا الخبر، قال: حدثني محمد بن علي بن حمزة العلوي، قال: حدثني عمي عن جدي، قال: قال لي منصور النمري: كنت واقفاً على جسر بغداد أنا وعبيد الله بن هشام بن عمرو التغلبي، وقد وخطني الشيب يومئذ، وعبيد الله شاب حديث السن، فإذا أنا بقصرية^(١) ظريفة قد وقفت، فجعلت أنظر إليها وهي تنظر إلى عبيد الله بن هشام ثم انصرفت، وقلت فيها:

لَمَّا رَأَيْتِ سَوَامَ الشَّيْبِ^(٢) مَنْتَشَرًا فِي لَمَّتِي وَعَبِيدَ اللَّهِ لَمْ يَثْبِ
سَلَلَتْ سَهْمِينَ مِنْ عَيْنِكَ فَانْتَضَلَا^(٣) عَلَى سَبِيبَةِ^(٤) ذِي الْأَذْيَالِ وَالطَّرَبِ
كَذَا الْغَوَانِي نَرَى مِنْهُنَّ قَاصِدَةً^(٥) إِلَى الْفُرُوعِ مَعْرَاةً عَنِ الْخَشَبِ^(٦)
لَا أَنْتِ أَصْبَحْتَ تَعْتَدِينَنَا أَرْبَا وَلَا وَعَيْشُكَ مَا أَصْبَحْتَ مِنْ أَرْبِي^(٧)
إِحْدَى وَخَمْسِينَ قَدْ أَنْضَيْتِ^(٨) جَدَّتَهَا تَحُولُ بَيْنِي وَبَيْنَ الْلَهُوِّ وَاللَّعِبِ
لَا تَحْسِبِينِي وَإِنْ أَغْضَيْتُ عَنْ بَصْرِي غَفَلْتُ عَنْكَ وَلَا عَنْ شَأْنِكَ الْعَجَبِ
[البسيط]

ثم عدلت عن ذلك فمدحت فيها يزيد بن مزيد فقلت:

لو لم يكن لبني شيبان من حسب سوى يزيد لفاقوا الناس بالحسب
لا تحسب الناس قد حابوا^(٩) بني مطر إذ أسلم الجود فيهم عاقد الطنب^(١٠)
ألجود أخشن لمسأيا بني مطر من أن تبزكموه كف مستلب

(١) القصرية: جارية من جواري القصر.

(٢) سوام الشيب: طوالعه الأولى.

(٣) انتضلا: جردا وخرجا.

(٤) السبيبة: الخصلة من الشعر.

(٥) قاصدة: متجهة.

(٦) معرأة عن الخشب: أي أنها تميل إلى الشباب وزهرته، ولذا فهي تنفر من كبار السن.

(٧) أربي: مطلبي وغايي.

(٨) أنضيت جدتها: أبلتها.

(٩) حابوا: مالوا إليهم واختصوا بهم دون سواهم.

(١٠) الطنب: حبال طويلة يشدون بها سراق البيت.

ما أعرفَ الناسَ أن الجود مدفَعَةٌ للذمِّ لكنه يأتي على النشبِ^(١)
[البسيط]

قال: فأعطاني يزيد عشرة آلاف درهم.

حدثني عمي، قال: حدثني محمد بن عبد الله التميمي الحزنبل، قال: حدثني عمرو بن عثمان الموصلي، قال: حدثني ابن أبي روق الهمداني، قال:

قال لي منصور النمري: دخلت على الرشيد يوماً ولم أكن أعددتُ له مدحاً، فوجدته نشيطاً طيبَ النفس، فرمْتُ شيئاً فما جاءني، ونظر إليّ مستنطقاً، فقلت:

إذا اعتاص^(٢) المديح عليك فامدَح أمير المؤمنين تجد مقالا
وعُذِبَ فنائه واجنَحَ إليه تَنَلَّ عُرفاً^(٣) ولم تُذلَّ سؤالا
فِناءٌ لا تزال به ركابٌ وضَعن مدائحاً وحملن مالا
[الوافر]

فقال: والله لئن قصَّرت القول لقد أطلت المعنى. وأمر لي بصلية سنيّة.

صوت

طربت إلى الحيّ الذين تحمَّلوا بَبْرُقَةٍ^(٤) أحواذ وأنت طروب
فبتُ أسقَّها سُلَافاً^(٥) مُدَامَةً^(٦) لها في عظام السَّارِبين دبيبٌ^(٧)
[الطويل]

الشعر لعبد الله بن الحجاج الثعلبي، والغناء لعلوَّيه، رمل بالوسطى، عن الهشامي، وفيه لسليم خفيف رمل، مطلق في مجرى الوسطى.

(١) النشب: المال الثابت والمنقول.

(٢) اعتاص المديح على الشاعر: صعب عليه.

(٣) عُرفاً: هبة ونباهة.

(٤) برقة أحواذ: موضع، وأحواذ، شجر تألفه بقر الوحش.

(٥) السلاف: من أسماء الخمرة.

(٦) المدامة: من أسماء الخمرة.

(٧) دبيب: سريان في الجسم والدماغ.

نسب عبد الله بن الحجاج وأخباره

هو عبد الله بن الحجاج بن محصن بن جندب بن نصر بن عمرو بن عبد غنم بن جحاش بن بجالة بن مازن بن ثعلبة بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن الريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر. ويكنى أبا الأقرع. شاعرٌ فاتكٌ شجاعٌ من معدودي فرسان مضر ذوي البأس والنَّجدة فيهم، وكان ممن خرج مع عمرو بن سعيدٍ على عبد الملك بن مروان، فلما قتل عبد الملك بن مروان عمراً خرج مع نجدة بن عامر الحنفي ثم هرب، فلحق بعبد الله بن الزبير، فكان معه إلى أن قتل، ثم جاء إلى عبد الملك متنكراً، واحتال عليه حتى أمّنه. وأخباره تُذكر في ذلك وغيره ها هنا.

أخبرني بخبره في تنقله من عسكرٍ إلى عسكر، ثم استئمانه، جماعةٌ من شيوخنا، فذكروه متفرّقاً فابتدأت بأسانيدهم، وجمعتُ خبره من روايتهم.

فأخبرنا الحرمي بن أبي العلاء، قال: حدثنا الزبير بن بكار، قال: حدثني اليزيدي أبو عبد الله محمد بن العباس ببعضه، قال: حدثني سليمان بن أبي شيخ، قال: حدثنا يحيى بن سعيد الأموي؛ وأخبرنا محمد بن عمران الصيرفي، قال: حدثنا الحسن بن عليل العنزي، قال: حدثنا محمد بن معاوية الأسدي، قال: حدثنا محمد بن كناسة؛ وأخبرني عمي قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حدثني علي بن مسلم بن الهيثم الكوفي عن محمد بن أرتبيل؛ ونسخت بعض هذه الأخبار من نسخة أبي العباس ثعلب، والألفاظ تختلف في بعضها والمعاني قريبة، قالوا:

الحجاج وتسرعه إلى الفتن:

كان عبد الله بن الحجاج الثعلبي شجاعاً فاتكاً صعلوكاً من صعاليك العرب، وكان متسرّعاً إلى الفتن، فكان ممن خرج مع عمرو بن سعيد بن العاص، فلما ظفر به عبد الملك هرب إلى ابن الزبير، فكان معه حتى قُتل، ثم اندس إلى عبد الملك فكلّم فيه فأمنه.

دخوله على عبد الملك بتحايل :

هذه رواية ثعلب، وقال العنزِيُّ وابن أبي سعد في روايتهما :

لما قتل عبد الله بن الزبير، وكان عبد الله بن الحجاج من أصحابه وشيعته احتال حتى دخل على عبد الملك بن مروان وهو يطعم الناس، فدخل حجرة، فقال له : ما لك يا هذا لا تأكل؟ قال : لا أستحلُّ أن آكل حتى تأذن لي . قال : إني قد أذنت للناس جميعاً . قال : لم أعلم فأكل بأمرك . قال : كل . فأكل، وعبد الملك ينظر إليه ويعجب من فعالة، فلما أكل الناس وجلس عبد الملك في مجلسه، وجلس خواصه بين يديه، وتفرق الناس، جاء عبد الله بن الحجاج فوقف بين يديه، ثم استأذنه في الإنشاد فأذن له، فأنشده :

أبلغ أمير المؤمنين فإني مما لقيت من الحوادث موجع
مُنِعَ القرار فجئت نحوك هارباً جيش يجرؤ ومقنب^(١) يتلمع^(٢)
[الكامل]

فقال عبد الملك : وما خوفك لا أم لك، لولا أنك مُريبٌ ! فقال عبد الله :

إن البلاد عليّ وهي عريضة وعُرت مذهبها وسدّ المطلع
[الكامل]

فقال له عبد الملك : ذلك بما كسبت يداك، وما الله بظلام للعبيد . فقال عبد الله :

كنا تنحلنا^(٣) البصائر مرة وإليك إذ عمي البصائر نرجع
إن الذي يعصيك منا بعدها من دينه وحياته متودّع
آتي رضاك ولا أعود لمثلها وأطيع أمرك ما أمرت وأسمع
أعطي نصيحتي الخليفة ناخعا وخزامة الأنف^(٤) المقود فأتبع
فقال له عبد الملك : هذا لا نقبله منك إلا بعد المعرفة بك وبذنبك، فإذا عرفت الحوبة^(٥) قبلنا التوبة . فقال عبد الله :

(١) المقنب، بكسر الميم : الكتيبة من الخيول، وهي ما بين الثلاثين إلى الأربعين فارساً .

(٢) يتلمع : تشرق أسلحتهم .

(٣) تنحلنا : أذعينا الأمر لنا، وهو ليس لنا أصلاً .

(٤) خزامة الأنف : هي حلقة توضع في أنف البعير .

(٥) الحوبة : الإثم والذنب .

ولقد وطئت بني سعيد وطأة وابن الزبير فعرضه متضعع
فقال عبد الملك: لله الحمد والمِنَّة على ذلك. فقال عبد الله: [الكامل]

ما زلت تضرب منكباً عن منكبٍ تعلو ويسفل غيركم ما يُرفع
ووطئتهم في الحرب حتى أصبحوا حدثاً يكوس^(١) وغابراً يتجمعع^(٢)
فحوى خلافتهم ولم يظلم بها أَلْقَرُمُ^(٣) قرمُ بني قصي الأنزع^(٤)
لا يستوي خاوي نجوم أَقْلٍ^(٥) والبدر منبلجاً^(٦) إذا ما يطلع
وُضِعَتْ أُمَيَّةٌ واسطين^(٧) لقومهم ووُضعت وسطهم فنعم الموضع
بيتُ أبو العاصي بناه بربوة عالي المشارف^(٨) عزه ما يُدفع
[الكامل]

فقال له عبد الملك: إنَّ توريتك عن نفسك لتربيني، فأئي الفسقة أنت؟ وماذا تريد؟ فقال:

حَرَبْتُ^(٩) أَصِيبَيْتِي^(١٠) يدُ أرسلتها وإليك بعد مَعَادِهَا ما ترجع
وأرى الذي يرجو ثراث محمد أفلت نجومهم ونجمك يسطع
فقال عبد الملك: ذلك جزاء أعداء الله. فقال عبد الله بن الحجاج:

فانعش أَصِيبَيْتِي الأُلَاءِ كَأَنَّهُمْ حَجَلٌ^(١١) تدرج بالشربة^(١٢) جَوْعُ
فقال عبد الملك: لا أنعشهم الله، وأجاع أكبادهم، ولا أبقى وليداً من نسلهم،
فإنهم نسلُ كافرٍ فاجرٍ لا يُبالي ما صنع. فقال عبد الله:

مَالٌ لَهُمْ مِمَّا يُضْنُ^(١٣) جمعته يوم القليب^(١٤) فحيزَ عنهم أجمع
[الكامل]

(١) يكوس على رأسه: ينقلب. (٢) يتجمعع: يضرب بنفسه الأرض لشدة وجعه.

(٣) القرم: السيد الشجاع، والملك.

(٤) الأنزع: هو من انحسر شعر رأسه من أعلى الجانبين حتى وصل إلى معظم رأسه.

(٥) الخاوي من النجوم: الخادع لا يرجي مطر منه.

(٦) منبلجاً: مشرقاً، منيراً. (٧) الواسطين من الناس: خيارهم.

(٨) عالي المشارف: أي في ذروة الشرف الرفيع.

(٩) حربت: أفقرت ولم تترك شيئاً من مال. (١٠) أصيبيتي: تصغير أصبية جمع صبي.

(١١) الحجل: ضرب من الطير أغبر اللون. (١٢) الشربة: الأرض المعشبة لا شجر فيها.

(١٣) يُضْنُ: ييخل. (١٤) يوم القليب: من أيام العرب.

فقال له عبد الملك: لعلك أخذته من غير حِلِّه، وأنفقته في غير حقِّه، وأرصدت به لمشاقة أولياء الله، وأعدته لمعاونة أعدائه، فنزعه منك إذ استظهرت به على معصية الله. فقال عبد الله:

أدنو لترحمني وتجبر فاقتي^(١) فأراك تدفعني فأين المدفع^(٢)

فتبسّم عبد الملك، وقال له: إلى النار، فمن أنت الآن؟ قال: أنا عبد الله بن الحجاج الثعلبي، وقد وطئت دارك وأكلت طعامك، وأنشدتك، فإن قتلتني بعد ذلك فأنت وما تراه، وأنت بما عليك في هذا عارف. ثم عاد إلى إنشاده، فقال:

ضاقت ثياب الملبسين وفضلهم عني فألبسني فثوبك أوسع
فنبذ عبد الملك إليه رداءً كان على كتفه، وقال: إلبسه، لا لبست! فالتحف به، ثم قال له عبد الملك: أولى لك والله، لقد طاولتك طمعاً في أن يقوم بعض هؤلاء فيقتلك، فأبى الله ذلك، فلا تجاورني في بلد، وانصرف آمناً، فم حيث شئت.

- قال اليزيدي في خبره: قال عبد الله بن الحجاج: ما زلت أتعرف منه كل ما أكره حتى أنشدته قولي:

ضاقت ثياب الملبسين وفضلهم عني فألبسني فثوبك أوسع
[الكامل]

فرمى عبد الملك مطرفه^(٣)، وقال: إلبسه. فلبسته -.

ثم قال: آكل يا أمير المؤمنين؟ قال: كل. فأكل حتى شبع، ثم قال: أمِنت وربّ الكعبة؟ فقال: كن من شئت إلا عبد الله بن الحجاج. قال: فأنا والله هو، وقد أكلت طعامك، ولبست ثيابك، فأني خوف عليّ بعد ذلك؟ فأمضى له الأمان:

ونسخت من كتاب أحمد بن يحيى ثعلب عن ابن الأعرابي، قال:

كان عبد الله بن الحجاج قد خرج مع نجدة بن عامر الحنفي الشاري، فلما انقضى أمره هرب، وضاقت عليه الأرض من شدة الطلب، فقال في ذلك:

رأيت بلاد الله وهي عريضة على الخائف المطرود كفة حابل^(٤)

(١) فاقتي: حاجتي ضيق حالي.

(٢) أين المدفع: الوجهة التي توجهني إليها.

(٣) المطرف: رداء من الخزّ مربع ذو أعلام.

(٤) كفة حابل: شبكة صيد الصياد، وهي عبارة عن مصيدته.

تؤدّي إليه^(١) أن كل ثنيّة^(٢) تيمّمها ترمي إليه بقاتل
[الطويل]

قال: ثم لجأ إلى أحيح بن خالد بن عتبة بن أبي مُعَيْطٍ، فسعى به إلى
الوليد بن عبد الملك، فبعث إليه بالشُّرْطَ، فأخذ من دار أحيح، فأُتي به الوليد
فحبسه، فقال، وهو في الحبس:

أقول، وذاك فرط الشوق مني لعيني إذ نأت ظمياء^(٣) فيضي^(٤)
فما للقلب صبرٌ يوم بانَتْ وما للدمع يُسفح من مغيض
كأن معتقاً^(٥) من أذرعات^(٦) بماء سحابة خَصِرٍ فضيض^(٧)
بفيها، إذ تخافتني حياء بسرّاً تبوح به خفيض
يقول فيها:

فإن يُعرض أبو العباس عني ويركب بي عروضاً عن عروض
ويجعل عُرفه^(٨) يوماً لغيري ويبغضني فإني من بغيض
فإني ذو غنى وكريم قوم وفي الأكفاء^(٩) ذو وجهٍ عريض
غلبت بني أبي العاصي سماحاً وفي الحرب المذكرة العضوض^(١٠)
خرجت عليهم في كل يوم خروج القِدح^(١١) من كفّ المُفيض^(١٢)
فدّى لك من إذا ما جئت يوماً تلقاني بجامعة^(١٣) ربوض^(١٤)
على جنب الخوان^(١٥) وذاك لؤم

(١) تؤدّي إليه: حملته على الظنّ.

(٢) ثنيّة: المنحنى الصعب المرتقى.

(٣) ظمياء: اسم امرأة.

(٤) فيضي: أرسلي الدمع.

(٥) المعتق من الخمر: هي التي خبثت زمناً طويلاً.

(٦) أذرعات: من مدن بلاد الشام، كانت مشهورة بصناعة الخمر الجيدة.

(٧) فضيض: متفرقة، منتشرة.

(٨) الأكفاء، الواحد كفء: المشابه والمماثل والمساوي.

(٩) المذكرة العضوض: الشديدة.

(١٠) القِدح: من أدوات الميسر.

(١١) المُفيض: هو الضارب بقداح الميسر ليظهر الفائز من الخاسر.

(١٢) الجامعة: الأغلال.

(١٣) الربوض: الثقيلة لكثرتها.

(١٤) الخوان: المائدة عليها الطعام.

(١٥) التحفة: هي كلّ ما يسرّ الرجل من طعام وسواه.

(١٦) التحفة: هي كلّ ما يسرّ الرجل من طعام وسواه.

كَأَنِّي إِذْ فَزَعْتُ إِلَى أَحِيحٍ فَزَعْتُ إِلَى مُقَوِّقِيَّةٍ بَيَوضٍ^(١)
إِوزة غَيْضَةٍ لَقَحَتْ كَشَافاً^(٢) لَقَحَحَهَا^(٣) إِذَا دَرَجَتْ نَقِيضٍ^(٤)

[الوافر]

قال: فدخل أحیح على الوليد بن عبد الملك، فقال: يا أمير المؤمنين: إنَّ عبد الله بن الحجاج قد هجاك. قال: بماذا؟ فأنشده قوله:

فَإِنْ يُعْرَضُ أَبُو الْعَبَّاسِ عَنِّي وَيَرْكَبُ بِي عَرُوضاً عَنْ عَرُوضٍ
وَيَجْعَلُ عُرْفَهُ يَوْمًا لَغِيرِي وَيُبْغِضُنِي فَإِنِّي مِنْ بَغِيضٍ

[الوافر]

فقال الوليد: وأيُّ هجاء هذا! هو من بغيض إن أعرضت عنه، أ أقبلت عليه، أو أبغضته، ثم ماذا؟ فأنشده:

كَأَنِّي إِذْ فَزَعْتُ إِلَى أَحِيحٍ فَزَعْتُ إِلَى مُقَوِّقِيَّةٍ بَيَوضٍ
فَضَحَكَ الْوَلِيدُ، ثُمَّ قَالَ: مَا أَرَاهُ هَجَا غَيْرِكَ. فَلَمَّا خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ أَحِيحُ أَمَرَ بِتَخْلِيَةِ سَبِيلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَجَّاجِ، فَأُطْلِقَ. وَكَانَ الْوَلِيدُ إِذَا رَأَى أَحِيحاً ذَكَرَ قَوْلَ عَبْدِ اللَّهِ فِيهِ فَيَضْحَكُ مِنْهُ.

حدثنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري، قال: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثنا خلاد بن يزيد الأرقط عن سالم بن قتيبة. وحدثني يعقوب بن القاسم الطلحي، قال: حدثني غير واحد، منهم عبد الرحمن بن محمد الطلحي، قال: حدثني أحمد بن معاوية، قال: سمعت أبا علقمة الثقفي يحدث. قال أبو زيد^(٥): وفي حديث بعضهم ما ليس في حديث الآخر، وقد ألفت ذلك، قال:

هجاؤه لكثير بن شهاب بن الحصين:

كان كثير بن شهاب بن الحصين بن ذي الغصّة بن يزيد بن شدّاد بن قنان بن سلمة بن وهب بن عبد الله بن ربيعة بن الحارث بن كعب، على ثغر الرّي، ولّاه إمارة المغيرة بن شعبة إذ كان خليفة معاوية على الكوفة، وكان عبد الله بن الحجاج معه،

(١) المُقَوِّقِيَّةُ البُيُوضُ: المصوّتة ساعة وضعها البيض.

(٢) الكشاف: هي التي تلقح ساعة وضعها البيض.

(٣) القَحْحُ، بضم القافين: هو عظم مطيف بالدبر.

(٤) النقيض: الصوت.

(٥) أبو زيد: كنية عمر بن شبة.

فأغار الناس على الدّيلم، فأصاب عبد الله بن الحجاج رجلاً منهم، فأخذ سلبه، فانتزعه منه كثير، وأمر بضربه، فضرب مائة سوط، وحبس، فقال عبد الله في ذلك، وهو محبوس:

تسائلُ سلمى عن أبيها صحابه وقد علّقته من كثيرِ حبائل^(١)
فلا تسألني عني الرفاقَ فإنّهُ بأبهر^(٢) لا غارٍ ولا هوقافل^(٣)
ألسْتُ ضربت الدّيلميّ أمامهم فجدلّته^(٤) فيه سنانٌ وعامل^(٥)

[الطويل]

فمكث في الحبس مدةً، ثم أُخلي سبيله، فقال:

سأترك ثغر الرّي ما كنت والياً عليه لأمرٍ غالني وشجاني^(٦)
فإن أنا لم أدرك بثأري وأتّر^(٧) فلا تدعني للصّيد^(٨) من غطفانٍ
تمنّيتني يا ابنَ الحصين سفاهةً وما لك بي يا ابنَ الحصين يدانٍ
فإنّي زعيمٌ أن أجلّل^(٩) عاجلاً بسيفي كفاحاً هامة ابن قنان^(١٠)

[الكامل]

قال: فلما عزل كثيرٌ وقدم الكوفة كمن له عبد الله بن الحجاج في سوق التّمارين - وذلك في خلافة معاوية وإمارة المغيرة بن شعبة على الكوفة - وكان كثير يخرج من منزله إلى القصر يحدث المغيرة، فخرج يوماً من داره إلى المغيرة يحدثه فأطال، وخرج من عنده مُمسياً يريد داره، فضربه عبد الله بعمود حديد على وجهه فهتّم^(١١) مقاديم أسنانه كلّها، وقال في ذلك:

مَنْ مُبلَغٌ قيساً وخندف أنني ضربت كثيراً مضرب الظّربان^(١٢)
فأقسمُ لا تنفكُ ضربه وجهه تُذلّ وتُخزي الدّهر كلّ يمانٍ
فإن تلقني تلق امرأاً قد لقيته سريعاً إلى الهيجاء غير جبانٍ

(١) الحبال، الواحدة حبال: شراك الصياد. (٢) البهر: مدينة قديمة تقع بين قزوين وزنجان.

(٣) القافل: العائد، الراجع. (٤) جدلته: صرعه.

(٥) عامل السنان: صدر الرمح. (٦) شجاني: أحزنني.

(٧) أتّر: أدرك ثأري.

(٨) الصيد، الواحد أصيد: السادة الشرفاء وهم الملوك.

(٩) أجلّل: أعلو. (١٠) القنان، الواحد قن: العبيد، الأرقاء.

(١١) هتّم فاه: ألقى مقدّم أسنانه، كسرها من أصلها.

(١٢) الظربان: ضرب من القوارض شبيه بالهرّة، تنن الرائحة.

وتلق امرأ لم تلق أمك بره
وحولي من قيس وخندف عصبه
وإن تك للسِّنخ^(٣) الذي غَصَّ بالحصي
أنا ابن بني قيس عليّ تعطففت
على سابع غوج اللبان^(١) حصان^(٢)
كرام على البأساء والحدثان
فإني لقرم^(٤) يا كثير هجان^(٥)
بغيض بن ريث بعد آل دجان
[الطويل]

وقال في ذلك أيضاً عبد الله بن الحجاج:

من مبلغ قيساً وخندف أنني
أدرسته أجري على محبوبك^(٦)
جرداء^(١٠) سرحوب^(١١) كأن هويها^(١٢)
خضت الظلام وقد بدت لي عورة
فتركته يكبو^(١٤) لفيه وأنفه
هلاً خشيت وأنت عادٍ ظالم
إذ تستحل، وكان ذاك محرماً
ما ضره والحرّ يطلب وثره
أدركت مظلمتي من ابن شهاب
سُرح^(٧) الجراء^(٨) طويلة الأقارب^(٩)
تعلو بجوجئها^(١٣) هوي عقاب
منه فأضربه على الأنياب
ذهل الجنان^(١٥) مضرّج الأثواب
بقصور أبهر نصرتي وعقابي
جلدي وتنزع ظالماً أثوابي
بأشم^(١٦) لا رعش^(١٧) ولا قبقاب^(١٨)
[الطويل]

انتصار معاوية لعبد الله بن الحجاج:

قال: فكتب ناس من اليمانية من أهل الكوفة إلى معاوية: إن سيدنا ضربه
خسيس من غطفان، فإن رأيت أن تقيّدنا^(١٩) من أسماء بن خارجة. فلما قرأ معاوية

- (١) غوج اللبان: واسع الصدر.
- (٢) حصان: الجواد الفحل يضمن بمائه لأصلته.
- (٣) السنخ: الأصل.
- (٤) القرم: السيد الشجاع.
- (٥) الهجان، بكسر الهاء: ذو النسب من الرجال.
- (٦) المحبوك من الأفراس: القوية.
- (٧) السُرح من الخيول: التي تسبح في عدوها.
- (٨) الجراء: الجري.
- (٩) الأقارب، الواحد قرب: الخاصرة.
- (١٠) الجرداء من الأفراس: القصيرة الشعر، وهذا النوع من الجياد يفضلته العربي.
- (١١) السُرحوب، بضم السين: الفرس الطويلة.
- (١٢) هويها: سرعتها.
- (١٣) الجوجؤ للحيوان: مقدّم صدرها.
- (١٤) يكبو: ينحني مكباً على وجهه.
- (١٥) ذهل الجنان: مندهش القلب.
- (١٦) الأشم: الأنوف الذي يأنف الضيم.
- (١٧) الرعش: الجبان الذي يرتجف من شدة خوفه.
- (١٨) القبقاب: الكثير الكذب والهذر.
- (١٩) تقيّدنا: تأخذ بثأرنا.

الكتاب قال: ما رأيت كالיום كتاب قوم أحقق من هؤلاء. وحبس عبد الله بن الحجاج، وكتب إليهم: «إن القود ممن لم يجن محظوراً، والجاني محبوباً، حبسته فليقتص منه المجني عليه». فقال كثير بن شهاب لا استقيدها^(١) إلا من سيد مضر. فبلغ قوله معاوية فغضب وقال: أنا سيد مضر فليستقدها مني، وأمن عبد الله بن الحجاج، وأطلقه، وأبطل ما فعله بابن شهاب، فلم يقتص ولا أخذ له عقلاً.

قال أبو زيد: وقال خلاد الأرقط في حديثه:

إن عبد الله بن الحجاج لما ضربه بالعمود، قال له: أنا عبد الله بن الحجاج صاحبك بالري، وقد قابلتك بما فعلت بي، ولم أكن لأتكم نفسي، وأقسم بالله لئن طالبت فيها بقود لأقتلنك. فقال له: أنا أقتص من مثلك، والله أرضى بالقصاص إلا من أسماء بن خارجة! وتكلمت اليمانية وتحارب الناس بالكوفة، فكتب معاوية إلى المغيرة: أن أحضر كثيراً وعبد الله بن الحجاج فلا يبرحان من مجلسك حتى يقتص كثير أو يعفو. فأحضرهما المغيرة، فقال: قد عفوت؟ وذلك لخوفه من عبد الله بن الحجاج أن يغتاله. قال: وقال لي: يا أبا الأقيع، والله لا نلتقي أنت ونحن جميعاً أهتمان، وقد عفوت عنك.

ونسخت من كتاب ثعلب عن ابن الأعرابي، قال:

كان لعبد الله بن الحجاج ابنان يقال لأحدهما: عوين، والثاني جندب، فمات جندب وعبد الله حي فدفنه بظهر الكوفة، فمر أخوه عوين بحرثاً إلى جانب قبر جندب، فنهاه أن يقربه بفدانه، وحذره ذلك، فلما كان الغد وجده قد حرث جانبه، وقد نبشه وأضر به، فشد عليه فضربه بالسيف وعقر فدانه^(٢). وقال:

أقول لحرثي حريمي جنباً فدائيكما لا تحرثا قبر جندب
فإنكما إن تحرثاه تشرداً ويذهب فدان منكما كل مذهب
[الطويل]

قال: فأخذ عوين، فاعتقله السجان، فضربه حتى شغله بنفسه، ثم هرب، فوفد أبوه إلى عبد الملك فاستوهب جرمه فوهبه، وأمر ألا يتعقب، فقال عبد الله بن الحجاج، يذكر ما كان من ابنه عوين:

لمثلك يا عوين فدتك نفسي نجا من كربة إن كان ناجي

(١) استقيدها: أقتص وأثار لنفسه.

(٢) الفدان: المحراث.

عرفتك من مُصاص السِّنخ^(١) لما تركت ابن العكاس^(٢) في العجاج^(٣)
[الوافر]

قال: ولما وفد عبد الله بن الحجاج إلى عبد الملك بسبب ما كان من ابنه
عوين مثل بين يديه، فأنشده:

يا ابنَ أبي العاصي ويا خيرَ فتى أنت الذي لم تدع الأمر سُدى
ما زلتَ إن ناز^(٤) على الأمر انتزى كما أذقت ابن سعيدي إذ عصى
وأنتَ إن عُددَ قديم وبنى جيت قريشُ عنكم جوب الرّحي
أهوى على مهواةٍ بئرٍ فهوى فتجبر اليوم به شيخاً ذوى
وإن أراد النوم لم يقضِ الكرى يشكر ذاك ما نفت عينُ قذى^(٥)
أنت النجيب والخيارُ المصطفى حين كشفت الظلمات بالهدى
قضيته إن القضاء قد مضى وابن الزبير إذ تسمى^(٦) وطغى
من عبد شمس في السّماريخ^(٧) العلى هل أنت عافٍ عن طريد قد غوى
رمى به جُول^(٨) إلى جول الرجا^(٩) يعوي من الذئب إذا الذئب عوى
من هول ما لاقى وأهوال الردى نفسى وآبائي لك اليوم الفدا
[الرجز]

فأمر عبد الملك بتحمّل ما يلزم ابنه من غُرْم وعَقْل، وأمّنه.

ونسخت من كتاب ثعلب عن ابن الأعرابي، قال:

وفد عبد الله بن الحجاج إلى عبد العزيز بن مروان ومدحه، فأجزل^(١٠) صلته،
وأمره بأن يقيم عنده ففعل. فلما طال مقامه اشتاق إلى الكوفة وإلى أهله، فاستأذن
عبد العزيز فلم يأذن له، فخرج من عنده غاضباً، فكتب عبد العزيز إلى أخيه بشر أن
يمنعه عطاءه، فمنعه ورجع عبد الله لما أضرَّ به ذلك إلى عبد العزيز، وقال يمدحه:

(١) السِّنخ: أصل النسب الرفيع.

(٢) العكاس: ليل عكاس مظلم.

(٣) العجاج: الغبار.

(٤) تسمى: تلقب بلقب خليفة المسلمين.

(٥) السّماريخ، الواحد شمراخ: رؤوس الجبال وقممها.

(٦) الجول: جدار البئر.

(٧) الرجا: ناحية البئر.

(٨) القذى: ما يقع في العين أو اللبن من صغير القش أو التراب.

(٩) أجزل صلته: أكثر عطاءه.

تركت ابنَ ليلَى ضَلَّةً وحريمه
ألم يَهْدِنِي أَنْ المُرَاغِمَ^(٢) واسعٌ
سأُحْكِمَ أمري إن بدالِي رَشْدُهُ
وأترك أوطاري^(٣) وألحق بأمري
أبت لك يا عبدَ العزيز مآثرُ
أبى لك إذ أكدوا^(٥) وقلَّ عطاؤهم
أبوك الذي ينميك^(٧) مروان للعلَى
وعند ابن ليلَى معقل ومُعَوَّلُ^(١)
وَأَنَّ الديار بالمقِيم تنقُلُ
وأختار أهل الخير إن كنتُ أعقلُ
تحلَّبُ كفاه الندى حين يُسألُ
وجري شأى^(٤) جريَ الجياد وأوّلُ
مواهبُ فيّاض ومجدٌ مؤثّلُ^(٦)
وسعد الفتى بالخال لا من يخوّلُ^(٨)
[الطويل]

فقال له عبد العزيز: أمّا إذ عرفت موضع خطئك، واعترفت به فقد صفحت عنك. وأمر بإطلاق عطائه، ووصله، وقال له: أقيم ما شئت عندنا، أو انصرف مأذوناً لك إذا شئت.

ونسخت من كتابه أيضاً:

عبد الله بن الحجاج يعاونه قومه على عمر بن هبيرة:

كان عمر بن هبيرة بن معية بن سكين قد ظلم عبد الله بن الحجاج حقاً له، واستعان عليه بقومه، فلقوه في بعلبك، فعاونوا عبد الله بن الحجاج عليه، وفرّقوه^(٩) بالسياط حتى انتزعوا حقه منه، فقال عبد الله في ذلك:

ألا أبلغ بني سعد رسولاً
أميطوا^(١٢) عنكم ضرط ابن ضرط
ولي حق فراطة^(١٣) أولينا
فما زالت مباسطتي ومجدي
ودونهم بسّيطه^(١٠) فالمعاط^(١١)
فإنّ الخبث مثلهم يُمَاطُ
قديماً والحقوق لها افتراطُ
وما زال التهياط^(١٤) والمياط^(١٥)

(١) المعول عليه: المعتمد عليه.

(٢) المراغم: المدى الرحب.

(٣) الأوطار، الواحد وطر: الحاجة، المطلب.

(٤) الشأى: السبق.

(٥) أكدوا: افتقروا.

(٦) مجد مؤثّل: مجد عريق وأصيل.

(٧) ينميك: يرفعك بانتسابك إليه.

(٨) يخول: هو من يدعي بأنه خال وليس كذلك.

(٩) فرّقوه بالسياط: أخافوه وأرعبوه.

(١٠) بسّيطه: أرض في البادية بين الشام والعراق.

(١١) المعاط: موضع.

(١٢) أماط: كشف، وأزال.

(١٣) الفراطه، بضم الفاء: يُخاف فوتها.

(١٤) التهياط: اجتماع القوم وإصلاح أمرهم بينهم.

(١٥) المياط: التحني والابتعاد.

وَجَدِّي بِالسِّيَاطِ عَلَيْكَ حَتَّى
مَتَى مَا تَعْتَرِضُ يَوْمًا لِحَقِّي
مَنْ الْحَيَّيْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ سَعْدٍ
تَرَاهُمْ فِي الْبُيُوتِ وَهُمْ كُسَالَى
تُرِكَتْ وَفِي ذُنَابِكَ^(١) انْبِسَاطُ
تَلَاقِكَ دُونَهُ سُعْرٌ^(٢) سِبَاطُ^(٣)
وَمَرَّةٌ أَخَذَ جَمْعَهُمْ اعْتِبَاطُ^(٤)
وَفِي الْهَيْجَا إِذَا هَيَجُوا نِشَاطُ
[الوافر]

والقصيدة التي فيها الغناء بذكر أمر عبد الله بن الحجاج أولها:

نَأْتُكَ^(٥) وَلَمْ تَخْشَ الْفِرَاقَ جَنُوبُ
طَرِبْتَ إِلَى الْحَيِّ الَّذِينَ تَحَمَّلُوا
فَظَلْتُ كَأَنِّي سَاوَرْتَنِي^(١٠) مُدَامَةٌ
تَمَرُّ وَتَسْتَحْلِي عَلَى ذَاكَ شَرْبُهَا
كَمِيتٌ^(١٣) إِذَا صُبَّتْ وَفِي الْكَأْسِ وَرْدَةٌ
تَذَكَّرْتُ ذِكْرِي مِنْ جَنُوبٍ مَصِيبَةٌ
وَأَتَى تَرْجِي الْوَصْلَ مِنْهَا وَقَدْ نَأَتْ
فَمَا فَوْقَ وَجْدِي^(١٥) إِذْ نَأَتْ^(١٦) وَجَدٌ وَاجِدٌ
بِرَهْرَهَةٍ^(١٨) خَوْدٌ^(١٩) كَأَنَّ ثِيَابَهَا
وَشَطَّتْ^(٦) نَوَى^(٧) بِالظَّاعِنِينَ^(٨) شَعُوبٌ^(٩)
بِبُرْقَةٍ أَحْوَازٍ وَأَنْتَ طَرُوبٌ
تَمْنَى بِهَا شَكْسُ الطَّبَاعِ^(١١) أَرِيبٌ^(١٢)
لَوَجْهِ أَخِيهَا فِي الْإِنَاءِ قُطُوبٌ
لَهَا فِي عِظَامِ الشَّارِبِينَ دِيبٌ^(١٤)
وَمَالِكٌ مِنْ ذِكْرِي جَنُوبٌ نَصِيبٌ
وَتَبْخُلُ بِالْمَوْجُودِ وَهِيَ قَرِيبٌ
مَنْ النَّاسِ لَوْ كَانَتْ بِذَاكَ تَثِيبٌ^(١٧)
عَلَى الشَّمْسِ تَبْدُو تَارَةً وَتَغِيبُ
[الطويل]

(١) الذنابي: الذنب.

(٢) السُّعْرُ، بضم السين والعين، الواحد أسعر من الرجال: هو القليل اللحم الظاهر العصب.

(٣) السِّبَاطُ: مفرد سبط، وهو المعتدل القوام.

(٤) الاعتباط: الشتم والتنفص من قيمة المشتوم. والاندفاع إلى الحرب عن رضى.

(٥) نَأْتُكَ: ابتعدت عنك.

(٦) شَطَّتْ: بعدت.

(٧) النوى: البعد وهنا بمعنى الدار أو الإقامة.

(٨) الظاعنين: الراحلين، تاركي الديار.

(٩) شعوب: مفرقة.

(١٠) ساورتني مدامة: لعبت برأسي الخمرة.

(١١) شكس الطباع: صعب المراس والخلق.

(١٢) الأريب: الذكي.

(١٣) الخمرة الكميت: الحمراء التي خالطها سواد.

(١٤) الدبيب: السريان ببطء.

(١٥) وجدي: شدة حبي وشوقي.

(١٦) نأت: بعدت.

(١٧) تثيب: تمنع، تنعم.

(١٨) البرهرة من النساء: الشابة البيضاء الناعمة.

(١٩) الخود، بفتح الخاء من النساء: الشابة الناعمة حسنة الخلق.

وهي قصيدةٌ طويلةٌ :

ونسخت من كتاب ثعلبٍ عن ابن الأعرابي ، قال :

كتب الحجاج إلى عبد الملك بن مروان يُعرِّفه آثار عبد الله بن الحجاج ،
وبلاءه من محاربتة ، وأنه بلغه أنه آمنه ، ويحرضه ويسأله أن يوفده إليه ليتولَّى قتله ،
وبلغ ذلك عبد الله بن الحجاج ، فجاء حتى وقف بين يدي عبد الملك ، ثم أنشده :

أعوذ بثوبَيْكَ اللَّذَيْنِ ارتداهما كريمُ الثَّنا^(١) مِنْ جَيْبِهِ الْمَسْكُ يَنْفُحُ^(٢)
فإن كنتُ مأكولاً فكُنْ أَنْتَ آكلي وإن كنت مذبوحاً فكُنْ أَنْتَ تذبَحُ
[الطويل]

فقال عبد الملك : ما صنعتَ شيئاً . فقال عبد الله :

لأَنْتَ وخَيْرُ الظَّافِرِينَ كرامُهُم عنِ الْمَذْنَبِ الْخَاشِي الْعَقَابَ صَفْوُحُ
ولو زِلَقْتُ مِنْ قَبْلِ عَفْوِكَ نَعْلُهُ تَرَامِي بِهِ دَحْضُ الْمَقَامِ^(٣) بِرِيحِ^(٤)
نَمِي بِكَ^(٥) إِنْ خَانَتْ رَجَالاً عُرُوقَهُم أُرُومُ^(٦) وَدِينٌ لَمْ يَخْنُكْ صَحِيحُ
وَعَرَفُ^(٧) سَرَى^(٨) لَمْ يَسْرِ فِي النَّاسِ مِثْلُهُ وَشَاؤُ^(٩) عَلَى شَأْوِ الرِّجَالِ مَتَوُحُ^(١٠)
تَدَارَكْنِي عَفْوُ ابْنِ مَرْوَانَ بَعْدَمَا جَرَى لِي مِنْ بَعْدِ الْحَيَاةِ سَنِيعُ^(١١)
رَفَعْتُ مَرِيحاً نَاطِرِيَّ وَلَمْ أَكِدْ مَنْ الْهَمِّ وَالْكَرْبِ^(١٢) الشَّدِيدِ أَرِيحُ
[الطويل]

فكتب عبد الملك إلى الحجاج : إني قد عرفت من حُبث عبد الله وفسقه ما لا
يزيدني علماً به ، إلا أنه اغتفلني^(١٣) متنكراً ، فدخل داري ، وتحرم بطعامي ،
واستكساني^(١٤) فكسوته ثوباً من ثيابي ، وأعاذني فأعذته ، وفي دون هذا ما حظر عليّ
دمه ، وعبد الله أقلُّ وأذلُّ من أن يوقع أمراً ، أو ينكث^(١٥) عهداً في قتله خوفاً من

(١) كريم الثناء : كريم الخلق والسجايا الحسنة . (٢) ينفح المسك : يتنوع ، ينتشر .

(٣) دحض المقام : الزلق من الأمكنة . (٤) البريح : المرهق .

(٥) نمي بك : سما بك نسب رفيع . (٦) الأروم : الأصول .

(٧) العرف ، بفتح العين : الطيب . (٨) سرى : انتقل ليلاً .

(٩) الشاؤ : المدى والغاية .

(١٠) المتوحد : البعيد .

(١١) السنيح : البادي من الطيور التي اتجهت إلى اليمين ، يستبشر به من أطاره .

(١٢) الكرب : تنغص العيش والحزن . (١٣) اغتفلني : غافلني وخذعني .

(١٤) استكساني : طلب مني كسوة . (١٥) نكث العهد : خانه وانقلب عليه .

شره، فإن شكر النعمة وأقام على الطاعة فلا سبيل عليه، وإن كفر ما أتى وشاقَّ الله ورسوله وأوليائه فالله قاتله بسيف البغي^(١) الذي قتل به نظراؤه ومن هو أشدُّ بأساً وشكيمة منه، من الملحدين، فلا تعرض له ولا لأحدٍ من أهل بيته إلا بخير، والسلام.

أخبرني محمد بن يحيى الصولي، قال: حدثنا الحزنبل عن عمرو بن أبي عمرو الشيباني، قال:

كانت في القريتين^(٢) بركة من ماء، وكان بها رجل من كلب يقال له: دعكنة، لا يدخل البركة معه أحدٌ إلا غطَّه^(٣) حتى يغلبه، فغطَّ يوماً فيها رجلاً من قيس بحضرة الوليد بن عبد الملك حتى خرج هارباً، فقال ابن هبيرة، وهو جالس عليها يومئذ: اللهم اصبب علينا أبا الأقيصر عبد الله بن الحجاج. فكان أول رجل انحدرت به راحلته، فأناخها ونزل، فقال ابن هبيرة للوليد: هذا أبا الأقيصر والله يا أمير المؤمنين، أيهما أخزى الله صاحبه به. فأمره الوليد أن ينحطَّ عليه في البركة والكلبيُّ فيها واقفٌ متعرِّضٌ للناس وقد صدَّوا عنه. فقال له: يا أمير المؤمنين إني أخاف أن يقتلني فلا يرضى قومي إلا بقتله، أو أقتله فلا يرضى قومه إلا بمثل ذلك، وأنا رجلٌ بدويٌّ، ولستُ بصاحب مال. فقال دعكنة: يا أمير المؤمنين هو في حلٍّ وأنا في حلٍّ. فقال له الوليد: دونك. فتكأ^(٤) ساعة كالكاره حتى عزم عليه الوليد، فدخل البركة، فاعتنق الكلبيُّ وهوى به إلى قعرها، ولزمه حتى وجد الموت، ثم خلى عنه، فلما غطَّه غطَّة ثانية، وقام عليه ثم أطلقه حتى تروَّح، ثم أعاده وأمسكه حتى مات، وخرج ابن الحجاج وبقي الكلبيُّ، فغضب الوليد وهمَّ به، فكلَّمه يزيد وقال: أنت أكرهته، أفكان يُمكن الكلبيُّ من نفسه حتى يقتله؟ فكفَّ عنه. فقال عبد الله بن الحجاج في ذلك:

نَجَّاني اللّهُ فرداً لا شريك له بالقريتين ونفسٌ صُلْبَةُ العودِ
وذِمَّةٌ مِن يزيدٍ حالَ جانبها دوني فأنجيتُ عفواً غيرَ مجهودِ
لولا الإلهُ وصبري في مغاطستي كان السليمُ وكنت الهالك المودي
[البسيط]

(١) سيف البغي: الظلم والطغيان.

(٢) القريتين: من بلاد الشام، قرية بحمص.

(٣) غطَّه: غطَّسه وغلبه.

(٤) تكأ: تقبَّض جنباً وانكمش على نفسه.

صوت

يا حَبَّذا عَمَلُ الشَّيْطَانِ مِنْ عَمَلٍ إِنْ كَانَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ حُبَّيْهَا^(١)
لنَظْرَةٍ مِنْ سَلِيمَى الْيَوْمِ وَاحِدَةً أَشْهَى إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا
[البسيط]

الشعر لناهض بن ثومة الكلابي، أنشدني هاشم بن محمد الخزاعي، قال:
أنشدنا الرياشي قال: أنشدنا ناهض بن ثومة أبو العطف الكلابي هذين البيتين لنفسه.
وأخبرني بمثل ذلك عمي عن الكراني عن الرياشي. والغناء لأبي العبيس بن حمدون
ثقیلٌ أوّلٌ يُنشد بالوسطی.

(١) حَبَّيْهَا: حبي إياها.

أخبار ناهض بن ثومة ونسبه

هو ناهض بن ثومة بن نصيح بن نهيك بن إمام بن جهضم بن شهاب بن أنس بن ربيعة بن كعب بن بكر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، شاعر بدوي فارس فصيح، من الشعراء في الدولة العباسية، وكان يقدم البصرة فيكتب عنه شعره، وتؤخذ عنه اللغة. روى عنه الرياشي، وأبو سراقه، ودماذ وغيرهم من رواة البصرة. وكان يهجو رجلاً من بني الحارث بن كعب، يقال له: نافع بن أشعر الحارثي، فأثرى عليه^(١) ناهض. فمما قاله في جواب قصيدة هجا بها قبائل قيس، قصيدة ناهض التي أولها:

ألا يا اسلما يا أيها الطلّان
أبينّا لنا، حُيِّثُما اليوم، إنّنا
متى العهد من سلمى التي بتت^(٢) القوى
ولا زال ينهلّ الغمام عليكما
فإن أنتما بيّنتما أو أجبتما
وجرّ الحرير والفرند^(٦) عليكما
نظرت ودوني قيد^(٨) رمحين نظرة
إلى ظعن^(٩) بالعاقرين^(١٠) كأنّها
وهل سالم باقٍ على الحدّثان؟!
مبينان عن ميلٍ بما تسلان
وأسماء إن العهد منذ زمان
سبيل الرّبي من وابل^(٣) ودجان^(٤)
فلا زلتما بالنبت ترتديان^(٥)
بأذيال رخصات الأكف هجان^(٧)
بعينين إنساناهما غرقان
قرائن^(١١) من دوح^(١٢) الكثيب^(١٣) ثمان

(٢) بتت: قطعت.

(١) أثرى عليه: تفوق وزاد عليه.

(٤) الدجان: مفردا دجنة، وهي المطر الكثير.

(٣) الوابل: المطر الغزير العظيم القطر.

(٦) الفرند: ضرب من الثياب المزركشة.

(٥) ترتديان: تلبسان.

(٨) القيد: المقدار.

(٧) الهجان: البيض.

(٩) الظعن، الواحدة ظاعة: المرتحلة في هودجها.

(١٠) العاقرين، بفتح الراء: موضعان في وادي العقيق متكافئان.

(١١) القرائن: المتشابهة، المتماثلة.

(١٢) الدوح: ضرب من الشجر عظيم.

(١٣) الكثيب: التلّ الرملي.

بقلبي كنيْنِي لوعةٍ وضمانٍ
ويا ربَّ هجرٍ معقبٍ بتداني
كفاني ما بي لو تُركتُ كفاني
بحبليهما حبلي فمن تصلان؟
ومَعواه^(٤) من نجران حيث عواني
مقيماً بلوذِي^(٥) يذبل وذقان^(٦)
مقالة موطوء^(٧) الحريم مهانٍ
بعاقبةٍ يُرمى به الرجوان^(٨)
فجئ للذي لم يستبِن ببيانٍ
فدَع ما تمئى زَلَّت القدمانِ
فذاك الذي يخزى به الأبوانِ
به الطَّلُ حتى يحشر الثَّقَلانِ
بنو عامر ضَيماً^(٩) بكل مكانٍ
وما ضرَّ قولٌ كاذبٌ بلسانٍ
ولم يهْجُ كعب نافعاً لأوانٍ
قوارُع^(١٠) منها وُضِّح^(١١) وقوان^(١٢)
خضاب نجيع^(١٣) لا خضاب دهانٍ

لسلمى وأسماء اللتين أَكُنَّا^(١)
عسى يُعقبُ الهجرُ الطويل تدانيا
خليلي^(٢) قد أَكثرتما اللومَ فاربعاً^(٣)
إذا لم تصل سلمى وأسماء في الصُّبا
فدع ذا ولكن قد عجبْتُ لنافع
عوى أسداً لا يزدهيه عواؤه
لعمري لقد قال ابن أشعر نافعُ
أيزعم أنَّ العامريَّ لفعله
ويذكر إن لاقاه زُلَّةً نعله
كذبت ولكن بابن علبة جعفر
أصيب فلم يُعقل^(٩) وطُلَّ^(١٠) فلم يُقدَّ
وحقَّ لمن كان ابن أشعر ثائراً
ذليلٌ ذليلُ الرهط أعمى يسومه
فلم يبق إلا قوله بلسانه
هجا نافع كعباً ليدرك وتره^(١٢)
ولم تعف من آثار كعب بوجهه
وقد خضَّبوا وجه ابن علبة جعفر

(٢) خليلي: صاحبي، صديقي.

(٤) معواه: صوته.

(٦) يذبل وذقان: جبلان.

(١) أَكُنَّا: خَبَّأْنَا.

(٣) أربعاً: توقفاً عن اللوم.

(٥) اللوذ: جانب الجبل وما يحيط به.

(٧) الموطوء: المداس والذليل.

(٨) الرجا: الناحية، والرجوان: المهمل والمبعد لهوانه على الناس.

(٩) لم يُعقل: لم تؤد ديتته.

(١٠) طُلَّ: أهدر دمه.

(١٢) القوان: بكسر الواو: الثَّأْر.

(١١) الضَّيْم: الظلم.

(١٣) القوارع، الواحدة قارعة: النوازل والمصائب.

(١٤) الوضَّح، الواحدة واضحة: الشَّجَّة في الرأس بادية آثارها.

(١٥) القواني، الواحدة قانية: الشديدة الحمرة.

(١٦) النجيع: دم القلب.

فلم يَهْجُ كعباً نافعٌ بعد ضربةٍ
 فما لك مَهْجِي يا ابنَ أشعرٍ فاكْتعم^(١)
 إذا المرء لم ينهض فيثأر بعمّه
 أبي قيسٍ عيلانٍ وعمّي خندفٌ
 إذا ما تجمّعنا وسارت حذاءنا
 أليس نبيُّ الله منّا محمداً
 ومنا ابن عباسٍ ومنّا ابن عمه
 وعثمان والصديقُ منّا وإننا
 ومنّا بنو العباس فضلاً فمن لكم؟

قال: فأنشد ناهضُ هذه القصيدة أيوب بن سليمان بن علي بالبصرة، وعندَه خالٌّ له من الأنصار، فلما ختمها بهذا البيت قال الأنصاري: أحرصنا أخرسه الله!

وكان جدّه نصيحٌ شاعراً، وهو الذي يقول:

ألا من لقلبٍ في الحجاز قسيمه
 معاودٍ شكوى أن نأت أمّ سالم
 سليمٌ لصلٍّ^(٥) أسلمته لما به
 فلم ترم الدار البريصاء^(٧) فالصفا
 وقفت عليها بازلاً^(٩) ناهجيّة^(١٠)
 ومنه بأكنافٍ الحجاز قسيمٌ
 كما يشتكي جُنح الظلام سليمٌ^(٤)
 رُقّي قلّ عنه دفعها وتميمٌ^(٦)
 صفاها فخلّاهما فأيّن تريمٌ^(٨)
 إذا لم أزعها^(١١) بالزمّام^(١٢) تعومٌ^(١٣)

- (١) إكتعم: كعم الشيء: شدّه، ويقال كعم الخوف فلاناً أي دفعه فلا يرجع، أو كعم فلان البعير: أي شدّ فمه لئلاّ بعضّ أو يأكل.
- (٢) الخطران: أي يخطر المرء بما عليه ومعه من سلاح، ثم يضع سلاحه جانباً.
- (٣) هلموه: اجعلوه يرحل.
- (٤) السليم: اللديغ قيل له ذلك على أمل الشفاء من لدغة حيّة.
- (٥) الصلّ: ضرب من الحيات خبيث.
- (٦) التميم، الواحدة تميمّة: التعويذة يتخذها المرء دفعاً للحسد.
- (٧) حيّة بريصاء: أي في جلدها لمع بياض. (٨) تريم: تقصد التفرّق تبرح.
- (٩) بازلاً: أي بغيراً انشق نابه.
- (١٠) ناهجيّة: متابعه النفس والآهات من شدّة الحركة.
- (١١) أزعها: أردعها.
- (١٢) الزمّام: المقود.
- (١٣) تعوم: تجري الناقة في جريها كأنها تسبح لشدة عدوها.

كنازاً^(١) من اللاتي كأن عظامها جُبِرْنَ على كسر فهنَّ عشوم^(٢)
[الطويل]

الفضل بن العباس يتحدث في بداوة ناهض :

أخبرني الحسن بن علي الخفاف، قال: حدثنا محمد بن القاسم، قال: حدثني الفضل بن العباس الهاشمي من ولد قُثم بن جعفر بن سليمان عن أبيه، قال:

كان ناهض بن ثومة الكلابي يفد على جدِّي قثم فيمدحه، ويصله جدِّي وغيره، وكان بدويًّا جافياً كأنه من الوحش، وكان طيب الحديث، فحدثه يوماً: أنهم انتجعوا ناحية الشام، فقصده صديقاً له من ولد خالد بن يزيد بن معاوية كان ينزل حلب، فإذا نزل نواحيها أتاه فمدحه، وكان برّاً به، قال: فمررت بقرية يقال لها قرية بكر بن عبد الله الهلالي، فرأيت دوراً متباينة وخصاصاً^(٣) قد ضمَّ بعضها إلى بعض، وإذا بها ناسٌ كثير مقبلون ومدبرون، عليهم ثيابٌ تحكي ألوان الزهر، فقلت في نفسي: هذا أحد العيدين: الأضحى أو الفطر. ثم تاب إليّ ما عزّب عن عقلي، فقلت: خرجت من أهلي في بادية البصرة في صفر، وقد مضى العيدان قبل ذلك، فما هذا الذي أرى؟

فبينما أنا واقفٌ متعجب أتااني رجل فأخذ بيدي، فأدخلني داراً قوراء^(٤)، وأدخلني منها بيتاً قد نُجد في وجهه فُرش ومُهَّدت، وعليها شابٌ ينال فروع شعره منكبيه، والناس حوله سِمَاطان^(٥)، فقلت في نفسي: هذا الأمير الذي حُكي لنا جلوسه على الناس وجلوس الناس بين يديه، فقلت: وأنا مائل بين يديه: السلام عليك أيها الأمير ورحمة الله وبركاته. ف جذب رجلٌ يدي، وقال: اجلس فإن هذا ليس بأمرير. قلت: فما هو؟ قال: عروس. فقلت: واثكل أمّاه، لربّ عروس رأيته بالبادية أهون على أهله من هن أمّه^(٦). فلم أنشب^(٧) أن دخل رجالٌ يحملون هَنَات^(٨) مدوراتٍ، أمّا ما خفّ منها فيحمل حملاً، وأمّا ما كبر وثقل فيدحرج فوضع ذلك أمامنا، وتحلّق القوم عليه حلّقاً، ثم أتينا بخرقٍ بيض فألقيت بين أيدينا، فظننتها ثياباً، وهممتُ أن أسأل القوم منها خرقاً أقطعها قميصاً، وذلك أنني رأيت نسجاً متلاحماً لا يبين له سدّ ولا لحم، فلما بسطه القوم بين أيديهم إذا هو يتمزّق سريعاً، وإذا هو - فيما زعموا - صِنْفٌ من

(١) كنز: كثيرة اللحم سمينة.

(٢) العشوم: المنجبرة على غير استواء.

(٣) الخصاص: مفردها خص وهو البيت من قَصَب أو شجر.

(٤) دار قوراء: متسعة الأنحاء.

(٥) سِمَاطان: صفان.

(٦) هن أمّه: فرجها.

(٧) فلم أنشب: ما زلت أن وجدت.

(٨) الهَنَات، بفتح الهاء: الأشياء.

الخبز لا أعرفه؛ ثم أتينا بطعام كثير بين حلو وحامض، وحر وبارد؛ فأكثر منه وأنا لا أعلم ما في عقبه من التخم والبشم^(١)؛ ثم أتينا بشراب أحمر في عِساس^(٢)، فقلت: لا حاجة لي فيه، فإني أخاف أن يقتلني.

وكان إلى جانبي رجل ناصح لي أحسن الله جزاءه، فإنه كان ينصح لي من بين أهل المجلس، فقال: يا أعربي إنك قد أكثرت من الطعام، وإن شربت الماء همى^(٣) بطنك. فلما ذكر البطن تذكرت شيئاً أوصاني به أبي والأشياخ من أهلي، قالوا: لا تزال حياً ما كان بطنك شديداً فإذا اختلف^(٤) فأوص. فشربت من ذلك الشراب لأتداوى به، وجعلت أكثر منه فلا أمل شر به، فتدخلني من ذلك صلف لا أعرفه من نفسي، وبكاء لا أعرف سببه ولا عهد لي بمثله، واقتدار على أمري أظن معه أنني لو أردت نيل السقف لبلغته، ولو ساورت^(٥) الأسد لقتلته، وجعلت ألتفت إلى الرجل الناصح لي فتحدثني نفسي بهتم أسنانه وهشم أنفه، وأهم أحياناً أن أقول له: يا ابن الزانية! فبيننا نحن كذلك إذ هجم علينا شياطين أربعة، أحدهم قد علّق في عنقه جعبة فارسية مشنّجة^(٦) الطرفين دقيقة الوسط، مشبوحة بالخيوط شبحاً منكراً؛ ثم بدر الثاني فاستخرج من كمّه هنة^(٧) سوداء كفيشلة الحمار^(٨)، فوضعها في فيه، وضرط ضراطاً لم أسمع - وبيت الله - أعجب منه، فاستتم بها أمرهم، ثم حرّك أصابعه على أجرة فيها فأخرج منها أصواتاً ليس كما بدأ تشبه بالضراط ولكنه أتى منها لمّا حرّك أصابعه بصوت عجيب متلائم متشاكلاً بعضه لبعض، كأنه، علم الله، ينطق. ثم بدا ثالث كز^(٩) مقيت عليه قميص وسخ، معه مرأتان، فجعل يصفق بيديه إحداهما على الأخرى فخالطتا بصوتهما ما يفعله الرجلان، ثم بدا رابع عليه قميص مصون وسراويل مصونة وخفان أجذمان^(١٠) لا ساق لواحد منهما، فجعل يقفز كأنه يثب على ظهور العقارب، ثم التبط^(١١) به على الأرض، فقلت: معتوه ورب الكعبة! ثم ما برح مكانه حتى كان أغبط القوم عندي. ورأيت القوم يحذفونه^(١٢) بالدراهم حذفاً منكراً.

ثم أرسل النساء إلينا: أن أمتعوننا من لهوكم هذا. فبعثوا بهم، وجعلنا نسمع

(١) البشم من الطعام: الشعور بالتخمة.

(٢) العساس، بكسر العين: الكؤوس الكبيرة.

(٣) همى بطنه: أي انطلق.

(٤) اختلف بطنه: أصابه إسهال.

(٥) ساورت الأسد: واثبته.

(٦) مشنّجة: منقبضة.

(٧) الهنة: شيء ما.

(٨) الفيشلة: الحشفة ورأس كل مدور.

(٩) الكز المقيت: الرجل الكريه المنظر العبوس.

(١٠) أجذمان: منقطعان.

(١١) التبط به: ضرب نفسه به.

(١٢) يحذفونه: يرمونه.

أصواتهنّ من بعد، وكان معنا في البيت شابٌ لا أبه له^(١)، فعلت الأصوات بالثناء عليه والدعاء، فخرج فجاء بخشبةٍ عيناها في صدرها، فيها خيوطٌ أربعة، فاستخرج من خلالها عوداً فوضعه خلف أذنه، ثم عرك آذانها وحركها بخشبة في يده فنطقت - وربّ الكعبة - وإذا هي أحسن قينة^(٢) رأيتها قط، وغنى عليها، فأطربني حتى استخفني من مجلسي، فوثبتُ فجلست بين يديه، وقلت: بأبي أنت وأمي، ما هذه الدابة فلست أعرفها للأعراب وما أراها خلقت إلا قريباً. فقال: هذا البربط^(٣)؟ فقلت: بأبي أنت وأمي، فما هذا الخيط الأسفل؟ قال: الزير^(٤). قلت: فالذي يليه؟ قال: المثنى^(٥). قلت: فالثالث؟ قال: المثلث^(٦). قلت: فالأعلى؟ قال: البم^(٧) قلت: آمنت بالله أولاً، وبك ثانياً، وبالبرط ثالثاً، وبالbm رابعاً.

قال: فضحك أبي، والله، حتى سقط، وجعل ناهضٌ يعجب من ضحكه، ثم كان بعد ذلك يستعيده هذا الحديث، ويُطرف به إخوانه فيعيده ويضحكون منه.

وقد أخبرني بهذا الخبر أحمد بن عبد العزيز الجوهري، قال: حدثنا علي بن محمد النوفلي، عن أبيه، قال: كان محمد بن خالد بن يزيد بن معاوية بحلب، فأتاه أعرابيٌّ، فقال له: حدث أبا عبد الله - يعني الهيثم بن النخعي - بما رأيت في حاضر المسلمين. فحدثه بنحو من هذا الحديث، ولم يُسم الأعرابي باسمه، وما أجدره بأن يكون لم يعرفه باسمه ونسبه أو لم يعرفه الذي حدث به النوفلي عنه.

الكعبي يستعدي قومه بني كلاب على من عقر إبله:

نسخت من كتاب لعلي بن محمد الكوفي فيه شعر ناهض بن ثومة، قال: كان رجلٌ من بني كعب قد تزوّج امرأةً من بني كلاب، فنزل فيهم ثم أنكر منها بعض ما ينكره الرجل من زوجته فطلّقها، وأقام بموضعه في بني كلاب، وكانوا لا يزالون يستخفون به ويظلمونه، وإن رجلاً منهم أورد إبله الماء فوردت إبل الكعبي عليها، فزاحمته، لكنها ألقت على ظهره فتكشّفت، فقام مُغضباً بسيفه إلى إبل الكعبي، فعقر^(٨) منها عدّة، وجلاها عن الحوض، ومضى الكعبي مستصرخاً بني كلاب على الرجل، فلم يُصرخوه، فساق باقي إبله واحتمل بأهله حتى رجع إلى عشيرته، فشكا ما لقي من القوم واستصرخهم، فغضبوا له، وركبوا معه حتى أتوا حلّة بني كلاب، فاستاقوا إبل

(٥) المثنى من أوتار العود: بعد الأول.

(٦) المثلث: من أوتار العود.

(٧) البم: الوتر الغليظ من أوتار المزهر.

(٨) عقر: ذبح.

(١) لا أبه له: لا أهتم به.

(٢) القينة من الإماء: المغنية.

(٣) البربط: العود.

(٤) الزير: أدق أوتار العود.

الرجل الذي عقر لصاحبهم، ومضى الرجل فجمع عشيرته، وتداعت هي وكعب للقتال، فتحاربوا في ذلك حرباً شديداً، وتمادى الشرُّ بينهم، حتى تساعى حلماؤهم في القضية، فأصلحوها على أن يُعقل القتلى والجرحى، وتُردَّ الإبل، وتُرسل من العاقر عدة الإبل التي عقرها للكعبي، فتراضوا بذلك واصطلحوا، وعادوا إلى الإلفة، فقال في ذلك ناهض بن ثومة:

أمن طلل^(١) بأخطب^(٢) أبدته^(٣) نجاء الوبل^(٤) والديمّ النضاح^(٥)
ومرُّ الدهر يوماً بعد يوم فما أبقى المساء ولا الصباح
فكل محلة غنيت^(٦) بسلمى لريدات الرياح^(٧) بها نواح
تطل^(٨) على الجفون الحزن حتى دموع العين ناكزة نزاح^(٩)
[الوافر]

وهي طويلةٌ يقول فيها:

هنيئاً للعدى سخطٌ ورغمٌ وللعين الرقادُ فقد أطالت
وقد قال العداةُ نرى كلاباً تداعوا للسلام وأمرُ نجح
ومدّوا بينهم بحبال مجدٍ ألم تر أن جمع القوم يُخشى
وأن القِدح^(١٢) حين يكون فرداً وللفرعين بينهما اصطلاحٌ
مساهرةٌ وللقلب انتجاحٌ وكعباً بين صلحهما افتتاح
وخير الأمر ما فيه النجاحٌ وثدي لا أجْدُ^(١٠) ولا ضياح^(١١)
وأن حريم واحدٍ منهم مباحٌ فيهِصر^(١٣) لا يكون له اقتداح^(١٤)

(١) الطلل: الشاخص من الآثار.

(٢) أخطب: فارقه فبدا موحشاً.

(٣) أبدته: الواحد نجو: وهو السحاب الذي انهل ماؤه، ونجاء الوابل: إنصباب المطر الغزير.

(٤) النجاء، الواحد ديمة: الغيمة المطيرة، والديمّ النضاح السحب التي تنضح بمائها الأرض.

(٥) غنيت: عمرت.

(٦) الريادات، الواحدة ريدة، وريدات الرياح: الرياح الهوجاء الشديدة الهبوب.

(٧) تطلّ على الجفون: تجعلها تدمع بغزارة.

(٨) ناكزة نزاح: هي التي استنفدت دموعها.

(٩) الأجد: المبتور، المقطوع.

(١٠) الضياح: اللبن الرقيق الممزوج.

(١١) القِدح، بكسر القاف: العود.

(١٢) يهصر: يكسر.

(١٣) اقتداح: اشتعال.

وإنك إن قبضت بها جميعاً
أنا الخطار^(١) دون بني كلاب
أنا الحامي لهم ولكل قَرم^(٣)
أنا الليث الذي لا يزدهيه
سل الشعراء عني هل أقرت
فما لكواهل الشعراء بُدُّ
ومن توريك^(٨) راكبه عليهم

أبت ما سُمت واحدها القداحُ
وكعبٍ إن أُتيح لهم مُتاح^(٢)
أخ حامٍ إذا جد النضاح^(٤)
عواء العاويات ولا الثُباحُ
بقلبي أو عفت^(٥) لهم الجراحُ
من القتب^(٦) الذي فيه لحاح^(٧)
وإن كرهوا الركوب وإن ألاحوا^(٩)
[الوافر]

ما وقع بين بني نمير وبني كلاب:

ونسخت من هذا الكتاب الذي فيه شعره، أنَّ وقعةً كانت بين بني نمير وبني كلاب بنواحي ديار مضر، وكانت لِكِلاب على بني نمير؛ وأن نميراً استغاثت ببني تميم، ولجأت إلى مالك بن زيد سيد تميم يومئذ بديار مضر، فمنع تميماً من إنجادهم، وقال: ما كنا لئُلقي بين قيس وخندف دماءً نحن عنها أغنياء، وأنتم وهم لنا أهل وإخوة، فإن سعيتم في صلح عاوناً، وإن كانت حمالة^(١٠) أعنّاً، فأما الدماء فلا مدخل لنا بينكم فيها. فقال ناهض بن ثومة في ذلك.

سلام الله يا مال بن زيد
تعلم أينالكم صديق
ولكننا وحي بني تميم
وإن كنا تكاففنا^(١١) قليلاً
وهيض العظم^(١٣) يُصبح ذا انصداع

عليك وخير ما أهدى السلاما
فلا تستعجلوا فينا الملاما
عداة لا نرى أبداً سلاما
كحرف السيف^(١٢) ينهار انهداما
وقد ظنّ الجهول به التئاما^(١٤)

(١) الخطار: البطل الذي يخطر بسلاحه مفتخراً.

(٢) المُتاح: القادر.

(٣) القرم: السيد الشجاع.

(٤) النضاح: النضال والدفاع.

(٥) عفت: إنمحت واختفت.

(٦) القتب: الرجل.

(٧) اللقاح: العقر.

(٨) التوريك: الاعتماد على الورك.

(٩) ألاحوا: تمنعوا.

(١٠) الحمالة: التعهد بدفع دية القتلى.

(١١) تكاففنا: توقفنا.

(١٢) السيف، بكسر السين، وحرف السيف: شاطئ البحر.

(١٣) هيض العظم: انكسر.

(١٤) الالتئام: الشفاء.

ولا الشَّيبَ الجَّحَاجِحَ^(١) والكراما
مَاتَمَ مَا تَجَفَّ لَهُم سَجَامَا^(٢)
يَرْجِي الجَاهِلُونَ لَهُم تَمَامَا
وُخْصَ لِمَالِكٍ فِيهَا الْكَلَامَا
هَوَانًا إِنَّهُ يُدْنِي الْفُطَامَا
أَعَزَّ اللَّهُ نَصْرَكُمْ وَدَامَا
وَرَهْطَ الْهَذْلَقِ الْمَوْفِي الذَّمَامَا^(٣)
وَمَا زَالُوا لِأَبِيهِمْ^(٤) زَمَامَا^(٥)
وَعَارِبَهَا^(٦) وَأَوْفَاهَا سَنَامَا^(٧)
أَغْرَنَرِي لَطَلَعَتَهُ ابْتِسَامَا
إِلَيْهِ لَا اخْتِفَاءَ وَلَا اِكْتِتَامَا^(٨)
فَلَا زَالَتْ أَنْوُفُهُمْ رَغَامَا
[الوافر]

قال: يعني بالهذلق: الهذلق بن بشير، أخا بني عتيبة بن الحارث بن شهاب، وابنيه علقمة وصباحا.

قال: وكانت بنو كعب قد اعتزلت الفريقين فلم تُصب كِلَابًا وَلَا نَمِيرًا، فلما ظفرت كِلَابٌ قال لهم ناهض:

وخذلانهم أَتَا سَرَرْنَا بَنِي كَعْبٍ
عَدَاةً أَتَيْنَا فِي كِتَابِنَا الْعُلْبِ
شَبِيهًا وَمَا فِي يَوْمِ شَيْبَانَ مِنْ عَتَبٍ
فَكَانَ الَّذِي نَالَتْ نَمِيرَ مَنْ النَّهْبِ

فلن ننسى الشبابَ المُرد مَنَا
وَنُوحَ نَوَائِحَ مَنَا وَمَنْهُمْ
فَكَيْفَ يَكُونُ صَلَحٌ بَعْدَ هَذَا
أَلَا قُلْ لِلْقَبَائِلِ مِنْ تَمِيمٍ
فَزِيدُوا يَا بَنِي زَيْدٍ نَمِيرًا
وَلَا تُبْقُوا عَلَى الْأَعْدَاءِ شَيْئًا
وَجَدْتَ الْمَجْدَ فِي حَيِّي تَمِيمٍ
نَجُومُ الْقَوْمِ مَا زَالُوا هُدَاةً
هُمْ الرُّؤُوسُ الْمَقْدَمُ مِنْ تَمِيمٍ
إِذَا مَا غَابَ نَجْمٌ آبَ نَجْمٍ
فَهَذَا لِبَنِ ثُومَةٍ فَانْسَبُوهَا
وَإِنْ رَغِمَتْ^(٩) لَذَاكَ بَنُو نَمِيرٍ

(١) الجحاجح، الواحد جحجح: سادات القوم.

(٢) السجام: انهمار دموع العين.

(٣) الذمام، بكسر الدال: العهد والأمان.

(٤) اللَّآئِي: الكاره.

(٥) الزمام: المقود.

(٦) الغارب: الكاهل.

(٧) السَّنام: حذبة الجمل.

(٨) الاكْتِتَام: الاختباء.

(٩) رَغِمَتْ: ذَلَّتْ.

(١٠) نَأَتْ الديار: بعدت.

رؤوس وأوصال يزابل^(١) بينها
لنا وقعت في نُمير تتابعت
وقد علمت قيس بن عيلان كلُّها
ألم ترهم طُرّاً^(٥) علينا تحزَّبوا
وإننا لنقتاد الجياد على الوجى^(٧)
ففي أي فجٍ^(٩) ما ركزنا رماحنا
سباعٌ تدلَّت من أبائين^(٢) والهضبِ
بضيمٍ على ضيمٍ^(٣) ونكبٍ^(٤) على نكبٍ
وللحرب أبناءٌ بأننا بنو الحربِ
وليس لنا إلا الردينيَّ^(٦) من حزبٍ
لأعدائنا من لا مُدان ولا صَقبٍ^(٨)
مخوفٍ بنصبٍ للعدا حين لا نصبٍ^(١٠)

[الطويل]

أخبرنا جعفر بن قدامة بن زياد الكاتب، قال: حدثني أبو هفان، قال: حدثني
غُرَيْر بن ناهض بن ثومة الكلابي، قال: كان شاعر من نمير نُمير يقال له: رأس الكبش،
قد هاجى عُمارة بن عقيل بن بلال بن جرير زماناً، وتناقضا الشعر بينهما مدة، فلما
وقعت الحرب بيننا وبين بني نُمير قال عُمارة يحرض كعباً وكلاباً ابني ربيعة على بني
نُمير في هذه الحرب التي كانت بينهم، فقال:

رأيتكما يا ابني ربيعة خُرْتُما^(١١) وعولتما^(١٢) والحرب ذات هريـر^(١٣)
وصدقتما قول الفرزدق فيكما
فإن أنتما لم تقذعا^(١٤) الخيل بالقنا^(١٥)
تسومكما^(١٧) بغيا نُمير هزيمة^(١٨)
وكذبتما بالأمس قول جرير
فصيرا مع الأنباط^(١٦) حيث تصيرُ
ستنجد أخبارٌ بهم وتغورُ^(١٩)

[الطويل]

- (١) يزابل: يفرق.
(٢) أبائين: جليلين.
(٣) الضيم: الظلم.
(٤) النكب: المصيبة.
(٥) طُرّاً: جميعاً.
(٦) الرديني: الرمح المنسوب إلى ردينة، وهي امرأة كانت تعمل على إصلاح الرماح.
(٧) الوجى: الحفاء.
(٨) المدان والصقب: القريب.
(٩) الفج: الفرجة بين جبلين.
(١٠) النصب: التعب الشديد.
(١١) خرتما: ضعفتما.
(١٢) عولتما: بكيتما وعلت أصواتكما.
(١٣) الهرير: الصوت.
(١٤) لم تقذعا الخيل: لم تردا هجومها.
(١٥) القنا: الرماح.
(١٦) الأنباط: هم من الأقوام التي نزلت بين العراقيين قبل الإسلام.
(١٧) تسومكما: تنزل بكما الخسف والهوان والذل.
(١٨) الهزيمة: الهزيمة المنكرة.
(١٩) ستنجد، تذهب إلى نجد، وتغور تذهب إلى الأغوار.

قال: فارتحلت كِلَابٌ حين أتاها هذا الشعر، حتى أتوا نُميراً وهم في هضبات يُقال لهنَّ واردات^(١)، فقتلوا واجتاحوا، وفضحوا نُميراً، ثم انصرفوا، فقال ناهض بن ثومة يُجيب عُمارة عن قوله:

يَحْضُضُنَا^(٢) عُمَارَةُ فِي نُمِير
ويزعم أننا خُرنَا^(٤) وأنا
سلوا عنا نُميراً هل وقعنا
ألم تخضع لهم أسدٌ ودانت
ونحن نكرها شغباً عليهم
رغبنا عن دماء بني قُرَيْع
صبحناهم بأرعن^(٦) مكفهرٍ
أجش^(٨) من الصواهل^(٩) ذي دويٍّ
فأشعل^(١١) حين حلَّ بواردات
صبحناهم بها شعثَ النواصي
فلم تُغمد سيوفُ الهند حتى

ليشغلهم بنا وبه أرابوا^(٣)
لهم جارُ المقربة المصابُ
بنزوتها التي كانت تُهابُ
لهم سعد وضبةٌ والربابُ
عليها الشَّيبُ منا والشبابُ
إلى القلعين^(٥) إنهما اللبابُ
يدف^(٧) كأن رايتَه النقبابُ
تلوح البيض^(١٠) فيه والحرابُ
وثار لنقعه^(١٢) ثم انصبابُ^(١٣)
ولم يُفتق من الصبح الحجابُ
تعلت الحليلة^(١٤) والكعابُ^(١٥)
[الوافر]

صوت

أعرفت من سلمى رسومَ ديار بالشط^(١٦) بين مُحفّق^(١٧) وصحارٍ؟!

- (١) الواردات: موضع.
- (٢) يحضضنا: يحثنا.
- (٣) أرابوا: شككوا.
- (٤) خرنا: ضعفنا.
- (٥) القلعان: هما صلاة وشريح ابنا عمرو بن خويلقة بن عبد الله بن الحارث بن نمير.
- (٦) الأرعن: الجيش اللجب العظيم.
- (٧) يدف: يزحف ويدب بلين.
- (٨) الأجش: الصوت الخشن.
- (٩) الصواهل: الجياد.
- (١٠) البيض: السيوف.
- (١١) أشعل الغارة: جعلها تتفرق.
- (١٢) النقع: الغبار.
- (١٣) الإنصباب: التدفق والإندفاع.
- (١٤) تعلت الحليلة: تركت الزوجة لا معيل لها بعد مقتل زوجها.
- (١٥) الكعاب: الفتاة نهد ثدياها وتكعبا.
- (١٦) الشط: موضع في اليمامة.
- (١٧) المحفّق: رملة في أسفل الدهناء من ديار بني سعد.

وكأنما أثرُ النعاج بجوِّها^(١) بمدافع^(٢) الرِّكَبين^(٣) ودُعْ جواري
وسألتهَا عن أهلها فوجدتها عمياءَ جاهلةً عن الأخبارِ
فكأنَّ عيني غَرُبُ^(٤) أدْهم داجنٍ^(٥) متعوِّد الإقبال والإدبارِ^(٦)
[الكامل]

الشعر للمخبل السعدي، والغناء لإبراهيم، هزجٌ بإطلاق الوتر في مجرى البنصر
عن إسحاق. قال الهشامي: فيه لإبراهيم ثقیلٌ أوّل، ولعنان بنت خوط خفيف رمل.

(١) الجوّ: ما اتسع من الأرض واطمأن وبرز.

(٢) المدافع، الواحد مدفع: مسيل الماء إلى الوادي.

(٣) الركبين: موضع.

(٤) الغرب: الدلو العظيمة.

(٥) الأدْهم الداجن: الشديد الظلمة والعتمة.

(٦) الإدبار: الإرتحال.

أخبار المخبل ونسبه

قال ابن الكلبي: اسمه الربيع بن ربيعة، وقال ابن دأب: اسمه كعب بن ربيعة. وقال ابن حبيب وأبو عمرو: اسمه ربيعة بن مالك بن ربيعة بن عوف بن قتال بن أنف الناقة بن قريع بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم. شاعرٌ فحل، من مخضرمي الجاهلية والإسلام، ويكنى أبا يزيد. وإياه عنى الفرزدق بقوله: وهب القصائد لي النوابع إذ مضوا وأبوا يزيد وذو القروح وجرولاً [الكامل]

طبقة في الشعراء:

ذو القروح: امرؤ القيس. وجرولاً: الحطيئة. وأبو يزيد: المخبل. وذكره ابن سلام فجعله في الطبقة الخامسة من فحول الشعراء، وقرنه بخداش بن زهير، والأسود بن يعفر، وتميم بن مقبل. وهو من المقلين، وعمر في الجاهلية والإسلام عمراً كثيراً، وأحسبه مات في خلافة عمر أو عثمان (رضي الله عنهما)، وهو شيخ كبير. وكان له ابن، فهاجر إلى الكوفة في أيام عمر فجزع عليه جزعاً شديداً، حتى بلغ خبره عمر، فردّه عليه.

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد. قال: حدثنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعي عن عمه، وأخبرني به هاشم بن محمد الخزاعي عن أبي غسان دماذ، عن ابن الأعرابي قال:

هاجر شيبان بن المخبل السعدي، وخرج مع سعد بن أبي وقاص لحرب الفرس، فجزع عليه المخبل جزعاً شديداً، وكان قد أسنّ وضعف. فافتقر إلى ابنه فافتقده، فلم يملك الصبر عنه، فكاد أن يغلب على عقله، فعمد على إبله وسائر ماله فعرضه لبيعه ويلحق بابنه، وكان به ضنيناً، فمنعه علقمة بن هوذة بن مالك، وأعطاه مالاً وفرساً، وقال: أنا أكلم أمير المؤمنين عمر في ردّ ابنك، فإن فعل غنمت مالك، وأقمت في قومك، وإن أبي استنفقت ما أعطيتك ولحقت به، وخلفت إبلك لعيالك. ثم مضى إلى عمر - رضوان الله عليه - فأخبره خبر المخبل، وجزعه على ابنه، وأنشده قوله:

لقلبي من خوف الفراق وجيب^(١)
 غبقتك فيها والغبوق^(٢) حبيب
 برزقك براق المُتون^(٣) أريب^(٤)
 يقاسون أياماً لهنّ خطوب^(٥)
 عليه فتى شاكي السلاح^(٦) نجيب^(٧)
 يذودون أوراد الكلاب تلوب^(٨)
 وغصنك من ماء الشباب رطيب
 فمشيي ضعيف في الرجال ديب
 أرى الشخص كالشخصين وهو قريب
 تعق إذا فارقتني وتحوب^(٩)
 يقوم بها يوماً عليك حسيب
 [الطويل]

أيهلكني شيبان في كل ليلة
 أشيبان ما أدراك أن كل ليلة
 غبقتك عظمها سناماً أو انبرى
 أشيبان إن تأبى الجيوش بحدّهم^(٥)
 ولا هم إلا البرز^(٧) أو كلّ سابح^(٨)
 يذودون^(١١) جند الهرمزان^(١٢) كأنما
 فإن يك غصني أصبح اليوم ذاوياً
 فإنني حنّ ظهري خطوب تتابع
 إذا قال صحبي: يا ربيع ألا ترى؟
 ويخبرني شيبان أن لن يعقني
 فلا تدخلن الدهر قبرك حوبة^(١٥)

- يعني بقوله «حسيب» الله عز ذكره -.

عمر بن الخطاب يأمر بعودة شيبان إلى أبيه:

قال: فلما أنشد عمر بن الخطاب هذه الأبيات بكى ورقاً له، فكتب إلى سعد
 يأمره أن يُقفل شيبان بن المخبل ويردّه على أبيه، فلما ورد الكتاب عليه أعلم شيبان
 وردّه فسأله الإغضاء عنه، وقال: لا تحرمنيّ الجهاد. فقال له: إنّها عزمة من عمر،
 ولا خير لك في عصيانه وعقوق شيخك. فانصرف إليه، ولم يزل عنده حتى مات.
 وأخبرني بهذا الخبر أحمد بن عبيد الله بن عمار والجوهري، قالوا:

(١) الوجيب: خفقان القلب.

(٣) براق المتون: السيف.

(٥) حدّهم: سيفهم.

(٦) الخطوب، الواحد خطب: المصائب والويلات.

(٧) البرز: السلاح.

(٨) السابح من الخيول: الذي يعدو وكأنه يسبح لسرعته.

(٩) شاكي السلاح: المدجج بالسلاح.

(١١) يذودون: يناضلون ويقاتلون.

(١٣) تلوب: تحوم.

(١٥) الحوبة: الإثم.

(٢) الغبوق: الشرب في العشي.

(٤) الأريب: الذكي.

(١٠) النجيب: النابه، الذكي.

(١٢) الهرمزان: مرتبة رفيعة لملوك العجم.

(١٤) تحوب: توجع وتحزن وتذنب.

حدثنا عمر بن شبة أن شيبان بن المخبل كان يرعى إبل أبيه، فلا يزال أبوه يقول: أحسن رعية إبلك يا بني، فيقول: أراحني الله من رعية إبلك. ثم فارق أباه وغزا مع أبي موسى، وانحدر إلى البصرة، وشهد فتح تَستَر^(١)، فقال: فذكر أبوه الأبيات، وزاد فيها قوله:

إذا قلتُ: ترعى، قال: سوف تُريحني من الرعي مدعان العشّي^(٢) خَبوب^(٣)
[الطويل]

قال أبو يزيد وحدثناه عتاب بن زياد، قال: حدثنا ابن المبارك، قال: حدثنا مسعود عن معن بن عبد الرحمن فذكر نحوه، ولم يقل: شيبان بن المخبل، ولكنه قال: «انطلق رجل إلى الشام»، وذكر القصة والشعر.

الزبرقان لا يزوج أخته خليدة المخبل:

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي، قال: حدثني عمي عبيد الله، عن ابن حبيب، قال: خطب المخبل السعدي إلى الزبرقان بن بدر أخته خليدة، فمنعه إياها، وردّه لشيء كان في عقله، وزوجها رجلاً من بني جُشم بن عوف، يقال له: مالك بن أمية بن عبد القيس، من بني محارب، فقتل رجلاً من بني نهشل يقال له الجلّاس بن مخربة بن جندل بن جابر بن نهشل اغتيالاً، ولم يعلم به أحد، ففقد ولم يعلم له خبر، فبينما جار الزبرقان الذي من عبد القيس قاتل الجلّاس ليلةً يتحدّث إذ غلط، فحدّث هزّالاً بقتله الرجل، وذلك قبل أن يتزوج هزّال إلى الزبرقان، فأتى هزّال عبد عمرو بن ضمرة بن جابر بن نهشل فأخبره، فدعا هزّال قاتل الجلّاس فأخرجته عن البيوت، ثم اعتوره هو وعبد عمرو فضرباه حتى قتلاه، ورجع هزّال إلى الحيّ وضرب عبد عمرو حتى لجأ إلى أخواله بني عطارد بن عوف، فقالت امرأة مالك بن أمية المقتول:

أجيران ابن مئة خبروني أعين لابن مئة أم ضمّار^(٤)
تجلّل خزيها عوف بن كعب فليس لنسلهم منها اعتذار
[الوافر]

(١) تستر: مدينة عظيمة بخوزستان.

(٢) مدعان العشّي: الناقة السهلة القياد مساءً إلى الديار.

(٣) الخبوب: الناقة التي تخبّ في عدوها السريع.

(٤) الضّمار بكسر الضاد: هو مال لا يمكن إعادته.

قال: فلما زوّج الزبرقان أخته خليدة هزّالاً بعد قتله جاره عيب عليه، وعُيّر به، وهجاه المخبل، فقال:

لعمرك إن الزبرقان لدائم على الناس تعدو نوكه^(١) ومجاهلُهُ
أنكحت هزّالاً خليدة بعدما زعمت بظهر الغيب أنك قاتلُهُ
فأنكحته رهوا كأن عجانها^(٢) مَشَقُّ إهاب^(٣) أوسع السِّلخ ناجلُهُ^(٤)
يلاعبها فوق الفراش وجاركم بذئ شبرمان^(٥) لم تزيّل^(٦) مفاصلُهُ
[الطويل]

قال: ولجّ الهجاء بين المخبل والزبرقان حتى توافقا للمهاجاة واجتمع الناس عليهما فاجتمعا لذلك ذات يوم، وكان الزبرقان أسودهما، فابتدأ المخبل فأنشده قصيدته:

أنبئت أن الزبرقان يسُبُّني سفهاً ويكره ذو الحرين^(٧) خصالي
قال: وإنما سماه ذا الحرين لأنه كان مُبَدَّنًا^(٨)، فكان له ثديان عظيمان، فسبّه بهما وشبّههما بالحرين. ويقال: إنه إنما عيّره بأخته وابنته، ولم يكن للمخبل ابن في الجاهلية، قال:

أفلا يفاخرني ليعلم أيّنا أدنى لأكرم سُوددٍ وفعلال
[الكامل]

فلما بلغ إلى قوله:

وأبوك بدر كان مشترط الخصى^(٩) وأبي الجواد ربيعهُ بن قتال
[الكامل]

فلما أنشده هذا البيت، قال:

وأبوك بدر كان مشترط الخصى وأبـي
ثم انقطع عليه كلامه، إمّا بشرق أو انقطاع نفس، فما علم الناس ما يريد أن يقوله بعد قوله: «وأبي». فسبقه الزبرقان قبل أن يتم ويبين، فقال: صدقت، وما في

(١) النوك: الحمق والغباء.

(٣) الإهاب: الجلد، والثوب.

(٥) ذو شبرمان، بضم السين: موضع.

(٧) ذو الحرين: صاحب الفرجين.

(٩) مشترط الخصى، الواحدة من الخصى، خصية. ومشترط الخصى: قاطعها.

(٢) العجان، بكسر العين: الإست.

(٤) الناجل: هو من يشق جلد ما ذبح من حيوان.

(٦) تزيّل: تفرّق.

(٨) المبدّن: السمين.

ذاك إن كان شيخانا قد اشتركا في صنعة. فغلبه الزبرقان، وضحكوا من قوله وتفرقوا، وقد انقطع بالمخبل قوله.

أخبرنا اليزيدي، قال: حدثني عمي عن عبيد الله عن ابن حبيب، قال: كان زُرارة بن المخبل يَلِيط^(١) حوضه، فأتاه رجلٌ من بني علباء بن عوف، فقال له: صارعني. فقال له زُرارة: إني عن صراعك لمشغولٌ. فجذب بحجزته وهو غافلٌ فسقط، فصاح به فتیان الحي: صُرع زُرارة وغُلب. فأخذ زُرارة حجراً، فأخذ به رأس العلباوي، فسأل المخبل بغیض بن عامر بن شماس أن يتحمل عن ابنه الدية، فتحملها وتخلّصه، وكسا المخبل حلّةً حسنةً، وأعطاه ناقةً نجیبةً، فقال المخبل يمدحه:

لعمراً أبیک لا ألقى ابن عمّ	على الحدّثان خيراً من بغیض
أقلّ ملامّةً وأعزّ نصراً	إذا ما جئتُ بالأمر المریض
کسانی حُلّةً وحباً بعنس ^(٢)	أبس ^(٣) بها إذا اضطربت غُروضي ^(٤)
غداةً جنی بُنيّ عليّ جرماً	وكيف يداي بالحرب العضوض ^(٥)
فقد سدّ السبیل أبو حمید	كما سدّ المخاطبة ابن بیض

[الوافر]

خبر ابن بیض:

- أبو حمید: بغیض بن عامر. وأما قوله: «كما سدّ المخاطبة ابن بیض»، فإنّ ابن بیض: رجل من بقايا قوم عاد، كان تاجراً، وكان لقمان بن عادٍ یجیز له تجارته في كل سنة بأجرٍ معلوم، فأجازه سنة وستين، وعاد التاجر ولقمان غائبٌ، فأتى قومه فنزل فيهم، ولقمان في سفره، ثم حضرت التاجر الوفاةً فخاف لقمان على بنیه وماله فقال لهم: إن لقمان صائر إليکم، وإنّي أخشاه إذا علم بموتي على مالي، فاجعلوا ماله قبلي في ثوبه، وضعوه في طريقه إليکم، فإن أخذه واقتصر عليه فهو حقّه، فادفعوه إليه وأتّقوه، وإن تعدّاه رجوت أن یکفیکم الله إياه. ومات الرجل، وأتاهم لقمان وقد وضعوا حقّه على طريقه، فقال: «سدّ ابن بیض الطريق»، فأرسلها مثلاً، وانصرف وأخذ حقّه. وقد ذکرْتُ ذلك الشعراء، فقال بشامة بن عمرو:

(١) يَلِيط: يطین.

(٢) العنس من الإبل: القویة الصلبة.

(٣) الأبس من النياق: هي السهلة القيادة.

(٤) الغروض، الواحد غَرَض، بالفتح: وهو الرجل كالحزام للسرّج.

(٥) الحرب العضوض: التي تعضّ المقاتلين بضراوتها.

كثوب ابن بيض وقاهم به فسد على السالكين السبيلا
[المقارب]

قال ابن حبيب: ولما حشدت^(١) بنو علباء للمطالبة بدم صاحبهم، حشدت بنو قريع مع بغيض لنصر المخبل، ومشت المشيخة في الأمر، وقالوا: هذا قُتِل خطأ، فلا تُوقعوا الفتنة، واقبلوا الدية. فقبلوها وانصرفوا، فقال زرارة بن المخبل يفخر بذلك:

فاز المخالس^(٢) لما أن جرى طلقاً أمّا حُطيم بن علباء فقد غلباً
إني رميت بجلمود^(٣) على حنق^(٤) مني إليه فكانت رميةً غرباً^(٥)
ليثاً إليّ يشقّ الناس منفرجاً لحياء عَنَانة^(٦) لا يتّقي الخشباً
فأورثتني قتيلاً إن لقيتُ وإن أفلت كانت سماع السوء والحرّاً
[البيط]

ثم أخذ بنو حازم جاراً لبني قشير، فأغار عليه المنتشر بن وهب الباهلي، فأخذ إبله، فسأل في بني تميم حتى انتهى إلى المخبل، فلما سأل قال له: إن شئت فاعترض إبلي فخذ خيرها ناقةً، وإن شئت سعت لك في إبلك. فقال: بل إبلي. فقال المخبل:

إنّ قشيراً من لقاح ابن حازم كراحضة^(٧) حيضاً وليست بطاهر
فلا يأكلنها الباهلي وتقعّدوا لدى غرض أرميكم بالنواقر^(٨)
أغرّك أن قالوا العزة شاعر فذاك أباه من خفير وشاعر
[الطويل]

فلما بلغهم قول المخبل سعوا بإبله، فردّها عليهم حزن بن معاوية بن خفاجة بن عقيل، فقال المخبل في ذلك:

تدارك حزنٌ بالقنا آل عامر قفا حضن^(٩) والكرّ بالخيل أعسر

(١) حشدت: جمعت جموعاً للقتال.

(٢) المخالس: هو الذي يُفاجئ سواه على حين غرة.

(٣) الجلمود: الصخري من الأحجار. (٤) الحنق: الغضب.

(٥) الرمية الغرب: الرمية التي لا يُعلم راميها.

(٦) العنانة، من صيغ المبالغة: أي اعتراض الموت.

(٧) الكراحضة: الغاسلة.

(٨) النواقر، الواحدة ناقة: المصائب والدواهي.

(٩) الحضن: جبل بأعلى نجد. وقفا حضن: خلفه.

فإنني بذا الجار الخفاجي واثقٌ
إذا ما عقيلي أقام بدمّة
لعمري لقد خارت^(٢) خفاجه عامراً
وإنك لو تُعطي العبادي مشقّصاً^(٤)
وقلبي من الجار العبادي أوجر^(١)
شريكين فيها فالعبادي أوجر
كما خير بيت بالعراق المشقّر^(٣)
لراشي كما راشى على الطبع أبخر^(٥)
[الطويل]

- راشى من الرّشوة - .

المخبل وخليدة بنت بدر:

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي، قال: حدثنا الرياشي، قال: حدثنا الأصمعي، قال: مر المخبل السعدي بخليدة بنت بدر، أخت الزبرقان بن بدر، بعد ما أسنّ وضعف بصره، فأنزلته وقربته وأكرّمته ووهبت له وليدة، وقالت له: إني آثرتك بها يا أبا يزيد فاحفظ بها. فقال: ومن أنت حتى أعرفك وأشكرك؟ قالت: لا عليك، قال: بلى والله أسألك. قالت: أنا بعض ما هتكت بشعرك ظالماً، أنا خليدة بنت بدر. فقال: واسوأته منك؛ فإني أستغفر الله عز وجل، وأستقيلك وأعتذر إليك. ثم قال:

لقد ضلّ حلمي في خليدة إني
فأقسم بالرحمن إني ظلمتها
سأعتب نفسي بعدها وأتوب
وجرت عليها والهجاء كذوب
[الطويل]

والقصيدة التي فيها الغناء المذكور بشعر المخبل وأخباره يمدح بها علقمة بن هؤلة ويذكر فعله به وما وهبه له من ماله، ويقول:

فجزى الإله سراة قومي نضرة
قوم إذا خافوا عثار أخيه
أمثال علقمة بن هؤلة إذ سعى
أثنوا عليّ وأحسنوا وترافدوا
وسقاهم بمشارب الأبرار
لا يسلمون أخاهم لعثار
يخشى عليّ متالف الأبصار
لي بالمخاض^(٦) البزل^(٧) والأبكار^(٨)

(١) الأوجر: المرتعب من شدة الخوف.

(٣) المشقّر: موضع ببلاد العرب.

(٥) الأيخر: صاحب الفم الكريه الرائحة.

(٧) البزل من الإبل: البالغ السنة التاسعة من عمره.

(٨) الأبكار من النياق: التي ولدت أول بطن لها.

(٤) المشقّص: للسيف، نصله العريض.

(٦) المخاض من النياق: الحوامل.

والشَّوْلُ^(١) يتبعها بنات لبونها^(٢) شَرْقاً حناجرها من الجرجار^(٣)

[الكامل]

أخبرنا أبو زيد، عن عبد الرحمن، عن عمه، وأخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال: حدثني عمي عبيد الله، عن ابن حبيب. وأخبرني عمي، قال: حدثنا الكراني. قال: حدثنا العمري، عن لقيط قالوا:

المخبل والزبرقان وعبد وعمر ويحكمون في شعرهم:

اجتمع الزبرقان بن بدر والمخبل السعدي وعبد بن الطبيب وعمر بن الأهتم قبل أن يُسلموا، وبعد مبعث النبي ﷺ، فنحروا جزوراً، واشتروا خمراً ببيعير، وجلسوا يشوون ويأكلون، فقال بعضهم: لو أنّ قوماً طاروا من جودة أشعارهم لطرنا. فتحاكموا إلى أول من يطلع عليهم، فطلع عليهم ربيعة بن حذار الأسدي، وقال اليزيدي: فجاءهم رجل من بني يربوع يسأل عنهم، فدلّ عليهم وقد نزلوا بطن وادٍ وهم جلوس يشربون، فلما رأوه سرهم، وقالوا له: أخبرنا أيّنا أشعر؟ قال: أخاف أن تغضبوا، فآمنوه من ذلك، فقال: أما عمرو فشعره بروذ يمنية تنشر وتطوى، وأما أنت يا زبرقان فكأنك رجل أتى جزوراً قد نُحرت، فأخذ من أطايبها وخلطه بغير ذلك.

وقال لقيط في خبره، قال له ربيعة بن حذار: وأما أنت يا زبرقان فشعرك كلحم لم ينضج فيؤكل، ولم يترك نبيّاً فينتفع به، وأما أنت يا مخبل فشعرك شُهْبٌ من نار الله يلقيها على من يشاء، وأما أنت يا عبد فشعرك كزادة^(٤) أحكم خرزها فليس يقطر منها شيء.

أخبرنا اليزيدي، عن عمه، عن ابن حبيب، قال: كان رجل من بني امرئ القيس يقال له رَوْقٌ، مُجاوراً في بكر بن وائل باليمامة، فأغاروا على إبله وغدروا به، فأتى المخبل يستمنحه، فقال له: إن شئت فاختر خير ناقة في إبلي فخذها، وإن شئت سعيث لك. فقال: أن تسعى بي أحب إليّ. فخرج المخبل فوقف على نادي قومه، ثم قال:

أُدُوا إِلَى رَوْحِ بَنِ حَسَّاءَ ——— سَانَ بَنِ حَارِثَةَ بَنِ مَنْذَرِ

(١) الشول، الواحدة شائلة من النياق: التي أتى على حملها سبعة أشهر وارتفع ضرعها.

(٢) بنات لبون من الإبل: الصغار التي دخلت في عامها الثاني أو أنهته.

(٣) الجرجار من النبات: عشب زهره أصفر.

(٤) المزادة: الراوية المصنوعة من جلدتين بينهما جلد ثالث لتتسع.

كوماء^(١) مدفأة^(٢) كأنَّ ضروعها حمّاء أجفّر^(٣)
تأبى إلى بصص^(٤) تسحّ المحض^(٥) بالبن الفضنفر^(٦)
[مجزوء الكامل]
فقالوا: نعم ونعمة. فجمعوا له بينهم الناقة والناقتين من رجلين حتى أعطوه
بعدة إبله.

وقال ابن حبيب في هذه الرواية: «كان رجل من بني ضبة».

صوت

أسل عن ليلى علاك المشيبُ وتصابي الشيخ شيء عجيبُ
وإذا كان النسيب بسلمى لذّ في سلمى وطاب النسيبُ
إنما شبّهتها إذ تراءت وعليها من عيون رقيبُ
بطلوع الشمس في يوم دجن بُكرةً أو حان منها غروبُ
إنني فأعلم وإن عزّ أهلي بالسويداء^(٧) الغداة غريبُ
[المديد]

الشعر لغيلان بن سلمة الثَّقَفِيّ، وجدتُ ذلك في جامع شعره بخط أبي سعيد
السكري، والغناء لابن زُرزور الطائفي، خفيف ثقيل أول بالوسطى، عن يحيى
المكي، وفيه ليونس الكاتب لحن ذكره في كتاب ولم يجنّسه^(٨).

(١) الكوماء من النياق: السمينة الضخمة السنام.

(٢) المدفأة من النياق: الكثيرة الوبر والشحم.

(٣) الأجفّر: ولد الشاة الذي بلغ الأشهر الأربعة من عمره وكبر كرشه.

(٤) البصص: رشح الماء.

(٥) تسحّ المحض: تنزل اللبن الخالص.

(٦) الفضنفر: لم أهتمد إلى تفسير لها في المعاجم، وفي البيت تحريف ظاهر.

(٧) السويداء: موضع بالحجاز يقع بعد المدينة المنورة على طريق الشام.

(٨) لم يجنّسه: لم يذكر نوع لحنه.

أخبار غيلان ونسبه

غيلانُ بن سلمةَ بن معتبَ بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن قسيّ - وهو ثقيف - وأمه سبيعة بنت عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، أخت أمية بن شمس بن عبد مناف.

أدرك الإسلام فأسلم بعد فتح الطائف، ولم يهاجر، وأسلم ابنه عامر قبله، وهاجر، ومات بالشام في طاعون عمواس^(١) وأبوه حيٌّ. وغيلان شاعرٌ مقل، ليس بمعروف في الفحول.

وصف بادية بنت غيلان:

وبنته بادية بنت غيلان التي قال هيئُ المخنثُ لعمرو بن أم سلمة أم المؤمنين، أو لأخيه سلمة: «إن فتح الله عليكم الطائف فسلّ رسول الله ﷺ أن يهب لك بادية بنت غيلان، فإنها كحلأ، شموع^(٢) نجلاء^(٣)، خمصانة هيفاء^(٤)، إن مشت تشئت، وإن جلسست تبنت^(٥)، وإن تكلمت تغتت، تقبل بأربع وتدبر بثمان، وبين فخذيهما كالإناء المكفأ^(٦)».

وغيلان فيما يقال أحد من قال من قريش للنبي ﷺ وآله ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقُرَيْشِ﴾ [الزخرف: ٣١].

إتهام ولده عمار بسرقة وما كان بينهما من تدابر:

قال ابن الكلبي: حدثني أبي، قال: تزوّج غيلان بن سلمة خالدة بنت أبي

(١) طاعون عمواس: أهلك من المسلمين الكثيرين، وقد امتدّ من تلك المدينة من فلسطين فشمّل مدناً كثيرة من بلاد الشام في عهد عمر بن الخطاب.

(٢) الشموع من النساء: الخفيفة الظلّ اللعوب.

(٣) النجلاء من النساء ذات العينين الواسعتين.

(٤) الخمصانة الهيفاء: الضامرة البطن الدقيقة الخصر.

(٥) تبنت: بدت كالبناءة، وهي القبة من آدم لسمنها وكثرة لحمها.

(٦) الإناء المكفأ: الوعاء المقلوب. وهو يصف ما عليه من ضخامة ركبتها وعظم ثديها.

العاص، فولدت له عمّاراً وعمّاراً، فهاجر عمّار إلى النبي ﷺ، فلما بلغه خبره عمد خازنٌ كان لغيلانٍ إلى مالٍ له فسرقه وأخرجه من حصنه فدفنه، وأخبر غيلان أنّ ابنه عمّاراً سرق ماله وهرب به، فأشاع ذلك غيلان وشكاه إلى الناس، وبلغ خبره عمّاراً فلم يعتذر إلى أبيه، ولم يذكر له براءته مما قيل له، فلما شاع ذلك جاءت أمةٌ لبعض ثقيفٍ إلى غيلان، فقالت له: أيُّ شيءٍ لي عليك إن دلتك على مالك؟ قال: ما شئت. قالت: تبتاعني وتعتقني؟ قال: ذلك لك. قالت: فأخرج معي. فخرج معها، فقالت: إني رأيت عبدك فلانا قد احتفر هاهنا ليلة كذا وكذا ودفن شيئاً، وإنه لا يزال يعتاده ويراعيه، ويتفقده في اليوم مرّاتٍ، وما أراه إلا المال. فاحتفر الموضع فإذا هو بماله، فأخذه وابتاع الأمة فأعتقها، وشاع الخبر في الناس حتى بلغ ابنه عمّاراً، فقال: والله لا يراني غيلان أبداً، ولا ينظر في وجهي. وقال:

حلفتُ لهم بما يقول محمدٌ وبالله إنَّ الله ليس بغافلٍ
برئتُ من المال الذي يدفنونه أبرئ نفسي أن أَلطَّ بباطلٍ^(١)
ولو غير شيخي من معدٍّ يقوله تيممته بالسيف غير مُواكلٍ
وكيف انطلاقي بالسلاح إلى امرئٍ تُبشّره بي يبتدرن قوابلي
[الطويل]

فلما أسلم غيلان، خرج عامرٌ وعمّارٌ مغاضبين له مع خالد بن الوليد، فتوفي عامر بعمواس، وكان فارس ثقيف يومئذٍ، وهو صاحب شِئْءٍ^(٢) يوم التليث^(٣)، وهو قتل سيدهم جابر بن سنان أخا دِهْنَةَ، فقال غيلان يرثي عامراً:

غيلان يرثي ولده عامراً:

عيني تجود بدمعها الهتّان سحّاً وتبكي فارس الفرسانِ
يا عامٌّ من للخيل لمّا أحجمتُ^(٤) عن شدة مرهوبة وطعانِ
لو أستطيع جعلت منّي عامراً بين الضلوع وكلّ حيٍّ فانِ
يا عينُ بكي ذا الحزامة عامراً للخيل يوم تواقف وطعانِ
وله بتثليثات شدةٌ مُعَلَمٌ^(٥) منه وطعنة جابر بن سنانِ

(١) أَلطَّ بباطل: ألصق نفسي بما هو كذب. (٢) شِئْء: من قبائل العرب.

(٣) التليث: موضع قرب مكة، ويوم التليث من أيام العرب في الجاهلية بين قبيلتي سليم ومراح.

(٤) أحجمت: ترددت وتقاعت.

(٥) المعلم من الفرسان: هو الذي يميّز نفسه بعلامات في الحرب ليقصد قتاله الأعداء.

فكأنه صافي الحديدة مخدّم^(١) مما يُحير الفرس للباذان^(٢)

[الكامل]

نسخت من كتاب أبي سعيد السُّكْري، قال: كان لغيلان بن سلمة جار من باهلة، وكانت له إبل يربها راعيه في الإبل مع إبل غيلان، فتخطى بعضها إلى أرض لأبي عقيل بن مسعود بن عامر بن معتب، فضرب أبو عقيل الراعي واستخف به، فشكا الباهلي ذلك إلى غيلان، فقال لأبي عقيل:

ألا من يرى رأي امري ذي قرابة أبا صدره بالضغن إلا تطلعا
فسلمك أرجو لا العداوة إنَّما أبوك أبي وإنَّما صفقنا معا^(٣)
وإن ابن عم المرء مثل سلاحه يقيه إذا لاقى الكمّي^(٤) المقتنعا
فإن يكثر المولى فإنك حاسدٌ وإن يفتقر لا يلف عندك مطمعا
فهذا وعيدٌ وادِّخارٌ فإن تعدَّ وجدك أعلم ما تسلفت^(٥) أجمعا

[الطويل]

ونسخت من كتابه، قال: لما أسن غيلان وكثرت أسفاره ملته زوجته، وتجنّت عليه، وأنكر أخلاقها، فقال فيها:

ياربّ مثلك في النساء غريرة بيضاء قد صبّحتها بطلاق
لم تدر ما تحت الضلوع وغرّها مني تحمّل عِشْرتي وخلاقي

[الكامل]

ونسخت من كتابه: إن بني عامر بن ربيعة جمعوا جموعاً كثيرةً من أنفسهم وأحلافهم، ثم ساروا إلى ثقيف بالطائف، وكانت بنو نصر بن معاوية أحلافاً لثقيف، فلما بلغ ثقيفاً مسير بني عامر استنجدوا بني نصر، فخرجت ثقيف إلى بني عامر وعليهم يومئذ غيلان بن سلمة بن معتب، فلقوهم وقاتلتهم ثقيف قتالاً شديداً، فأكثروا فيهم القتل، فقال غيلان في ذلك، ويذكر تخلف بني نصر عنهم:

ودّع بدمٍ إذا ما حان رحلتنا أهل الحظائر من عوفٍ ودهمانا
القائلين وقد حلت بساحتهم جسرٌ تحسحس عن أولاد هِصَّانا^(٦)

(١) المخدّم: المقطع.

(٢) الباذان: اسم الذين دخلوا حديثاً في الإسلام.

(٣) صفقنا معاً: ضربنا أيدينا ببعضها.

(٤) الكمّي من الفرسان والأبطال: المدمج في السلاح.

(٥) تسلفت: افترضت.

(٦) هِصَّان: من قبائل العرب.

والقائلين، وقد رابت^(١) وطأ بهم^(٢):
أَغْنُوا المَوَالِيَّ عَنَّا لَا أَبَالَ لَكُمْ
لَا يَمْنَعُ الْخَطَرُ الْمَظْلُومَ فُحْمَتَهُ^(٤)
أَسِيفٌ عَوْفٍ تَرَى أُمَ سَيْفٍ غِيلَانًا؟
إِنَّا سُنْغِنِي صَرِيحَ الْقَوْمِ^(٣) مَن كَانَ
حَتَّى يَرَى... بِالْعَيْنِ مَن كَانَ

[البسيط]

ونسخت من كتابه، قال: جمعت خثعمَ جموعاً من اليمن، وغزت ثقيفاً
بالباطن؛ فخرج إليهم غيلانُ بن سلمة في ثقيف، فقاتلهم قتالاً شديداً، فهزمهم وقتل
منهم مَقْتَلَةً عظيمة، وأسر عدةً منهم، ثم مَنَّ عليهم، وقال في ذلك:

أَلَا يَا أُخْتَ خَثْعَمَ خَبَّرِينَا
جَلَبْنَا الْخَيْلَ مِنْ أَكْنَفٍ وَجَّ^(٥)
رَأَيْنَاهُنَّ مُعَلِّمَةً^(٨) رَوَاحاً
فَأُمْسَتْ مُسَيَّ خَامِسَةٍ جَمِيعاً
وَقَدْ نَظَرْتُ طَوَالَ عَمَكِ إِلَيْنَا
إِلَى رَجْرَاجَةٍ^(١٢) فِي الدَّارِ تُعْشِي^(١٣)
تَرْكُنْ نِسَاءَكُمْ فِي الدَّارِ نَوْحاً^(١٤)
جَمَعْتُمْ جَمْعَكُمْ فَطَلَبْتُمُونَا
بَأَيِّ بَلَاءٍ قَوْمٍ تَفْخَرِينَا
وَلَيْثٌ^(٦) نَحُوكُم بِالذَّارِعِينَا^(٧)
يُقَيِّتَانِ^(٩) الصَّبَاحَ وَمَعْتَدِينَا
تُضَابِعُ فِي الْقِيَادِ^(١٠) وَقَدْ وَجِينَا^(١١)
بَأَعْيُنِهِمْ وَحَقَّقْنَا الظَّنُونَا
إِذَا اسْتَنْتَ عَيُونَ النَّازِرِينَا
يَبْكُونُ الْبَعُولَةَ^(١٥) وَالْبَنِينَا
فَهَلْ أَنْبِئْتَ حَالَ الطَّالِبِينَا؟!
[الوافر]

أخبرنا محمد بن خلفٍ وكيعٌ، قال: أخبرني محمد بن سعد الشامي، قال:

- (١) رابت: كسدت وخرت.
- (٢) (٢) الوطاب، بكسر الواو: سقاء اللبن.
- (٣) صريح القوم: ذو النسب الرفيع العالي من جهة أبويه.
- (٤) القحمة: الدخول المفاجئ في المهالك.
- (٥) وَجَّ: وادٍ في الطائف، وأكناف وَجَّ: جوانبه.
- (٦) وليث، بكسر اللام: وادٍ بأسفل السراة.
- (٧) الدارعين: لابسِي الدروع.
- (٨) المعلمة: المميّزة بعلامات تميّز بها في الحرب.
- (٩) يُقَيِّتَانِ: يقدر عليهما.
- (١٠) تضابِع في القياد: تمدّ أضعافها في عدوها، وكذا رسنها يُشَدُّ بممسكه.
- (١١) وجينا: تألّمنا وحفينا.
- (١٢) الرجراجة: الكتيبة من الفرسان العظيمة.
- (١٣) تعشي: تعمي من ينظر إليها لكثرة ما تثير من الغبار.
- (١٤) نوح، الواحدة نائحة: باكيات.
- (١٥) البعولة: الأزواج.

حدثني أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمرو الثقفي، قال: خرجت مع كيسان بن أبي سليمان أسايره، فأنشدني شعر غيلان بن سلمة، ما أنشدني لغيره، حتى صدرنا عن الأبلّة^(١)، ثم مرّ بالطّف^(٢) وهو يريد الطابق^(٣)، فأنشدني له:

وليلة أَرَقْتُ صحابَكَ بالطّفِّ وأخرى بجانب ذي حُسم
فالجسر^(٤) فالقصران^(٥) فالنَّهر الـ مُرَبَّدُ بين النَّخِيل والأَجَمِ^(٦)
معانق الواسط^(٧) المُقَدَّم أو أدنومن الأرض غير مقتحم^(٨)
أستعمل العنس^(٩) بالقياد إلى الآ فاق أرجو نوافل الطُّعم^(١٠)
[المنسرح]

أخبرني عمي قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حدثني أحمد بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف قال: حدثني عمر بن عبد العزيز بن أبي ثابت عن أبيه، قال:

لما حضرت غيلان بن سلمة الوفاة، وكان قد أحصن عشراً من نساء العرب في الجاهلية، قال: «يا بني، قد أحسنت خدمة أموالكم، وأمجدت أمهاتكم فلن تزالوا بخير ما غدوتم من كريم وغذا منكم، فعليكم ببيوتات العرب، فإنها معارج الكرم، وعليكم بكلّ رمكاء^(١١) مكيّنة ركيّنة، أو بيضاء رزيّنة، في خدر بيت يتبع، أو جدّ يُرتجى، وإياكم والقصيرة الرّطلة^(١٢)، فإنّ أبغض الرجال إليّ أن يقاتل عن إبلي أو يناضل عن حسبي، القصير الرّطل». ثم أنشأ يقول:

وحرّة قوم قد تنوّق فعلها وزينها أقوامها فتزيّنت

(١) الأبلّة: موضع في بلاد العراق.

(٢) الطّفّ: موضع استشهد فيه الإمام الحسين بن علي رضي الله عنهما.

(٣) الطابق: أحد أنهار بغداد.

(٤) الجسر: الموضع الذي كانت فيه معركة بين الجيوش الإسلامية وجيوش الفرس قرب البحيرة.

(٥) القصران: موضعان كبيران بالرّيّ.

(٦) الأجم، الواحدة أجمة: الشجر الكثير الملتف.

(٧) الواسط: أي قادمة الرحل.

(٨) مقتحم: مهاجم بقوة.

(٩) العنس من الإبل: القوية الصلبة.

(١٠) نوافل الطّعم: الزائد من الأطعمة.

(١١) الرمكاء من الإبل: ما اختلطت حمرة لونها بسواد.

(١٢) الرطلة، بفتح الراء، من النساء: الحمقاء الضعيفة الرأي.

رحلت إليها لا تُردّ وسيلتي وحمّلتها من قومها فتحملت
[الطويل]

وفود غيلان على كسرى :

أخبرني عمي قال : حدثنا محمد بن سعد الكراني ، قال :

كان غيلان بن سلمة الثقفي قد وفد إلى كسرى ، فقال له ذات يوم : يا غيلان ، أيُّ ولدك أحبُّ إليك؟ قال : «الصغير حتى يكبر ، والمريض حتى يبرأ ، والغائب حتى يَقدم» . قال له : ما غذاؤك؟ قال : خبزُ البر . قال : قد عجبت من أن يكون لك هذا العقل وغازؤك غذاء العرب ، إنّما البرُّ جعل لك هذا العقل .

قال : الكراني ، قال العمري : روى الهيثم بن عدي هذا الخبر أتمّ من هذه الرواية ، ولم أسمع منه . قال الهيثم : حدثني أبي ، قال :

خرج أبو سفيان بن حرب في جماعة من قريش وثقيف يريدون العراق بتجارة ، فلما ساروا ثلاثاً جمعهم أبو سفيان ، فقال لهم : إنّنا من مسيرنا هذا لعلّنا نلحق بخطر ، ما قدومنا على ملك جبارٍ لم يأذن لنا في القدوم عليه ، وليست بلادنا بمتجرٍ؟! ولكن أياكم يذهب بالغير ، فإن أصيب فنحن برآء من دمه ، وإن غنم فله نصف الربح؟ فقال غيلان بن سلمة : دعوني إذاً فأنا لها . فدخل الوادي ، فجعل يطوفه ويضرب فروع الشجر ويقول :

ولو رآني أبو غيلان إذ حصرت^(١) عني الأمور إلى أمرٍ له طبق^(٢)
لقال : رُغِب^(٣) ورُهِب يُجمعان معاً حبُّ الحياة وهول النفس والشفقُ
إمّا بقيت على مجدٍ ومكرمة أو أسوة لك فيمن يهلك الورق^(٤)
[البسيط]

ما دار بين غيلان وبين كسرى :

ثم قال : أنا صاحبكم . ثم خرج في العير ، وكان أبيض طويلاً جعداً ضخماً ، فلما قدِم بلاد كسرى تخلّق^(٥) ولبس ثوبين أصفرين ، وشهر أمره ، وجلس بباب كسرى حتى أذن له ، فدخل عليه وبينهما شُبّاكٌ من ذهب ، فخرج إليه الترجمان ؛ وقال له :

(١) حصرت : انكشفت . (٢) الطبق من الأمور : الخطير .

(٣) الرُّغِب ، بضم الراء : ما يُحِب ويُرْغَب فيه .

(٤) الورق : الفضة . (٥) تخلّق : تطيّب بالخلوق .

يقول لك الملك: مَنْ أدخلك بلادي بغير إذني؟ فقال: قل له: لست من أهل عداوة لك، ولا أتيك جاسوساً لصدّ من أضدادك، وإنما جئت بتجارة تستمتع بها، فإن أردتها فهي لك، وإن لم تُردها وأذنت في بيعها لرعيّتك بعثها، وإن لم تأذن في ذلك ردّتها.

قال: فإنّه ليتكلّم إذ سمع صوت كسرى فسجد، فقال له الترجمان: يقول لك الملك: لم سجدت؟ فقال: سمعت صوتاً عالياً حيث لا ينبغي لأحد أن يعلو صوته إجلالاً للملك، فعلمت أنه لم يُقدّم على رفع الصوت هناك غير الملك فسجدت إعظاماً له. قال: فاستحسن كسرى ما فعل، وأمر به بمرفقة^(١) تُوضع تحته، فلما أُتي بها رأى عليها صورة الملك، فوضعها على رأسه، فاستجهله كسرى واستحمله، وقال للترجمان: قل له: إنّما بعثنا إليك بهذه لتجلس عليها. قال: قد علمتُ، ولكني لما أُتيْتُ بها رأيتُ عليها صورة الملك، فلم يكن حقُّ صورته على مثلي أن يجلس عليها، ولكن كان حقُّها التعظيم، فوضعتها على رأسي، لأنه أشرف أعضائي وأكرمها علي. فاستحسن فعله جدّاً، ثم قال له: ألك ولد؟ قال: نعم. قال: فأيهم أحبُّ إليك؟ قال: الصغير حتى يكبر، والمريض حتى يبرأ، والغائب حتى يؤول. فقال كسرى: زه، ما أدخلك عليّ ودلّك على هذا القول والفعل إلا حظُّك، فهذا فعل الحكماء وكلامهم، وأنت من قوم جُفافة لا حكمة فيهم، فما غذاؤك؟ قال: خبز البرّ. قال: هذا العقل من البرّ، لا من اللبن والتمر. ثم اشترى منه التجارة بأضعاف ثمنها، وكساه وبعث معه من الفرس من بنى له أطماً^(٢) بالطائف، فكان أوّل أطم بني بها.

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر، قال: حدثنا الزبير بن بكار، قال: حدثني عمر بن أبي بكر الموصلي عن عبد الله بن مصعب عن أبيه قال:

رثاؤه لأخيه نافع:

استشهد نافع بن سلمة الثقفي مع خالد بن الوليد بدومة الجندل، فجزع عليه غيلان وكثر بكاءه، وقال يرثيه:

ما بال عيني لا تغمّض ساعةً إلا اعترتني عبرة تغشاني
أرعى نجوم الليل عند طلوعها وهناً^(٣) وهن من الغروب دوان^(٤)

(١) المرفقة: هو ما يستند عليه من الأرائك والوسائد.

(٢) الأطم، بضمّتين: قصر بني بالأحجار.

(٣) الوهن: الليل.

(٤) دوان: قرية.

يا نافعاً مَنْ للفوارس أحجمت عن فارس يعلو ذرى الأقرانِ
فلو استطعت جعلتُ مَتِي نافعاً بين اللّٰهة^(١) وبين عَكْدِ لِساني^(٢)
[الكامل]

قال: وكثر بكأؤه عليه، فعُوتِب في ذلك، فقال: واللّٰه لا تسمح عيني بمائها
فأضنّ به على نافع. فلمّا تطاول العهد انقطع ذلك من قوله، فقيل له فيه، فقال: «بليّ
نافع، وبليّ الجزع، وفني وفنيت الدموع، واللّٰحاق به قريب».

صوت

ألا علّاني قبل نوح النوادب وقبل بُكاء المُعولات القرائبِ
وقبل ثوائي^(٣) في تُرابٍ وجندلٍ^(٤) وقبل نشوز النفس^(٥) فوق الترائبِ
فإن تأتني الدّنيا بيومي فجاءة تجدني وقد قُضِيَتْ منها مآبي
[الطويل]

الشعر لحاجز الأزدي، والغناء لنبیه هزج، بالبنصر، عن الهشامي.

(١) اللّٰهة: قطعة من اللحم مشرفة على الحلق.

(٢) عَكْد لِساني: وسطه.

(٣) ثوائي: دفني في التراب.

(٤) الجندل من الأحجار: الصوان الصلب.

(٥) نشوز النفس: ارتفاعها.

أخبار حاجز ونسبه

هو حاجز بن عوف بن الحارث بن الأخثم بن عبد الله بن ذهل بن مالك بن سلامان بن مفرّج بن مالك بن زهران بن عوف بن مَيْدَعَان بن مالك بن نصر بن الأزد. وهو حليف لبني مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي، وفي ذلك يقول:

قومي سلامان إما كنت سائلةً وفي قريش كريم الحلف والحسب
إني متى أدعُ مخزوماً تري عُثْقاً^(١) لا يرْعشون^(٢) لضرب القوم من كُثب^(٣)
يُدعى المغيرة في أولى عديدهم أولاد مَرَأْسَةٍ^(٤) ليسوا من الذنب
[البسيط]

وهو شاعر جاهلي مقلّ، ليس من مشهوري الشعراء، وهو أحد الصعاليك المغيرين على قبائل العرب، وممن كان يعدو على رجله عدواً يسبق به الخيل.

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد، قال: حدثني العباس بن هشام، عن أبيه، عن عوف بن الحارث الأزدي، أنه قال لابنه حاجز بن عوف: أخبرني يا بني بأشدّ عدوك. قال: نعم، فرّعتني خثعم فنزوت^(٥) نزواتٍ، ثم استفزّتني الخيل واصطفّ لي طبيان، فجعلت أنهنهما^(٦) بيديّ عن الطريق، ومنعاني أن أتجاوزهما في العدو لضيق الطريق حتى اتسع واتسع بنا، فسبقتهما. فقال له: فهل جارك أحد في العدو؟ قال: ما رأيت أحداً جاراني إلا أطيّلس أغبير من النقوم، فإننا عدونا معاً فلم أقدر على سبقه.

- قال: النقوم بطن من الأزد من ولد ناقم، واسمه عامر بن حوالة بن الهنو بن الأزد ..

نسخت أخبار حاجز من رواية أبي عمرو الشيباني

من كتاب بخط المرحبّي الكوكبيّ، قال: أغار عوف بن الحارث بن الأخثم على

(١) العُثْق، بضم العين والنون: الحشد الكثير من الناس.

(٢) لا يرْعشون: لا يرتجفون رعباً. (٣) من كُثب: من قرب.

(٤) مَرَأْسَة: رَأْسَة. (٥) نزوت: قفزت.

(٦) أنهنهما: أبعدهما.

بني هلال بن عامر بن صعصعة في يوم داج مظلم، فقال لأصحابه: انزلوا حتى أعتبر لكم. فانطلق حتى أتى صرماً^(١) من بني هلال، وقد عصب^(٢) على يد فرسه عصابةً ليطلع^(٣) فيطمعوا فيه، فلما أشرف عليهم استرابوا به، فركبوا في طلبه، وانهزم من بين أيديهم، وطمعوا فيه، فهجم بهم على أصحابه بني سلامان، فأصيب يومئذ بنو هلال، وملاً القوم أيديهم من الغنائم، ففي ذلك يقول حاجز بن عوف:

صباحك واسلمي عنا أماما تحية وامق وعوي ظلاما
برهرمة^(٤) يحار الطرف فيها كحقة^(٥) تاجر شدت ختاماً
فإن تمس ابنة السهمي منّا بعيداً لا تكلّمنا كلاماً
فإنك لا محالة أن تريني ولو أمست حبالكم رماماً^(٦)
بناجية^(٧) القوائم عيسجور^(٨) تدارك^(٩) نيهاماً فعاماً
سلي عني إذا غبرت جمادى^(١٠) وكان طعام ضيفهم الثماماً^(١١)
ألсна عصمة الأضياف حتى يضحي^(١٢) ما لهم نفلاً^(١٣) تواماً^(١٤)
أبي ربع الفوارس^(١٥) يوم داج وعمي مالك وضع السهاما
فلو صاحبتنا لرضيت منا إذا لم تغبق^(١٦) المائة الغلاما
[الوافر]

يعني بقوله: وضع السهام، أن الحارث بن عبد الله بن بكر بن يشكر بن مبشر بن صقعب بن دهمان بن نصر بن زهران، كان يأخذ من جميع الأزدي إذا غنموا الربع، لأن الرياسة في الأزدي كانت لقومه، وكان يقال لهم: «الغطاريف» وهم أسكنوا

- (١) الصرم، بكسر الصاد: الجماعة.
(٢) عصب: ربط.
(٣) ليطلع: ليغمز في مشبه كأنه يعرج.
(٤) البرهرمة: البضة الغضة.
(٥) الحقة، بضم الحاء: وعاء من خشب أو من عاج.
(٦) رمام: بالية.
(٧) الناجية من الإبل: السريعة.
(٨) العيسجور من الإبل: السريعة القوية.
(٩) تدارك: تتابع.
(١٠) إغبرت جمادى: كناية عن اشتداد القحط في الشتاء القارص.
(١١) الثمام: ضرب من النبات ضعيف.
(١٢) يضحي: أرسلت الإبل وقت الضحى لترعى.
(١٣) النفل: العطاء.
(١٤) التوام: بتخفيف الهمزة من التوأم.
(١٥) ربع الفوارس: هو المربع الذي يحصل عليه سيد القوم، حتى لو لم يشارك في القتال مع الغانمين.
(١٦) لم تغبق: لم تسق الغبوق، وهو شرب المساء.

الأسد بلد السراة، وكانوا يأخذون للمقتول منهم ديتين ويعطون غيرهم دية واحدة إذا وجبت عليهم، فغزتهم بنو فُقيم بن عديّ بن الدليل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، فظفرت بهم، فاستغاثوا ببني سلامان فأغاثوهم، حتى هزموا بني فُقيم وأخذوا منهم الغنائم وسلبوهم، فأراد الحارث أن يأخذ الرُّبع كما كان يفعل، فمنعه مالك بن ذُهل بن مالك بن سلامان، وهو عمّ أبي حاجر، وقال: «هيهات، ترك الرُّبع غدوة» فأرسلها مثلاً، فقال له الحارث: أثراك يا مالك تقدّر أن تسود؟ فقال: هيهات، الأزد أمتع من ذاك. فقال: أعطني ولو جعباً - والجعب: البعر في لغتهم - لئلا تسمع العرب أنك منعتني. فقال مالك: «فمن سماعها أفرّ»، ومنعه الرُّبع، فقال حاجر في ذلك:

ألا زعمت أبناً يشكر أننا بربيعهم باؤوا^(١) هنالك ناضل^(٢)
ستمنعنا منكم ومن سوء صنعمكم صفائح بيض^(٣) أخلصتها الصياقل
وأسمر خطي إذا هزّ عاسل^(٤) بأيدي كماء^(٥) جرّبتها القبائل
[الطويل]

وقال أبو عمرو: جمع حاجر ناساً من فهم وعدوان، فدلّهم على خثعم، فأصابوا منهم غرة وغنموا ما شاؤوا، فبلغ حاجر أنهم يتوعّدونه ويرصدونه، فقال:

وإنّي من إرعادكم وبروقكم^(٦) وإيعادكم بالقتل صمّ مسامعي
وإنّي دليل غير مخفّ دلّاتي على ألف بيت جدّهم غير خاشع
ترى البيض يركضن المجاسد^(٧) بالضحى كذا كلّ مشبوح الذراعين نازع
على أيّ شيء لا أبا لأبيكم تُشيرون نحوي نحوكم بالأصابع؟
[الطويل]

عمرو بن معد يكرب يطعن حاجرًا:

وقال أبو عمرو: أغارت خثعم على بني سلامان وفيهم عمرو بن معد يكرب،

(١) باؤوا: افتخروا.

(٢) ناضل: المنتصر.

(٣) صفائح بيض أصقلتها الصياقل: سيوف أحكم شحذها الصياقل المهرة.

(٤) الأسمر الخطي العاسل: الرمح اللدن.

(٥) الكماء، الواحد كمي: البطل المدجج بالسلاح.

(٦) الإرعاد والبروق: التهديد.

(٧) المجاسد، الواحد مجسد: الأردية المعصفرة بالزعفران.

وقد استنجدت به خثعم على بني سلامان، فالتقوا واقتتلوا، فطعن عمرو بن معد يكرب حاجزاً فأنفذ فحذه، فصاح حاجز: يا آل الأزدي! فندم عمرو وقال: خرجت غازياً وفجعت أهلي. وانصرف، فقال عَزِيل الخثعمي يذكر طعنه عمرو حاجزاً، فقال:

أعجز حاجزٌ منّا وفيه مشلشلة^(١) كحاشية الإزار
فعز عليّ ما أعجزت منّي وقد أقسمت لا يضربك ضار^(٢)

[الوافر]

فأجابه حاجز فقال:

إن تذكروا يوم القرّي^(٣) فإنه بواء^(٤) بأيام كثير عديدها
فنحن أبحنأ بالشخيصة واهناً جهاراً فجئنا بالنساء نقودها
ويوم كراء^(٥) قد تدارك ركضنا بني مالك والخيل صُعرُ خدودها^(٦)
ويوم الأراكات^(٧) اللواتي تأخّرت سراة بني لهبان يدعو شريدها
ونحن صبحنا الحيّ يوم تنومة^(٨) بملومة^(٩) يُهوي الشجاع ويئدها^(١٠)
ويوم شروم^(١١) قد تركنا عصابة لدى جانب الطرفاء^(١٢) حُمراً جلودها
فما رغمت حلفاً لأمر يُصيبها من الذل إلا نحن رغماً نزيدها

[الطويل]

خثعم تحيط بحاجز وعجوز تسحر سلاحه ثم ينجو:

وقال أبو عمرو: بينما حاجز في بعض غزواته إذ أحاطت به خثعم، وكان معه بشير ابن أخيه، فقال له: يا بشير، ما تشير؟ قال: دعهم حتى يشربوا ويقفلوا ويمضوا ونمضي معهم فيظنوننا بعضهم. ففعلاً، وكانت في ساق حاجز شامة، فنظرت إليها امرأة من خثعم، فصاحت: يا آل خثعم، هذا حاجز. فطاروا يتبعونه، فقالت لهم عجوز كانت ساحرة: أكفيكم سلاحه أو عدوه. فقالوا: لا نريد أن تكفيننا عدوه فإن

(١) المشلشلة: الضربة القاتلة التي تهرق دماً. (٢) ضار، مخففة الباء من ضارب للضرورة الشعرية.

(٣) القرّي: وادٍ. (٤) البواء: المثل، النظير.

(٥) كراء: ثنية بالطائف.

(٦) صعر خدودها: كناية عن شموخها وتكبرها.

(٧) الأراكات: أودية قرب مكة. (٨) يوم تنومة: من أيام العرب، وتنومة: موضع.

(٩) الملمومة: الكتيبة المجتمعة. (١٠) الوئيد: البطئ.

(١١) شروم: من قرى اليمن تشتهر بعيونها وزراعة الكرمة.

(١٢) الطرفاء: نخل لبني عامر بن حنيفة باليمامة.

معنا عوفاً وهو يعدو مثله، ولكن اكفيناً سلاحه. فسحرت لهم سلاحه وتبعه عوف بن الأغر بن همام بن الأسر بن عبد الحارث بن واهب بن مالك بن صعب بن غنم بن الفرع الخثعمي، حتى قاربه، فصاحت به خثعم: يا عوف! ارم حاجزاً. فلم يُقدم عليه، وجبُن، فغضبوا وصاحوا: يا حاجز، لك الذمام، فاقتل عوفاً فإنه قد فضحنا. فنزع في قوسه ليرميه، فانقطع وتره، لأن المرأة الخثعمية كانت قد سحرت سلاحه، فأخذ قوس بشير ابن أخيه فنزع فيها فانكسرت، وهربا من القوم ففاتاهم ووجد حاجز بعيراً في طريقه فركبه فلم يسر في الطريق الذي يريده ونحا به نحو خثعم، فنزل حاجز عنه، فمرّ فنجاً وقال في ذلك:

فدى لكما رجليّ أمي وخالتي	بسعيكما بين الصفا والأثائب ^(١)
أوان سمعتُ القوم خلفي كأنهم	حريق أباءٍ في الرياح الثواقبِ
سيوفهم تغشى الجبان ونبلهم	يُضيء لدى الأقوام نار الحُبّاحبِ ^(٢)
غير قتالي في المضيق أغاثني	ولكن صريح العَدُو غير الأكاذبِ
نجوت نجا لا أبّيك ^(٣) تبثه	وينجو ^(٤) بشير نجو أزعَرَ خاضبِ ^(٥)
وجدتُ بعيراً هاملاً ^(٦) فركبته	فكادت تكون شرّاً ركة راكبِ

[الطويل]

حاجز يغير على بني هلال:

وقال أبو عمرو: اجتاز قوم حُجّاج من الأزد ببني هلال بن عامر بن صعصعة، فعرفهم ضمرة بن ماعز سيد بني هلال، فقتلهم هو وقومه، وبلغ ذلك حاجزاً، فجمع جمعاً من قومه وأغار على بني هلال فقتل فيهم وسبى منهم، وقال في ذلك يخاطب ضمرة بن ماعز:

يا ضمّر! هل نلناكم بدمائنا	أم أهل حذونا نعلكم بمثال؟
تبكي لقتلى من فُقيم قُتلوا	فاليوم تبكي صادقاً لهلال

(١) الأثائب، الواحدة من الشجر الذي ينبت في بطون الأودية.

(٢) الحباحب: ذباب يطير ليلاً ذو شعاع يصدر من ذنبه، فيبدو كالسراج.

(٣) لا أبّيك: أي لا وأبيك.

(٤) ينجو: يُفلى ويتخلص.

(٥) الأزعر: القليل الشعر.

(٦) الهامل: المهمل من الأنعام وقد تركت ترعى ليلاً ونهاراً دون العناية به.

ولقد شفاني أن رأيت نساءكم يبكين مردفة^(١) على الأكفال^(٢)
يا ضمراً! إن الحرب أضحت بيننا لقحت على الدكاء^(٣) بعد حيال^(٤)
[الكامل]

قال أبو عمرو: خرج حاجز في بعض أسفاره فلم يعد، ولا عرف له خبر،
فكانوا يرون أنه مات عطشاً أو ضلّ، فقالت أخته تراثه:

أحيّ حاجزاً لم ليس حيّاً فيسلك بين جندف والبهيم^(٥)
ويشرب شربة من ماء ترج فيصدر مشية السبع الكلیم^(٦)
[الوافر]

أخبرني هاشم بن محمد، قال: حدثنا دماذ عن أبي عبيدة، قال:

كان حاجز الأزدي مع غاراته كثير الفرار، لقي عامراً فهرب منهم فنجأ، وقال:

ألا هل أتى ذات القلائد فرّتي^(٧) عشية بين الجرف^(٨) والبحر من بعير^(٩)
عشية كادت عامراً يقتلونني لدى طرف السلماء راغية البكر^(١٠)
فما الظبي أخطت^(١١) خلفه الصقر^(١٢) رجله وقد كاد يلقي الموت في خلفه الصقر
بمثلي غداة القوم بين مقنّع وآخر كالسكران مرتكز يفري^(١٣)
[الطويل]

وفرّ من خثعم وتبعه المرقع الخثعمي ثم الأكلبي، ففاته حاجز، وقال في ذلك:

وكأنما تبع الفوارس أنربا أو ظبي رابية^(١٤) خفافاً أشعباً^(١٥)

(١) المردفة من النسوة: من أركبت خلف سائق الدابة.

(٢) الأكفال، الواحد كفّل، بكسر الكاف: الأعجاز.

(٣) الدكاء: رابية من طين. (٤) الحيال، بكسر الحاء: العقم.

(٥) جندف والبهيم: جبالان في اليمن. (٦) الكلیم: الجريح.

(٧) فرّتي: فراري. (٨) الجرف، بضم الجيم: موضع.

(٩) البعر: موضع بين مكة المكرمة واليمامة، ماء لبني ربيعة بن عبد الله بن كلاب.

(١٠) البكر من الإبل: الفتى، وراغية البكر: كناية عما يحمله من شرور.

(١١) أخطت، بتخفيف الهمز من أخطأت.

(١٢) خلفه الصقر: تردّده مرّة بعد مرّة لنفس المكان.

(١٣) يفري: يتفنن في نكايته وقتاله. (١٤) الرابية: هي ما ارتفع من الأرض.

(١٥) الظبي الأشعب: البعيد ما بين قرنيه.

وكأَنَّمَا طَرَدُوا بِذِي نَمِرَاتِهِ صدعا^(١) مَنَ الْأَرُوى^(٢) أَحَسَّ مَكْلَبَا
أَعْجَزْتُ مِنْهُمْ وَالْأَكْفُ تَنَالَنِي ومضت حياضهم وآبوا خُيَّبا
أَدْعُوا شَنْوَةَ غُثَّهَا^(٣) وَسَمِينَهَا ودعا المرقع يوم ذلك أكلبا^(٤)
[الكامل]

قال يخاطب عوض أمسى:

أَبْلَغُ أُمَيْمَةِ عَوْضِ أَمْسَى بَزْنَا سَلْباً وَمَا إِنِ سَرَّهَا أَنْ نُنْكَبَا
لَوْلَا تَقَارُبُ رَافَةِ وَعْيُونِهَا حمشاً^(٥) مَصْعِداً وَمَصُوبَا
[الكامل]

صوت

يَا دَارُ مَنْ مَآوِيَّ بِالسَّهْبِ^(٦) بنيت على خطب من الخطب^(٧)
إِذْ لَا تَرَى إِلَّا مُقَاتِلَةَ وعجانسا^(٨) يُرْقِلُنَ^(٩) بِالرَّكْبِ
وَمُدْجِجاً^(١٠) يَسْعَى بِشَكَّتِهِ^(١١) مُحَمَّرَةً عَيْنَاهُ كَالْكَلْبِ
وَمَعَاشِراً صَدَا الْحَدِيدِ بِهِمْ عَبَقَ الْهِنَاءِ^(١٢) مَخَاطِمِ^(١٣) الْجَرْبِ
[الكامل]

الشعر للحارث بن الطفيل الدؤسي، والغناء لمعبد، رمل بالنصر، من رواية يحيى المكي، وفيه لابن سريج خفيف ثقل مطلق في مجرى النصر عن إسحاق، والله أعلم.

-
- (١) الصدع من الأوعال: الفتى القوي.
(٢) الأروى: أنثى الوعل، أو هو تيس الجبل.
(٣) الغث: المهزول.
(٤) شنوءة وأكلب: من قبائل العرب.
(٥) حمشاً: غضباً.
(٦) السهب: موضع.
(٧) الخطب: المصيبة.
(٨) العجانس، الواحد عجنس: القوي العظيم من الإبل.
(٩) يُرْقِلُنَ: يسرعن.
(١٠) المدجج: الشاكي السلاح من الأبطال.
(١١) الشبكة، بكسر الشين: ما يحمله المقاتل من سلاح.
(١٢) الهناء، بكسر الهاء: القطران.
(١٣) المخاطم، الواحد مخطم: مقدم أنف الناقة وفمها، وشدقها.

أخبار الحارث بن الطفيل ونسبه

هو الحارث بن الطفيل بن عمرو بن عبد الله بن مالك بن فهم بن غنم بن دوس بن عبد الله بن عُذثان بن عبيد الله بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد، شاعرٌ فارسٌ، من مخضرمي شعراء الجاهلية والإسلام، وأبوه الطفيل بن عمرو شاعرٌ أيضاً، وهو أول من وفد من دوس على النبي ﷺ، فأسلم وعاد إلى قومه، فدعاهم إلى الإسلام.

أخبرني عمي قال: حدثنا الحزنبل عن عمرو بن أبي عمرو عن أبيه، واللفظ في الخبر له، والله أعلم.

وفود الطفيل على رسول الله ﷺ:

وأخبرني به محمد بن الحسن بن دريد قال: حدثني عمي عن العباس بن هشام عن أبيه:

أنَّ الطفيل بن عمرو بن عبد الله بن مالك الدوسي خرج حتى أتى مكة حاجاً، وقد بعث رسول الله ﷺ وهاجر إلى المدينة، وكان رجلاً يعصو - والعاصي البصير بالجراح، ولذلك يقال لولده: بنو العاصي - فأرسلته قريش إلى النبي ﷺ وقالوا: انظر لنا ما هذا الرجل، وما عنده، فأتى النبي ﷺ فعرض عليه الإسلام، فقال له: إني رجلٌ شاعرٌ، فاسمع ما أقول. فقال له النبي ﷺ: « هات ». فقال:

لا وإله الناس نألم حربهم	ولو حاربتنا مُنهبٌ وبنو فهم
ولمّا يكن يومٌ تزول نجومه	تطير به الرُكبان ذو نبأٍ ضخم
أسلماً على خسف ولست بخالد	وما لي من واقٍ إذا جاءني حتمي
فلا سلم حتى تحفز الناس خيفة	ويصبح طيرٌ كانساتٍ على لحم ^(١)

[الطويل]

فقال له رسول الله ﷺ: «وأنا أقول فاستمع»، ثم قال: «أعوذ بالله من الشيطان

(١) كانسات، اسم فاعل كنس: بمعنى أقام.

الرحيم، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١ - ٤]. ثم قرأ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١]، ودعاه إلى الإسلام فأسلم، وعاد إلى قومه، فأتاهم في ليلة مطيرة ظلماء، حتى نزل بروق، وهي قرية عظيمة لدوس فيها منبر، فلم يُبصر أين يسلك، فأضاء له نور في طرف سوطه، فبهر الناس ذلك النور، قالوا: نار أحدثت على القدوم ثم على بروق لا تطفأ. فعلقوا يأخذون بسوطه فيخرج النور من بين أصابعهم، فدعا أبويه إلى الإسلام فأسلم أبوه ولم تسلم أمه، ودعا قومه فلم يُجبه إلا أبو هريرة، وكان هو وأهله في جبل يقال له ذو رَمَع، فلقيه بطريق يزحزح، وبلغنا أنه كان يزحف في العقبه من الظلمة ويقول:

يا طولها من ليلة وعناءها على أنها من بلدة الكفر نجت
[الطويل]

ثم أتى الطفيل بن عمرو النبي ﷺ ومعه أبو هريرة، فقال له: ما وراءك؟ فقال: بلادٌ حصينة وكفر شديد. فتوضأ النبي ﷺ ثم قال: «اللهم اهد دوساً» ثلاث مرات. قال أبو هريرة: فلما صلى النبي ﷺ خفت أن يدعو على قومي فيهلكوا، فصحت: واقوماه! فلما دعا لهم سرّي عني، ولم يحب الطفيل أن يدعو لهم لخلافهم عليه، فقال له: لم أحب هذا منك يا رسول الله. فقال له: «إن فيهم مثلك كثيراً». وكان جند بن عمرو بن حممة بن عوف بن غويّة بن سعد بن الحارث بن ذبيان بن عوف بن مُنْهَب بن دوس يقول في الجاهلية: إن للخلق خالقاً لا أعلم ما هو. فخرج حينئذ في خمسة وسبعين رجلاً حتى أتى النبي ﷺ، فأسلم وأسلموا. قال أبو هريرة: ما زلت ألوي الآجرة^(١) بيدي، ثم لويت على وسطي حتى كأني بجاد^(٢) أسود، وكان جندب يقربهم إلى النبي ﷺ رجلاً رجلاً، فيُسلمون.

وهذه الأبيات التي فيها الغناء من قصيدة للحارث بن الطفيل، قالها في حرب كانت بين دوس وبين بني الحارث بن عبد الله بن عامر بن الحارث بن يشكر بن مبشر بن صعب بن دهمان بن نصر بن زهران.

وكان سبب ذلك فيما ذكر عن أبي عمرو الشيباني أن ضماد بن مسرح بن النعمان بن الجبار بن سعد بن الحارث بن عبد الله بن عامر بن الحارث بن يشكر، سيد آل الحارث، كان يقول لقومه: أحذركم جرائر أحمقين من آل الحارث يبطلان

(١) الآجرة من الطين: المحروق منه.

(٢) البجاد، بكسر الباء: رداء مخطط كانت العرب يشتملون به.

رياستكم. وكان ضِمَادٌ يتعيف^(١)، وكان آل الحارث يسودون العشيرة كلها، فكانت دوسٌ أتباعاً لهم، وكان القتيل من آل الحارث تؤخذ له ديتان، ويُعطون إذا لزمهم عقلٌ قتيل من دوس ديةً واحدة، فقال غلامان من بني الحارث يوماً: اتتوا شيخ بني دوس وزعيمهم الذي ينتهون إلى أمره فلننقله. فأتياه، فقالا: يا عم، إن لنا أمراً نريد أن تحكم بيننا فيه. فأخرجاه من منزله، فلما تنحيا به قال له أحدهما: يا عم، إن رجلي قد دخلت فيها شوكة، فأخرجها لي. فنكس الشيخ رأسه لينتزعها وضربه الآخر فقتله، فعمدت دوس إلى سيد بني الحارث، وكان نازلاً بقنُوني^(٢) فأقاموا له في غيضة في الوادي، وسرحت إبله فأخذوا منها ناقة فأدخلوها الغيضة وعقلوها، فجعلت الناقة ترغو وتحنّ إلى الإبل، فنزل الشيخ إلى الغيضة ليعرف شأن الناقة، فوثبوا عليه فقتلوه، ثم أتوا أهله، وعرفت بنو الحارث الخبر، فجمعوا لدوس وغزّوهم فنذروا^(٣) بهم فقاتلوهم فتناصفوا، وظفر بنو الحارث بغلّة من دوس فقتلوهم، ثم إن دوساً اجتمع منهم تسعة وسبعون رجلاً، فقالوا: مَنْ يكلّمنا، مَنْ يُمانينا^(٤) حتى نغزو أهل ضِمَاد؟ فكان ضِمَاد قد أتى عكاظ، فأرادوا أن يخالفوه إلى أهله، فمروا برجل من دوس وهو يتغنّى:

فإنّ السّلمَ زائدة نواها وإنّ نوى المحارب لا تروِبُ^(٥)
[الوافر]

فقالوا: هذا لا يتبعكم، ولا ينفعكم أن تبعكم، أما تسمعون غناءه في السّلم، فأتوا حُمّة بن عمرو، فقالوا: أرسل إلينا بعض ولدك. فقال: وأنا إن شئتم. وهو عاصب حاجبيه من الكبر. فأخرج معهم ولده جميعاً، وخرج معهم، وقال لهم: تفرّقوا فرقتين، فإذا عرف بعضكم وجوه بعض فأغيروا، وإياكم والغارة حتى تتفارقوا لا يقتل بعضكم بعضاً. ففعلوا، فلم يلتفتوا حتى قتلوا ذلك الحيّ من آل الحارث، وقتلنا ابناً لضِمَاد، فلما قدم قطع أذني ناقته وذنبها، وصرخ في آل الحارث، فلم يزل يجمعهم سبع سنين ودوس تجمع بإزائه، وهم مع ذلك يتغاورون^(٦) ويتطرّف بعضهم بعضاً^(٧)، وكان ضِمَاد قد قال لابن أخ له يكنى أبا سفيان لما أراد أن يأتي عكاظ: إن

(١) يتعيف: يتكهّن.

(٢) قنُوني: من أودية السراة يصب في البحر أوائل بلاد اليمن من جهة مكة المكرمة.

(٣) يقال نذر بالعدو: علم بعداوته فاتخذ الحذر منه.

(٤) يُمانينا: يدارينا ويعيذنا.

(٥) لا تروِب: لا تهدأ.

(٦) يتغاورون: يتغازون أي يتبادلون الغارات.

(٧) يتطرّف: يُغير.

كنت تحرز^(١) أهلي، وإلا أقمت عليهم. فقال له: أنا أحرزهم من مائة؛ فإن زادوا فلا. وكانت تحت ضماد امرأة من دوس، وهي أخت مربان بن سعد الدوسي الشاعر، فلما أغارت دوس على بني الحارث قصدها أخوها، فلاذت به، وضمت فخذها على ابنها من ضماد، وقالت: يا أخي اصرف عني القوم، فإنني حائض لا يكشفوني. فنكز سيئة القوس في درعها، وقال: لست بحائض، ولكن في درعك سخلّة بكذا من آل الحارث، ثم أخرج الصبي فقتله، وقال في ذلك:

ألا هل أتى أم الحصين ولو نأت خلافتنا في أهله ابن مسرّح
ونضرة تدعو بالفناء وطلقها^(٢) ترائبه^(٣) ينفحن^(٤) من كل منفع
وفرّ أبو سفيان لما بدا لنا فرار جبان لأمه الذلّ مقرح^(٥)
[الطويل]

قال: فلم يزالوا يتغاورون حتى كان يوم حضرة الوادي، فتحاشد الحيّان، ثم أتتهم بنو الحارث ونزلوا لقتالهم، ووقف ضماد بن مسرّح في رأس الجبل، وأتتهم دوس، وأنزل خالد بن ذي السبلة بناته هنداً وجندلة وفطيمة ونضرة، فبنين بيتاً، وجعلن يستقين الماء، ويحضّضن^(٦). وكان الرجل إذا رجع فارّاً أعطينه مكحلة ومِجمرأ^(٧) وقلن: معنا فأنزل - أي إنك من النساء - وجعلت هند بنت خالد تحرّضهم وترتجز وتقول:

من رجل ينازل الكتيبة فذلكم تزني به الحبيبة
[الرجز]

فلما التقوا رمى رجل من دوس رجلاً من آل الحارث، فقال: خذها وأنا أبو الزين^(٨)، فقال ضماد وهو في رأس الجبل وبنو الحارث بحضرة الوادي: يا قوم زُبنتم^(٩) فارجعوا. ثم رجل آخر من دوس، فقال: خذها وأنا أبو ذكر^(١٠). فقال ضماد: ذهب القوم بذكرها، فاقبلوا رأيي وانصرفوا. فقال: قد جبنت يا ضماد. ثم التقوا، فأبیدت بنو الحارث. هذه رواية أبي عمرو.

(١) تحرز: تمنع وتحصن.

(٢) الترائب، الواحدة تريبة: عظام الصدر أو أعلى الصدر.

(٣) ينفحن: ينضحن بالدماء.

(٤) يحضض: يثرون، يحشّن.

(٥) مقرح: مجروح.

(٦) مِجمرأ: ممنوعاً ملازماً مكانه.

(٧) زُبنتم: دُفِعتهم وصدمتهم.

(٨) أبو الزين: أبو الدفع.

(٩) أبو ذكر: أي مشهور بنباهة ذكره وذئوع صيته.

وَأَمَّا الْكَلْبِيُّ فَإِنَّهُ قَالَ: كَانَ عَامِرُ بْنُ بَكْرٍ بْنُ يَشْكُرٍ يُقَالُ لَهُ الْغَطْرِيفُ^(١) وَيُقَالُ لِبَنِيهِ الْغَطَارِيفُ، وَكَانَ لَهُمْ دِيْتَانُ، وَلِسَائِرُ قَوْمِهِ دِيَّةٌ، وَكَانَتْ لَهُمْ عَلَى دَوْسٍ إِتَاوَةٌ يَأْخُذُونَهَا كُلَّ سَنَةٍ، حَتَّى إِنْ كَانَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ لِيَأْتِيَ بَيْتَ الدَّوْسِيِّ فَيَضَعُ سَهْمَهُ أَوْ نَعْلَهُ عَلَى الْبَابِ، ثُمَّ يَدْخُلُ، فَيَجِيءُ الدَّوْسِيُّ، فَإِذَا أَبْصَرَ ذَلِكَ انْصَرَفَ وَرَجَعَ عَنْ بَيْتِهِ، حَتَّى أَدْرَكَ عَمْرُو بْنُ حَمْمَةَ بْنِ عَمْرٍو فَقَالَ لِأَبِيهِ: مَا هَذَا التَّطَوُّلُ الَّذِي يَتَطَوَّلُ بِهِ إِخْوَانُنَا عَلَيْنَا؟ فَقَالَ: يَا بَنِيَّ، إِنْ هَذَا شَيْءٌ قَدْ مَضَى عَلَيْهِ أَوَائِلُنَا، فَأَعْرِضْ عَنْ ذِكْرِهِ. فَأَعْرِضْ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ، وَإِنْ رَجُلًا مِنْ دَوْسٍ عَرَّسَ بَابَنِيَّ عَمَّ لَهُ، فَدَخَلَ عَلَيْهَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَامِرِ بْنِ يَشْكُرٍ، فَجَاءَ زَوْجُهَا فَدَخَلَ عَلَى الْيَشْكُرِيِّ، ثُمَّ أَتَى عَمْرُو بْنُ حَمْمَةَ فَأَخْبَرَهُ بِذَلِكَ، فَجَمَعَ دَوْسًا وَقَامَ فِيهِمْ، فَحَرَّضَهُمْ وَقَالَ: إِلَى كَمْ تَصْبِرُونَ لِهَذَا الذِّلِّ؟ هَذِهِ بَنُو الْحَارِثِ، تَأْتِيكُمْ الْآنَ تَقَاتِلُكُمْ، فَاصْبِرُوا تَعِيشُوا كِرَامًا أَوْ تَمُوتُوا كِرَامًا. فَاسْتَجَابُوا لَهُ، وَأَقْبَلَتْ إِلَيْهِمْ بَنُو الْحَارِثِ فَتَنَازَلُوا، وَاقْتَتَلُوا، فَظَفَرَتْ بِهِمْ دَوْسٌ، وَقَتَلْتَهُمْ كَيْفَ شَاءَتْ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ دَوْسٍ يَوْمَئِذٍ:

قَدْ عَلِمْتَ صَفْرَاءُ حَرِشَاءَ الذَّيْلِ^(٢) شَرَابَةَ الْمُحَضِّصِ^(٣) تَرَوْكَ لِلْقَيْلِ^(٤)
تُرْخِي فَرَوْعًا مِثْلَ أَذْنَابِ الْخَيْلِ أَنْ بَرَوْقًا دُونَهَا كَالْوَبْلِ
وَدُونَهَا خِرْطُ الْقِتَادِ^(٥) بِاللَّيْلِ

[الرجز]

وَقَالَ الْحَارِثُ بْنُ الطُّفَيْلِ بْنِ عَمْرٍو الدَّوْسِيُّ فِي هَذَا الْيَوْمِ، عَنْ أَبِي عَمْرٍو:

يَا دَارُ مِنْ مَاوِيَّ بِالْسَّهْبِ بُنِيتَ عَلَى خَطْبٍ مِنَ الْخَطْبِ
إِذْ لَا تَرَى إِلَّا مَقَاتِلَةً وَعِجَانَسًا^(٦) يُرْقِلُنَ^(٧) بِالرَّكْبِ^(٨)
وَمُدَّجَجًا^(٩) يَسْعَى بِشِكَّتِهِ^(١٠) مُحَمَّرَةً عَيْنَاهُ كَالْكَلْبِ
وَمَعَاشِرًا صَدَأَ الْحَدِيدُ بِهِمْ عَبَقَ الْهَنَاءِ^(١١) مُخَاطِمِ^(١٢) الْجُرْبِ

(١) الْغَطْرِيفُ، بِكَسْرِ الْغَيْنِ: السَّيِّدُ الشَّرِيفُ الشَّجَاعُ.

(٢) حَرِشَاءُ الذَّيْلِ: الْكُتَيْبَةُ الْخَشَنَةُ فِي مَصَادِمَةِ أَعْدَائِهَا.

(٣) الْمُحَضِّصُ: الْخَالِصُ. (٤) الْقَيْلُ: اللَّبَنُ يَشْرَبُ فِي مَتْنَصِفِ النَّهَارِ.

(٥) الْقِتَادُ: شَجَرُ شَوْكِي صَلْبٍ.

(٦) الْعِجَانَسُ، الْوَاحِدُ عِجْنَسٌ مِنْ فَحُولِ الْجَمَالِ الضَّخْمَةِ الْقَوِيَّةِ، يَمْتَازُ بِبَطْءِ حَرَكَتِهِ.

(٧) يُرْقِلُنَ: يَسْرَعْنَ. (٨) الرِّكْبُ: مَوْكِبُ الرَّاحِلِينَ.

(٩) الْمُدَّجَجُ: الْكَمِيُّ، الشَّاكِي السَّلَاحِ. (١٠) الشِّكَّةُ: السَّلَاحُ.

(١١) الْهَنَاءُ: الْقَطْرَانُ. (١٢) الْمُخَاطِمُ، الْوَاحِدُ خَطَامٌ: الرِّسَنُ يَقَادُ بِهِ الْبَعِيرُ.

لما سمعت نزالٍ قد دعيت
 كعب بن عمرو لا لكعب بني الـ
 فرميت كبش^(١) القوم مُعتمداً
 شكّوا بحقّويه^(٤) القداح^(٥) كما
 فكأنّ مُهري ظلّ مُنغمساً
 ياربّ موضوع رفعتُ ومر
 وحليل غانية^(١٣) هتكتُ قرارها
 كانت على حُبّ الحياة فقد
 «جانيك مَنْ يجني عليك وقد
 أيقنت أنّهم بنو كعبٍ
 عنقاء والتّبيان في النسبِ
 فمضى وراشوه^(٢) بذِي كعب^(٣)
 ناط^(٦) المعرض^(٧) أقدح^(٨) القضبِ^(٩)
 بشبا الأسنّة مغرّة^(١٠) الجأبِ^(١١)
 فوع وضعت بمنزل اللّصبِ^(١٢)
 تحت الوغى بشديدة العضبِ^(١٤)
 أحللتها في منزل غرب^(١٥)
 تُعدي الصّحاح^(١٦) مبارك الجربِ»
 [الكامل]

هذا البيت في الغناء في لحن ابن سريج؛ وليس هو في هذه القصيدة، ولا وُجد في الرواية، وإنما ألحقناه بالقصيدة لأنه في الغناء كما تضيف المغنون شعراً إلى شعر، وإن لم يكن قائلهما واحداً إذا اختلف الروي والقافية.

-
- (١) كبش القوم: رئيسهم.
 (٢) راشوه: توجّهوا إليه برماحهم فأصابوا منه مقتلاً.
 (٣) ذو كعب: الرمح.
 (٤) حقويه: خصره.
 (٥) القداح، الواحد قدح: السهم.
 (٦) ناط: علق.
 (٧) المعرض: الرامي الذي يرمي بالقوس.
 (٨) القداح، الواحد قدح: السهم قبل أن يُراش أو ينصل.
 (٩) القضب، الواحد قضيب: القوس المتخذة من غصن غير مشقوق.
 (١٠) المغرّة: اللون المائل إلى الحمرة.
 (١١) الجأب: الموضع.
 (١٢) اللصب، بكسر اللام: مضيق الوادي.
 (١٣) غانية: لعب مغنّاج أو التي اغتنت بجمالها عن التزيين، أو التي اغتنت بزوجه عن سواه.
 (١٤) العضب: الطعن القوي.
 (١٥) الغرب: البعيد.
 (١٦) الصّحاح: السالم من الإبل والخالٍ من المرض.

صوت

صرفت هواءً فانصرفا ولم تدع الذي سلفا
 وبنّت فلم أمت كلفا عليك ولم تمت أسفا
 كلانا واجد في الننا س ممن ملّة خلفا

[مجزوء الوافر]

الشعر لعبد الصمد بن المعدّل، والغناء للقاسم بن زُرزور، رملٌ بالوسطى،
 وفيه لعمَرَ الميداني هزجٌ.

أخبار عبد الصمد بن المعذل ونسبه

عبد الصمد بن المعذل بن غيلان بن الحكم بن البختريّ بن المختار بن ذريح بن أوس بن همّام بن ربيعة بن بشير بن حُمران بن حِدرجان بن عساس بن ليث بن حُداد بن ظالم بن ذهل بن عجل بن عمرو بن وداعة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس بن أفصى بن دُعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار. وقيل: ربيعة بن ليث بن حمران.

وجدت في كتاب بخط أحمد بن كامل: حدثني غيلان بن المعذل أخو عبد الصمد، قال: كان أبي يقول: أفصى أبو عبد القيس هو أفصى بن جديلة بن أسد، وأفصى جدُّ بكر بن وائل هو أفصى بن دُعمي. والنسابون يغلطون في قولهم عبد القيس بن أفصى بن دُعمي. ويكنى عبد الصمد أبا القاسم، وأمّه أم ولد يقال لها: الزرقاء. شاعر فصيح من شعراء الدولة العباسية، بصري المولد والمنشأ. وكان هجاءً خبيث اللسان، شديد العارضة، وكان أخوه أحمد أيضاً شاعراً، إلا أنه كان عفيفاً، ذا مروءة ودين وتقدّم في المعتزلة، وله جاه واسع في بلده وعند سلطانه، لا يقاربه عبد الصمد فيه، فكان يحسده ويهجوه فيحلم عنه، وعبد الصمد أشعرهما، وكان أبو عبد الصمد بن المعذل وجده غيلان شاعرين، وقد روي عنهما شيء من الأخبار واللغة والحديث ليس بكثير، والمعذل بن غيلان هو الذي يقول:

إلى الله أشكو لا إلى الناس أنني	أرى صالح الأعمال لا أستطيعها
أرى خلّة في إخوة وأقارب	وذي رحم ما كان مثلي يضيعها
فلو ساعدتني في المكارم قدرة	لفاض عليهم بالنوال ربيعها

[الطويل]

أنشدنا ذلك له علي بن سليمان الأخفش، عن المُبرّد، وأنشدناه محمد بن خلف بن المرزبان عن الرّبيعي أيضاً. قالاً: وهو القائل:

ولست بميّالٍ إلى جانب الغنى	إذا كانت العلياء في جانب الفقر
وإنّي لصَبّار على ما ينوبني	وحسبك أنّ الله أثنى على الصبر

[الطويل]

أخبرني محمد بن خلف، قال: حدثنا التَّخَعِي وإِسْحاق، قال: هجا أبان اللاحقي المعذل بن غيلان، فقال:

كنت أمشي مع المعذل يوماً
فتلفت هل أرى ظرباناً^(١)
فإذا ليس غيره وإذا إعـ
فتعجبت ثم قلت: لقد أعـ
ففسا فسوة فكدت أطيـ
من ورائي والأرض بي تستدير
صار ذاك الفساء منه يفور
رف، هذا فيما أرى خنزير
[الخفيف]

فأجابه المعذل فقال:

صحفت أمك إذ سمـ
قد علمنا ما أرادت
صيـرت باء مكان التـ
قطع الله وشيكاً
تك بالمهد أبانا
لم تُرد إلا أتاناً^(٢)
ء والله عيانا
من مُسميك اللسانا
[مجزوء الرمل]

المعذل وعبد الله بن سوار:

أخبرني عمي قال: حدثنا المبرد قال: مرَّ المعذل بن غيلان بعبد الله بن سوار العنبري القاضي، فاستنزه عبد الله، وكان من عادة المعذل أن ينزل عنده فأبى، وأنشده:

أمن حق المودة أن تُقضـي
وقد قال الأديب مقال صدق
إذا أكرمتكم وأهنتموني
ذمامكم^(٣) ولا تقضوا ذماما
رآه الآخرون لهم إماما
ولم أغضب لذلك فذاما
[الوافر]

قال: وانصرف، فبكر إليه عبد الله بن سوار، فقال له: رأيتك أبا عمرو مغضباً. فقال: أجل ماتت بنت أختي ولم تأتني. قال: ما علمت ذلك. قال: ذنبك أشد من عذرك، وما لي أنا أعرف خبر حقوقك، وأنت لا تعرف خبر حقوقي؟! فما زال عبد الله يعتذر إليه حتى رضي عنه.

(١) الظربان: من القوارض، رائحة فساها نتنة، صغير الجرم.

(٢) الأتان: أنثى الحمار.

(٣) الذمام، الواحدة ذمة: الأمان والعهد.

هجاء عبد الصمد لشروين المغني :

حدثني الحسن بن علي الخفاف، قال : حدثنا ابن مهرويه عن الحمدوني، قال :
كان شروين حسن الغناء والضرب، وكان من أراد أن يغنيّه حتى يخرج من جلده جاء
بجويرية سوداء فأمرها أن تطالعه، وتُلَوَّح له بخرقه حمراء، ليظنّها امرأة تطالعه، فكان
حينئذٍ يغني أحسن ما يقدر عليه تصنعاً لذلك، فغضب عليه عبد الصمد في بعض
الأمور، فقال يهجوّه

مَنْ حَلَّ شَروِينَ لَهُ مَنْزَلاً فَلَتنَّهُ الأُولَى عَنِ الثَّانِيَةِ
فَلَيْسَ يَدْعُوهُ إِلَى بَيْتِهِ إِلَّا فَتَّى فِي بَيْتِهِ زَانِيَهُ
[السريع]

هجاؤه لزان متزوّج زانية :

أخبرني الحسن، قال : حدثنا ابن مهرويه، قال : حدثني أبو عمرو البصري،
قال : قال عبد الصمد بن المعذل في رجلٍ زانٍ من أهل البصرة كانت له امرأة تزني،
فقال :

إِنْ كُنْتَ قَدْ صَفَّرْتَ أذنَ الْفَتَى فَطالِمَا صَفَّرَ آذَانَا
لَا تَعْجِبِي إِنْ كُنْتَ كَشَخْنَتِهِ^(١) فَإِنَّمَا كَشَخْنَتْ كَشَخَانَا
[السريع]

شعره في الفتى الكاتب الذي عشق جارية :

أخبرني جعفر بن قدامة بن زياد الكاتب، قال : حدثنا سوار بن أبي شراعة،
قال :

كان بالبصرة رجلٌ يعرف بابن الجوهري، وكانت له جاريةٌ مغنيةٌ حسنة الغناء،
وكان ابن الجوهري شيخاً هماً^(٢) قبيح الوجه، فتعشّقت فتى كاتباً كان يُعاشره ويدعوه،
وكان الفتى نظيفاً ظريفاً، فاجتمعت معه مراراً في منزله، وكان عبد الصمد يُعاشره،
فكان الفتى يكاتمه أمره، ويحلف له أنّه لا يهواه، فدخلت عليهما ذات يوم بغتةً، فبقي
الفتى باهتاً لا يتكلّم، وتغيّر لونه وتخلّج^(٣) في كلامه، فقال عبد الصمد :

لِسَانُ الْهَوَى يَنْطِقُ وَمَشْهَدُهُ يَصْدُقُ

(١) كَشَخْنُ الرَّجُلِ : هُوَ مَنْ لَا يَغَارُ عَلَى عَرْضِهِ وَاتِّهَمَ بِأَنَّهُ دَيُّوثٌ .

(٢) الْهَمُّ : الشَّيْخُ الضَّعِيفُ الْهَمَّةُ .

(٣) تَخَلَّجَ فِي كَلَامِهِ : تَلَجَّلَ وَلَمْ يُفْصَحَ .

لقد نَمَّ هذا الهوى عليك وما يُشْفِقُ
إذا لم تكن عاشقاً فقلبك لِمَ يخفقُ
ومالك لَمَّا بدتْ تحارُ فلا تنطقُ
أشمسٌ تجلَّتْ لنا أم القمرُ المشرقُ؟
[مجزوء المتقارب]

الغناء في هذه الأبيات لرذاذ، ويقال للقاسم بن زرزور، رملٌ مطلقٌ.

قال: ثم طال الأمر بينهما، فهربت إليه جملةً، فقال عبد الصمد في ذلك:

إلى امرئٍ حازمٍ ركبتُ أيَّ امرئٍ عاجزٍ تركتُ
فتنةُ ابن الجوهريِّ لقد أظهرتُ نُصحاً وقد أفكتُ
أكذبتُها عزيمةً ظهرت لا تبالي نفس من سفكتُ
ظفرتُ فيها بما هويت ونجت من قُرب من فركتُ^(١)
ثم خدودٌ بعدها لطمت وجيوبٌ بعدها هُتكتُ
وعيون لا يُرقآن^(٢) على حُسن وجه فاتهنَّ بكتُ
خرجت والليل مُعتكرٌ لم يَهْلها أَيْةٌ سلكتُ
وعيون الناس قد هجعت ودجى الظلماء قد حلكتُ
لم تخف وجداً^(٣) بعاشقها حُرمة الشهر الذي انتهكتُ
ورأت لَمَّا سقت كمداً أُنْها في دينها نسكتُ
مُلئت كفُّ بها ظفرت دون هذا الخلق ما ملكتُ
أيُّ ملكٍ إذا خلا وخلت فشكا أشجانَه^(٤) وشكتُ
تجتلي من وجهه ذهباً وهو يجلو فضةً فتكتُ
هكذا فعل الفتاة إذا هي في عشاقها محكتُ^(٥)

[المديد]

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مَهرويه، قال: حدثني بعض أصحابنا قال:

(٢) يُرقآن لا يجف دمعها ولا ينقطع.

(٤) الأشجان، الواحد شجن: الأحزان.

(١) فركت المرأة زوجها: كرهته.

(٣) الوجد: شدة العشق والحب.

(٥) محكت: تمتعت وأمعنت بصدودها.

هجاؤه لجار له يمشي مشية منكراً :

نظر عبد الصمد بن المعدّل إلى جارٍ له يخطر في مشيته خطرةً منكراً، وكان فقيراً رثّ الحال . فقال فيه :

يتمشّى في ثوب عَصَبٍ^(١) من العُرْ
دبّ في رأسه خُمَارٌ^(٢) من الجور
فبكى شَجْوَهُ^(٣) وحنّ إلى الحُبِ
مَن لقلبٍ متيمٍ برغيفٍ
ليس تسمو إلى الولايم نفسي
هاتِ لوناً وقُلْ لتلك تغني
ي على عظم ساقه مسدول
ع سُرَى خُمرة الرحيق الشمول^(٤)
ز ونادى بزفرة وعويل
ن ونفسٍ تاقَت إلى طِفْشِيلٍ^(٥)
جَلَّ قدرُ الأعراس عن تأميلي^(٦)
لست أبكي لدارسات الطُلُولِ
[الخفيف]

رثاؤه لأبي سلمة الطفيلي :

أخبرنا سوار بن أبي شراعة، قال : كان بالبصرة طفيليّ يُكْنَى أبا سلمة، وكان إذا بلغه خبرٌ وليمة لبس لبس القضاة، وأخذ ابنه معه وعليهما القلانيس^(٧) الطوال، والطيلاسة الرقاق^(٨)، فيقدّم ابنه، فيدقّ الباب أحدهما ويقول : افتح يا غلام لأبي سلمة . ثم لا يلبث البواب حتى يتقدّم الآخر، فيقول : افتح ويملك فقد جاء أبو سلمة . ويتلوهم، فيدقّون جميعاً الباب، ويقولون : بادِرْ ويملك، فإنّ أبا سلمة واقف . فإن لم يكن عرفهم فتح لهم، وهاب منظرهم، وإن كانت معرفته إياهم قد سبقت لم يلتفت إليهم ومع كل واحد منهم فِهْرٌ^(٩) مدوّر يسمونه «كيسان»، فينتظرون حتى يجيء بعض من دعِي، فيفتح له الباب، فإذا فُتِح طرخوا الفهر في العتبة حيث يدور الباب، فلا يقدر البواب على غلقه، ويهجمون عليه فيدخلون . فأكل أبو سلمة يوماً على بعض

(١) العصب من الأثواب : المحكم النسج والحياسة .

(٢) الخُمَار، بضم الخاء : آلام رأس معافر الخمرة بكثرة .

(٣) الرحيق الشمول : الخمرة الباردة .

(٤) الشجو : الحزن .

(٥) الطفشيل : ضرب من الأطعمة .

(٦) التأمل : التأكد من أمرها بعد إمعان الفكر فيه .

(٧) القلانيس، الواحدة قلنسوة من ألبسة الرأس .

(٨) الطيلاسة الرقاق : ضرب من الأردية السوداء .

(٩) الفِهر، بكسر الفاء : الحجر .

الموائد لقمة حارة من فالوذج^(١)، وبلعها لشدة حرارتها، فجمعت أحشاؤه فمات على المائدة، فقال عبد الصمد بن المعذل يرثيه:

أحزان نفسي عليها غير مُنصرمه وأدَمعي من جفون الدهر منسجمة^(٢)
على صديقي وموَلّي لي فُجِعتُ به ما إن له في جميع الصالحين لُمة
كم جفنة^(٣) مثل جوف الحوض مُترعة^(٤) كوماً^(٥) جاء بها طبأخها رذمة^(٦)
قد كللتها شحومٌ من قَلِيَّتِها ومن سنام جزورٍ^(٧) عَبطية^(٨) سنمة^(٩)
غُيِّبَتْ عنها فلم تعرف له خبراً لهفي عليك وويلي يا أبا سلمة
ولو تكون لها حياً لما بَعُدت يوماً عليك ولو في جاحم حُطمة^(١٠)
قد كنت أعلم أنّ الأكل يقتله لكنني كنت أخشى ذاك من تخمة^(١١)
إذا تعمّم في شبليهِ^(١٢) ثم غدا فإن حوزة من يأتيه مصطلمة^(١٣)
[البسيط]

شعره في فتى عشقه:

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان، قال: حدثني أحمد بن يزيد المهلب عن أبيه، قال:

كان عبد الصمد بن المعذل يتعشّق فتى من المغنين، يقال له أحمد، فغاضبه الفتى وهجره فكتب إليه:

صوت

سَلْ جَزَعِي^(١٤) مُدْ صَدَدْتُ^(١٥) عن حالي هل خطر الصبر على بالي؟

- (١) الفالوذج: ضرب من الحلوى، يصنع من مزيج الدقيق والعسل والماء.
- (٢) منسجمة: منصبة سائلة.
- (٣) الجفنة من الأوعية: العظيمة توضع فيها الأطعمة.
- (٤) مترعة: مليء، مشبعة بالري.
- (٥) الكوماً: المرتفعة.
- (٦) الرذماء: التي أشبعت بالدهن والسمن.
- (٧) الجزور: الناقة المذبوحة.
- (٨) العبطة من النياق: التي ذبحت لا علة فيها.
- (٩) السنمة: ذات السنام العظيم.
- (١٠) الجاحم الحطمة: النار الموقدة.
- (١١) التخمة: امتلاء البطن شبعاً.
- (١٢) قصد بشبليهِ: ولديه.
- (١٣) المصطلمة: المستأصلة.
- (١٤) جَزَعِي: تمنعت.
- (١٥) صَدَدْتُ: تمنعت.

لا غيّر الله سوءَ فعلك بي إن كنت أعتبتُ فيك عُذّالي^(١)
 ولا ذممتُ البكالي عليك ولا حمدتُ حُسنَ السلوِّ من سأل
 لو كنت أبغي سِواك ما جهلتُ نفسي أنّ الصدود أعفى لي^(٢)
 [المنسرح]

لجحظة في هذه الأبيات رملٌ مطلق .

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مَهرويه، قال:
 حدثني عليُّ بن محمد النوفلي، فقال:

هجا عبد الصمد بن المعدّل قينةً بالبصرة قال فيها:

تفتّر عن مضحك السّدري^(٣) إن ضحكت كرف الأتان^(٤) رأت إدلاء^(٥) أعيار^(٦)
 يفوح ريح كنيف من ترائبها^(٧) سوداء حالكة دهماء كالقار^(٨)
 [البسيط]

قال: فكسدت والله تلك القينة بالبصرة، فلم تُدع ولم تُستتبع حتى أخرجت عنها .

أخبرني علي بن سليمان الأخفش، قال: حدثنا المبرد، قال:

كتب عبد الصمد بن المعدّل إلى بعض الأمراء رُقعة فلم يجبه عنها، لشيء كان
 بلغه عنه، فكتب إليه:

قد كتبتُ الكتاب ثم مضى اليو م ولم أدر ما جواب الكتاب
 ليت شعري عن الأمير لماذا لا يراني أهلاً لردّ الجواب
 لا تدعني وأنت رفعت حالي ذا انخفاض بهجرتي واجتنابي

(١) العذال، الواحد عذول: اللائم .

(٢) أعفى لي: أصلح لي .

(٣) السدري: هو أبو نبقة .

(٤) كرف الأتان: شم بول الأتان ثم رفع رأسه وقلب جحفلته .

(٥) الإدلاء: عملية يقوم بها البعير أو الجواد، عند البول .

(٦) الأعيار، الواحد عير: الحمير .

(٧) الترائب، الواحدة تريبة: هي ما بين الثديي المرأة، حيث تضع قلايتها أو عظام الصدر أو أعلى الصدر .

(٨) دهماء كالقار: سوداء كالقطران .

إِنْ أَكُنْ مَذْنِباً فَعِنْدِي رَجُوعٌ وبلاءٌ بالعذر والإعتابِ
وأنا الصادق الوفاء وذو العهد مد الوثيق المؤكد الأسبابِ
[الخفيف]

هجاؤه للمهلب الذي كان يخدع الفتيات :

أخبرني الحرمي بن علي، قال : حدثني أبو الشبل، قال :

كان بالبصرة رجلٌ من ولد المهلب بن أبي صفرة، يقال له : صبيانة، وكان له
بستان سريٌّ في منزله، فكان يدعو الفتيات إليه، فلا يعطيهنَّ شيئاً من الدراهم، ويُقصر
بهنَّ على ما يحملنه من البستان معهنَّ، مثل الرطب والبقول والرياحين، فقال فيه
عبد الصمد قوله :

قَوْمٌ زُنَاةٌ مَا لَهُمْ دِرَاهِمٌ جذرهم^(١) التَّمَامُ^(٢) والحماحم^(٣)
أَنْذَلْ مَنْ تَجْمَعُهُ الْمَوَاسِمُ خَسُوا وخَسَّتْ مِنْهُمْ الْمُطَاعِمُ
فَعَدَلَهُمْ إِنْ قَسَتْهُ الْمِظَالِمُ

[الرجز]

أخبرني جعفر بن قدامة، قال : حدثني سَوَّار بن أَبِي شُرَاعَةَ، وأخبرنا به سوار
أجازة، قال : حدثني أَبِي، قال :

لَمَّا هَجَا الْجَمَازَ عَبْدُ الصَّمَدِ بْنِ الْمَعْدَلِ جَاءَنِي فَقَالَ لِي : أَنْقِذْنِي مِنْهُ . فَقُلْتُ لَهُ :
أَمْثَلُكَ يَفْرَقُ^(٤) مِنَ الْجَمَازِ؟ فَقَالَ : نَعَمْ، لِأَنَّهُ لَا يُبَالِي بِالْهَجَاءِ وَلَا يَفْرَقُ مِنْهُ، وَلَا عِرْضَ لَهُ،
وَشَعْرُهُ يَنْفَقُ^(٥) عَلَى مَنْ لَا يَدْرِي . فَلَمْ أَزَلْ حَتَّى أَصْلَحْتُ بَيْنَهُمَا بَعْدَ أَنْ سَارَ قَوْلُهُ فِيهِ :

إِبْنُ الْمَعْدَلِ مَنْ هُوَ وَمَنْ أَبَوَهُ الْمَعْدَلُ
سَأَلْتُ وَهَبَانَ عَنْهُ فَقَالَ بَيْضٌ مَحْوَلٌ^(٦)

[المجث]

قال : وكان وَهْبَانُ هَذَا رَجُلًا يَبِيعُ الْحَمَامَ، فَجَمَعَ جَمَاعَةً مِنْ أَصْحَابِهِ وَجِيرَانِهِ،
وَجَعَلَ يَغْشَى الْمَجَالِسَ، وَيَحْلِفُ أَنَّ مَا قَالَ : إِنَّ عَبْدَ الصَّمَدِ بَيْضٌ مَحْوَلٌ، وَيَسْأَلُهُمْ
أَنْ يَعْتَذِرُوا إِلَيْهِ؛ فَكَانَ هَذَا مِنْهُ قَدْ صَارَ بِالْبَصْرَةِ طُرْفَةً وَنَادِرَةً، فَجَاءَنِي عَبْدُ الصَّمَدِ
يَسْتَغِيثُ مِنْهُ، وَيَقُولُ لِي : أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّ آفَتِي مِنْهُ عَظِيمَةٌ، وَاللَّهِ لِدَوْرَانِ وَهْبَانَ عَلَى

(١) الجذر من كل شيء : أصله . (٢) النمام : ضرب من الأزهار طيب الرائحة .

(٣) الحماحم : الحبق البستاني العريض الورق . (٤) يفرق : يخاف .

(٥) شعره ينفق : يشيع في الأفاق ويتشرب . (٦) محول من الأبناء : من احتضنه غير أبيه .

الناس يحلف لهم: إنه ما قال: إني بيضٌ محوّل، أشدُّ عليّ من هجائه لي. فبعثت إلى وهبان فأحضرتة، وقلت له: يا هذا، قد علمنا أنّ الجمار قد كذب عليك، وعذرناك فنحِبُّ أن لا نتكلف العذرَ إلى الناس في أمرنا، فإنّا قد عذرناك. فانصرف وقد لقي عبد الصمد بلاء.

أخبرني محمد بن جعفر الصيدلاني النحويّ صهر المبرد، قال: حدثني إسحاق بن محمد النخعي قال: قال لي أبو شُراعة القيسيّ:

بلغ أبا جعفر مضرطان أن عبد الصمد بن المعدّل هجاه، واجتمعا عند أبي وائلة السّدوسيّ، فقال له مضرطان: بلغني أنك هجوتني. فقال له عبد الصمد: من أنت حتى أهجوك؟ قال: هذا شرٌّ من الهجاء. فوثب إلى عبد الصمد يضربه، فقال الحمدويّ، وهو إسماعيل بن إبراهيم بن حمدويّه، وحمدويّه جدّه، وهو الذي كان يقتل الزنادقة:

ألدُّ من صُحبة القناني أو اقترح على قيان^(١)
لكز^(٢) فتّى من بني لكيز يُهدى له أهون الهوان
أهوى له بازل^(٣) خدب^(٤) يطحن قرنيه^(٥) بالجران
فنال منه ثؤور^(٦) قوم باليد طوراً وباللسان
وكان يفسو فصار حقّاً يضطر من خوف مضرطان
[مخلع البسيط]

قال: وبلغ عبد الصمد شعرُ الحمدويّ، فقال: أنا له. ففزع الحمدويّ منه، فقال:

ترَحَّ^(٧) طُعِنْتُ به وهمّ واردٌ إذ قيل إن ابن المعدّل واجدٌ^(٨)
هيّهات أن أجد السبيل إلى الكرى^(٩) وابن المعدّل من مزاحي حاردٌ^(١٠)
[الكامل]

فرضي عنه عبد الصمد.

أخبرني محمد بن عمران الصيرفيّ قال: حدثنا العنزيّ، قال: حدثني إبراهيم بن عُقبة اليشكريّ، قال:

(١) القيان، الواحدة قينة من الإماء: المغنية.

(٢) لكز: ضرب.

(٣) البازل من الإبل: الذي انشق نابه.

(٤) الخدب، بكسر الخاء: الجمل القوي العظيم.

(٥) قرناه: جانباه.

(٦) الثؤور، الواحد ثأر.

(٧) الترح: الهم.

(٨) واجد: حاقد وحزين.

(٩) الكرى: النوم.

(١٠) الحارد: الحاقّد، الغاضب.

قال لي عبد الصمد بن المعذل، هجاني الجماز بيتين سخيّين فسارا في أفواه الناس، حتى لم يبق خاص ولا عام إلا رواهما، وهما:

إِبْنُ الْمَعْذِلِ مَنْ هُوَ وَمَنْ أَبَوَهُ الْمَعْذِلُ
سَأَلْتُ وَهَبَانَ عَنْهُ فَقَالَ بِيَضْ مُحَوَّلٌ
[المجث]

فقلت أنا فيه شعراً تركته يحتاجى^(١) فيه كلُّ أحدٍ، فما رواه أحد ولا فكّر فيه، وذلك لضعته، وهو قلبي:

نَسَبُ الْجَمَّازِ مَقْصُودٌ رِإْلِيهِ مُنْتَهَاهُ
يَتَرَاءَى نَسَبُ النَّاسِ سَ فَمَا يَخْفَى سِوَاهُ
يَتَحَاجِي فِي أَبِي الْجَمَّازِ مَنْ هُوَ كَاتِبَاهُ
لَيْسَ يَدْرِي مَنْ أَبُو الْجَمَّازِ إِلَّا مَنْ يَمْرَاهُ
[مجزوء الرمل]

شعره في بستان له:

أخبرني الأخفش، قال: كان لعبد الصمد بستانٌ نظيف عامر، فأنشدنا لنفسه فيه:

إِذَا لَمْ يَزِرْنِي نَدْمَانِيَّةٌ^(٢) خَلَوْتُ فَنَادِمْتُ بَسْتَانِيَّةَ
فَنَادِمَتِهِ خَضِرًا مُؤْنَقًا يُهَيِّجُ لِي ذَكَرَ أَشْجَانِيَّةَ^(٣)
يَقْرَبُ مَفْرَحَةَ الْمَسْتَلْدِ وَيُبْعِدْ هَمِي وَأَحْزَانِيَّةَ
أَرَى فِيهِ مِثْلَ مَدَارِي^(٤) الظُّبَاءِ تَظِلُّ لِأَطْلَائِهَا^(٥) حَانِيَّةَ
وَنُورٍ^(٦) أَفَاحٍ^(٧) شَتِيَةِ النَّبَاتِ^(٨) كَمَا ابْتَسَمَتْ عَجْبًا غَانِيَّةَ^(٩)

(١) يحتاجى: يسأل بعضهم بعضاً عن مقصود الشاعر.

(٢) الندمان: جماعة الشرب يتنادمون على الشراب.

(٣) الأشجان: الأحزان. (٤) المداري: القرون.

(٥) الأطلاء، الواحد طلاء: ولد الطلي ساعة ولادته.

(٦) النور: ضرب من الزهر، أوراقه بيضاء تحيط صفوته.

(٧) الأفاحي، الواحد أقحوانة: نبت يشبه الشاعر أسنان محبوبته به.

(٨) شيت النبات: مختلف أنواعه.

(٩) الغانية من النساء: هي التي أغتنت بزوجه عن سواه، أو التي اغتنت بجمالها عن التجميل.

ونرجسه مثل عين الفتاة إلى وجه عاشقها رانية^(١)
[المقارب]

شعره في يزيد والجارية التي عشقها واشتراها :

أخبرني جعفر بن قدامة بن زياد الكاتب، قال :

كان يزيد بن عبد الملك المسمعي يهوى جارية من جواري القيان، يقال لها :
عُلَيْم، وكان يعاشر عبد الصمد، ويزيد يومئذ شابٌ حديث السن، وكان عبد الصمد
يسميه ابني، ويسمي الجارية ابنتي، فباع الفتى بستاناً له في مَعْقِل، وضِيعَةً بالقنْدَل^(٢)،
فاشترى الجارية بثمنها، فقال عبد الصمد :

بُنِيَّتِي أَصْبَحْتُ عَرُوساً تُهْدِي مِنْ ابْنِي إِلَى عَرُوسٍ
زُقْتُ إِلَيْهِ لَخَيْرِ وَقْتٍ فَاجْتَمَعَ لَيْلَةَ الْخَمِيسِ
يَا مَعْشَرَ الْعَاشِقِينَ أَنْتُمْ بِالْمَنْزِلِ الْأَرْذَلِ الْخَسِيسِ
يَزِيدُ أَضْحَى لَكُمْ رَئِيساً فَاتَّبَعُوا مَنِهْجَ الرَّئِيسِ
مَنْ رَامَ بَلالاً لِرَأْسِ أَيْرٍ ذَلَّ نَفْساً بِحَلِّ كَيْسِ
[مخلع البسيط]

أخبرني محمد بن خلف بن الزربان، قال : حدثني يزيد بن محمد المهلب،
قال :

بلغ عبد الصمد بن المعدَّل أَنَّ أَبَا قِلَابَةَ الْجَرْمِي تَدَسَّسَ إِلَى الْجَمَازِ لَمَّا بَلَغَهُ
تَعَرَّضَهُ لَهُ، وَهَجَاؤُهُ إِيَّاهُ، فَحَمَلَهُ عَلَى الزِّيَادَةِ فِي ذَلِكَ، وَيُضْمِنُ لَهُ أَنْ يَنْصِرَهُ
وَيُعَاضِدَهُ^(٣)، وَقَدْ كَانَ عَبْدُ الصَّمَدِ هَجَا أَبَا قِلَابَةَ حَتَّى أَفْحَمَهُ، فَقَالَ عَبْدُ الصَّمَدِ
فِيهِمَا :

يَا مَنْ تَرَكْتُ بِصَخْرَةٍ صَمَاءَ هَامَتِهِ^(٤) أَمِيمَةٍ^(٥)
إِنَّ الَّذِي عَاضَدْتَهُ أَشْبَهَتْهُ خُلُقاً وَشِيمَةً^(٦)
وَكَفَعَلْ جَدَّتْكَ الْحَدِيدَ شَةَ فَعَلْ جَدَّتَهُ الْقَدِيمَةَ

(١) الرانية من النساء : التي تُدِيمُ النظرَ بمن تحبّ .

(٢) نهر معقل : من أنهار البصرة . والقنْدَل : محلّة في البصرة .

(٣) يُعَاضِدُهُ : يقويه ويسانده .

(٤) الأَمِيمَةُ : الطعنة في دماغ المرء .

(٥) الشيمة : الخلق والطبع .

(٦) الهامة : الرأس .

فتناصر، فابنُ اللئيم — مة ناصرٌ لابنِ اللئيمه
[مجزوء الكامل]

حدثني جعفر بن قدامة، قال: حدثني أبو العيناء، قال: كان لعبد الصمد بن المعذل صديقٌ يُعاشره ويأنس به، فتزوَّج إليه أمير البصرة، وكان من ولد سليمان بن علي، فنبَل الرجل وعلا قدره، وولاه المتزوَّج إليه عملاً، فكتب إليه عبد الصمد:

أَحَلَّتْ عَمَّا عَهَدْتَ مِنْ أَدَبِكَ أَمْ نَلْتَ مَلَكاً فَتَهْتَ فِي كُتُبِكَ؟!
أَمْ هَلْ تَرَى أَنَّ فِي مَنَاصِفَةِ الْإِخْ وَانْ نَقْصاً عَلَيْكَ فِي حَسْبِكَ؟
أَمْ كَانَ مَا كَانَ مِنْكَ عَنْ غَضَبٍ فَأَيُّ شَيْءٍ أَدْنَاكَ مِنْ غَضَبِكَ؟
إِنَّ جَفَاءَ كِتَابِ ذِي ثِقَّةٍ يَكُونُ فِي صَدْرِهِ «وَأَمْتَعْ بِكَ»
كَيْفَ بِنِصَافِنَا لَدَيْكَ وَقَدْ شَارَكَتْ آلَ النَّبِيِّ فِي نَسَبِكَ
قُلْ لِلْوَفَاءِ الَّذِي تَقْدَرُهُ نَفْسُكَ عِنْدِي مَلِيتَ مِنْ طَلَبِكَ
أَتَعَبْتَ كَفَّيْكَ فِي مُوَاصَلَتِي حَسْبُكَ مَاذَا كَفَيْتَ مِنْ تَعَبِكَ
[المنسرح]

فأجابه صديقه:

كَيْفَ يَحُولُ الْإِخَاءُ يَا أَمْلِي وَكُلُّ خَيْرٍ أَنَالَ مِنْ نَسَبِكَ
إِنْ يَكُ جَهْلٌ أَتَاكَ مِنْ قَبْلِي فَاْمَنْنَ بِفَضْلِ عَلِيٍّ مِنْ أَدَبِكَ
أَنْكَرْتَ شَيْئاً فَلَسْتَ فَاعِلُهُ وَلَا تَرَاهُ يُخْطُ فِي كُتُبِكَ
[المنسرح]

حدثني الأخفش، قال: حدثنا المبرد، قال:

كان لعبد الصمد بن المعذل صديقٌ كثير الكذب، كان معروفاً بذلك، فوعده وعداً فأخلفه، ومطله به مَطْلًا طويلاً، فقال عبد الصمد:

لِي صَاحِبٌ فِي حَدِيثِهِ الْبَرْكَهْ يَزِيدُ عِنْدَ السَّكُونِ وَالْحَرْكَهْ
لَوْ قَالَ «لَا» فِي قَلِيلٍ أَحْرَفُهَا لَرَدَّهَا بِالْحُرُوفِ مَشْتَبِكَهْ
[المنسرح]

أخبرني جعفر بن قدامة قال: حدثني سوار بن أبي شراعة، قال:

كان يحيى بن عبد السميع الهاشمي يُعَاشِرُ عبد الصمد بن المعذل، ويجتمعان في دار رجلٍ من بني المنجاب له جاريةٌ مُعْنِيَّةٌ، وكان ينزل رحبة المنجاب بالبصرة، ثم

استبدَّ بها الهاشمي دون عبد الصمد، فقال فيهم عبد الصمد:

قل ليحيى مللتُ من أحبابي قل ليحيى مللتُ من أحبابي
قد تركنا تعشُّق المُرد^(١) لَمَّا قد تركنا تعشُّق المُرد^(١) لَمَّا
وشنئنا^(٢) المؤاجرين فملنا وشنئنا^(٢) المؤاجرين فملنا
حبًّا قينةً لأهل بني المِن حبًّا قينةً لأهل بني المِن
صدَّقت إذ يقول لي حَلَقُ الأح صدَّقت إذ يقول لي حَلَقُ الأح
حبًّا تلك إذ تُغنِّيك يا يح حبًّا تلك إذ تُغنِّيك يا يح
«ذكر القلب ذِكرةً أم زيد «ذكر القلب ذِكرةً أم زيد
حبًّا إذ ركبته فتجافت^(٧) حبًّا إذ ركبته فتجافت^(٧)
وتغنَّت وأنت تدفع فيها وتغنَّت وأنت تدفع فيها
«إن جَنبي عن الفراش لناب «إن جَنبي عن الفراش لناب
ليت شعري هل أسمعَنَّ إذا ما ليت شعري هل أسمعَنَّ إذا ما
مِن فتاة كأنها خُوطُ^(١٠) بان^(١١) مِن فتاة كأنها خُوطُ^(١٠) بان^(١١)
إذ تغنِّيك خلف سَجف^(١٣) رقيق إذ تغنِّيك خلف سَجف^(١٣) رقيق
شفَّ^(١٤) عنها محقِّق^(١٥) جَنديَّ^(١٦) شفَّ^(١٤) عنها محقِّق^(١٥) جَنديَّ^(١٦)
ربَّ شعرٍ قد قلته بتباهٍ ربَّ شعرٍ قد قلته بتباهٍ

(١) المُرد، الواحد أمرد: الفتى لم تنبت لحيته بعد.

(٢) الشانئ: المبعض والكاره.

(٣) القحاب، المرأة قحبة: المرأة السوء.

(٤) الأحرار: الفروج.

(٥) الفقاح: حلقات الأدبار.

(٦) السهب: موضع.

(٧) الأسر: البعير به ورم في جوفه.

(٨) الظراب من الأحجار: ما كانت أطرافها حادة، والواحد ظرب.

(٩) الخُوط، بضمّ الخاء: الغصن اللدن الناعم.

(١٠) البان، الواحدة بانة من الشجر: أغصانه رقيقة لدنة ناعمة فيها استطالة.

(١١) مَجّ الشراب أو الشيء وبه من فمه: رمى به.

(١٢) السجف: الستر.

(١٣) الشفّ: رق.

(١٤) المحقق من الأردية: المتقن النسج والحياكة.

(١٥) الجندي، نسبة إلى جند من بلاد اليمن.

(١٦) يُغرى به: يثير رغبة الامتلاك.

(١٧) يُغرى به: يثير رغبة الامتلاك.

(١٨) الألباب، الواحد لبّ: القلوب.

قد تركت الملحنين إذا ما ذكروه قاموا على الأذنان [الخفيف]

قال: وشاعت الأبيات بالبصرة، فامتنع مولى الجارية من مُعاشرة الهاشمي، وقطعه بعد ذلك.

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي وأحمد بن يحيى بن علي بن يحيى، قال: حدثنا الحسن بن غليل العنزي، قال: حدثني أحمد بن صالح الهاشمي، قال:

كان الحسين بن عبد الله بن العباس بن جعفر بن سليمان مائلاً إلى عبد الصمد بن المعدل، وكان عبد الصمد يهجو هشاماً الكرباني، فجرى بين ابني هشام الكرباني - وهما أبو واثلة وإبراهيم - وبين الحرّ بن عبد الله، لحاء^(١) في أمر عبد الصمد، لأنهما ذكراه وسبّاه، فامتنع له الحسين وسبّهما عنه، فرمى الحسين بابن المعدل، ونسباه إلى أنّ عبد الصمد يرتكب القبيح، وبلغ الحسين ذلك، فلقيهما في سكة المربد، فشدّ عليهما بسوطه وهو راكب، فضربهما ضرباً مبرحاً، وأفلت أبو واثلة، ووقع سبيب^(٢) السوط في عين إبراهيم، فأثر فيها أثراً قبيحاً، فاستعان بمشيخة من آل سليمان بن علي، وهرب أبو واثلة إلى الأمير علي بن عيسى وهو والي البصرة، فوجه معه بكاتبه ابن فراس إلى باب الحسين بن عبد الله، فطلبه وهرب حسين إلى المحدث^(٣)، فلما كان من الغد جاء حسين إلى صالح بن إسحاق بن سليمان، وإلى ابن يحيى بن جعفر بن سليمان، ومشىخة من آل سليمان، فصاروا معه إلى علي بن عيسى، وأقبل عبد الصمد بن المعدل لما رآهم، فدخل معهم لنصرة حسين، فكلّموا علي بن عيسى في أمره وقام عبد الصمد، فقال: أصلح الله الأمير، هؤلاء أهلك، وأجلّة أهل مصرك، تصدّوا إليك في ابنهم وابن أخيه، وهو وإن كان حدثاً لا ينسب للحجّة بحدّثته، فإن هاهنا من يعبر عنه، وقد قلت أبياتاً، فإن رأى الأمير أن يأذن في إنشادها فعل. قال: قل. فأنشده عبد الصمد قوله:

يا ابن الخلائف وابن كلّ مُبارك رأس الدعائم سابق الأغصان
إنّ العلوج^(٤) على ابن عمك أصفقوا^(٥) فأتوك عنه بأعظم البهتان^(٦)

(١) اللحاء: الخصام والجدال. (٢) سبيب السوط: ذؤابته.

(٣) المحدث، بضم الميم: ماء ونخل في بلاد العرب.

(٤) العلوج، الواحد علج: الكفار من الأعاجم.

(٥) أصفقوا: تكتلوا واجتمعوا. (٦) البهتان: الكذب.

قَرَفُوهُ^(١) عِنْدَكَ بِالتَّعْدِي ظَالِماً
 شَتَمُوا^(٢) لَهُ عِرْضاً أَغَرَّ مَهْذَباً
 وَسَمَوْا بِأَجْسَامٍ إِلَيْهِ مَهِينَةٍ
 خُلِقَتْ لِمَدِّ الْقَلَسِ^(٣) لَا لِتَنَاوُلٍ
 لَمْ يَحْفَظُوا قُرْبَاهُ مِنْكَ فَيَنْتَهَوْا
 أَيْدُلُّ مَظْلُوماً وَجَدُّكَ جَدُّهُ؟
 وَيُنَالُ أَقْلَفُ^(٥)، كَرِبْلَاءُ بِلَادِهِ
 إِنِّي أُعِيدُكَ أَنْ تُنَالَ بِكَ الَّتِي
 وَهُمْ ابْتَدَوْهُ بِأَعْظَمِ الْعِدْوَانِ
 أَعْرَاضَهُمْ أُولَى بِكُلِّ هَوَانٍ
 وَصَلَّتْ بِأَلَامٍ أَذْرَعُ وَبِنَانٍ
 عَرَضَ الشَّرِيفِ وَلَا لِمَدِّ عَنَانٍ^(٤)
 إِذْ لَمْ يَهَابُوا حَرَمَةَ السُّلْطَانِ
 كَيْمَا يَعَزُّ بِذُلِّهِ عِلْجَانٍ
 ذَلَّ ابْنُ عَمِّ خَلِيفَةِ الرَّحْمَنِ
 تَطْغَى الْعُلُوجُ بِهَا عَلَى عَدْنَانٍ
 [الكامل]

فَدَعَا عَلِيُّ بْنُ عِيسَى حُسَيْنًا، فَضَمَّهُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: انْصَرَفَ مَعَ مَشَايِخِكَ. وَدَعَا
 بِهَشَامَ الْكَرْبَنَانِي وَابْنِيهِ، فَعَذَّلَهُمْ^(٦) فِي أَمْرِهِ، ثُمَّ أَصْلَحَ بَيْنَهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ.

أَخْبَرَنِي عَلِيُّ بْنُ سَلِيمَانَ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ، قَالَ: كَانَ
 عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ الْمَعْدِلِ يُعَاشِرُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْمُسَيَّبِ وَيَأْلَفُهُ، فَبَلَغَهُ أَنَّهُ اغْتَابَهُ يَوْمًا، وَهُوَ
 سَكْرَانٌ، وَعَابَ شَيْئًا أَنْشَدَهُ مِنْ شَعْرِهِ، فَقَالَ فِيهِ وَكُتِبَ بِهَا إِلَيْهِ:

عَتَبِي عَلَيْكَ مُقَارَنُ الْعَذْرِ
 لَكَ شَافِعٌ مَنِيَّ إِلَيَّ فَمَا
 لَمَّا أَتَانِي مَا نَطَقْتَ بِهِ
 حَاشَا لِعَبْدِ اللَّهِ يَذْكُرَنِي
 إِنْ عَابَ شَعْرِي أَوْ تَحَيَّيْفُهُ
 يَا ابْنَ الْمُسَيَّبِ قَدْ سَبَقَتْ بِمَا
 فَمَتَى خُمِرَتْ فَأَنْتَ فِي سَعَةٍ
 قَدْ زَالَ عِنْدَ حَفِيزَتِي^(٧) صَبْرِي
 يَقْضِي عَلَيْكَ بِهَفْوَةٍ فَكْرِي
 فِي السُّكْرِ قُلْتُ: جَنَائَةُ السُّكْرِ
 مُسْتَعَذِبًا، بِنَقِيصَتِي ذَكْرِي
 فَلِيْهَنُهُ^(٨) مَا عَابَ مِنْ شَعْرِي
 أَصْبَحْتَ مَرْتَهِنًا بِهِ شَكْرِي
 وَمَتَى هَفَوْتُ فَأَنْتَ فِي عَذْرِ

(١) قَرَفُوهُ: يَغْوُوا عَلَيْهِ وَكَذَبُوا ظَالِمِينَ.

(٢) شَتَمُوا: سَبُّوا.

(٣) الْقَلَسُ: الْحَبْلُ الْعَظِيمُ الْمَصْنُوعُ مِنْ لَيْفٍ أَوْ خَوْصٍ أَوْ سَوَاهٍ.

(٤) عَنَانٌ: مَا ارْتَفَعَ مِنَ السَّمَاءِ وَبَدَأَ مِنْهَا إِذَا نَظَرَ إِلَيْهَا الْمَرْءُ.

(٥) الْأَقْلَفُ مِنَ الذُّكُورِ: مَنْ لَمْ يُخْتَنَ.

(٦) عَذَّلَهُمْ فِي أَمْرِهِ: لَامَهُمْ.

(٧) حَفِيزَتِي: سَيِّطَرَتِي عَلَى نَفْسِي وَأَعْصَابِي.

(٨) فَلِيْهَنُهُ: فَلْيَسْعِدْهُ.

تَرَكُ الْعِتَابَ إِذَا اسْتَحَقَّ أَحٌ مِنْكَ الْعِتَابَ ذَرِيعَةَ الْهَجْرِ
[الكامل]

أخبرني الأخفش، قال: حدثنا المبرّد، قال:

دعا عبد الصمد بن المعذل شروين المغنّي، وكان مُحسناً متقدماً في صناعته، فتعالل عليه ومضى إلى غيره، فقال عبد الصمد: واللّه لأسمّنه ميسماً لا يدعوه بعده أحدٌ بالبصرة إلّا بعد أن يبذل عرضه وحريمه. فقال فيه:

مَنْ حَلَّ شُرُوبِينَ لَهُ مِنْزَلاً فَلْتَنْهَهُ الْأُولَى عَنِ الثَّانِيَةِ
فَلَيْسَ يَدْعُوهُ إِلَى بَيْتِهِ إِلَّا فَتًى فِي بَيْتِهِ زَانِيَةً
[السريع]

فتحماه أهل البصرة حتى اضطرّ إلى أن خرج إلى بغداد وسُرّ مَنْ رَأَى.

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي وأحمد بن العباس العسكري، قالوا: حدثنا الحسن بن عليل العنزي، قال: حدثنا الفضل بن أبي جرزة، قال:

كان أَبُو قِلَابَةَ الْجَرْمِيُّ وَعَبْدُ الصَّمَدِ بْنِ الْمَعْدِلِ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي عَيْنَةَ الْمُهَلَّبِيُّ أَرَادُوا الْمَسِيرَ إِلَى بَيْتِ بَحْرِ الْبَكْرِيِّ، وَكَانَتْ لَهُ جَارِيَةٌ مَغْنِيَّةٌ، يُقَالُ لَهَا: جَبَلَةٌ، وَكَانَ أَبُو رَهْمٍ إِلَيْهَا مَائِلاً يَتَعَشَّقُهَا، ثُمَّ اشْتَرَاهَا بَعْدَ ذَلِكَ، فَلَمَّا أَرَادُوا الدَّخُولَ إِلَيْهَا وَافَاهُمْ أَبُو رَهْمٍ، فَأَدْخَلُوهُ وَحْدَهُ وَحَجَبُوهُمْ، فَانصَرَفُوا إِلَى بَسْتَانِ ابْنِ أَبِي عُيَيْنَةَ، فَقَالَ أَبُو قِلَابَةَ: لَا بَدَّ أَنْ نَهْجُوَ أَبَا رَهْمٍ. فقالوا: قل. فقال:

أَلَا قُلْ لِأَبِي رَهْمٍ سِيَهْوَى نَعْتِكَ الْوَصْفُ
كَمَا حَالَفَكَ الْغِيُّ كَذَا جَانِبَكَ الظَّرْفُ
أَتَانَا أَنَّهُ أَهْدَى إِلَى بَحْرِ مَنْ الشَّغْفُ^(١)
حُزِيمَاتِ مَنْ الصَّيْرِ فَهَلْأَمَعَهُ رُغْفُ؟!
فَنَادَوْا قَسَمِي فِينَا فَقَدْ جَاءَكُمْ اللَّطْفُ^(٢)

[الهزج]

فقال له عبد الصمد: سخنت عينك أيش هذا الشعر، بمثل هذا يُهَجَى مَنْ يُرَادُ بِهِ الْفَضِيحَةُ. فقال أَبُو قِلَابَةَ: هذا الذي حضرني، فقل أنت ما يحضرك. فقال: أفعله

(١) الشغف: التعلّق والحبّ الشديد.

(٢) اللطف: الكياس وحسن التصرف.

وأجود. فكان هذا سبب هجاء عبد الصمد أبا رهم، وأول قصيدة هجاه بها قوله:

دعوا الإسلام وانتحلوا المجوسا
بنى العبد المقيم بنهر تيرى^(٣)
حراماً أن يبیت لكم نزيل
إذا ركذ الظلام رأت عسيلاً^(٤)
ويذكرهم أبورهم بهجو
ويخليهم هشام بالغواني
فتسمع في البيوت لهم هيباً^(٦)
لقد كان الزناة بلا رئيس
هم قبلوا الزناء^(٨) وأنشؤوه
لئن لم تنف دعوتهم سدوس
وألقوا الریط^(١) واشتملوا القلوسا^(٢)
لقد أنهضت طيركم نحوسا
فلا يُمسي بأمكم عروسا
يحثُّ على نداماه الكؤسا
فيستدعي إلى الحرَم النفوسا
ويُحمي الفضل بينهم الوطيسا^(٥)
كما أهملت في الزرب^(٧) التيوسا
فقد وجد الزناة بهم رئيسا
وهم وسموا بجبهته حبيسا
لقد أخزى الإله بهم سدوسا
[الوافر]

وقال فيه:

لوجاد بالمال أبورهم
أضحى وما يُعرف مثلاً له
من بر بالحرمة إخوانه
كجوده بالأخت والأم
وقيل أسخى العرب والعجم
أحق أن يُشكر بالشتم
[السريع]

وله فيه من قصيدة طويلة:

هو واللّه مُنصف
يقسم الأير عادلاً
زوجـه زوج زوجـه
بين جرّها وفقحتـه
[مجزوء الخفيف]

(١) الریط، الواحدة ريطه: الملاءة المصنوعة من لفقين.

(٢) القلس: الحبل العظيم من حبال السفن.

(٣) نهر تيرى: وتيرى بلد في الأهواز، ونهرها قام بحفره أردشير الأصغر.

(٤) عسيلاً: اسم رجل.

(٥) الوطيس: التتور.

(٦) الهيب: صوت التيس عند السّفاد.

(٧) الزرب، الواحدة زريبة: مأوى الأغنام.

(٨) قبلوا الزناء: كانوا له بمثابة القابلة.

حدثني أحمد بن عبيد الله بن عمار، قال: حدثنا العنزي، قال: حدثني أبو الفضل بن عبدان، قال:

وصف عبد الصمد لنزهة:

خرج عبد الصمد بن المعذل مع أهله إلى نزهة، وقال:

قد نزلنا بروضةً وغديرٍ
بعريش ترى من الزاد فيه
وغريرين^(٣) يطربان الندامى^(٤)
غنَّياني، فغنَّياني بلحن
«لا ذعرتُ السَّوَامَ»^(٧) في فلق الصُّب
حيّ ذا الزور^(٩) وانّهه أن يعودا
من يزُرنا يجد شِواءَ حُبَارَى^(١٠)
وكراماً معدّلين وبيضاً
لست عن ذا بمقصرٍ ما جزائي

وهجرنا القصر المنيف المشيدا^(١)
زُكرتي^(٢) خَمرةً وصقراً صَيودا
كلما قلتُ أبدياً وأعيدا
سلس الرّجع يصدع^(٥) الجلمودا^(٦)
ح^(٨) مغيراً ولا دعيتُ يزيدا
إنّ بالباب حارسينَ قعودا
وقديراً^(١١) رخصاً وخمراً عَتيدا^(١٢)
خلعوا العُذر يسحبون البرودا^(١٣)
قربت لي كريمةً عنقودا
[الخفيف]

أخبرني جعفر بن قدامة، قال: حدثنا محمد بن يزيد المبرّد، قال: نظر عبد الصمد بن المعذل إلى الأفشين بسرّ من رأى، وهو غلامٌ أمرد، وكان من أحسن الناس، وهو واقفٌ على باب الخليفة مع أولاد القوّاد، فأنشدنا لنفسه فيه، قال:

أيها اللاحظي بطرفٍ كليلٍ
علم الله أنني أتمنى
بعد ما قد غدوت في القُرطوق^(١٤) الجوّ

هل إلى الوصل بيننا من سبيلٍ؟!
زورةً منك عند وقت المقيّل
نِ تهادى وفي الحسام الصقيّل

- (١) المنيف المشيد: الصرح العالي.
- (٢) الزكرة، بضم الزاي: زقيق للشراب.
- (٣) الغرير: من لا تجربة له في الحياة.
- (٤) الندامى: الشرب وهم الأصحاب على الشراب.
- (٥) يصدع: يشقّ.
- (٦) الجلمود: الصخر.
- (٧) السوام من الإبل: السارحة ترعى دون راع.
- (٨) فلق الصبح: الفجر الوليد.
- (٩) الزور: الزائرين.
- (١٠) الحبارى: ضرب من الطيور لون ريشه بني.
- (١١) القدير من الأطعمة: ما يطبخ في القدور.
- (١٢) العتيد: المخبأ لوقت استعماله.
- (١٣) البرود، الواحد بُرد، بضم الباء: الأثواب.
- (١٤) القُرطوق: الخباء، فارسي معرّب.

ل عليها تميل كل مميل
 ب القصر تلهو بكل قال وقيل
 مد بخبر به ورأي أصيل
 ح وعلم بمرهفات النصول^(٢)
 ن ووثب على صعب الخيول
 ت كريحانة دنت لذبول
 فوق صُدغ وجفن طرف كحيل
 ذك في مُشرق نقى أسيل^(٥)
 ترشح المسك^(٦) منه سالفه الطُّبي^(٧) وجيد الأمانة العطبول^(٨)
 ك برشف الخدين والتقبيل
 رك رفقا باللفظ والتعليل^(١١)
 ريف عندي والبر والتبجيل
 ب تهادى في مُجسد مصقول^(١٢)
 يقك كأساً من الرحيق الشمول^(١٣)
 غير مستكره ولا مملول
 مثل أثناء حية مقتول
 وتمنى الخليل قرب الخليل
 ه ولكنّه شفاء الغليل
 [الخفيف]

وتكفّيت^(١) في المواكب تختا
 وأطلت الوقوف منك ببا
 وتحذّثت في مطاردة الصيّ
 ثم نازعت في السنان وفي الرمد
 وتكلّمت في الطراد^(٣) وفي الطعد
 فإذا ما تفرّق القوم أقبل
 قد كساك الغبار منه رداءً
 وبدت وُردة القسامة^(٤) من خـ
 ترشح المسك^(٦) منه سالفه الطُّبي^(٧) وجيد الأمانة العطبول^(٨)
 فأسوف^(٩) الغبار ساعة ألقا
 وأحلّ القباء^(١٠) والسيف من خصـ
 ثم تُؤتى بما هويت من التّشـ
 ثم أجلوك كالعروس على الشر
 ثم أسقيك بعد شربي من ر
 وأغنّيك إن هويت غناءً
 لا يزال الخلخال فوق الحشايا
 فإذا ارتاحت النفوس اشتياقاً
 كان ما كان بيننا، لا أسمّـ

(١) تكفّيت: تماليت متبختراً في مشيتك.

(٣) الطراد: مطاردة الطرائد أثناء الصيد.

(٥) الخدّ الأسيل: الناعم الرقيق.

(٧) سالفه الطّبي: ما تقدّم من عنقه.

(٨) العطبول من النساء: المرأة الشابة الممثلة الجسم ذات عنق أسيل.

(٩) أسوف الغبار: أشمّ عبيره.

(١١) التعليل: الإلهاء بما يشغل البال.

(١٢) مجسد مصقول: ثوب ملاصق للجسد من الزعفران المعصفر.

(١٣) الرحيق الشمول: الخمرة المبرّدة.

(٢) مرهفات النصول: السيوف القاطعة.

(٤) القسامة: الجمال في الوجه.

(٦) ترشح المسك: يسيل الطيب من خديها.

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار، قال: حدثني الحسن بن عُليل العنزي والمبرّد وغيرهما، قالوا:

كانت متيّم جاريةً لبعض أهل البصرة، فعلقها عبد الصمد بن المعذل وكانت لا تخرج إلا مُنتقبة، فخرج عبد الصمد يوماً إلى نزهة، وقدمت متيّم إلى عبيد الله بن الحسن بن أبي الحرّ القاضي، فاحتاج إلى أن يُشهد عليها، فأمرها بأن تُسفر^(١)، فلما قدم عبد الصمد قيل له: لو رأيت متيّم وقد أسفرها القاضي لرأيت شيئاً حسناً لم يُر مثله. فقال عبد الصمد قوله:

ولما سرت عنها القناع متيّم تروّح منها العنبري متيّم
رأى ابن عبيد الله وهو مُحكّم عليها لها طرفاً عليه محكّم
وكان قديماً كالح الوجه عابساً فلما رأى منها السفور تبسّماً
فإن يصب قلب العنبري فقبله صبا باليتامى قلب يحيى بن أكثما
[الطويل]

فبلغ قوله يحيى بن أكثم، فكتب إليه: عليك لعنة الله، أي شيء أردت متي حتى أتاني شعرك من البصرة؟ فقال لرسوله: قل له: متيّم أقعدتك على طريق القافية! أخبرني عمي، قال: حدثني أحمد بن أبي طاهر، قال: حدثني عبد الله بن أحمد العبدى، قال حدثني الأنيسي، قال:

كنت عند إسحاق بن إبراهيم وزاره أحمد بن المعذل، وكان خرج من البصرة على أن يغزو، فلما دخل على إسحاق بن إبراهيم، أنشده:

أفضلت نَعْمى على قوم رعيت لهم حقاً قديماً من الودّ الذي درسا^(٢)
وحرمة القصد بالأمال إنهم أتوا سيواك فما لاقوا به أنسا
لأنت أكرم منه عند رفعته قولاً وفعلاً وأخلاقاً ومُغترباً^(٣)
[البسيط]

فأمر له بخمسمائة دينار، فقبضها ورجع إلى البصرة، وكان خرج عنها ليجاور في الثغر، وبلغ عبد الصمد خبره، فقال فيه:

يُري الغزاة بأن الله همّته وإنما كان يغزو كيس إسحاق

(٢) درس: انمحي أثره.

(١) تسفر: تشفّ وتكشف.

(٣) المغترب: المنبت والأصل.

فباع زُهْداً ثواباً لا نفاذَ له وابتاع عاجل رِفْدٍ^(١) القوم بالباقي
[البسيط]

فبلغ إسحاق بن إبراهيم قوله، فقال: قد مَسَّنَا أبو السَّمِّ عبد الصمد بشيء من هجائه. وبعث إليه بمائة دينار، فقال له موسى بن صالح: أبا الأمير إلا كرمًا وظرفًا. أخبرني محمد بن عمران الصيرفي، قال: حدثنا الحسن بن عُلَيْلٍ، قال: حدثني الحسن الأسدي، قال:

قدم أبو نبقة من البحرين، وقد أهدى إلى قوم من أهل البصرة هداياه، ولم يُهدِ إلى عبد الصمد شيئاً فكتب إليه:

أما كان في قَسَبٍ^(٢) اليمامة والتمر وفي أَدَمٍ^(٣) البحرين والتَّبِقِ^(٤) الصُّفْرِ
ولا في مناديل قسمتَ طريقَها وأهديتها حظُّ لنا يا أبا بكرٍ
سَرَتِ نحو أقوام فلا هَنَاتَهُمْ ولم ينتصف منها المُقِلُّ ولا المثيري
أأنتِ إلى طالوت ذي الوفر والغنى وآل أبي حرب ذوي النَّشَبِ الدَّثْرِ^(٥)
ولم تأتني ولا الرياشي تمرَّة غَصِصَتْ بباقي ما ادَّخَرْتَ من التَّمْرِ
ولم يُعْطَ منها النهشلي إداوة تكون له في القِيْظِ^(٦) ذُخْرًا^(٧) مدى الدهرِ
أقول لفتيانٍ طويْتُ لطيَّهِمْ^(٨) عُرى البید، منشور المخافة والذعرِ^(٩)
لئن حُكِّمَ السدری بالعدل فيكم لما أنصف السدری في ثمر السدرِ
لئن لم تكن عيناك عذرك لم تكن لدينا بمحمودٍ ولا ظاهر العذرِ
[الطويل]

أخبرنا الحسن بن عُلَيْلٍ، قال: حدثنا أحمد بن يزيد المهلبی، قال:
وقع بين أبي وبين عبد الصمد بن المعذل تباعدٌ، فهجاه ونسبه إلى الشؤم،
وكان يقال ذلك في عبد الصمد، فقال فيه:
يقول ذوو التَّشْؤْمِ ما لقينا كما لقي ابن سهل من يزيد

(١) الرِفْد: العطاء.

(٢) القَسَب من التمر: اليابس.

(٣) الأَدَم، الواحد أديم: الجلد.

(٤) التَّبِق، الواحدة نبقة: ثمر شجر السدر.

(٥) النَّشَب الدثر: المال الكثير الجَمِّ.

(٦) القِيْظ: شدة الحر في الصيف.

(٧) ذُخْرًا: وفرًا.

(٨) طيَّهم: نيتهم التي يُخفونها في نفوسهم.

(٩) الذعر: شدة الخوف.

أتته منيئة المأمون لمّا
فصير منه عسكريه خلاء
فقلت لهم وكم مشؤوم قوم
رأيت ابن المعذل يال عمرو
فمنه موت جلة آل سلم
ولم ينزل بدار ثم يمسي
وكل مديح قوم قال فيهم
إذا رجل تسمع منه مدحاً
فلو حصف^(٣) الذين يبيع فيهم
فليس العزيم منع منه شؤماً
أتاه يزيد من بلد بعيد
وفرّق عنه أفواج الجنود
أباد لهم عديداً من عديد
بشؤم كان أسرع في سعيد
ومنه قضّ أجام^(١) البريد
ولمّا يستمع لطم الخدود
فلان بعقبه «يا عين جودي»
تنسّم منه رائحة الصعيد^(٢)
أثاروا منه رائحة الطريد
ولا عتباً^(٤) بأبواب الحديد
[الوافر]

هجاؤه لأخيه أحمد:

حدثني الأخفش، قال: حدثني المبرد، قال:

مرّ أحمد بن المعذل بأخيه عبد الصمد، وهو يخطر، فأنشأ يقول:

إن هـذا يـرى أرى أنه ابن المـهـلـلـب
أنت واللّه مُعجـبٌ ولنا غير مُعجـبٍ
[مجزوء الخفيف]

شعره في غلام له يدعى المغيرة:

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثنا
أبي وغيره، وحدثني به بعد آل المعذل، قال:

مرّ عبد الصمد بن المعذل بغلام يقال له: المغيرة، حسن الصوت حسن
الوجه، وهو يقرأ ويقول القصائد، فأعجب به، وقال فيه:

أيها الرافع في المسـ جد بالصوت العقيرة

(١) قضّ أجام البريد: تدمير حصون البريد. (٢) الصعيد: تراب الأرض.

(٣) حصف: أبعد وطرّد.

(٤) العتب، الواحدة عتبة: أسكفة الدار عند مدخلها، وقد عنى الشاعر بها عتب أبواب السجون.

قَتَلْتَنِي عَيْنُكَ النَّجْمُ لَاءٌ، وَالْقَتْلُ كَبِيرَةٌ
أَيُّهَا الْحُكَّامُ أَنْتُمْ فَاصْلَوْ حُكْمَ الْعَشِيرَةِ
أَحْلَا مَا بَقْلَبِي صَنَعْتَ عَيْنًا مُغِيرَةً

[مجزوء الرمل]

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا ابن مَهْرُويه، قال: حدثنا زكريا بن مهران بن يحيى، قال:

جاءنا عبد الصمد بن المعدل إلى منزل محمد بن عمر الجرجاني، فأنشدنا قصيدة له في صفة الحمى، فقال لي محمد بن عمر: امض إلى منزل عبد الصمد حتى تكتبها، فمضيت إليه حتى كتبتها، وهي:

هَجَرْتُ الصَّبَا أَيْمًا هَجَرَهُ وَعَفْتُ الْغَوَانِي وَالْخَمَرَهُ
طَوَّنِي عَنْ وَصْلِهَا سَكْرَهُ بِكَأْسِ الضِّيا أَيْمًا سَكْرَهُ

[المقارب]

هجاؤه لأبي تمام:

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا ابن مَهْرُويه، قال: حدثني عبد الله بن يزيد الكاتب، قال:

جمع بين أبي تمام الطائي وبين عبد الصمد بن المعدل مجلس، وكان عبد الصمد سريعاً في قول الشعر، وكان في أبي تمام إبطاء، فأخذ عبد الصمد القِرطاس وكتب فيه:

أَنْتَ بَيْنَ اثْنَتَيْنِ تَبْرُزُ لَنَا سَ، وَكَلْتَاهُمَا بِوَجْهِ مُذَالٍ^(١)
لَسْتَ تَنْفُكُ طَالِباً لَوْ صَالَ مِنْ حَبِيبٍ أَوْ طَالِباً لِنَوَالٍ
أَيُّ مَاءٍ لِحَرٍّ وَجْهَكَ يَبْقَى بَيْنَ ذَلِّ الْهَوَى وَذَلِّ السُّؤَالِ؟!

[الخفيف]

هجاء أبي تمام له:

قال: فأخذ أبو تمام القِرطاس وخلا طويلاً، وجاء به وقد كتب فيه:

أَفِيَّ تَنْظِمِ قَوْلِ الزُّورِ وَالْفَنْدِ^(٢) وَأَنْتَ أَنْزَرُ مَنْ لَا شَيْءَ فِي الْعَدَدِ

(١) المذال: المهان.

(٢) الفند: الكذب.

أُشْرِجَتْ^(١) قلبك مِنْ بُغْضِي عَلَى حُرْقٍ كَأَنَّهَا حَرَكَاتِ الرُّوحِ فِي الْجَسَدِ
[البسيط]

نقد عبد الصمد لأبي تمام:

فقال له عبد الصمد: يا ماصَّ بظَرَ أمِّه، يا عَثَّ، أخبرني عن قولك: «أنزِر من لا شيء»، وأخبرني عن قولك: «أشرجت قلبك»، قلبي مِفْرَشٌ أو عِيْبَةٌ أو خُرْجٌ فأشرجه، عليك لعنة الله فما رأيت أغثَّ منك، فانقطع أبو تمام انقطاعاً ما يرى أقبح منه، وقام فانصرف، وما راجعه بحرف.

قال أبو الفرج الأصبهاني: كان في ابن مهرويه تحاملٌ على أبي تمام لا يضرُّ أبا تمام هذا منه، وما أقلُّ ما يقدر مثل هذا في مثل أبي تمام.

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي، قال: حدثني العنزي، قال:

كان عبد الصمد بن المعذل يستثقل رجلاً من ولد جعفر بن سليمان بن علي يعرف بالفراش، وكان له ابنٌ أثقل منه، وكانا يفطران عند المنذر بن عمرو - وكان يخلف بعض أمراء البصرة - وكان الفراش هذا يصلِّي به، ثم يجلس فيُفطر هو وابنه عنده، فلما مضى شهر رمضان انقطع ذلك عنهما، فقال عبد الصمد بن المعذل:

غَدَرَ الزَّمانَ وَلَيْتَهُ لَمْ يَغْدِرْ وَثَوْتُ^(٢) بِقَلْبِكَ يَا مُحَمَّدُ لَوْعَةً
وَتَقَسَّمْتُكَ صَبَابَتَانِ لَبَيْنَهُ
فَاسْتَبَقَ عَيْنَكَ وَاحْشُ قَلْبَكَ يَا سَهْ
سَقِيًّا لِدَهْرِكَ إِذْ تَرَوَّحَ^(٤) يَوْمُهُ
حَتَّى تُنِيخَ بِكُلِّكَلٍ مَتَزَاوِرٍ^(٦)
وَحَدَا بِشَهْرِ الصَّوْمِ فِطْرَ الْمَفْطَرِ
تَمْرِي^(٣) بَوَادِرِ دَمْعِكَ الْمَتَحَدِّرِ
أَسْفَ الْمَشُوقِ وَخَلَّةِ الْمَتَفَكِّرِ
وَاقْرَ السَّلَامَ عَلَى خُوانِ الْمُنْذِرِ
وَالشَّمْسُ فِي عَلِيَاءَ لَمْ تَتَهَوَّرَ^(٥)
وَتَمْدَ بِلَعُومًا قَمُوصَ^(٧) الْحَنْجَرِ

(١) أشرجت العيبة: أحكمت شدَّها بخيط أو نحوه، والعيبة: الحقيبة من جلد.

(٢) ثوت: سكنت واستقرت.

(٣) تمرى: تستدر الدمع.

(٤) تروَّح: مضى.

(٥) لم تتهوَّر: لم تغب.

(٦) تنيخ بكلكل متزاوِر: الكلكل: صدر الناقة. والمعنى أن الشمس لم تغب وتضرع بما تنوء من ثقل ذلك النهار.

(٧) القموص: السريع.

وَتَرُودُ مِنْكَ عَلَى الْخَوَانِ^(١) أَنَامِلُ
وَيَحُ الصَّحَافُ مِنْ ابْنِ فَرَّاشٍ إِذَا
ذُو دُرْبَةِ طَبِّ^(٥) إِذَا لَمَعَتْ لَهُ
وَدَّ ابْنُ فَرَّاشٍ وَفَرَّاشٌ مَعَا
يُزْرِي عَلَى الْإِسْلَامِ قَلَّةَ صَبْرِهِ
لَا تَهْلِكَنَّ عَلَى الصِّيَامِ صَبَابَةٌ^(٦)
لَا دَرَّ دُرُّكَ يَا مُحَمَّدٌ مِنْ فَتَى
تَدَعِ الْخَوَانِ سَرَابَ^(٢) قَاعٍ مَقْفَرٍ^(٣)
أُنْحَى عَلَيْهَا كَالْهَزْبِ الْهَيْصَرِ^(٤)
بُشْرُ الْخَوَانِ بَدَا بِحَلِّ الْمُنْزَرِ
لَوْ أَنَّ شَهْرَ الصَّوْمِ مَدَّةَ أَشْهَرِ
وَتَرَاهُ يَحْمَدُ عِدَّةَ الْمُتَنْصَّرِ
سَيَعُودُ شَهْرُكَ قَابِلًا فَاسْتَبْشِرِ
شَيْنَ الْمَغِيبِ وَغَيْرَ زَيْنِ الْمُحْضَرِ
[الكامل]

هجاؤه ليزيد المهلبی :

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان، قال: حدثني محمد البصري وكان جارا
لعبد الصمد بن المعدل، قال:
كان يزيد بن محمد المهلبی يُعادي عبد الصمد ويُهاجيه ويسأبه، ويرمي كل
واحد منهما صاحبه بالشؤم، وكان يزيد بالبصرة وأبوه يتولَّى نهر تيرى ونواحيها، فقال
عبد الصمد يهجوهُ:

أَبُوكَ أَمِيرُ قَرْيَةِ نَهْرٍ تِيرَى
وَأَرْزَاقُ الْعِبَادِ عَلَى إِلَهٍ
فَكَمْ فِي رِزْقِ رَبِّكَ مِنْ فَقِيرٍ
وَلَسْتُ عَلَى نَسَائِكَ بِالْأَمِيرِ
لَهُمْ وَعَلَيْكَ أَرْزَاقُ الْأَيُّورِ
وَمَا فِي أَهْلِ رِزْقِكَ مِنْ فَقِيرٍ
[الوافر]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان، قال: حدثني محمد بن عبد الرحمن،
قال: حدثني أحمد بن منصور، قال:

شرب علي بن عيسى بن جعفر وهو أمير البصرة الدّهْن، فدخل إليه
عبد الصمد بن المعدل بعد خروجه عنه، فأنشده قوله:

- (١) الْخَوَانُ، بكسر الخاء: المائدة عليها طعام.
- (٢) السراب: ما يخدع الناظر في منتصف نهار صيفي ويبدو ماءً.
- (٣) القاع المقفر: الوادي والمفاضة ليس فيها أنيس ولا ماء.
- (٤) الهزبر الهيصر، الهزبر من أسماء الأسد، والهيصر من الأسود: الذي يهصر فريسته ويدقها.
- (٥) طَبِّ: خبير وعليم.
- (٦) صَبَابَةٌ: شدة الشوق والحب.

بأيمن طائرٍ وأسرَّ فالٍ
شربت الدَّهنَ ثم خرجت عنه
تكشفَ عنك ما عانيت منه
وقد أهديتُ ريحاناً طريفاً
وما هو غير ياءٍ بعد حاءٍ
وريحان الشَّباب يعيش يوماً
ولم يكْ مؤثراً تُفاح شمِّ
وأعلى رُتبةٍ وأجلَّ^(١) حالٍ
خروجَ المشرفيَّ^(٢) من الصَّقالِ
كما انكشف الغمام عن الهلالِ
به حاجيت مستمعاً سؤالي
وقد سبقا بميم قبل دالٍ
وليس يموت ريحان المقالِ
على تَفاح أَسْماع الرجالِ
[الوافر]

أخبرني جحظة، قال: حدثني ميمون بن مهران، قال: حدثني أحمد بن المغيرة العجلي، قال:

كنت عند أبي سهل الإسكافي، وعنده عبد الصمد بن المعذل، فرفع إليه رجلٌ رقعة، فقرأها فإذا فيها:

هذا الرحيل فهل في حاجتي نظرٌ
أو لا فأعلم ما آتي وما أذُرُ
[البسيط]

فدفعها إلى عبد الصمد، وقال: الجواب عليك. فكتب فيها:

النفس تسخو ولكن يمنع العُسُرُ
والحرُّ يعذر من بالعسر^(٣) يعتذُرُ
[البسيط]

ثم قال عبد الصمد لعلي بن سهل: هذ الجواب قولاً، وعليك أعزك الله الجواب فعلاً، ونُجِّح سعي الأمل حقَّ واجبٍ على مثلك. فاستحيا وأمر للرجل بمائة دينار.

هجاؤه لابن أخيه:

أخبرني حبيب بن نصر المهلبى وعلي بن سليمان الأخفش، قال: حدثنا محمد بن يزيد الأزدي، قال:

كان لابن المعذل ابنٌ ثقیلٌ تيَّاهٌ شديد الذهاب بنفسه، وكان مُبغضاً عند أهل البصرة، فمرَّ يوماً بعمِّه عبد الصمد، فلما رآه قال لمن معه:

(٢) المشرفي: من أسماء السيف.

(١) أجل: أسمى، أعلى.

(٣) بالعسر، بالفتح: بالصدق.

أَتَه ابْن المَهْلَبِ
ولنا غير معجبٍ
[مجزوء الخفيف]

إِنْ هَذَا يَرَى أُرَى
أَنْتَ وَاللَّهُ مُعْجَبٌ

قال: وقال فيه أيضاً:

أَصْبَحْتُ فِي جَوْفِ قُرْقُورٍ^(١) إِلَى الصَّيْنِ
لَوْ كَانَ رُؤَيْتَنَا إِيَّاكَ فِي الْحَيْنِ
مَجَالِ أَعَيْنَنَا مِنْ رَمْلِ يَبْرِينَ^(٢)
وَأَقْدَرَ النَّاسِ فِي دُنْيَا وَفِي دِينَ
بِمَرٍّ تُكَلِّكَ^(٣) أَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونِ
فِي السَّالِفَاتِ عَلَى غُرْمُولٍ عَنِينِ^(٤)
شَخْصٌ تَرَى وَجْهَهُ عَيْنِي فَيُضْنِينِي
إِذَا رَأَتْكَ عَلَى مِثْلِ السَّكَاكِينِ
[البسيط]

لَوْ كَانَ يُعْطَى الْمُنَى الْأَعْمَامُ فِي ابْنِ أَخٍ
قَدْ كَانَ هَمًّا طَوِيلًا لَا يُقَامُ لَهُ
فَكَيْفَ بِالصَّبْرِ إِذَا أَصْبَحْتَ أَكْثَرَ فِي
يَا أَبْغَضَ النَّاسِ فِي عَسَرٍ وَمَيْسَرَةٍ
لَوْ شَاءَ رَبِّي لِأُضْحِي وَاهِبًا لِأَخِي
وَكَانَ خَيْرًا لَهُ لَوْ كَانَ مُؤْتَزَّرًا
وَقَائِلٍ لِي: مَا أَضْنَاكَ. قُلْتُ لَهُ:
إِنَّ الْقُلُوبَ لَتَطْوَى مِنْكَ يَا ابْنَ أَخِي

صوت

تَكْشَفُ عَنْ مَنَاكِبِهَا الْقَطُوعُ^(٧)
كَأَنَّ جَبِينَهُ سَيْفٌ صَنِيعٌ^(٨)
[الوافر]

أَتَتِكَ الْعَيْسُ^(٥) تَنْفُخُ فِي بُرَاهَا^(٦)
بِأَبْيَضٍ مِنْ أُمِّيَّةٍ مُضْرَحِيٍّ^(٨)

الشعر لعبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاص، والغناء لابن المهريد، رملٌ
بالبنصر عن الهشامي. والله أعلم.

- (١) القرقور: ضرب من السفن العظيمة.
(٢) يبرين: موضع من أصقاع البحرين.
(٣) تكلتك: دعاء بالموت حتى تبكيه أمه.
(٤) الغرمول، بضم الغين، وغرمول عتين: مريض.
(٥) العيس: الإبل البيض الكريمة.
(٦) البرى، بضم الباء: كل حلقة من سوار وقرط وخلخال.
(٧) القطوع، بضم القاف، الواحدة قطع، بكسر القاف: الطنافس توضع تحت الرجل على كتفي البعير.
(٨) المضرحي: السيد الكريم النبيل.
(٩) السيف الصنيع: المجرب والمجلو لكثرة استعماله.

أخبار عبد الرحمن ونسبه

هو عبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف. وأمه أم أخيه مروان، آمنة بنت صفوان بن أمية بن محرز بن شق بن ربيعة بن مخدج من بني كنانة. ويكنى عبد الرحمن أبا مطرف. شاعر إسلامي متوسط الحال في شعراء زمانه، وكان يهاجي عبد الرحمن بن حسان بن ثابت فيقاومه وينتصف كل واحد منهما من صاحبه.

أخبرني محمد بن العباس العسكري قال: حدثنا الحسن بن عليل العنزي، عن العمري، عن العتبي والهيثم بن عدي، عن صالح بن حسان.

وأخبرني به عمي عن الكراني، عن العمري، عن الهيثم، عن صالح بن حسان قال:

قدم عبد الرحمن بن الحكم على معاوية بن أبي سفيان، وقد عزل أخاه مروان عن الحجاز وولّى سعيد بن العاص، وكان مروان وجّه به، وقال له: القه أُمّامي فعاتبه لي واستصلحه. وقال عمي في خبره: كان عبد الرحمن بدمشق، فلما بلغه خبر أخيه خرج إليه فتلّقاه، وقال له: أقم حتى أدخل إلى الرجل، فإن كان عزّلك عن مَوْجدة دخلت إليه منفرداً. وإن كان عن غير مَوْجدة دخلت إليه مع الناس. قال: فأقام مروان ومضى عبد الرحمن أُمّامه، فلما قدم عليه دخل إليه وهو يعشي الناس، فأنشأ يقول:

أتك العيس تنفخ في بُراها تكشف عن مناكبها القطوعُ
بأبيض من أُمّية مضرحي كأن جبينه سيفٌ صنيعُ
[الوافر]

فقال معاوية: أزازراً جئت أم مفاخراً أم مكاثراً؟ فقال: أيّ ذلك شئت. فقال له: ما أشاء من ذلك شيئاً، وأراد معاوية أن يقطعه عن كلامه الذي عنّ له، فقال: على أيّ الظهر أتيتنا؟ قال: على فرسي. قال: وما صفته؟ قال: «أجش هزيم»، يعرض بقول النّجاشي له:

ونجى ابن حربٍ سابح^(١) ذو علالة^(٢) أجش^(٣) هزيم^(٤) والرماح دوان^(٥) إذا خلّت أطراف الرّماح تناله مرّته^(٦) به الساقان والقدمان فغضب معاوية، وقال: أما إنّه لا يركبه صاحبه في الظّلم إلى الرّيب، ولا هو ممن يتسوّر على جاراته ولا يتوثّب على كنائنه^(٧) بعد هجعة الناس^(٨) - وكان عبد الرحمن يُتهم بذلك في امرأة أخيه - فخرج عبد الرحمن وقال: يا أمير المؤمنين، ما حملك على عزل ابن عمك؟ ألجناية أوجبت سُخْطاً، أم لرأي رأيته وتديبر استصلحته؟ قال: لتديبر استصلحته. قال: فلا بأس بذلك، وخرج من عنده فلقى أخاه مروان، فأخبره بما جرى بينه وبين معاوية، فاستشاط غيظاً، وقال لعبد الرحمن: قبحك الله، ما أضعفك، أعرضت للرجل بما أغضبه حتى إذا انتصف منك أحجمت عنه؟ ثم لبس حُلته، وركب فرسه، وتقلّد سيفه، ودخل على معاوية، فقال له حين رآه وتبيّن الغضب في وجهه: مرحباً بأبي عبد الملك، لقد زُرنا عند اشتياقٍ منّا إليك. قال لهما الله ما زرتك لذلك، ولا قِدمتُ عليك فألفيتك إلا عاقاً قاطعاً، والله ما أنصفتنا ولا جزيّتنا جزاءنا. لقد كانت السابقة من بني عبد شمس لآل أبي العاص، والصهر برسول الله ﷺ لهم، والخلافة فيهم، فوصلوكم يا بني حرب وشرّفوكم، وولّوكم فما عزلوكم ولا آثروا عليكم، حتى إذا وُلّيتم وأفضى الأمر إليكم، أبيتم إلا أثرةً وسوءَ صنّعة، وقُبِحَ قطيعة، فرويداً رويداً، قد بلغ بنو الحكم وبنو بنيه نيفاً وعشرين، وإنما هي أيّامٌ قلائل حتى يُكملوا أربعين ويعلم امرؤ أين يكون منهم حينئذٍ، ثم هم للجزاء بالحُسنى وبالسوء بالمرصاد.

قال عمي في خبره: فقال له معاوية: عزلك لثلاثٍ لو لم يكن منهنّ إلا واحدة لأوجبت عزلك: إحداهنّ إنّّي أمرتك على عبد الله بن عامر وبينكما ما بينكما، فلم تستطع أن تشتقي منه. والثانية كراحتك لأمر زياد. والثالثة أن ابنتي رَملة استعدتك^(٩) على زوجها عمرو بن عثمان فلم تُعدها^(١٠). فقال له مروان: أما ابن عامر فإنني لا أنتصر في سلطاني، ولكن إذا تساوت الأقدام علم أين موقعه. وأمّا كراحتي أمر زياد

(١) السابح من الخيول: السريع الذي يعدو وكأنه يسبح بدفعه قائمته الأماميتين.

(٢) العلالة، بضم العين: ما يبقى من العدو. (٣) الأجش من الأصوات: الغليظ الخشن.

(٤) الهزيم من الجياد: الشديد الصوت. (٥) الرماح الدواني: القرية من الفتك به.

(٦) مرّته: عملت على استفاد طاقته كلها. (٧) الكنائن، الواحدة كنة، بفتح الكاف: زوجة الإبن.

(٨) هجعة الناس: الاستكانة إلى النوم. (٩) استعدتك: طلبت عونك وحمايتك.

(١٠) لم تُعدها: لم تمد لها يد العون.

فإن سائر بني أمية كرهوه، ثم جعل الله لنا في ذلك الكره خيراً كثيراً. وأما استعداد رملة على عمرو فوالله إني لتأتي عليّ سنة أو أكثر وعندي بنت عثمان فما أكشف لها ثوباً - يعرض بأن رملة إنما تستعدي عليه طلباً للنكاح - فقال له معاوية: يا ابن الوزغ^(١)، لست هناك. فقال له مروان: هو ذاك الآن، والله إني لأبو عشرة وأخو عشرة وعم عشرة، وقد كاد ولدي أن يكملوا العدة - يعني أربعين - ولو قد بلغوها لعلمت أين تقع مني! فانخزل معاوية ثم قال:

فإن أك في شراركم قليلاً فلإني في خياركم كثير
بُغاث الطير^(٢) أكثرها فراخاً وأم الصقر مقلات^(٣) نزور^(٤)
[الوافر]

قال: فما فرغ مروان من كلامه حتى استخذى معاوية في يده وخضع له، وقال: لك العتبي^(٥)، وأنا رادك إلى عملك. فوثب مروان وقال له: كلاً والله وعيشك لا رأيتني عائداً إليه أبداً. وخرج، فقال الأحنف لمعاوية: ما رأيت لك قط سقطة مثلها، ما هذا الخضوع لمروان؟ وأي شيء يكون منه ومن بني أبيه إذا بلغوا أربعين؟ وأي شيء تخشاه منهم؟ فقال له: ادن مني أخبرك بذلك. فدنا منه، فقال له: إن الحكم بن أبي العاص كان أحد من وفد مع أختي أم حبيبة^(٦) لما زفت إلى النبي ﷺ، وهو الذي تولى نقلها إليه، فجعل رسول الله ﷺ يحد النظر إليه، فلما خرج من عنده قيل له: يا رسول الله، لقد أحدثت النظر إلى الحكم! فقال: «ابن المخزومية؛ ذلك رجل إذا بلغ ولده ثلاثين - أو قال: أربعين - ملكوا الأمر بعدي». فوالله لقد تلقاها مروان من عين صافية. فقال له الأحنف: لا يسمعن هذا أحد منك، فإنك تضع من قدرك وقدر ولدك بعدك، وإن يقض الله عز وجل أمراً يكن. فقال له معاوية: فأكتمها عليّ يا أبا بحر إذا، فقد لعمرى صدقت ونصحت.

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثني يعقوب بن القاسم الطلحي قال: حدثني ثمال عن أيوب بن درباس بن دجاجة قال:

شخص مروان بن الحكم ومعه أخوه عبد الرحمن، إلى معاوية. ثم ذكر نحواً

(١) الوزغ، من صغار الهوام، الواحدة وزعة: سام أبرص يمتاز بسرعة حركته.

(٢) بُغاث الطير: أضعفها. (٣) المقلات من الإبل: التي تلد مرة واحدة فقط.

(٤) النزور: التي ندر نسلها. (٥) لك العتبي، بضم العين: الرضا.

(٦) أم حبيبة: هي أم المؤمنين زوجة رسول الله ﷺ السيدة رملة بنت أبي سفيان صخر بن حرب.

منَ الحديثِ الأوَّل، ولم يذكر فيه مخاطبة معاويةَ في أمرهم للأحنف، وزاد فيه: فقال عبد الرحمن في ذلك:

أتقطر آفاقُ السماء له دماً إذا قيل هذا الطُّرف^(١) أجردُ سابح^(٢)
فحتى متى لا نرفع الطُّرف ذلَّةً وحتى متى تعيا^(٣) عليك المنادح^(٤)
[الطويل]

بكاء عبد الرحمن حين رأى رأس الحسين:

أخبرني عمي قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعيد قال: حدثنا علي بن الصباح عن ابن الكلبي عن أبيه، قال:

كان عبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاصي عند يزيد بن معاوية، وقد بعث إليه عبيد الله بن زياد برأس الحسين بن علي - عليهما السلام - فلما وضع بين يدي يزيد في الطشت بكى عبد الرحمن ثم قال:

أبلغ أمير المؤمنين فلا تكن كموتر أقواس^(٥) وليس لها نبلُ
لهمْ بجنب الطف^(٦) أدنى قرابة من ابن زياد الوغد^(٧) ذي الحسب الرذلُ
سُميَّة أمسى نسلها عدد الحصى وبنتُ رسول الله ليس لها نسلُ
[الطويل]

فصاح به يزيد: اسكت يا ابنَ الحمقاء، وما أنت وهذا؟!!

بكاء ابن عباس لما حدث بين الأمويين والعباسيين:

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي قال: حدثنا عمر بن شبَّة قال: حدثني هارون بن معروف قال: حدثنا بشر بن السري قال: حدثنا عمر بن سعيد عن أبي مليكة قال: رأيتهم - يعني بني أمية - يتتايعون^(٨) نحو ابن عباس حين نفى ابن الزبير بني أمية عن الحجاز، فذهبت معهم وأنا غلامٌ، فلقينا رجلاً خارجاً من عنده، فدخلنا

(١) الطُّرف، بكسر الطاء، من الجياد: الكريم من جهة أبويه.

(٢) الأجرد: القصير الشعر، وهو ما تفضله العرب.

(٣) السابح من الخيول: الذي يعدو وكأنه يسبح.

(٤) تعيا عليك: يصعب عليك الخروج من المأزق.

(٥) المنادح، الواحدة مندوحة: المتسع من الأرض.

(٦) الطف: الموقع الذي قتل فيه الحسين بن علي بن أبي طالب، رضي الله عنهما.

(٧) الوغد: الجبان، الحقير.

(٨) يتتايعون: يتسارعون في الخصام.

عليه، فقال له عبيد بن عُمر، ما لي أراك تذرف عيناك؟ فقال له: إن هذا - يعني عبد الرحمن بن الحكم - قال بيتاً أبكاني، وهو:

وما كنت أخشى أن ترى الذلّ نسوتي وعبد منافٍ لم تغلها الغوائل
[الطويل]

فذكر قرابة بيننا وبين بني عمنا بني أمية، وإنا إنما كنا أهل بيت واحد في الجاهلية، حتى جاء الإسلام فدخل الشيطان بيننا أيما دخل.

ولوع عبد الرحمن بن الحكم بجارية مروان:

أخبرني عمي قال: حدثنا الكُراني قال: حدثنا العمري عن الهيثم قال: حدثني أخي عباس: أن عبد الرحمن بن الحكم كان يُولع بجارية لأخيه مروان يقال لها «شبناء» ويهيم بمحببتها، فبلغ ذلك مروان، فشمته وتوَعَّده وتحفَّظ منه في أمر الجارية، وحجبها، فقال فيها عبد الرحمن:

لعمرُ أبي شبناء إني بذكرها وإن شحطت^(١) دار بها لحقيئُ
وإني لها، لا ينزع الله مالها عليّ وإن لم ترعه، لصديقُ
ولمّا ذكرت الوصل قالت وأعرضت: متى أنت عن هذا الحديث مُفيق؟!
[الطويل]

أخبرني عمي قال: حدثنا الكُراني قال: حدثنا الخليل بن أسد عن العمري، ولم أسمع من العمري، عن الهيثم بن عدي قال:

لمّا ادّعى معاوية، زياداً قال عبد الرحمن بن الحكم في ذلك - والناس ينسبونها إلى ابن مفرغ لكثرة هجائه إلى زياد، وذلك غلط - قال:

ألا أبلغ معاوية بن حرب مُغلغلة^(٢) من الرجل الهجان^(٣)
أتغضب أن يقال أبوك عفٌّ وترضى أن يقال أبوك زان؟!
فأشهد أن رَحِمَكَ من زيادٍ كَرَحِمِ الفيل من ولد الأتان
وأشهد أنها ولدت زياداً وصخر من سُميَّة غير داني
[الوافر]

فبلغ ذلك معاوية بن حرب، فحلف ألا يرضى عن عبد الرحمن حتى يرضى عنه

(١) شحطت: بعدت.

(٢) المغلغلة من الرسائل: التي تحمل من بلد إلى آخر.

(٣) الهجان: الرجل ذو الأصل الشريف.

زياد، فخرج عبد الرحمن إلى زياد، فلما دخل عليه، قال له: إيه يا عبد الرحمن، أنت القائل:

ألا أبلغ معاوية بن حرب مغلغلة من الرجل الهجان
[الوافر]

قال: لا أيها الأمير، ما هكذا قلت، ولكني قلت:

ألا من مبلغ عني زياداً من ابن القرم قرم بني قصي
مغلغلة من الرجل الهجان أبي العاص بن آمنه الحصان^(١)
حلفت برب مكة والمصلّى وبالتوراة أحلف والقُرآن
لأنت زيادة في آل حرب أحب إلي من وسطى بناني
سُررتُ بقربه وفرحتُ لما أتاني الله منه بالبيان
وقلت له: أخو ثقة وعم كذاك أراك والأهواء شتى
فما أدري بغيب ما تراني
[الوافر]

فرضي عنه زياد، وكتب له بذلك إلى معاوية، فلما دخل عليه بالكتاب قال: أنشدني ما قلت لزياد. فأنشده، فتبسّم ثم قال: قبّح الله زياداً، ما أجهله، والله لما قلت له أخيراً حيث تقول:

لأنت زيادة في آل حرب

شر من القول الأول، ولكنك خدعته فجازت خديعتك عليه.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال: حدثنا عمر بن شبة قال: استعمل معاوية بن أبي سفيان الحارث بن الحكم بن أبي العاصي على غزاة البحر، فنكص واستعفى، فوجّه مكانه ابن أخيه عبد الملك بن مروان، فمضى وأبلى وحسن بلاؤه، فقال عبد الرحمن بن الحكم لأخيه الحارث:

شئتُك إذ رأيتك حوثكياً^(٢) قريب الخصيتين من التراب
كأنك قملة لقحت كشافاً^(٣) لبرغوث ببعرة أو صواب^(٤)

(١) الحصان: المرأة العفيفة المصونة. (٢) الحوثكي من الرجال: القصير الضعيف الهزيل.

(٣) لقحت كشافاً: أي ناقة تلحق كلّ سنة، وذلك نتاجها الرديء.

(٤) صواب، بضم الصاد، الواحدة صؤابة: بيض القمل.

كفاك الغزو إذ أحجمت^(١) عنه حديث السن مُقتبل الشباب
فليتك حيضة ذهب ضلالاً وليتك عند منقطع السحاب^(٢)
[الوافر]

هجاؤه لمروان حين أعدى عليه الحنّاط :

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال : حدثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال :
لطم عبد الرحمن بن الحكم مولى لأهل المدينة حنّاطاً ، وأخوه مروان يومئذٍ وال
لأهل المدينة ، فاستعداه الحنّاط عليه ، فأجلسه مروان بين يديه وقال له : الطمه - وهو
أخو مروان لأبيه وأمه - فقال الحنّاط : واللّه ما أردتُ هذا ، وإنّما أردت أن أعلمه أنّ
فوقه سلطاناً ينصرني عليه ، وقد وهبتها لك . قال : لست أقبلها منك فخذ حقك .
فقال : واللّه لا أطمه ، ولكنّي أهبها لك . فقال له مروان : إن كنت ترى أنّ ذلك
يُسخطني^(٣) فواللّه لا أسخطُ ، فخذ حقك . فقال : قد وهبتها لك ، ولست واللّه
لاطمه . قال : لست واللّه قابليها ، فإن وهبتها فهبها لمن لطمك ، أو لله عزّ وجلّ .
فقال : قد وهبتها لله تعالى . فقال عبد الرحمن يهجو أخاه مروان :

كلّ ابن أم زائد غير ناقص وأنّ ابن أم ناقص غير زائد
وهبت نصيبي منك يا مَرُو^(٤) كلّهُ لعمرٍو وعثمان الطويل وخالد
[الطويل]

رثاؤه لقتلى قريش يوم الجمل :

أخبرني هاشم بن محمد أبو دلف الخزاعي ، قال : حدثنا أبو غسان دماذ ، عن
أبي عبيدة قال :

نظر عبد الرحمن بن الحكم إلى قتلى قريش يوم الجمل فبكى ، وأنشأ يقول :
أيا عين جودي بدمع سَرَب^(٥) على فتية من خيار العرب
وما ضرّهم ، غير حين النفوس^(٦) أي أميري قريش غلب
[المقارب]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال : حدثني عمر بن شبة قال : حدثني المدائني عن
شيخ من أهل مكة قال :

-
- (١) أحجمت : نكصت وتراجعت .
(٢) منقطع السحاب : حيث ينتهي آخره .
(٣) سخطي : غضبي .
(٤) مَرُو : أي مروان مخففة .
(٥) السرب : السائل المنساب .
(٦) حين النفوس : انتهاء أجلها .

غضب معاوية على عبد الرحمن ثم عفو عنه :

عرض معاوية على عبد الرحمن بن الحكم خيله، فمرَّ به فرسٌ فقال له: كيف تراه؟ فقال: هذا سابح. ثم عرض عليه آخر فقال: هذا ذو عُلالَةٍ. ثم مرَّ به آخر فقال: وهذا أجشُّ هزيم. فقال له معاوية: قد علمت ما أردت، إنما عرَّضتَ بقول النجاشي في:

ونجى ابن حرب سابح^(١) ذو عُلالَةٍ^(٢) أجشُّ^(٣) هزيم^(٤) والرماح دوان^(٥)
سليم الشطى^(٦) عبل الشوى^(٧) شنج النساء^(٨) كسيد الغضى^(٩) باقى على النسلان^(١٠)
[الطويل]

أخرج عني فلا تساكني في بلد. فلقي عبد الرحمن أخاه مروان فشكا إليه معاوية، وقال له عبد الرحمن: وحتى متى نُسْتَدَلُّ ونُضام؟ فقال له مروان: هذا عملك بنفسك. فأنشأ يقول:

أتقطرُ آفاق السماء لنا دماً إذا قلت: هذا الطُرفُ^(١١) أجرد^(١٢) سابح
فحتى متى لا نرفع الطُرف^(١٣) ذلَّةً وحتى متى تعيا عليك المنادح^(١٤)؟
[الطويل]

فدخل مروان على معاوية، فقال له مروان: حتى متى هذا الاستخفاف بآل أبي العاصي؟ أما والله إنك لتعلم قول النبي ﷺ وآله فينا، ولقل ما بقي من الأجل. فضحك معاوية وقال: لقد عفوت لك عنه يا أبا عبد الملك. والله أعلم بالصواب.

(١) السابح من الخيول: الذي يعدو وكأنه يسبح.

(٢) العُلالَة، بضم العين: البقية.

(٣) الأجش من الأصوات: الغليظ الخشن.

(٤) الهزيم من الجياد: الشديد الصوت.

(٥) الرماح الدواني: القرية من الفتك به.

(٦) سليم الشطى: عظم لاصق بالركبة أو بالذراع.

(٧) عبل الشوى: ضخم اليدين والرجلين وسائر الأطراف وسواها.

(٨) شنج النساء، بكسر الشين: منقبض الجلد.

(٩) سيد الغضى: السيد: الذئب والغضى: ضرب من الشجر. وذئب الغضى: من أخبث الذئاب.

(١٠) النسلان: سرعة المشي.

(١١) الطُرف، بكسر الطاء، من الجياد: الأصيل من جهة أبويه.

(١٢) الأجرد من الجياد: القصير الشعر.

(١٣) الطُرف، بسكون الراء: النظر.

(١٤) المنادح، الواحدة نادحة: المتفجعة والنائحة.

صوت

قولا لنائل ما تقضين في رجلٍ يَهْوِي هَوَاكِ وما جَنَّبَتْه اجْتَنِبَا
يُمْسِي مَعِي جَسَدِي وَالْقَلْبُ عِنْدَكُمْ فَمَا يَعِيشُ إِذَا مَا قَلْبُهُ ذَهَبَا
[البسيط]

الشعر لمسعدة بن البختري، والغناء لعبادل، ثَقِيلٌ أَوَّلُ بِإِطْلَاقِ الْوَتْرِ فِي مَجْرَى
الْوَسْطَى عَنْ إِسْحَاقَ، وَفِيهِ لَعْرِيبٌ ثَقِيلٌ أَوَّلُ آخِرِ عَنِ ابْنِ الْمُعْتَزِ، وَلَهَا فِيهِ أَيْضاً خَفِيفٌ
رَمَلٌ عَنْهُ.

أخبار مسعدة ونسبه

هو مسعدة بن البختري بن المغيرة بن أبي صُفوة بن أخي المهلب بن أبي صفرة. وقد مضى نسبه متقدماً في نسب يزيد بن محمد المهلب وابن أبي عُيينة وغيرهما:

وهذا الشعر يقوله في نائلة بنتِ عمرَ بن يزيدَ الأسدي وكان يهواها.

تشبيب مسعدة بنائلة:

أخبرني بخبره في ذلك أبو دلف هاشم بن محمد الخُزاعي قال: حدثني عيسى بن إسماعيل تينة، عن القحذمي قال:

كان مسعدة بن البختري بن المغيرة بن أبي صُفرة، يشب بنائلة بنتِ عمرَ بن يزيدَ الأسدي أحد بني أُسيد بن عمرو بن تميم، وكان أبوها سيِّداً شريفاً، وكان على شُرطِ العراق من قِبَل الحجاج، وفيها يقول:

أَنائِلُ إِنَّنِي سَلَمٌ لأهلك فاقبلي سَلَمِي
[مجزوء الوافر]

قال القحذمي: وأُمُّ نائلة هذه عاتكة بنت الفُرات بن معاوية البكائي، وأمها الملاءة بنت زُرارة بن أوفى الجُرشيّة، وكان أبوها فقيهاً محدثاً من التابعين. وقد شَبَّ الفرزدقُ بالملاءة وبعاتكة ابنتها.

عاتكة بنت الفرات وما قيل فيه

قال عيسى: فحدثني محمد بن سلام قال: لا أعلم أَنَّ امرأةً شُبَّ بها وبأمها وجدها غير نائلة. فأما نائلة فقد ذكر ما قالَ فيها مسعدة، وأما عاتكة فإنَّ يزيدَ بن المهلب تزوجها؛ فقتل عنها يومَ العقر، وفيها يقول الفرزدق:

إِذَا مَا الْمَرْؤُنِيَّاتُ أَصْبَحْنَ حُسْرًا^(١) وَبَكَّيْنَ أَشْلَاءَ^(٢) عَلَى غَيْرِ نَائِلٍ

(١) الحُسْر من النسوة: الكاشفات الوجوه.

(٢) الأشلاء: وأشلاء القتلى: أعضاؤهم.

فكم طالب بنت الملاءة إنها تذكر ريعان الشباب المزايل^(١)
[الطويل]

وفي الملاءة أمها يقول الفرزدق:

كم للملاءة من طيف يؤرقني إذا تجرثم^(٢) هادي الليل^(٣) واعتكرا^(٤)
[البسيط]

أخبرني الحرمي بن العلاء قال: حدثني الزبير بن بكار قال: حدثني عبد الرحمن بن عبد الله قال:

خرجت عاتكة بنت الملاءة إلى بعض بوادي البصرة فلقيت بدويًا معه سمن فقالت له: أتبيع هذا السمن؟ فقال: نعم. قالت: أرناه. ففتح نحياً^(٥) فنظرت إلى ما فيه، ثم ناولته إياه وقالت: افتح آخر. ففتح آخر فنظرت إلى ما فيه ثم ناولته إياه، فلما شغلت يديه أمرت جواريتها فجعلن يركلن في إسته وجعلت تنادي: يا لثارات ذات النحيين!

قال الزبير: تعني ما صنع بذات النحيين في الجاهلية؛ فإن رجلاً يقال له: خوات بن جبير رأى امرأة معها نحياً سمن فقال: أريني هذا. ففتحت له أحد النحيين، فنظر إليه ثم قال: أريني الآخر. ففتحته، ثم دفعه إليها، فلما شغل يديها وقع عليها، فلا تقدر على الامتناع خوفاً من أن يذهب السمن، فضربت العرب المثل بها، وقالت: «أشغل من ذات النحيين». فأرادت عاتكة بنت الملاءة أن هذا لم يفعله أحد من النساء برجل كما يفعله الرجل بالمرأة غيرها، وأنها تأثرت للنساء تأرهن من الرجال بما فعلته.

ما جرى بين الملاءة وعمر بن أبي ربيعة:

أخبرني علي بن صالح بن الهيثم قال: حدثنا أبو هفان عن إسحاق الموصلي عن الزبير والمسيبي ومحمد بن سلام وغيرهم من رجاله: أن الملاءة بنت زرارَةَ لقيت عمر بن أبي ربيعة بمكة وحوله جماعة يُنشدُهم، فقالت لجارية: من هذا؟ قالت: عمر بن أبي ربيعة، المنتقل من منزله من ذات وِدادٍ إلى أخرى، الذي لم يدُم على وصل، ولا لقوله فرع ولا أصل، أما والله لو كنتُ كبعض من يواصل لما رضى منه بما ترضين، وما رأيت أدنى من نساء أهل الحجاز ولا أقرّ منهنّ بخسف، والله لأمة

(١) المزايل: المفارق.

(٢) تجرثم: تجمّع.

(٣) هادي الليل: بدوّه.

(٤) اعتكرا الليل: اشتدت عتمته.

(٥) النحي، بالكسر: الزق، وبخاصة ما كان للسمن.

من إماننا أنف منهن! فبلغ ذلك عمر عنها، فراسلها فراسلته، فقال:

حيّ المنازل قد عمّرن خرابا بين الجُرَيْنِ^(١) وبين رُكن كُسابا^(٢)
 بالثُّني^(٣) من ملكان^(٤) غيّر رسمها مرّ السحاب المُعقبات^(٥) سحابا
 وذيول مُعصفه الرّياح تجرّها دفقاً فأصبحت العِراض^(٦) يبابا^(٧)
 ولقد أراها مرّة مأهولةً حسناً جناب^(٨) محلّها معشابا
 دارُ التي قالت، غداة لقيتها عند الجِمار فما عييتُ جوابا
 هذا الذي باع الصديق بغيره ويريد أن أرضى بذاك ثوابا
 قلت اسمعي مني المقال ومن يُطع بصديقه المتملّق الكذابا
 [وتكن لديه حباله أنشوطه] في غير شيءٍ يقطع الأسبابا
 إن كنتِ حاولتِ العتاب لتعلمي ما عندنا فلقد أطلتِ عتابا
 أو كان ذلك للبعاد فإنّه يكفيك ضربك دونك الجلبابا^(٩)
 وأرى بوجهك شرق نُور بيّن وبوجه غيرك طُخية^(١٠) وضبابا^(١١)
 [الكامل]

صوت

أسعداني يا نخلتي حُلوانٍ وارثيالي من ريب هذا الزمانِ
 واعلم ما أن ريبه لم يزل يفرّق بين الأُلف^(١٢) والجيرانِ

(١) الجُرَيْن: موضع بين سواج والنير من أرض نجد.

(٢) كُساب، بضم الكاف: موضع.

(٣) الثُّني من كل نهر أو جبل: منحناه.

(٤) ملكان، بكسر اللام: وادٍ لهذيل على ليلة من مكة.

(٥) المعقبات: المردفات، التاليات.

(٦) العِراض، الواحدة عَرَصَة: البقعة الواسعة بين الدور.

(٧) اليباب: القفراء.

(٨) الجناب: الفناء، بكسر الفاء.

(٩) الجلباب: الثوب، الرداء.

(١٠) الطُخية: الظلمة.

(١١) الضّباب: العتمة الكثيفة.

(١٢) الأُلف، الواحد أليف: الأحباب والأصحاب.

أسعداني وأيقنا أنّ نحساً سوف يلقاكما فتفترقانِ
 ولعمري لو ذقتما ألم الفُر قة أبكاكما كما أبكاني
 كم رمتني به صُروف الليالي من فراق الأحباب والخِلانِ
 [الخفيف]

الشعر لمطيع بن إياس، والغناء لحكم الواديّ، هزج بالوسطى عن عمرو
 والهشامي.

أخبار مطيع بن إياس ونسبه

هو مطيع بن إياس الكِنَاني . ذكر الزبير بن بكار أنه من بني الدَّيل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة . وذكر إسحاق الموصلي عن سعيد بن سلم أنه من بني ليث بن بكر . والدَّيل وليث أخوان لأبٍ وأمٍّ، أمَّهما أم خارجة ، واسمها عمرة بنت سعد بن عبد الله بن قُراد بن ثعلبة بن معاوية بن زيد بن الغوث بن أنمار بن أراش بن عمرو بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان . وهي التي يضرب بها المثل فيقال : «أسرع من نكاح أم خارجة» . وقد ولدت عدّة بطون من العرب حتى لو قال قائل : إنه لا يكاد يتخلّص من ولادتها كبير أحدٍ منهم لكان مقارباً . فممن ولدت الدليل وليث والحارث وبنو بكر بن عبد مناة بن كنانة ، وغازرة بن مالك بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة ، والعنبر وأسيّد والهَجيم ، بنو عمرو بن تميم ، وخارجة بن يشكر - وبه كانت تُكْنى - ابن سعد بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن مزيقيا ، وهو أبو المصطلق .

نكاح أم خارجة :

قال النسابون : بلغ من سرعة نكاحها أنّ الخاطب كان يأتيها فيقول لها : خطبٌ ، فتقول له : نكح .

وزعموا أنّ بعض أزواجها طلقها فرحل بها ابن لها عن حيّه إلى حيّها ، فلقيها راكبٌ فلما تبَيَّنَتْ قالت لابنها : هذا خاطبٌ لي لا شكّ فيه ، أفتراه يُعجلني أن أنزل عن بعيري ؟ فجعل ابنها يسبّها .

ولا أعلم أنّي وجدت نسب مطيع متصلاً إلى كِنانة في رواية أحدٍ إلّا في حديث أنا ذاكره ؛ فإن راويّه ذكر أن أبا قُرعة الكِنَاني جدُّ مطيع ، فلا أعلم أهو جدّه الأدنى فأصل نسبه به ، أم هو بعيدٌ منه ، فذكرت الخبر على حاله .

تشاحن ابن الزبير وجد مطيع :

أخبرني به عيسى بن الحسين الوزّاق قال : حدثنا أحمد بن الهيثم بن فراس قال : حدثني العمري وأبو فراس عمي جميعاً ، عن شراحيل بن فراس ، أنّ أبا قُرعة

الكناني، واسمه سلمى بن نوفل - قال: وهو جد مطيع بن إلياس الشاعر - كانت بينه وبين ابن الزبير قبل أن يلي مقارضة^(١)، فدخل سلمى وابن الزبير يخطب الناس، وكان منه وجلاً^(٢)، فرماه ابن الزبير ببصره حتى جلس، فلما انصرف من المجلس دعا حرسياً فقال: امض إلى موضع كذا وكذا من المسجد، فادع لي سلمى بن نوفل. فمضى فأتاه به، فقال له الزبير: إيتها أيها الضب. فقال: إني لست بالضب ولكن الضب بالضمر^(٣) من صخر. قال: إيتها أيها الذئخ^(٤). قال: إن أحداً لم يبلغ ستي وسنك إلا سمى ذئخاً. قال: إنك لها هنا يا عاض بظر أمه. قال: أعيدك بالله أن يتحدث العرب أن الشيطان نطق على فيك بما تنطق به الأمة الفسلة^(٥)، وإيّم الله ما هاهنا داد أريده على المجلس أحد إلا قد كانت أمه كذلك.

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا علي بن محمد بن سليمان النوفلي عن أبيه قال: كان إلياس بن مسلم، أبو مطيع بن إلياس شاعراً، وكان قد وفد إلى نصر بن سيار بخراسان فقال فيه:

إذا ما نعال^(٦) من خراسان أقبلت وجاوزت منها مخرما ثم مخرما^(٧)
ذكرت الذي أوليتني ونشرته فإن شئت فاجعلني لشرك سُلماً
[الطويل]

فأما نسب أبي قُرعة هذا فإنه سلمى بن نوفل بن معاوية بن عروة بن صخر بن يغمر بن ثفائة بن عدي بن الدليل بن بكر بن عبد مناة. ذكر ذلك المدائني. وكان سلمى بن نوفل جواداً. وفيه يقول الشاعر:

يسود أقوامٌ وليسوا بسادة بل السيّد الميمون سلمى بن نوفل
[الطويل]

رجع الخبر إلى سياقة نسب مطيع بن إلياس وأخباره

وهو شاعرٌ من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، وليس من فحول الشعراء في تلك، ولكنه كان ظريفاً خليعاً حلو العشرة، مليح النادرة، ماجناً متهماً في دينه بالزندقة، ويكنى أبا سلمى. ومولده ومنتزه الكوفة، وكان أبوه من أهل فلسطين الذين

- (١) المقارضة: المشاركة في المدح والذم.
- (٢) الوجل، بكسر الجيم: الخائف.
- (٣) الضمر: رملة بعينيه.
- (٤) الذئخ: ذكر الضباع.
- (٥) الفسلة: النخلة تقطع من الأم فتغرس.
- (٦) قصد الشاعر بالنعال: الإبل.
- (٧) المخرم: الطريق الصعبة المسالك لغلظها.

أمدَّ بهم عبد الملك بن مروان الحجاج بن يوسف في وقت قتاله ابنَ الزبير وابنَ الأشعث، فأقام بالكوفة وتزوَّج بها، فوُلد له مطيع.

صلته بالولاة والخلفاء:

أخبرني بذلك الحسين بن يحيى، عن حمادٍ عن أبيه، وكان منقطعاً إلى الوليد بن يزيد بن عبد الملك، وامتصَّراً بعده في دولتهم، ومع أوليائهم وعُمَّالهم وأقاربهم لا يكسد عند أحدٍ منهم، ثم انقطع في الدولة العباسية إلى جعفر بن أبي جعفر المنصور، فكان معه حتى مات، ولم أسمع له مع أحدٍ منهم خبراً إلا حكايةً بوفوده على سليمان بن علي، وأنه ولَّاه عملاً. وأحسبه مات في تلك الأيام.

رأي بعض الناس فيه:

حدثني عمي الحسن بن محمد، قال: حدثني محمد بن سعد الكِراني عن العمري عن العُتبي عن أبيه قال:

قدم البصرة علينا شيخٌ من أهل الكوفة لم أرَ قطُّ أظرف لساناً ولا أحلى حديثاً منه، وكان يُحدثني عن مطيع بن إياس، ويحيى بن زياد، وحمادٍ الراوية، وظرفاء الكوفة، بأشياء من أعاجيبهم وطُرفهم، فلم يكن يحدث عن أحدٍ بأحسن مما كان يحدثني عن مطيع بن إياس، فقلت له: كنت واللهِ أشتهي أن أرى مُطيعاً، فقال: واللهِ لو رأيته للقيتُ منه بلاءً عظيماً. قال: قلت: وأيُّ بلاءٍ ألقاه من رجل أراه. قلت: كنت ترى رجلاً يصبر عنه العاقل إذا رآه، ولا يصحبه أحدٌ إلا افتضح به.

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حدثنا أبو سعيدٍ السكري عن محمد بن حبيب قال: سألت رجلاً من أهل الكوفة كان يصحب مطيع بن إياس عنه فقال: لا تُردُّ أن تسألني عنه. قلت: ولم ذاك؟ قال: وما سؤالك إياي عن رجلٍ كان إذا حضر ملكك، وإذا غاب عنك شاكك، وإذا عُرفت بصحبته فضحك.

إعجاب الوليد بن يزيد بمطيع:

أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال: حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدثني عبد الله بن عمرو قال: حدثني أبو توبة صالح بن محمد عن محمد بن جبیر، عن عبد الله بن العباس الربيعي قال: حدثني إبراهيم بن المهدي قال: قال لي جعفر بن يحيى: ذكر حكم الوادي، أنه غنى الوليد بن يزيد ذات ليلة، وهو غلامٌ حديث السن، فقال:

إِكْلِيلُهَا أَلْوَانُ وَوَجْهُهَا فَتَّانُ
وَحَالُهَا فَرِيدُ لَيْسَ لَهُ جِيرَانُ
إِذَا مَشَتْ تَشَنَّتْ كَأَنَّهَا ثَعْبَانُ

[مشطور الرجز]

فطرب حتى زحف عن مجلسه إليّ، وقال: أعد فديتك بحياتي. فأعدته حتى صحل صوتي^(١)، فقال لي: ويحك، من يقول هذا؟ فقلت: عبدك يا أمير المؤمنين أراضه لخدمتك. فقال: ومن هو فديتك؟ فقلت: مطيع بن إياس الكِنَاني. فقال: وأين محله؟ قلت: الكوفة. فأمر أن يُحمل إليه على البريد، فحمل إليه، فما أشعر يوماً إلا برسوله قد جاءني، فدخلت إليه ومطيع بن إياس واقف بين يديه، وفي يد الوليد طاس من ذهب يشرب به، فقال له: غنّ هذا الصوت يا واديّ. فغنّته إياه، فشرب عليه، ثم قال لمطيع: مَنْ يقول هذا الشعر؟ قال: عبدك أنا يا أمير المؤمنين. فقال له: ادنْ مني. فدنا منه، فضمّه الوليد وقبّل فاه وبين عينيه، وقبل مطيع رجله والأرض بين يديه، ثم أدناه منه حتى جلس أقرب المجالس إليه، ثم تمّ يومه فاصطبَح أسبوعاً متوالي الأيام على هذا الصوت.

لحن هذا الصوت هزجٌ مطلقٌ في مجرى البنصر، والصنعة لحكم. وقد حدثني بخبره هذا مع الوليد جماعةً على غير هذه الرواية، ولم يذكروا فيها حضور مطيع.

حدثني به أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال: حدثنا علي بن محمد النوفلي عن أبيه قال بلغني عن حكم الواديّ، وأخبرني الحسين بن يحيى، ومحمد بن مزيد بن أبي الأزهر قالوا: حدثنا حماد بن إسحاق قال: حدثني أحمد بن يحيى المكي عن أمه عن حكم الواديّ قال:

وفدت على الوليد بن يزيد مع المغنّين، فخرج يوماً إلينا وهو راكبٌ على حمار، وعليه درّاعة وشي^(٢)، وبيده عقد جوهر، وبين يديه كيسٌ فيه ألف دينار، فقال: من غنّاني فأطربني فله ما عليّ وما معي. فغنّوه فلم يطرب، فاندفعت وأنا يومئذ أصغرهم سنّاً فغنّيته:

إِكْلِيلُهَا أَلْوَانُ وَوَجْهُهَا فَتَّانُ
وَحَالُهَا فَرِيدُ لَيْسَ لَهُ جِيرَانُ

(١) صحل صوتي: بُح.

(٢) درّاعة وشي: جبة مشقوقة موشاة.

إِذَا مَشَتْ تَشْتَتُ كَأَنَّهَا ثَعْبَانُ

[مشطور الرجز]

فرمى إليه بما معه من المال والجوهر، ثم دخل فلم يلبث أن خرج إليّ رسوله بما عليه من الثياب والحمار الذي كان تحته.

صحبه لجماعة من الزنادقة:

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال:

كان مطيع بن إياس، ويحيى بن زياد الحارثي، وابن المقفع ووالبة بن الحُبَاب يتنادمون ولا يفترقون، ولا يستأثر أحدهم على صاحبه بمالٍ ولا ملكٍ، وكانوا جميعاً يُرمون بالزندقة.

حدثني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدثني علي بن محمد النوفلي عن أبيه وعمومته، أن مطيع بن إياس وعمارة بن حمزة من بني هاشم، وكانا مرميين بالزندقة، نزعا إلى عبد الله بن معاوية بن جعفر بن أبي طالب لما خرج في آخر دولة بني أمية، وأول ظهور الدولة العباسية بخراسان، وكان ظهر على نواح من الجبل: منها أصبهان وقم ونهاوند، فكان مطيع وعمارة ينادمانه ولا يفارقانه.

قال النوفلي: فحدثني إبراهيم بن يزيد بن الخشك قال:

دخل مطيع بن إياس على عبد الله بن معاوية يوماً وغلام واقف على رأسه يذب عنه بمنديل - ولم يكن في ذلك الوقت مذاب، إنما المذاب عباسية - قال: وكان الغلام الذي يذب أمرّد حسن الصورة، يروق عين الناظر، فلما نظر مطيع إلى الغلام كاد عقله يذهب، وجعل يكلم ابن معاوية ويُلجلج، فقال:

إني وما أعمل الحجيج^(١) له
أخشى عليه مغامساً^(٢) مرساً^(٣)
أخشى مُطيع الهوى على فرج
ليس بذئ رقبته^(٤) ولا حرج^(٥)

[المنسرح]

(١) الحجيج، الواحد حاج.

(٢) المغامس: الشديد الشجاع.

(٣) المرس: المجرب القوي.

(٤) الرقبة، بكسر الراء: التحفظ والاحتراش الشديد.

(٥) الحرج: الشعور بالإرباك.

أخبرني أحمد بن عبيد الله قال: حدثنا علي بن محمد النوفلي قال: حدثني أبي عن عمه عيسى قال:

كان لابن معاوية صاحبُ شرطة يقال له: قيس بن عيلان العنسي النوفلي وعيلان اسم أبيه، وكان شيخاً كبيراً دهرياً لا يؤمن بالله، وكان إذا عُسَّ^(١) لم يبق أحدٌ إلا قتله، فأقبل يوماً فنظر إليه ابن معاوية ومعه عُمارة بن حمزة ومطيع بن إياس، قال:

إِنَّ قَيْساً وَإِنْ تَقَنَّعَ شَيْباً لَخَبِيثُ الْهَوَى عَلَى شَمْطِهِ^(٢)
[الخفيف]

أجز يا عُمارة. فقال:

ابْنُ سَبْعِينَ مَنْظِراً وَمَشَيْباً وَابْنُ عَشْرِ يُعَدُّ فِي سَقَطِهِ^(٣)
[الخفيف]

فأقبل على مطيع فقال أجز. فقال

وَلَهُ شُرْطَةٌ إِذَا جَنَّةُ الْإِلَهِ لَفَعُودُوا بِاللَّهِ مِنْ شُرْطِهِ
[الخفيف]

قال النوفلي: وكان مطيعُ فيما بلغني مأبوناً^(٤)، فدخل عليه قومه فلاموه على فعله، وقالوا له: أنت في أدبك وشرفك وسؤددك وشرفك تُرمى بهذه الفاحشة القذرة؟ فلو أقصرت عنها! فقال: جرّبوه أنتم ثم دعوا إن كنتم صادقين. فانصرفوا عنه، وقالوا: قبح الله فعلك وعُذرك، وما استقبلتنا به.

أخبرني عيسى بن الحسين قال: حدثنا حماد عن أخيه عن النضر بن حديد قال: أخبرني أبو عبد الملك المرواني قال: حدثني مطيع بن إياس قال:

قال لي حمّاد عجرد: هل لك في أن أريك خُشَّةَ صديقي^(٥)، وهي المعروفة بطَبْيَةِ الوادي؟ قلت: نعم. قال: إِنَّكَ إِنْ قَعَدْتَ عَنْهَا وَخَبُثْتَ عَيْنَكَ فِي النَّظَرِ أَفْسَدْتُهَا عَلَيَّ. فقلت: لا والله لا أَتَكَلَّمُ بِكَلِمَةٍ تَسُوؤُكَ، وَلَا سَرَّنَكَ. فمضى وقال: وَاللَّهِ لَا أَتَكَلَّمُ، لَنْ خَالَفْتَ مَا قُلْتَ لِأَخْرَجَنَّكَ. قال: قلت: إِنْ خَالَفْتَ مَا تَكْرَهُ فَاصْنَعْ بِي مَا أَحْبَبْتَ. قال: امض بنا. فأدخلني على أَظْرَفَ خَلْقِ اللَّهِ وَأَحْسَنِهِمْ وَجْهًا، فلما رَأَيْتَهَا

(١) عُسَّ: ألقى عليه القبض ليلاً من قبل الحراس.

(٢) الشَّمْطُ في الرأس: اختلاط الشعر الأبيض بالشعر الأسود.

(٣) السَّقَطُ: الفضيحة.

(٤) المأبون: المتهم في دينه ومسلكه.

(٥) خُشَّةُ صديقي: صاحبتني.

أخذني الزَّمْعُ^(١) وفطن لي: فقال: اسكن يا ابنَ الزانية. فسكنتُ قليلاً، فلحظتني ولحظتها أخرى، فغضب ووضع قُلنسيته عن رأسه، وكانت صلته حمراء كأنها إستِ قردٍ، فلما وضعها وجدت للكلام موضعاً فقلت:

وَارِ السَّوْءَ السَّوْءَ يَا حَمَّادَ عَنْ خُشَّةٍ
عَنِ الْأَتْرَجَةِ^(٢) الْغَضَّةِ وَالتَّفَاحَةِ الْهَشَّةِ

[الهنج]

فالتفت إليّ، وقال: فعلتها يا ابنَ الزانية؟ فقالت له: أحسنَ واللّه، ما بلغ صفتك بعد، فما تريد منه؟ فقال لها: يا زانية! فقالت له: الزانية أمك! وثاورته^(٣) وثاورها، فشقت قميصه، وبصقت في وجهه، وقالت له: ما تصادقك وتدعُ مثل هذا إلّا زانية! وخرجنا وقد لقي كلُّ بلاء، وقال لي: ألم أقل لك يا ابنَ الزانية: إنَّك ستُفسد عليّ مجلسي. فأمسكتُ عن جوابه، وجعل يهجونني ويسبُّني، ويشكونني إلى أصحابنا، فقالوا لي: اهجه ودعنا وإيَّاه. فقلت فيه:

أَلَا يَاطْبِيَّةَ الْوَادِي وَذَاتَ الْجَسَدِ الْرَادِ^(٤)
وَزَيْنَ الْمَصْرِ وَالْدَارِ وَزَيْنَ الْحَيِّ وَالنَّادِ
وَذَاتَ الْمَبْسَمِ الْعَذْبِ وَذَاتَ الْمَيْسَمِ الْبَادِ^(٥)
أَمَّا بِاللَّهِ تَسْتَحْيِي نَ مَنْ خُلَّةَ^(٦) حَمَّادِ
فَحَمَّادٌ فَتَّى لَيْسَ بِلَذِي عَزَّ فَتَنَقَادِ
وَلَا مَسَالٍ وَلَا عَزَّ وَلَا حَظٌّ لِمُرتَادِ
فَتُوبِي وَاتَّقِي اللَّهَ وَبُتِّي^(٧) حَبْلَ جَرَادِ^(٨)
فَقَدْ مُيِّزَتِ بِالْحَسَنِ عَنِ الْخَلْقِ بِإِفْرَادِ
وَهَذَا الْبَيْنِ قَدْ حُمَّ فَجُودِي مِنْكَ بِالزَّادِ

[الهنج]

- في الأوّل والثاني والسابع والثامن من هذه الأبيات لحكم الوادي رملٌ. قال: فأخذ أصحابنا رقاعاً فكتبوا الأبيات فيها، وألقوها في الطريق، وخرجتُ

(١) الزمع: الرعد والإرتجاج.

(٢) الأترجة: ضرب من الفاكهة حامضة: ما تسميه العامة كباداً.

(٣) ثاورته: واثبته.

(٤) الجسد الراد: اللين الرقيق.

(٥) الميسم البادي: الجمال الظاهر.

(٦) الخُلة، بضم الخاء: الصداقة.

(٧) بُتّي: اقطعي.

(٨) الجرّاد: ما تُجلى به الأواني النحاسية.

أنا فلم أدخل إليهم ذلك اليوم، فلما رآها وقرأها قال لهم: يا أولاد الزنا، فعلها ابن الزانية، وساعدتموه علي!

قال: وأخذها حكم الوادي فغنى فيها، فلم يبق بالكوفة سقاء ولا طحان ولا مكار إلا غنى فيها، ثم غبت مدة وقدمت، فأتاني فما سلم علي حتى قال لي: يا ابن الزانية، ويلك أما رحمتي من قولك لها:

أما بالله تستحيي ————— من خلّة حمّاد
[الهزج]

بالله قتلتني قتلك الله! والله ما كلمتني حتى الساعة. قال: قلت: اللهم آدم هجرها له وسوء آرائها فيه، وآسفه^(١) عليها، وأغرّه بها! فشتمني ساعة. قال مطيع: ثم قلت له: قم بنا حتى أمضي بك فأريك أختي. قال مطيع: فمضينا فلما خرجت إلينا دعوت قيمة لها فأسررت إليها في أن تصلح لنا طعاماً وشراباً، وعرفتّها أنّ الذي معي حمّاد. فضحكت ثم أخذت صاحبتني في الغناء، وقد علمت بموضعه وعرفته، فكان أول صوت غنت:

أما بالله تستحيي ————— من خلّة حمّاد
[الهزج]

فقال لها: يا زانية! وأقبل عليّ فقال لي: وأنت يا زاني يا ابن الزانية. وشاتمته صاحبتني ساعة، ثم قامت فدخلت، وجعل يتغيّظ عليّ فقلت: أنت ترى أنّي أمرتها أن تغنيّ بما غنت؟ قال: أرى ذلك وأظنه ظناً، لا والله، ولكني أتيقّنه! فحلفت له بالطلاق على بطلان ظنه، فقالت: وكيف هذا؟ فقلت: أراد أن يفسد هذا المجلس من أفسد ذلك المجلس. فقالت: قد والله فعل. وانصرفنا.

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال: حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال: حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه عن رجل من أصحابه قال:

قال يحيى بن زياد الحارثي لمطيع بن إياس: انطلق بنا إلى فلانة صديقتي؛ فإنّ بيني وبينها مغاضبة، لتصلح بيننا، وبئس المصلح أنت. فدخلنا إليها فأقبلا يتعاتبان، ومطيع ساكت، حتى إذا أكثر قال يحيى لمطيع، ما يسكتك، أسكت الله نأمتك^(٢)؟ فقال لها مطيع:

أنت مُعتَلّة عليه وما زالا ————— ل مُهيناً لنفسه في رضاك
[الخفيف]

(١) آسفه: أحمله على الغضب.

(٢) النأمة: الصوت.

فأعجب يحيى ما سمع، وهشَّ له مطيع:

فدعيه وواصلني ابن إياس جُعِلت نفسُه الغداة فداك
[الخفيف]
فقام يحيى إليه بوسادة في البيت، فما زال يجلد بها رأسه ويقول: ألهذا جئتُ
بك يا ابن الزانية! ومطيع يُغَوِّث حتى ملَّ يحيى، والجارية تضحك منهما، ثم تركه
وقد سدَّ (١).

حدثني الحسن بن عليّ الخفاف قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال:
حدثني محمد بن عمر الجرجاني قال:

مرض حمّادُ عجرد، فعاده أصدقاؤه جميعاً إلا مطيع بن إياس، وكان خاصةً به،
فكتب إليه حمّاد:

كفاك عيادتي مَنْ كان يرجو ثوابَ الله في صلة المريض
فإن تُحدث لك الأيامُ سُقماً يحول جريضه (٢) دون القريض (٣)
يكن طول التأوّه منك عندي بمنزلة الطّنين من البعوض
[الوافر]

أخبرني محمد بن أبي الأزهر عن حمّاد عن أبيه قال: قدم مطيع بن إياس من
سفر فقدم بالرغائب، فاجتمع هو وحمّاد عجرد بصديقه طّبية الوادي، وكان عجرد
على الخروج مع محمد بن أبي العباس إلى البصرة، وكان مطيع قد أعطى صاحبته من
طرائف ما أفاد، فلما جلسوا يشربون غنَّت طّبية الوادي فقالت:

أظنّ خليلي غدوةً سيسير وربّي على أن لا يسير قدير
[الطويل]

فما فرغت من الصوت حتى غنَّت صاحبة مطيع:

ما أبالي إذا النوى (٤) قربتهم ودنونا من حلّ منهم وساروا
[الخفيف]

فجعل مطيع يضحك وحمّاد يشتمها.

(١) سدّ: تحيّر.

(٢) جريض ريقه: ابتلعه رغماً عنه لحزنه.

(٣) القريض: الشعر.

(٤) النوى: البعد.

نسبة هذا الصوت

صوت

أظنّ خليلي غدوةً سيسير وربّي على أن لا يسير قدير
عجبت لمن أمسى محبباً ولم يكن له كفنٌ في بيته وسرير
[الطويل]

غنى في هذين البيتين إبراهيم الموصليّ، ولحنه ثقیلاً أوّل بالسبابة في مجرى
البنصر، وفيهما لحنٌ يمانٍ قديمٌ خفيفٌ رملٍ بالوسطى.

حدثني الحسن قال: حدثني ابن مهرويه قال: حدثني إبراهيم بن المدبر عن
محمد بن عمر الجرجاني قال:

كان لمطيع بن إلياس صديقٌ يقال له: عمر بن سعيد، فعاتبه في أمر قينةٍ يقال لها
«مكنونة» كان مطيعٌ يهواها حتى اشتهر بها، وقال له: إنّ قومك يشكونك ويقولون:
إنّك تفضحهم بشهرتك نفسك بهذه المرأة، وقد لحقهم العيب والعار من أجلها! فأنشأ
مطيع يقول:

قد لآمني في حبيبتي عُمرُ واللوّم في غير كُنْهه^(١) ضجرُ
قال: أفقّ، قلتُ: لا، قال: بلى
قلتُ: قد شاع ما اعتذاري ممّا قد شاع في الناس عنكما الخبرُ
عجزُ لعمرى وليس ينفعني ليس لي فيه عندهم عُذْرُ
وارجع إليهم وقل لهم: قد أبى فكفّ عني العتاب يا عمرُ
أعشّق وحدي فيؤخذون به وقال لي: لا أفقّ فانتحروا^(٢)
كالترك تغزو فيقتل الخزر^(٣)

[المنسرح]

أخبرني الحسن قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثني ابن أبي أحمد عن أبي العبر
الهاشمي قال: حدثني أبي أنّ مطيع بن إلياس مرّ ببيحيى بن زياد، وحمّاد الراوية وهما
يتحدّثان، فقال لهما: فيم أنتما؟ قالاً: في قذف المحصنات. قال: أو في الأرض
محصنة فتقذفانها؟!

(١) الكنه: حقيقة شيء ما.

(٢) انتحروا: تراحموا وتدافعوا حتى كادوا يقتتلون لشدة حرصهم.

(٣) الخزر: اسم لشعب يمتاز أفراداه بضيق عيونهم وصغرها.

حدثني عيسى بن الحسين الرّاق قال: حدثني عمر بن محمد بن عبد الملك الزيات. وحدثني الحسن بن علي بن ابن مهرويه عن عمر بن محمد بن عبد الملك الزيات، قال: حدثني محمد بن هارون قال:

أخبرني الفضل بن إياس الهذلي الكوفي أنّ المنصور كان يريد البيعة للمهدي، وكان ابنه جعفر يعترض عليه في ذلك، فأمر بإحضار الناس فحضرُوا، وقامت الخطباء فتكلّموا، وقالت الشعراء فأكثرُوا في وصف المهدي وفضائله، وفيهم مطيع بن إياس، فلما فرغ من كلامه في الخطباء وإنشاده في الشعراء قال للمنصور: يا أمير المؤمنين، حدثنا فلان عن فلان أن النبي ﷺ قال: «المهديّ منا محمد بن عبد الله وأمه من غيرنا، يملأها عدلاً كما ملئت جوراً» وهذا العباس بن محمد أخوك يشهد على ذلك. ثم أقبل على العباس، فقال له: أنشدك الله هل سمعت هذا؟ فقال: نعم. مخافة من المنصور. فأمر المنصور الناس بالبيعة للمهدي.

قال: ولما انقضى المجلس، وكان العباس بن محمد لم يأنس به، قال: رأيتم هذا الزنديق إذ كذب على الله عزّ وجلّ ورسوله ﷺ حتى استشهدني على كذبه، فشهدت له خوفاً، وشهد كل من حضر عليّ بأنّي كاذب؟! وبلغ الخبر جعفر بن أبي جعفر، وكان مطيع منقطعاً إليه يخدمه، فخافه، وطرده عن خدمته. قال: وكان جعفر ماجناً، فلما بلغه قول مطيع هذا غاظه، وشقّت عليه البيعة لمحمد. فأخرج أيره ثم قال: إن كان أخي محمد هو المهدي فهذا القائم من آل محمد.

أخبرني عيسى بن الحسين قال: حدثنا أحمد بن الحارث عن المدائني قال: كان مطيع بن إياس يخدم جعفر بن أبي جعفر المنصور ويناديه، فكره أبو جعفر ذلك، لما شهّر به مطيع في الناس وخشي أن يفسده، فدعا بمطيع وقال له: عزمت على أن تفسد ابني عليّ وتعلّمه زندقته؟ فقال: أعيدك بالله يا أمير المؤمنين من أن تظنّ بي هذا، والله ما يسمع مني إلا ما إذا وعاه جمّله وزينه ونبله! فقال: ما أرى ذلك ولا يسمع منك إلا ما يضرّه ويغرّه. فلما رأى مطيع إلحاحه في أمره قال له: أتؤمنني يا أمير المؤمنين عن غضبك حتى أصدّقك؟ قال: أنت آمن. قال: وأيّ مُستصلح فيه؟ وأيّ نهاية لم يبلغها الفساد والضلال؟ قال: ويلك، بأيّ شيء؟ قال: يزعم أنّه ليعشق امرأة من الجنّ وهو مجتهد في خطبتها، وجمع أصحاب العزائم عليها، وهم يُغرونه ويعدونه بها ويمثّونه، فوالله ما فيه فضل لغير ذلك من جدّ ولا هزل ولا كفر ولا إيمان. فقال له المنصور؛ ويلك، أتدري ما تقول؟ قال: الحقّ والله

أقول، فسل عن ذلك، فقال له: عُدْ إلى صحبته واجتهد أن تزيله عن هذا الأمر، ولا تُعلمه أنّي علمت بذلك حتى أجتهد في إزالته عنه.

أخبرني عمي قال: حدثني الكُراني عن ابن عائشة قال:

كان مطيع بن إلياس منقطعاً إلى جعفر بن أبي جعفر المنصور، فدخل أبوه المنصور عليه يوماً، فقال لمطيع: قد أفسدت ابني يا مطيع. فقال له مطيع: إنّما نحن رعيّتك فإذا أمرتنا بشيء فعلنا.

قال: وخرج جعفر من دار حرمه فقال لأبيه: ما حملك على أن دخلت داري بغير إذن؟ فقال له أبو جعفر: لعن الله من أشبهك، ولعنك! فقال: والله لأنّا أشبه بك منك بأبيك - قال: وكان خليعاً - فقال: أريد أن أتزوج امرأة من الجن! فأصابه لمم، فكان يُصرع بين يدي أبيه والربيع واقف، فيقول له: يا ربيع، هذه قدرة الله.

وقال المدائني في خبره الذي ذكرته عن عيسى بن الحسين عن أحمد بن الحارث عنه: فأصاب جعفرًا من كثرة ولعه^(١) بالمرأة التي ذكر أنه يتعشّقها من الجنّ صرّع، فكان يُصرع في اليوم مرّاتٍ حتى مات، فحزن عليه المنصور، حُزنًا شديدًا، ومشى في جنازته، فلما دُفن وسوي عليه قبره قال للربيع: أنشدني قول مطيع بن إلياس في مريثة يحيى بن زياد. فأنشده:

يا أهلي ابكوا قلبي القرح وللدُموع الذّوارف^(٢) السّفح
راخوا بيحيى ولو تطاوعني الأقدار لم يبتكر^(٣) ولم يرح^(٤)
يا خير من يُحسن البكاء له اليوم ومَن كان أمس للمدح
[المنسرح]

قال: فبكى المنصور، وقال: صاحب هذا القبر أحقُّ بهذا الشعر.

شعره في جارية خرجت من قصر الرّصافة:

أخبرني به عمي أيضاً عن الخزاز عن المدائني، فذكر مثله.

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدثني يعقوب بن إسرائيل قال: حدثني المغيرة بن هشام الرّبيعي قال: سمعت ابن عائشة يقول:

مرّ مطيع بن إلياس بالرّصافة، فنظر إلى جارية قد خرجت من قصر الرّصافة كأنّها

(١) ولع بالمرأة: عشقها عشقاً عظيماً.

(٢) الدموع الذّوارف: الدامعة بغزارة.

(٣) يبتكر: يخرج باكراً.

(٤) يرح: يرجع مع المساء.

الشمسُ حُسناً، وحواليها وصائف يرفعن أذيالها، فوقف ينظر إليها إلى أن غابت عنه،
ثم التفت إلى رجلٍ كان معه وهو يقول:

لَمَّا خَرَجْنَ مِنَ الرِّصَا فة كالتماثيل الحسانِ
يَحْفُفْنَ أَحْوَرَ كَالْغَزَا لِيَمِيسُ فِي جُدُلِ الْعِنَانِ^(١)
قَطَّعْنَ قَلْبِي حَسْرَةً وَتَقَسُّمًا بَيْنَ الْأَمَانِي
وَيَلِي عَلَى تِلْكَ الشِّمَا ثُلُ وَاللَطِيفَ مِنَ الْمَعَانِي
يَا طَوْلَ حَرِّ صَبَابَتِي بَيْنَ الْغَوَانِي وَالْقِيَانِ

[مجزوء الكامل]

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا ابن مهبويه قال: حدثني عبد الله بن أبي
سعيد، عن ابن توبة صالح بن محمد، قال: حدثني بعض ولد منصور بن زياد عن
أبيه قال: قال محمد بن الفضل بن السكوني:

رحل مطيع بن إلياس إلى هشام بن عمرو وهو بالسند مستميحاً له، فلما رآته بنته
قد صحح العزم على الرحيل بكت، فقال لها:

أَسْكْتِي قَدْ حَزَزْتَ بِالدَّمْعِ قَلْبِي طَالَمَا حَزَّ دَمْعُكَ الْقُلُوبَا
وَدَعَيْتِي أَنْ تَقْطُعِي الْآنَ قَلْبِي وَتُرِينِي فِي رِحْلَتِي تَعْذِيبَا
فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يُدَافِعَ عَنِّي رَيْبَ مَا تَحْذَرِينَ حَتَّى أُؤْوِبَا
لَيْسَ شَيْءٌ يَشَاوُهُ ذُو الْمَعَالِي بَعِيزٌ عَلَيْهِ فَادَعِي الْمَجِيبَا
أَنَا فِي قَبْضَةِ الْإِلَهِ إِذَا مَا كُنْتُ بَعْدَ أَوْ كُنْتُ مِنْكَ قَرِيبَا

[الخفيف]

ووجدت هذه الأبيات في شعر مطيع بغير رواية، فكان أولها:

ولقد قلت لابنتي، وهي تكوي بانسكاب الدموع قلباً كئيباً

[الخفيف]

وبعده بقية الأبيات:

شعره في قينة أوماً إليها بقبلة فصدته:

أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال: حدثنا محمد بن القاسم بن

(١) جُدُلُ العنان، الجُدُل، الواحد جدِيل: أي محكم الجدَل، والعِنَان: سير اللجام، والمقصود بذلك أن تلك المرأة تمتاز بدقة الخصر.

مهرويه قال: حدثني عليُّ بن محمدٍ النوفلي، عن صالح الأَصمِّ قال: كان مطيع بن إلياس مع إخوانٍ له على نبذٍ، وعندهم قينةٌ تغنيهم، فأوماً إليها مُطِيعٌ بقبلة، فقالت له: تُراب! فقال مطيع:

صوت

إِنَّ قَلْبِي قَدْ تَصَابَى بَعْدَ مَا كَانَ أَنْابَا
وَرَمَاهُ الْحَبُّ مِنْهُ بِسَهَامٍ فَأَصَابَا
قَدْ دَهَاهُ شَادِنٌ^(١) يَلُـ بَسَّ فِي الْجِيدِ سَخَابَا^(٢)
فَهُوَ بَدْرٌ فِي نِقَابٍ فَإِذَا أَلْقَى النِّقَابَا
قَلْتُ شَمْسٌ يَوْمَ دَجَنٍ حَسَرْتُ^(٣) عَنْهَا السَّحَابَا
لِيَتَنِي مِنْهُ عَلَى كِشٍ حَينَ^(٤) قَدْ لَانَا وَطَابَا
أَحْضَرُ النَّاسَ بِمَا أَكـ رَهَهُ مِنْهُ جَوَابَا
فَإِذَا قَلْتُ: أَنْلَنِي قَبْلَةً. قَالَ: تُرَابَا
[مجزوء الرمل]

لحكم الوادي في هذه الأبيات هزجٌ بالبنصر، من رواية الهشامي.

أخبرنا أبو الحسن الأسدي قال: ذكر موسى بن صالح بن سنج بن عميرة أن مطيع بن إلياس كان أحضر الناس جواباً ونادرة، وأنه ذات يوم كان جالساً يعدد بطون قريش ويذكر مآثرها ومفاخرها، فقليل له فأين بنو كنانة؟ قال:

بِفِلَسْطِينَ يُسْرِعُونَ الرُّكُوبَا

أراد قول عبيد الله بن قيس الرُّقيات:

حَلَقٌ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ حَوْلِي بِفِلَسْطِينَ يُسْرِعُونَ الرُّكُوبَا
أخبرني عمي قال: حدثنا الكراني عن العمري عن العتبي قال:

فضيحته لأبي دهمان:

كان أبو دهمان صديقاً لمطيع، وكان يُظهر للناس تألهاً^(٥) ومروءةً وسمتاً

(١) الشادن من الغزلان: الظبي الصغير الذي نبت قرنائه.

(٢) السخاب: القِلادة من القرنفل.

(٣) حسرت: كشفت.

(٤) الكشع: الخصر.

(٥) التألّه: التنسك والتعبّد.

وحسناً، وكان ربّما دعا مُطيعاً ليلةً من الليالي أن يصير إليه، ثم قطعه عنه شُغل، فاشتغل، وجاء مطيعٌ فلم يجده، فلما كان من الغدِ جلس مطيعٌ مع أصحابه، فأنشدهم فيه:

وَيْلِي مَمْنِ جَفَانِي وَطَيْفِهِ يَلْقَانِي
أَغْرُ كَالْبَدْرِ يَعْشَى^(١) جَارِيٍّ لَا تَعْدِلَانِ
فَرَبِّ يَوْمٍ قَصِيرٍ بِالرَّاحِ فِيهِ يُحْيَا
وَعِنْدَنَا قَيْنَتَانِ عُودَاهُمَا غَرْدَانِ
وَعِنْدَنَا صَاحِبَانِ فَكُنْتُ أَوَّلَ حَامٍ
فِي فِتْيَةٍ غَيْرِ مِيلٍ مِنْ كُلِّ خَوْفٍ مَخِيفٍ
حَمَّالِ كُلِّ عَظِيمٍ وَإِنْ أَلَسَّحَ زَمَانٌ
فَزَالِ ذَاكَ جَمِيعاً مَنْ عَاذَرِي^(٢) مِنْ خَلِيلٍ^(٣)
مُدَاهِنٍ^(٤) مَتَوَانٍ مَتَى يَعْدُكَ لِقَاءُ

وَحُبُّهُ قَدْ بَرَانِي وَشَخْصُهُ غَيْرُ دَانٍ
بِحَسَنِهِ الْعَيْنَانِ فِي حُبِّهِ وَدَعَانِي
فِي جَوْسُقٍ^(٥) وَجِنَانٍ وَالْقَصْفِ^(٦) وَالرَّيْحَانِ^(٧)
وَجَهَاهُمَا حَسَنَانِ كَأَنَّمَا يَنْطَقَانِ
لِلدَّهْرِ لَا يَخْضَعَانِ وَأَوَّلَ السَّعَرَانِ^(٨)
عِنْدَ اخْتِلَافِ الطَّعَانِ فِي السَّسْرِ وَالْإِعْلَانِ
تَضَيِّقُ عَنْهُ الْيَدَانِ لَمْ يَسْتَكَنْ لِلزَّمَانِ
وَكُلُّ شَيْءٍ فَنَانٍ مُوَافِقٍ مِلْدَانٍ^(٩)
يَكُنِّي أَبَادَهُمَانِ فَالْنَّجْمِ وَالْفَرْقِدَانِ^(١٠)

(١) يعشى البصر: يسوء فلا يقدر على الإبصار. (٢) الجوسق: القصر، فارسي معرّب.

(٣) القصف: اللهو المصحوب بالضجيج. (٤) الريحان: النصير.

(٥) السرعان: المسارعون السابقون. (٦) العاذر: النصير.

(٧) الخليل: الصاحب، الصديق. (٨) الملدان: الرقيق ليونة ونعومة.

(٩) المداهن: المنافق.

(١٠) الفرقدان: هما نجمان، الواحد فرقد، وهو نجم قريب من القطب الشمالي يُهتدى به وبجانبه آخر أخفى منه.

وليس يُعْتَمُّ^(١) إِلَّا سَكَرَانَ مَعَ سَكَرَانٍ
يَسْقِيهِ كُلُّ غَلَامٍ كَأَنَّهُ غُصْنٌ بَانٍ
مِنْ خَنْدَرِيْسٍ^(٢) عُقَارٍ^(٣) كَحَمْرَةِ الْأَرْجَوَانِ^(٤)

[المجث]

قال: فلقية بعد ذلك أَبُو دِهْمَان، فقال: عليك لعنة الله فضحتني، وهتفت بي، وأذعت سرّي، لا أكلّمك أبداً، ولا أعاشرُك ما بقيت، فما تفرق بين صديقك وعدوك.

أخبرني أحمد بن عيسى بن أبي موسى العجليّ العطار بالكوفة، قال: حدثني عليّ بن عمرو عن عمه عليّ بن القاسم قال:

كنت آلفُ مطيع بن إلياس، وكان جاري، وعنّفتني في عشرته جماعة، وقالوا لي: إنه زنديق. فأخبرته بذلك، فقال: وهل سمعت منّي أو رأيت شيئاً يدلّ على ذلك؟ أو هل وجدتني أخلّ بالفرائض في صلاة أو صوم؟ فقلت له: والله ما اتهمتُك ولكنتي خبرتك بما قالوا. واستحييت منه. فعجل على السكر ذات يوم في منزله، فنمت عنده ومُطِرْنَا^(٥) في جوف الليل وهو معي، فصاح بي مرتين أو ثلاثاً، فعلمت أنّه يريد أن يصطبَح^(٦)، فكسلت أن أجيبه، فلما تيقن أنّي نائم جعل يردّد على نفسه بيتاً قاله، وهو قوله:

أصبحت جَمَّ^(٧) بلابل الصدر^(٨) عصراً أكَاتمه إلى عصرٍ
[الكامل]

فقلت في نفسي: هذا يعمل شعراً في فنّ من الفنون. فأضاف إليه بيتاً ثانياً، وهو قوله:

إِنْ بُحْتُ^(٩) طُلَّ دمي^(١٠) وَإِنْ تُرَكْتُ وَقَدْتُ عَلَيَّ تَوْقَدَ الْجَمْرِ
[الكامل]

(١) يعتَمُّ: يدخل في العتمة، وهي ثلث الليل الأول.

(٢) الخندريس: من أسماء الخمرة، وبالذات المعتقة.

(٣) العقار: من أسماء الخمرة التي تذهب الوعي.

(٤) الأرجوان: اللون الأحمر. (٥) مطرنا: فاجأنا المطر.

(٦) يصطبَح: يشرب الخمرة مع الصباح الباكر. (٧) جَمَّ: كثير.

(٨) بلابل الصدر: وساوسه وهمومه. (٩) باح: كشف سرّاً.

(١٠) طُلَّ دمي: أبيح إهداره.

فقلت في نفسي: ظفرت بمطيع. فتنحنحت، فقال لي: أما ترى هذا المطر وطيبه؟ اقعد بنا حتى نشرب أقداحاً. فاغتنمت ذلك، فلما شربنا أقداحاً، قلت له: زعمت أنك زنديق. قال: وما الذي صحح عندك أنني زنديق؟ قلت: قولك: «إن بُحت طلّ دمي»، وأنشدته البيتين، فقال لي: كيف حفظت البيتين ولم تحفظ الثالث؟ فقلت: واللّه ما سمعت منك ثالثاً. فقال: بلى قد قلت ثالثاً. قلت: فما هو؟ قال:

مَمَّا جَنَاهُ عَلَى أَبِي حَسَنِ عُمَرُ وَصَاحِبِهِ أَبُو بَكْرٍ
[الكامل]

وحدثني الحسن بن علي قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدثني إبراهيم بن المدبر قال: حدثني محمد بن عمر الجرجاني قال:

جاء مطيع بن إياس إلى إخوان له وكانوا على شراب، فدخل الغلام يستأذن له، فلما سمع صاحب البيت بذكره خرج مبادراً، فسمعه يقول:

أَمْسَيْتُ جَمَّ بِلَابِلِ الصَّدْرِ دَهْرًا أَزْجِيهِ^(١) إِلَى دَهْرٍ
إِنْ فُهِتُ^(٢) طُلَّ دَمِي وَإِنْ كُتِمْتُ وَقَدَّتْ عَلَيَّ تَوَقُّدُ الْجَمْرِ
[الكامل]

فلما أحس مطيع بأن صاحب البيت قد فتح له استدرك البيتين بثالث فقال:

مَمَّا جَنَاهُ عَلَى أَبِي حَسَنِ عُمَرُ وَصَاحِبِهِ أَبُو بَكْرٍ
[الكامل]

وكان صاحب البيت يتشيع، فأكبّ على رأسه يُقبّله ويقول: جَزَاكَ اللَّهُ يَا أَبَا مُسْلِمٍ خَيْرًا!

وذكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل الكاتب:

أنّ الرشيد أُنِّيَ بنت مطيع بن إياس في الزنادقة، فقرأت كتابهم واعترفت به، وقالت: هذا دين علمنيه أبي وثبّت منه. فقبل توبتها وردّها إلى أهلها.

قال أحمد: ولها نسلٌ بجبلٍ في قريةٍ يقال لها: «الفراشيّة» قد رأيتهم، ولا عقب لمطيع إلا منهم.

أخبرني عمي قال: حدثنا الكراني عن ابن عائشة قال: كان مطيع بن إياس نازلاً

(١) أزجيه: أسوقه.

(٢) فهت: نطقت.

بكرخ بغداد، وكان بها رجلٌ يقال له: الفهمي، مُغْنِنٌ مُحَسِّنٌ، فدعاه مطيعٌ ودعا بجماعةٍ من إخوانه، وكتب إلى يحيى بن زياد يدعو بهذه الأبيات. قال:

عندنا الفهميُّ مسرُّو	رُوزَمَّارٌ مُجِيدٌ
وَمُعَادٌ وَعِيَادٌ	وَعُمَيْرٌ وَسَعِيدٌ
وَنَدَامَى يُعْمِلُونَ الـ	قَلَزَ وَالْقَلَزُ شَدِيدٌ
بعضهم رِيحَانٌ بعضٍ	فَهُمْ مِسْكٌ وَعُودٌ

[مجزوء الرمل]

قال: فأتاه يحيى، فأقام عنده وشرب معهم، وبلغت الأبيات المهدية، فضحك منها، وقال: تنايك القوم ورب الكعبة.

قال الكراني: القَلَزُ: المبادلة.

وجدت هذا الخبر بخط ابن مهرويه، عن إبراهيم بن المدبر عن محمد بن عمر الجرجاني. فذكر أنَّ مطيعاً اصطبح يوم عرفة وشرب يومه وليلته، واصطبح يوم الأضحى، وكتب إلى يحيى من الليل بهذه الأبيات:

قد شربنا ليلة الأضحى	ى وساقينا يزيدي
عندنا الفهميُّ مسرُّو	رُوزَمَّارٌ مُجِيدٌ
وسليمان فتاننا	فهو يُبدي ويُعيد
وَمُعَادٌ وَعِيَادٌ	وَعُمَيْرٌ وَسَعِيدٌ
وندامى كلُّهم يَقـ	لِزَ وَالْقَلَزُ شَدِيدٌ
بعضهم رِيحَانٌ بعضٍ	فَهُمْ مِسْكٌ وَعُودٌ
غابت الأنحس عنهم	وتلقَّتْهم سُعودٌ
فترى القوم جلوساً	والخنا عنهم بعيد
ومطيعُ بن إلياس	فهو بالقَصْفِ وليد
وعلى كرّ الجديد	ن ^(١) وما حلَّ جليد

[مجزوء الرمل]

ووجدت في كتاب بعقب هذا: وذكر محمد بن عمر الجرجاني أنَّ عوف بن زياد كتب يوماً إلى مطيع: «أنا اليوم نشيطٌ للشرب، فإن كنت فارغاً فسر إليّ، وإن

(١) الجديدان: الليل والنهار.

كان عندك نبِيذ طيِّب، وغناءً جيِّد جِتَّتكَ». فجاءته رقعة^(١) وعنده حمَّاد الراوية وحكم الوادي، وقد دَعَوْا غلاماً أمرد، فكتب إليه مطيع:

نعم لَنَا نبيذٌ وعندنا حمَّادٌ
وخيرُنا كَثِيرٌ والخيرُ مُستزادٌ
وكلُّنا من طربٍ يطير أو يكادُ
وعندنا واديُّنا وهو لنا عمادُ
ولهُوُننا لذيذٌ لم يَلهُهُ العبادُ
إن تشتهه فسَاداً فعندنا فسادُ
أو تشتهه غلاماً فعندنا زيادُ
ما إن به التواءُ عنَّا ولا بعادُ

[مجزوء الرجز]

قال: فلما قرأ الرقعة صار إليهم، فأتم به يومه معهم.

مدح مطيع للغمر بن يزيد:

أخبرنا محمد بن خلف بن المرزبان قال: حدثني أبو بكر العامري عن عنبسة القرشي الكريزي عن أبيه قال:

مدح مطيع بن إياس الغمر بن يزيد بقصيدته التي يقول فيها:

لا تَلَحْ^(٢) قلبك في شقائِهِ ودع المتيم في بلائِهِ^(٣)
كفكف دموعك^(٤) أن يَفِضَ من بناظر غرق بمائِهِ
ودع النسيبَ وذكره فبحسب مثلك من عنائِهِ
كم لذة قد نلتها ونعيم عيش في بهائِهِ
بنواعم شبه الدمي^(٥) والليل في ثني عمائِهِ^(٦)
واذكر فتى بيمينه حتف الزمان لدى التوائِهِ
وإذا أُمِّيَّةٌ حُصِّلَتْ كان المهذب في انتمائِهِ

(١) رقعة: أي كتابه أو رسالته والأصل القطعة من الورق وغيره يُكتب عليها.

(٢) لا تلح: لا تلم.

(٣) بلاؤه: همومه ومصائبه.

(٤) كفكف دموعك: امسحها مرة بعد مرة.

(٥) الدمي، الواحدة دمية: الصور المزينة فيها حمرة كالدَّم، الصنم.

(٦) ثني عمائه: شدة ظلمته.

وَإِذَا الْأُمُورُ تَفَاقَمَتْ^(١) عِظْماً فَمَصْدَرُهَا بَرَاءَةٌ^(٢)
وَإِذَا أَرَدْتَ مَدِيدَ حِجْهِ لَمْ يُكْدِ^(٣) قَوْلِكَ فِي بِنَائِهِ
فِي وَجْهِهِ عَلِمَ الْهَدَى وَالْمَجْدُ فِي عِطْفِي رَدَائِهِ
وَكَأَنَّمَا الْبَدْرُ الْمُنِي رُمُشَبَّهُ بِهِ فِي ضِيَائِهِ
[مجزوء الكامل]

فأمر له بعشرة آلاف درهم، فكانت أول قصيدة أخذ بها جائزة سنية، وحركته ورفعت من ذكره، ثم وصله بأخيه الوليد فكان من ندمائه.

استعطافه ليحيى بن زياد:

أنشدني محمد بن العباس اليزيدي عن عمه، لمطيع بن إبّاس يستعطف يحيى بن زياد في هجرة^(٤) كانت بينهما وتباعد:

يَا سَمِيَّ النَّبِيِّ الَّذِي خَصَّ بِهِ اللَّهُ عَبْدَهُ زَكْرِيَا
فَدَعَاهُ إِلَهُ يَحْيَى وَلَمْ يَجِدْ عِلَّ لَهُ اللَّهُ قَبْلَ ذَاكَ سَمِيَّا
كُنْ بَصْبٌ أَمْسَى بِحَبْكَ بَرًّا إِنَّ يَحْيَى قَدْ كَانَ بَرًّا تَقِيَّا
[الخفيف]

رثاؤه له:

وأنشدني له يرثي يحيى بعد وفاته:

قَدْ مَضَى يَحْيَى وَغُودِرْتُ فَرْدًا نُسِبَ^(٥) مَا سَرَّ عَيُونَ الْأَعَادِي
وَأَرَى عَيْنِي مُذْ غَابَ يَحْيَى بُدِّلَتْ مِنْ نَوْمِهَا بِالسُّهَادِ
وَسَدَّتْهُ الْكَفُّ مَنِّي تَرَابًا وَلَقَدْ أَرِثِي لَهُ مِنْ وَسَادِ
بَيْنَ جِيرَانٍ أَقَامُوا صَمُوتًا لَا يُحِيرُونَ جَوَابَ الْمَنَادِي
أَيُّهَا الْمَزْنُ الَّذِي جَادَ حَتَّى أَعَشَبَتْ مِنْهُ مَتُونُ الْبَوَادِي
إِسْقِ قَبْرًا فِيهِ يَحْيَى فَلِئَنِّي لَكَ بِالشُّكْرِ مُوَافٍ^(٦) مُغَادٍ^(٧)
[المديد]

(١) تفاقمت: اجتمعت وتكاثرت.

(٢) لم يكْد: لم يفشل ولم يخب.

(٣) النُصب: ما يبدو للعيان من عورات ونقائص.

(٤) موافٍ: معطٍ الحق كاملاً لأصحابه.

(٥) المغادي: المبكر في سعيه.

(٦) برائه، أي برأيه الصائب.

(٧) الهجرة: الجفاء.

شعره في جوهر حين بيعت :

نسخت من نسخة بخط هارون بن محمد بن عبد الملك قال :

لما بيعت جوهر التي كان مطيع بن إلياس يشبب بها قال فيها - وفيه غناء من خفيف الرمل أظنه لحكم - :

صاح غراب البين^(١) بالبين
قد صار لي خدنان^(٢) من بعدهم
أفدي التي لم ألق من بعدها
أصبحت أشكو فرقة البين
فكدت أنقذ بنصفين
هم وغم شر خدنين
أنساً وكانت فرة العين
لمأرات فرقته عيني
[السريع]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال : حدثنا العباس بن ميمون بن طائع قال : حدثني بن خرداذبة قال : خرج مطيع بن إلياس ، ويحيى بن زياد حاجين ، فقدمّا أثقالهما وقال أحدهما للآخر : هل لك في أن نمضي إلى زارة فنقص ليلتنا عنده ، ثم نلحق أثقالنا؟ فما زال ذلك دأبهم حتى انصرف الناس من مكة . قال : فركبا بعيريهما وحلقا رؤوسهما ودخلا مع الحجاج المنصرين . وقال مطيع في ذلك :

ألم ترني ويحيى قد حَجَجنا؟
خرجنا طالبي خير وبر
فعاذ الناس قد غنموا وحجُّوا
وكان الحج من خير التجارة
فمال بنا الطريق إلى زارة
وأبنا موقرين من الخسارة
[الوافر]

وقد روي هذا الخبر لبشار وغيره .

أخبرني الحسن بن علي قال : حدثنا الفضل بن محمد اليزيدي عن إبراهيم الموصلي عن محمد بن الفضل قال :

شعره في ريم :

خرج جماعة من الشعراء في أيام المنصور عن بغداد في طلب المعاش ، فخرج يحيى بن زياد إلى محمد بن العباس وكنت في صحابته ، فمضى إلى البصرة ، وخرج حماد عجرد إليها معه ، وعاد حماد الراوية إلى الكوفة ، وأقام مطيع بن إلياس ببغداد ،

(١) البين : الفراق ، البعد .

(٢) الخدنان ، الواحد خدن : الصاحب والحيب .

وكان يهوى جاريةً يقال لها: «ريم» لبعض النخاسين وقال فيها:

لولا مكأئك في مدينتهم لظعنْتُ^(١) في صحبي الألى ظعنوا
أوطنتُ^(٢) بغداداً بحبكم وبغيرها لولاكم الوطنُ
[الكامل]

قال: وقال مطيعٌ في صبح^(٣) اصطبحه معها:

ويوم ببغدادَ نَعْمنا صباحه على وجه حوراء^(٤) المدامع تُطربُ
ببيت ترى فيه الزجاج كأنه نجومُ الدّجى بين الندامى تقلّبُ
يُصَرِّف ساقينا ويقطب تارةً فيا طيبها مقطوبةً^(٥) حين يقطبُ
علينا سحيق الزعفران وفوقنا أكاليل فيها الياسمين المُذهبُ
فما زلتُ أسقى بين صنَجٍ ومِزْهِرٍ^(٦) من الرّاح حتى كادت الشمس تغربُ
[الطويل]

وفيهما يقول:

أمسى مطيعٌ كلِّفا صبّاً^(٧) حزيناً دَئِفا^(٨)
حُرٌّ لمن يعشقه برّقه معترفاً
ياريمُ فاشفي كبداً حرّى^(٩) وقلبا شَغِفا^(١٠)
ونوليني قبله واحدةً ثم كفى
[مجزوء الرجز]

قال وفيها يقول:

ياريمُ قد أتلفتِ روحي فما منها معي إلا القليلُ الحقيزُ
فأذنبني إن كنتِ لم تذنبني في ذنوباً إن ربّي غفورُ
ماذا على أهلكِ لو جُدتِ لي وزرتي ياريمُ فيمن يزورُ
هل لك في أجرٍ تجازي به في عاشقٍ يرضيه منك اليسيرُ

(١) ظعن: رحل. (٢) أوطنت: سكنت.

(٣) الصبح: شرب الخمرة مع الصباح الباكر.

(٤) حوراء المدامع: ذات عينين واسعتين شديدي السواد والبياض.

(٥) مقطوبة: ممزوجة.

(٦) الصنَج والمزهر: من أدوات الموسيقى.

(٧) الكلف الصبّ: المتيمّ العاشق.

(٨) الدنف: المضنى لشدة حبه.

(٩) الحرّى: العطشى.

(١٠) الشَغِف المتيمّ العاشق.

وهو وإن قلَّ لديه الكثيرُ
ما غاب عنه في الحياة السَّروُرُ
[السريع]

إن لم تجودي فعدي
فك وعدي كعدي
وما بها من رمد
أبليت مني جسدي
أخذت حتفي بيدي
[مجزوء الرجز]

يقبل ما جدت به طائعا
لعمري من أنت له صاحب
قال وفيها يقول :

يا ريمُ يا قاتلتي
بيّضت بالمطل وإخلا
حالف عيني سُهدي^(١)
يا ليتني في الأحـد
لمن به من شقوتي

من شعره في جوهر :

أنشدني علي بن سليمان الأخفش قال : أنشدني محمد بن الحسن بن الحرون
عن ابن النطّاح لمطيع بن إياس ، يقوله في جوهر جارية بربر :

فإنّه أحسن ما أبصرُ
يُشبهه البدرُ إذا يزهر^(٢)
والحليّ فيه الدرّ والجوهر
والطّيب فيه المسك والعنبر
يا حبّذا ما جلبت بربر
صُبّ عليها باردُ أسمر
[السريع]

يا بأبي وجهك من بينهم
يا بأبي وجهك من رائع
جارية أحسن من حليها
وجرّمها^(٣) أطيب من طيبها
جاءت بها بربر مكنونة
كأنما ريققتها قهوة^(٤)

أخبرني الحسين بن القاسم قال : حدثنا ابن أبي الدنيا قال : حدثني منصور بن
بشر العُمركي عن محمد بن الزبرقان قال :

كان مطيع بن إياس كثير العبث ، فوقف على أبي العمير : رجل من أصحاب
المعلّى الخادم ، فجعل يعبث به ويُمازحه إلى أن قال :
ألا أبلغ لديك أبا العمير
أراني اللّه في استك نصف أير
[الوافر]

(١) السهد : السهر ، الأرق .

(٢) يزهر : يشد نوره .

(٣) الجرّم : الجسم .

(٤) القهوة : من أسماء الخمرة .

فقال له أبو العُمَيْر: يا أبا سلمى، لو جدت لأحدٍ بالأير كله لجدت به إلى ما بيننا من الصداقة، ولكنك بحبك لا نريده كله إلا لك. فافحمه، ولم يعاودِ العبث به. قال: وكان مطيع يُرمى بالأبنة^(١):

قال: وسقط لمطيع حائط، فقال له بعض أصدقائه: احمدِ الله على السلامة! قال: احمدِ الله أنت الذي لم ترُعك هذَّته، ولم يُصِبك غبارُه، ولم تَعدَم أجره بناءه. أخبرني إسماعيل بن يونس بن أبي إيسع الشَّيعي قال: حدثنا عمر بن شبة قال:

مدحه جرير بن يزيد:

وفد مطيع بن إلياس إلى جرير بن يزيد بن خالد بن عبد الله القسري وقد مدحه بقصيدته:

أمن آل ليلى عَزَمَتَ البُكُورَا
وقد كنتَ دهرَكَ فيما خلا
ليالي أنتَ بهما معجبٌ
وإذهي حوراءُ شَبَهُ الغَزَا
تقول ابنتي إذ رأتَ حالتي
إلى مَنْ أراك، وقتك الحثُو
فقلتُ: إلى البَجَلِي الذي
أخي العُرف أشبهه عند الندى^(٨)
عشير الندى ليس يرضى الندى
إذا استكثر المجتدون القليد
إذا عَسِرَ الخير في المجتديد
وليس بمانع ذي حاجةٍ

ولم تلقَ ليلى فَتَشْفِي الضميرَا
ليلى وجارات ليلى زؤورا
تهيم^(٢) إليها وتعصي الأميرَا
لِ تُبصر في الطَّرَف منها فتورا^(٣)
وقرَّبْتُ للبين عنساً^(٤) وكورا^(٥)
فَ نفسِي، تجشَّمَتَ^(٦) هذا المسيرَا
يُفُكَّ العنَاة^(٧) ويُغني الفقيرَا
وَحَمَلِ المئيينَ أباهُ جديرا
يد الدَّهر بعد جريرٍ عشيرا
لَ للمعتفينَ^(٩) استقلَّ الكثيرَا
ن كان لديه عتيداً يسيرا
ولا خاذلَ مَنْ أتى مُستجيرا

(٢) تهيم: تتعلق بها شغفاً وحباً.

(٤) العنس من الإبل: القوة الصلبة.

(١) الأبنة: العيب والحدق.

(٣) الفتور: الكسل والضعف.

(٥) الكور: الرجل، وما فيه.

(٦) تجشمت هذا المسير: تكلفه على مشقته، وورغمها.

(٧) العناة، الواحد عانٍ: الأسرى.

(٨) الندى: الكرم.

(٩) المعتفين: طالبي الإحسان والمعونة المادية.

فَنَفْسِي وَقَتَكَ أَبَا خَالِدٍ
إِلَى ابْنِ يَزِيدَ أَبِي خَالِدٍ
لَنَلْقَى فَوَاضِلَ مَنْ كَفُّهُ
فَإِنْ يَكُنَ الشُّكْرُ حُسْنَ الثَّنَا
بَصِيرًا بِمَا يَسْتَلِذُّ الرِّوَا
إِذَا مَا الْكِمَاءُ^(١) أَغَارُوا الثُّمُورَا
أَخِي الْعُرْفِ^(٢) أَعْمَلْتُهَا عَيْسَجُورَا^(٣)
فَصَادَفْتُ مِنْهُ نَوَالًا غَزِيرَا
بِالْعُرْفِ مَنِّي تَجِدُنِي شَكُورَا
هُ مِنْ مُحْكَمِ الشَّعْرِ حَتَّى يَسِيرَا
[المتقارب]

إجازة جرير له سرّاً:

فلما بلغ يزيد خبر قدومه دعا به ليلاً، ولم يعلم أحد بحضوره، ثم قال له: قد عرفت خبرك، وإني متعجل لك جائزتك ساعتك هذه، فإذا حضرت غداً فإنني سأخاطبك مخاطبة فيها جفاء، وأزودك نفقةً طريقك وأصرفك، لئلا يبلغ أبا جعفر خبري فيهلكني. فأمر له بمائتي دينار، فلما أصبح أتاه، فاستأذنه في الإنشاد، فقال له: يا هذا لقد رميت بآمالك غير مرمى، وفي أي شيء أنا حتى ينتجعني^(٤) الشعراء؟ لقد أسأت إليّ لأنني لا أستطيع تبليغك محابك^(٥)، ولا آمن سُخْطَكَ وَذَمَّكَ. فقال له: تسمع ما قلت فإنني أقبل ميسورك، وأبسطُ عذرك. فاستمع منه كالمتمكّل المتكره، فلما فرغ قال للغلام: يا غلام كم مبلغ ما بقي من نفقتنا؟ قال: ثلاثمائة درهم. قال: أعطه مائة درهم لنفقة طريقه، ومائة درهم ينصرف بها إلى أهله، واحتبس لنفقتنا مائة درهم. ففعل الغلام ذلك، وانصرف مطيعاً شاكراً، ولم يعرف أبو جعفر خبره.

أنشدني وكيع عن حماد بن إسحاق عن أمّه، لمطيع بن إياس، وفيه غناء:

وَاهَا لَشَخْصٍ رَجُوتُ نَائِلَهُ
لَأَنْتَ حَوَاشِيَهُ لِي وَأَطْمَعَنِي
حَتَّى انْثَنَى لِي بُوْدُهُ صَلْفَا^(٦)
حَتَّى إِذَا قُلْتُ: نَلْتَهُ أَنْصَرَفَا
[المنسرح]

قال: وأنشدني حماد أيضاً عن أبيه، لمطيع بن إياس، وفيه غناء أيضاً:

خَلِيلِي مَخْلَفٌ أَبَدَا
وَبَعْدُ غَدٍ وَبَعْدُ غَدٍ
يَمْنِيْنِي غَدَاً فَغَدَا
كَذَا لَا يَنْقُضِي أَبَدَا

(١) الكماء، الواحد كمي: البطل المدجج بالسلاح.

(٢) العُرف، بضم العين: المعروف، الإحسان.

(٣) العيسجور من النياق: القوية السريعة.

(٤) ينتجعني: يقصدني.

(٥) محابك: ما تتمناه وتحتبه.

(٦) الصلف: التكبر.

له جمرٌ على كبدي إذا حرَّكَتَه وَقَدْ
وليس بـلـابـثٍ^(١) جمرُ الـ غَضَى أَنْ يُحْرِقَ الكَبِدَا
[مجزوء الوافر]

وفي هذه الأبيات لعريب هزج:

أخبرني أحمد بن العباس العسكري قال: حدثنا العنزي عن مسعود بن بشر قال:
قال الوليد بن يزيد لمطيع بن إلياس: أي الأشياء أطيب عندك؟ قال: «صهباء»^(٢)
صافية، تمزجها غانية، بماءٍ غادية». قال: صدقت.

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال: حدثني أبو عبد الله التميمي قال:
حدثنا أحمد بن عبيد. وأخبرني عمي قال: حدثنا الكراني عن العمري عن العُتبي
قال:

سكر مطيع بن إلياس ليلةً، فعربد على يحيى بن زيادٍ عربدة^(٣) قبيحة، وقال له
وقد حلف بالطلاق:

لا تحلفا بطلاقٍ مَنْ أمسّت حوافرهما رقيقه
مهلاً فقد علم الأنا مٌ بأنّها كانت صديقه
[مجزوء الكامل]

فهجره يحيى، وحلف ألا يكلمه أبداً، فكتب إليه مطيع:

إنّ تصلني فمثلك اليوم يُرجى
ولئن كنت قد هممت بهجري
وأحقّ الرجال أن يغفر الذنـ
الكريم الذي له الحسب الثـ
ولئن كنت لا تصاحب إلّا
لا تجده وإن جهدت، وأننى
عفوهُ الذنب عن أخيه ووصله
للذي قد فعلت إني لأهله
ب لإخوانه الموفّر عقله
قبّ في قومه ومن طاب أصله
صاحباً لا تزلّ ما عاش نعله^(٤)
بالذي لا يكاد يُوجد مثله

(١) اللابث: المتوقف.

(٢) صهباء: من أسماء الخمرة.

(٣) العربدة: سوء تصرف النديم في حالة سكره الشديد.

(٤) ما عاش نعله: طالما كان على قيد الحياة.

إِنَّمَا صَاحِبِي الَّذِي يَغْفِرُ الذَّنْـبَ
الَّذِي يَحْفَظُ الْقَدِيمَ مِنَ الْعَهْدِ
وَرَعَى مَا مَضَى مِنَ الْعَهْدِ مِنْهُ
لَيْسَ مَنْ يُظْهِرُ الْمَوَدَّةَ إِفْكَاً^(٢)
وَصَلَّهِ لِلصَّدِيقِ يَوْمَافٍ إِن طَا
ب وَيَكْفِيهِ مِنْ أَخِيهِ أَقْلُهُ
د وَإِنْ زَلَّ صَاحِبٌ قَلَّ عَذْلُهُ^(١)
حِينَ يُوْذِي مِنَ الْجَهَالَةِ جَهْلُهُ
وَإِذَا قَالَ خَالَفَ الْقَوْلَ فَعَلُّهُ
لَ فِيَوْمَانِ ثُمَّ يَنْبِتُ^(٣) حَبْلُهُ
[الخفيف]

قال: فصالحه يحيى وعاود عشرته.

نزوله بدير كعب وشعره في جليس ثقيل:

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا هارون بن محمد بن عبد الملك قال: حدثني أبو أيوب المديني قال: حدثني أحمد بن إبراهيم الكاتب قال: حدثني أبي عن رجلٍ من أهل الشام قال:

كنت يوماً نازلاً بدير كعب، قد قدمت من سفر، فإذا أنا برجلٍ قد نزل الدَّيرَ معه ثَقُلُ^(٤) وآلَةٌ وَعَيْبَةٌ، فكان قريباً من موضعي، فدعا بطعام فأكل، فدعا الراهب فوهب له دينارين، وإذا بينه وبينه صداقةٌ، فأخرج له شراباً فجلس يشرب ويحدث الراهب، وأنا أراهما، إذ دخل الدير رجل فجلس معهما، فقطع حديثهما وثَقُلَ في مجلسه، وكان غثَّ الحديث، فأطال. فجاءني بعض غلمان الرجل النازل فسألته عنه، فقال: هذا مطيع بن إياس. فلما قام الرجل وخرج كتب مطيعٌ على الحائط شيئاً، وجعل يشرب حتى سكر، فلما كان من غدٍ رحل، فجئت موضعه فإذا فيه مكتوب:

طَرَبَةٌ مَا طَرَبْتُ فِي دِيرِ كَعْبٍ
وَتَذَكَّرْتُ إِخْوَتِي وَنَدَامَا
حِينَ غَابُوا شَتَى وَأَصْبَحْتُ فَرْدَاً
وَهُمْ مَا هُمْ، فَحَسْبِي لَا أَبَـ
طَلْحَةُ الْخَيْرِ مِنْهُمْ وَأَبُو الْمُنـ
أَيُّهَا الدَّاحِلُ الثَّقِيلُ عَلَيْنَا
كَدْتُ أَقْضِي مِنْ طَرَبَتِي فِيهِ نَحْبِي
يَ فَهَاجَ الْبُكَاءِ تَذَكَارَ صَحْبِي
وَنَأَوَّابِينَ شَرَقِ أَرْضٍ وَغَرْبِ
غِي بَدِيلًا بِهِمْ لَعْمُرُكَ حَسْبِي
ذَرِ خَلِّي وَمَالِكَ ذَاكَ تَرْبِي^(٥)
حِينَ طَابَ الْحَدِيثُ لِي وَلِصَحْبِي

(١) عذله: لومه.

(٢) الإفك: الكذب.

(٣) ينبت حبله: ينقطع.

(٤) الثَّقُل، بالتحريك: متاع المسافرين وحشمه.

(٥) الترب، بكسر التاء: هو من ولد في نفس التاريخ، وأكثر ما يستعمل في المؤنث.

خَفَّ عَنَا فَأَنْتَ أَثْقَلُ وَاللَّـهُ
وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَخْفَ وَمِنْهُمْ
عَلَيْنَا مِنْ فَرَسَخِي دِير كَعْبِ
كَرْحَى الْبَزْر زُكْبِتْ فَوْقَ قَلْبِي

[الخفيف]

أخبرنا الحسن بن علي قال: حدثنا ابن مهيويه قال: حدثنا عمر بن محمد
قال: حدثنا الحسين بن إلياس، ويحيى بن زياد، وزاد العمل حتى حلف يحيى بن
زياد على بطلان شيء كلمه به مما دار بينهما، فقال مطيع:

لَا تَحْلِفْ أَبْطَاقَ مَنْ
هِيَ هَاتَ قَدْ عَلِمَ الْأَمِيـ
أَمَسْتُ حَوَافِرُهَا رَقِيقَهُ
رَبَّانَهَا كَانَتْ صَدِيقَهُ

[مجزوء الكامل]

فغضب يحيى وحلف ألا يكلم مطيعاً أبداً، وكانا لا يكادان يفترقان في
فرح ولا حزن، ولا شدة ولا رخاء، فتباعد ما بين يحيى وبينه، وتجاوبا مدة،
فقال مطيع في ذلك، وندم على ما فرط منه إلى يحيى؛ فكتب إليه بهذا الشعر،
قال:

كُنْتُ وَيَحْيَى كَيْدٍ وَاحِدَةٍ
إِنْ عَضَّنِي الدَّهْرُ^(١) فَقَدْ عَضَّهُ
أَوْ نَامَ نَامَتِ أَعْيُنَ أَرْبَعٍ
يَسْرُنِي الدَّهْرُ إِذَا سَرَّهُ
حَتَّى إِذَا مَا الشَّيْبُ فِي مَفْرِقِي
سَعَى وَشَاءَ فَمَشَوْا بَيْنَنَا
فَلَمْ أَلَمْ يَحْيَى عَلَى فِعْلِهِ
لَكِنْ أَعْدَاءُ لَنَا لَمْ يَكُنْ
بَيْنَا كَذَا غَاشٍ عَلَى غِرَّةٍ^(٣)
فَلَمْ يَزَلْ يُوقِدُهَا دَائِباً^(٤)

نَرْمِي جَمِيعاً وَتَرَانَا مَعَا
يُوجِعُنَا مَا بَعْضُنَا أَوْجَعَا
مَنَا وَإِنْ أَسْهَرَ فَلَئِنْ يَهْجَعَا^(٢)
وَإِنْ رَمَاهُ فَلَنَّا فَجَّعَا
لَا حَ وَفِي عَارِضِهِ أَسْرَعَا
وَكَادَ حَبْلُ الْوَدِّ أَنْ يُقْطَعَا
وَلَمْ أَقُلْ: مَلٌّ وَلَا ضِيَّعَا
شَيْطَانُهُمْ يَرَى بِنَا مَطْمَعَا
فَأَوْقَدَ النَّيِّرَانَ مُسْتَجْمَعَا
حَتَّى إِذَا مَا اضْطَرَمْتُ^(٥) أَقْلَعَا^(٦)

[السريع]

أخبرنا الحسين بن يحيى المرداسي، عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن

(١) عضني الدهر: جار علي وضيق عيشي.
(٢) يهجع: ينام.
(٣) غاش على غرة: أغار فجأة.
(٤) دأباً: مستمراً.
(٥) اضطرمت: اشتعلت.
(٦) أقلع: توقف، انتهى.

محمد بن الفضل السكوني . وأخبرنا محمد بن الحسن بن دريد، قال : حدثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي عن عمه . قال إسحاق في خبره : « دخل على إخوان يشربون » ، وقال الأصمعي :

دخل سُراعةُ بن الزندبور على مطيع بن إياس ويحيى بن زياد، وعندهما قينةٌ تغنيهما فسقوه أقداحاً وكان على الريق، فاشتد ذلك عليه، فقال مطيع للقينة : غني سُراعة . فقالت له : أي شيء تختار؟ فقال : غني :

طبيبي داويتما ظاهراً فمَنْ ذا يُداوي جَوَى^(١) باطنا
[المقارب]

ففطن مطيعٌ لمعناه، فقال : أبك أكل؟ قال : نعم . فقدّم إليه طعاماً فأكل ثم شرب معهم . والله أعلم .

أخبرني الحسن بن علي قال : حدثنا ابن مهبويه قال : حدثني محمد بن هارون الأزرقى مولى بني هاشم أخى أبي عشانة قال : حدثني الفضل بن محمد بن الفضل الهاشمي عن أبيه قال :

كان مطيع بن إياس يهوى ابن مولى لنا يقال له محمد بن سالم ، فأخرجت أباه إلى صنعة لي بالري لينظر فيها ، فأخرجه أبوه معه ، ولم أكن عرفت خبر مطيع معه حتى أتاني ، فأشددني لنفسه :

أيا ويحه لا الصَّبْرُ يملك قلبه فيصبرَ لمّا قيل سار محمدُ
فلا الحزن يفنيه ففي الموت راحةً فحتى متى في جهده يتجلّدُ
قد أضحى صريعاً باديّاتِ عظامه سوى أنّ روحاً بينها تتردّدُ
كئيباً يمتني نفسه بلقائه على نأيه ، واللّه بالحزن يشهدُ
يقول لها : صبراً عسى اليوم آئبٌ بلإفك أو جاء بطلعته الغدُ
وكنّت يداً كانت بها الدهر قوّتي فأصبحتُ مُضْنَى^(٢) منذ فارقني يدي
[الطويل]

في أخبار مطيع التي تقدّم ذكرها آنفاً أغانٍ أغفلت عن نسبتها حتى انتهيت إلى هذا الموضع فنسبتها فيه :

(١) الجوى : شدة الحب .

(٢) المضنى : المريض .

صوت

طبيبي داويتما ظاهراً فمن ذا يداوي جوى باطنا
فقوما اكيواني ولا ترحما من الكي مستحصفاً^(١) راصناً^(٢)
ومراً على منزل بالغميم فإنني عهدت به شادناً^(٣)
فتور القيام رخيم الكلا م كان فؤادي به راهناً^(٤)

[المقارب]

الشعر فيما ذكر عبد الله بن شبيب عن الزبير بن بكار، لعمر بن سعيد بن يزيد بن عمرو بن نُفيل القرشي العدوي، والغناء لمعبد، ولحنه ثقيلاً أول بالوسطى في مجراها عن إسحاق وعمر بن وهب، وفيه لأبي العبيس بن حمدون ثاني ثقيلاً مطلق في مجرى البنصر، وهو من صدور أغانيه ومختارها وما تشبه فيه بالأوائل. ولو قال قائل: إنه أحسن صنعة له صدق.

أخبرني الحسين بن يحيى، عن حماد عن أبيه، أن غيلان بن خرشة الصبي دخل إلى قوم من إخوانه وعندهم قينة، فجلس معهم وهو لا يدري فيم هم، حتى غنت القينة:

طبيبي داويتما ظاهراً فمن ذا يداوي جوى باطنا؟

[المقارب]

وكان أعرابياً جافياً به لوثة^(٥)، فغضب ووثب وهو يقول: السوط ورب غيلان يداوي ذلك الجوى! فخرج من عندهم.

وهذا الخبر مذكور في أخبار معبد من كتابي هذا وغيره، ولكن ذكره هاهنا حسن فذكرته.

ومما فيها من الأغاني قول مطيع

صوت

أمسيت جَمّ بلابل الصدر دهرأ أزجيه إلى دهر

(١) المستحصف: الشديد.

(٢) الراصن: السيد المستحكم والمثبت.

(٣) الشادن من الغزلان: ولد الطي الذي قوي ونبت قرناه.

(٤) راهناً: مقيداً.

(٥) اللوثة: ضرب من الجنون والحمق.

إِنْ فُهِتْ طُلَّ دَمِي وَإِنْ كُتِمْتُ وَقَدْتُ عَلَيَّ تَوَقَّدَ الْجَمْرُ
[الكامل]

الغناء لحكم الوادي، هزج بالبنصر عن حبش الهشامي.

مطيع وجوهر المغنية:

أخبرني ابن الحسين قال: حدثنا حماد بن إسحاق عن صباح بن خاقان قال: دخلت علينا جوهر المغنية جارية بربر، وكانت محسنة جميلة ظريفة، وعندنا مطيع بن إياس، وهو يلعب بالشطرنج، وأقبل عليها بنظره وحديثه، ثم قال:

وَلَقَدْ قُلْتُ مُعَلَّنًا لَسَعِيدٍ وَجَعْفَرٍ
إِنْ أَتَيْتَنِي مَنِيَّتِي^(١) فَدَمِي عِنْدَ بَرْبَرٍ
قَتَلْتَنِي بِمَنْعِهَا لِي مَنْ وَضَلَ جَوْهَرَ
[مجزوء الخفيف]

قال: وجوهر تضحك منه.

هجاء مطيع لحماذ عجرد:

أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعيد عن أبي توبة قال:

بلغ مطيع بن إياس أن حماد عجرد عاب شعراً ليحيى بن زياد قاله في مُنْقَذِ بن بدر الهلالي، فأجابه مُنْقَذٌ عنه بجوابٍ، فاستخفَّهما حماد عجرد، وطعن عليهما، فقال فيه مطيع:

أَيُّهَا الشَّاعِرُ الَّذِي عَابَ يَحْيَى وَمُنْقِذًا
أَنْتَ لَوْ كُنْتَ شَاعِرًا لَمْ تَقُلْ فِيهِمَا كَذَا
لَسْتَ وَاللَّهِ فَاعِلٌ نَّ لَدَى النِّقْدِ جِهْبَا^(٢)
تَعْدِلُ الصَّبْرَ بِالرِّضَى شَائِبَ^(٣) الصَّفْوِ بِالْقَذَى^(٤)
[مجزوء الخفيف]

أخبرني عيسى بن الحسين قال: حدثنا عبد الله بن أبي توبة عن ابن أبي منيع الأحدب قال:

(٢) الجهبذ: الخبير النقاد.

(١) منيتي: موتي.

(٤) القذى: ما يعلق بالعين من قش أو تراب.

(٣) شائب الصفو: تمازجه كدرة.

كنت جالساً مع مطيع بن إلياس، فمرت بنا مكنونة جارية المروانية، وكان مطيع وأصحابنا يألّفونها، فلم تسلّم، وعبث بها مطيع بن إلياس فشتمته، فالتفت إليّ وأنشأ يقول:

فديتُ من مرّ بنا	يوماً ولم يتكلّم
وكان فيما خلا من	هـ كلما مرّ سلّم
وإن رآني حيّاً	بطرفه وتبسّم
لقد تبدّل - فيما	أظنّ - واللّه أعلم
فليت شعري ماذا	عليّ في الود ينقم
ياربّ إنك تعلم	أنّي بمكنون مغرم
وأنني في هواها	ألقي الهوان وأعظم
يا لائمي في هواها	إحفظ لسانك تسلم
واعلم بأنك مهما	أكرمت نفسك تُكرّم
إنّ الملول ^(١) إذا ما	ملّ الوصال تجرّم ^(٢)
أولا فمالي أجفَى ^(٣)	من غير ذنب وأحرّم

[المجتث]

مطيع يشبب بجوهر ثم يهجوها:

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال:

كان مطيع بن إلياس يألّف جواري بربر، ويهوى منهنّ جاريتها المسماة جوهر، وفيها يقول؛ ولحكم فيه غناء:

وخافي اللّه يا بربر	لقد أفسدت ذا العسكر
إذا ما أقبلت جوهر	يفوح المسك والعنبر
وجوهر درة الغوّا	ص من يملكها يُحبر ^(٤)
لهّا ثغر حكي الدرّ وعيننا رشاً ^(٥)	أحور ^(٦)

[الهج]

(١) الملول: المتضجر، الكثير الملل.

(٢) تجرّم عليه: ادعى عليه ذنباً لم يفعله.

(٣) أجفَى: أبعد.

(٤) يحبر: يسرّ.

(٥) الرشأ: الشادن من الغزلان.

(٦) الأحور: ما في عينه حور، وهو شدة البياض والسواد في عينه.

في هذه الأبيات هزج لحكم الوادي . قال وفيها يقول :

أنت يا جوهراً عندي جوهرة في قياس الدرر المشتهرة
أو كشمس أشرق في بيتها قذفت في كل قلب شررة
وكأنني ذائق من فمها كلما قبّلت فاهاً سُكّرة
وكأنني حين أخلو معها فائز بالجنة المختصرة
[الرمل]

قال : فجاءها يوماً ، فاحتجبت^(١) عنه فسأل عن خبرها ، فعرف أن فتى من أهل الكوفة يقال له ابن الصّحاف يهواها مُخْتَلً^(٢) معها ، فقال مطيع يهجوها :

ناك واللّه جوهراً الصّحاف وعليها قميصها الأفواف^(٣)
شام^(٤) فيها أيرأله ذا ضلوع لم يشنه ضعف ولا إخطاف^(٥)
جدّ دفعا فيها فقالت : ترفّق ما كذا يافتى تُناك الظّراف
[الخفيف]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدثنا هارون بن محمد بن عبد الملك قال ، قال محمد بن صالح بن النطاح : أنشد المهديّ قول مطيع بن إياس :

وخافي اللّه يا بربر لقد أفتنت ذا العسكر
بريح المسك والعنبر وظبي شادن^(٦) أحور^(٧)
وجوهراً درّة الغوّا ص من يملكها يُحبر^(٨)
أما واللّه يا جوهراً لقد فقت على الجوهراً
فلا واللّه ما المهديّ أولى منك بالمنبر لك خلع ابن أبي جعفر
فإن شئت ففي كفي [الهزج]

فقال المهديّ : اللّهم العنهما جميعاً ، ويلكم ! إجمعوا بين هذين قبل أن تخلعنا هذه القنبة . وجعل يضحك من قول مطيع . ووجدت أبيات مطيع الثلاثة التي هجا بها

(١) احتجبت : امتنعت واختفت . (٢) مُخْتَلً معها : منفرد معها في خلوة .

(٣) الأفواف : الرقيق ، الشفاف . (٤) شام : أدخل .

(٥) الإخطاف : الضمور .

(٦) الشادن من الظباء : ولد الظبية الذي استغنى عن أمه ونبت قرناه .

(٧) الأحور : الواسع العينين والشديد سوادهما وبياضهما .

(٨) يُحبر : يُسرّ .

جوهري في رواية يحيى بن علي أتم من رواية إسحاق وهي بعد البيتين الأولين:

زعموها قالت، وقد غاب فيها
وهو في جارة أستها يتلظى
ناكها ضيفها وقبل فاهها
لم يزل يرهز^(١) الشهية حتى
قائماً في قيامه استحضاف
يا فتى هكذا تُناك الظراف
يا القومي لقد طغى الأضياف
زال عنها قميصها والعطاف^(٢)
[الخفيف]

وقال هارون بن محمد في خبره:

بيعت جوهراً جارية بربر، فاشتريتها امرأة هاشمية من ولد سليمان بن علي كانت
تغني بالبصرة وأخرجتها، فقال مطيع فيها:

لا تبعدني يا جوهراً
ويلي لقد بعدت ديا
يُشفى بريقتها السقا
بيضاء واضحة الجبي
أقلب قلبي وهو عند
عنا وإن شط^(٣) المزار
رُكُ سُلِّمت تلك الديار
مُ كأن ريقتها العُقار^(٤)
من كأن غرَّتْها نهار
مد الهاشمية مستعار
[مجزوء الكامل]

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال: حدثنا العنزي قال: حدثنا علي بن
منصور المؤدب أن صديقاً لمطيع دعاه إلى بستان له بكلواذي^(٥)، فمضى إليها، فلم
يستطعها، فقال يهجوها:

بلدة تُمطرُ الترابَ على النا
وإذا ما أعاذ ربي بلاداً
خربت عاجلاً ولا أمهلت يو
س كما يُمطر السماء الرذاذا
من خراب كبعض ما قد أعاذ
مأً ولا كان أهلها كلواذي
[الخفيف]

أخبرني محمد بن جعفر النحوي. قال: حدثنا طلحة بن عبد الله أبو إسحاق
الطلحي قال: حدثني عافية بن شبيب بن خاقان التميمي أبو معمر قال:

كان لمطيع بن إلياس مُعامل من تجار الكوفة، فطالت صحبته إياه وعشرته له

(١) يرهز: يحرك.

(٢) العطاف: الرداء.

(٣) شط المزار: بُعد.

(٤) العُقار: من أسماء الخمرة.

(٥) كلواذي: مدينة قرب مدينة السلام.

حتى شرب النبيذ، وعاشر تلك الطبقة، وأفسدوا دينه، فكان إذا شرب يعمل كما يعملون، وقال كما يقولون، وإذا صحا تهيب ذلك وخافه، فمر يوماً بمطيع بن إياس، وهو جالس على باب داره، فقال له: من أين أقبلت؟ قال: شيعتُ صديقاً لي حجج، ورجعتُ كما ترى ميئاً من ألم الحرّ والجوع والعطش. فدعا مطيع بغلامه وقال له: أي شيء عندك؟ فقال له: عندي من الفاكهة كذا، ومن البوارد والحارّ كذا، ومن الأشربة والثلج والرياحين كذا، وقد رُشّ الخيش وُفرغ من الطعام. فقال له: كيف ترى هذا؟ فقال: هذا والله العيش وشبه الجنة. قال: أنت الشريك فيه على شريطة إن وفيت بها وإلا انصرفت. قال: وما هي؟ قال: تشتم الملائكة وتنزل.

فنفر التاجر وقال: قبح الله عشرتكم قد فضحتموني وهتكتموني. ومضى فلم يبعد حتى لقيه حماد عجرد فقال له: ما لي أراك نافراً جزعاً^(١)؟ فحدّثه حديثه. فقال: أساء مطيع - قبحه الله - وأخطأ، وعندي والله ضعف ما وصف لك؛ فهل لك فيه؟ فقال: أجل، بي والله إليه أعظم فاقة^(٢). قال: أنت الشريك فيه على أن تشتم الأنبياء فإنهم تعبّدونا بكل أمرٍ مُعنتٍ متعبٍ، ولا ذنب للملائكة فتشتمهم. فنفر التاجر وقال: أنت أيضاً فقبحك الله، لا أدخل!

ومضى فاجتاز ببيحيى بن زياد الحارثي فقال له: ما لي أراك يا أبا فلان مُرتاعاً؟ فحدّثه بقصّته. فقال: قبحهما الله لقد كلّفك شططاً، وأنت تعلم أن مروءتي فوق مروءتهما، وعندي والله أضعاف ما عندهما، وأنت الشريك فيه على خصلةٍ تنفعك ولا تضرّك، وهي خلاف ما كلّفك إياه من الكفر. قال: وما هي؟ قال تصلي ركعتين تُطيل ركوعهما وسجودهما، وتصليهما وتجلس، فنأخذ في شأننا.

فضجر التاجر وتأفّف وقال: هذا شرٌّ من ذا، أنا تعب ميّت، تكلفني صلاةً طويلةً في غير برٍّ ولا لإطاعةٍ يكون ثمنها أكل سُحتٍ^(٣) وشرب خمرٍ وعشرة فجرةٍ وسماع مغنياتٍ قحاب. وسبّه وسبّهما ومضى مغضباً. فبعث خلفه غلاماً وأمره برّده، فردّه كرهاً، وقال: أنزل الآن على ألا تصلي اليوم بتّة. فشتّمه أيضاً وقال: ولا هذا. فقال: أنزل الآن كيف شئت وأنت ثقيل غير مساعد. فنزل عنده.

ودعا يحيى مطيعاً وحماداً، فعبثا بالتاجر ساعة وشتماه، ثم قدّم الطعام، فأكلوا وشربوا وصلى التاجر الظهر والعصر، فلما دبّت الكاس فيه قال له مطيع: أيما أحبّ

(٢) أعظم الفاقة: أشد الحاجة.

(١) الجزع: الخائف.

(٣) السُّحت: ما خُبث من المكاسب الحرام.

إليك: تشتم الملائكة أو تنصرف؟ فشتمهم. فقال له حماد: أيما أحب إليك: تشتم الأنبياء أو تنصرف؟ فشتمهم. فقال له يحيى: أيما أحب إليك: تصلي ركعتين أو تنصرف؟ فقام فصلى الركعتين، ثم جلس فقالوا له: أيما أحب إليك: تترك باقي صلاتك اليوم أو تنصرف؟ قال: بل أتركها يا بني الزانية ولا أنصرف. فعمل كل ما أرادوه منه.

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن محمد بن الفضل السكوني قال:

رفع صاحب الخبر إلى المنصور أن مطيع بن إياس زنديق، وأنه يعاشر ابنه جعفرًا وجماعةً من أهل بيته، ويوشك أن يفسدوا أديانهم وينسبوا إلى مذهبه. فقال له المهدي: أنا به عارف، أمّا الزندقة فليس من أهلها، ولكنه خبيث الدين فاسق مستحل للمحارم. قال: فأحضره وانه عن صحبة جعفر وسائر أهله. فأحضره المهدي وقال له: يا خبيث يا فاسق، قد أفسدت أخي ومن تصحبه من أهلي، واللّه لقد بلغني أنهم يتقادعون^(١) عليك، ولا يتمّ لهم سرورٌ إلا بك، فقد غرّرتهم وشهّرتهم في الناس، ولولا أنني شهدت لك عند أمير المؤمنين بالبراءة مما نسبت إليه بالزندقة، لقد كان أمر بضرب عنقك. وقال للربيع: اضربه مائتي سوطٍ واحبسه.

قال: ولم يا سيدي؟ قال: لأنك سكير خُمير^(٢) قد أفسدت أهلي كلهم بصحبتك. فقال له: إن أذنت وسمعت احتججت. قال: قل. قال:

أنا امرؤ شاعر، وسوقي إنما تنفق مع الملوك، وقد كسدت عندكم، وأنا في أيامكم مُطَّرَحٌ، وقد رُضيت فيها مع سعتها للناس جميعاً بالأكل على مائدة أخيك، لا يتبع ذلك عشيرة، وأصفيته على ذلك شكري وشعري، فإن كان ذلك عائباً عندك ثبت منه. فأطرق، ثم قال: قد رفع إليّ صاحب الخبر أنك تتماجن على السؤال وتضحك منهم. قال: لا، واللّه ما ذلك من فعلي ولا شأني، ولا جرى مني قط إلا مرة؛ فإن سائلاً أعمى اعترضني - وقد عبرتُ الجسر على بغلتي - وظنّني من الجند، فرفع عصاه في وجهي ثم صاح: اللّهم سخر الخليفة لأن يُعطيَ الجند أرزاقهم، فيشتروا من التجار الأمتعة، ويربح التجار عليهم فتكثر أموالهم، فتجب فيها الزكاة عليهم، فيصدّقوا عليّ منها. فنفرت بقلبي من صياحه ورفعه عصاه في وجهي حتى كدت أسقط

(١) يتقادعون: يتهافنون.

(٢) السكير الخُمير: الدائم معاقرة الخمر.

في الماء، فقلت: يا هذا ما رأيت أكثر فضولاً منك، سل الله أن يرزقك ولا تجعل هذه الحوالات والوسائط التي لا يُحتاج إليها، فإن هذه المسائل فضول، فضحك الناس منه، ورُفِع عليّ في الخبر قولي له هذا.

فضحك المهدي وقال: خلّوه ولا يُضرب ولا يُحبس. فقال له: أدخل عليك لمُوجدة^(١) وأخرج عن رضى وتبرأ ساحتى من عَضِيهه^(٢) وأنصرف بلا جائزة؟ قال: لا يجوز هذا، أعطوه مائتي دينار ولا يعلم بها الأمير، فيتجدد عنده ذنوبه. قال: وكان المهدي يشكر له قيامه في الخطباء ووضع الحديث لأبيه في أنه المهدي. فقال له: أخرج عن بغداد ودع صحبة جعفر حتى ينساك أمير المؤمنين غداً. فقال له: فأين أقصد؟ قال: أكتب لك إلى سليمان بن علي فيؤليكَ عملاً ويحسن إليك. قال: قد رضيت. فوفد إلى سليمان بكتاب المهدي، فولاه الصدقة بالبصرة وكان عليها داود بن أبي هند، فعزله به.

حدثني محمد بن هاشم بن محمد الخزاعي قال: حدثنا عيسى بن إسماعيل تينة عن ابن عائشة أن مطيع بن إياس قديم على سليمان بن علي بالبصرة - ووالها على الصدقة داود بن أبي هند - فعزله وولّى عليها مطيعاً.

مطيع يهجو مالك بن أبي سعدة:

أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثني أبو توبة عن بعض البصريين قال:

كان مالك بن أبي سعدة عمّ جابر الشطرنجي جميل الوجه حسن الجسم، وكان يُعاشر حماد عجرد ومطيع بن إياس وشرب معهما فأفسد بينهما وبينه وتباعد. فقال حماد عجرد يهجو:

أتوب إلى الله من مالِكِ صديقاً ومن صُحبتي مالِكا
فإن كنت صاحبته مرة فقد تبّت ياربّ من ذلكا

[المقارب]

قال: وأنشدها مطيعاً، فقال له مطيع: سخت عينك! هكذا تهجو الناس؟ قال: فكيف كنت أقول؟ قال كنت تقول:

نظرة ما نظرتها يوم أبصرت مالِكا

(١) الموجهة: الحق والغضب الشديد.

(٢) العضية: الكذب، الإفك.

فِي ثِيَابٍ مُعَصْفِرَا تِ عَلَى الْوَجْهِ بَارِكَا
تَرْكُتْنِي أَلُوطٌ^(١) مِنْ بَعْدَ مَا كُنْتَ نَاسِكَا
نَظْرَةً مَا نَظَرْتَهَا أَوْرَدْتَنِي الْمَهَالِكَا
[المقارب]

أخبرني عيسى بن الحسين قال: حدثنا حماد عن أبيه عن الهيثم بن عدي قال:

كَانَ مَطِيعُ بْنُ إِيَّاسٍ مُنْقَطِعاً إِلَى جَعْفَرِ بْنِ الْمَنْصُورِ، فَطَالَتْ صَحْبَتُهُ لَهُ بِغَيْرِ فَائِدَةٍ، فَاجْتَمَعَ يَوْمًا مَطِيعٌ وَحَمَادٌ وَعَجْرَدٌ وَيَحْيَى بْنُ زِيَادٍ، فَتَذَاكُرُوا أَيَّامَ بَنِي أُمَيَّةَ وَسَعَتِهَا وَنَضْرَتِهَا وَكَثْرَةُ مَا أَفَادُوا فِيهَا، وَحَسَنَ مَمْلَكَتِهِمْ وَطِيبَ دَارِهِمْ بِالشَّامِ، وَمَا هُمْ فِيهِ بِبَغْدَادَ مِنَ الْقَحْطِ فِي أَيَّامِ الْمَنْصُورِ، وَشِدَّةِ الْحَرِّ، وَخَشُونَةِ الْعَيْشِ، وَشَكُوا الْفَقْرَ فَأَكْثَرُوا، فَقَالَ مَطِيعُ بْنُ إِيَّاسٍ: قَدْ قُلْتُ فِي ذَلِكَ شَعْرًا فَاسْمَعُوا. قَالُوا: هَاتِ. فَأَنْشَدَهُمْ:

حَبَّذَا عِشْنَا الَّذِي زَالَ عَنَا حَبَّذَا ذَاكَ حِينَ لَا حَبَّذَا
أَيْنَ هَذَا مِنْ ذَاكَ؟ سَقِيًّا لِهَذَا كُ وَلَسْنَا نَقُولُ سَقِيًّا لِهَذَا
زَادَ هَذَا الزَّمَانُ عُسْرًا وَشَرًّا عِنْدَنَا إِذْ أَحَلَّلْنَا بِغْدَادَا
بِلَدَةٍ تُمَطِّرُ التَّرَابَ عَلَى النَّاسِ سَ كَمَا يَمُطِّرُ السَّمَاءُ الرِّذَاذَا
خَرِبَتْ عَاجِلًا وَأَخْرَبَ ذُو الْعَرِ شَ بِأَعْمَالِ أَهْلِهَا كَلُوَاذَى
[الخفيف]

أخبرني عيسى بن الحسين عن حماد عن أبيه قال:

لَمَّا خَرَجَ حَمَادُ بْنُ الْعَبَّاسِ إِلَى الْبَصْرَةِ، عَاشَرَ جَمَاعَةً مِنْ أَهْلِهَا وَأَدْبَائِهَا وَشُعْرَائِهَا، فَلَمْ يَجِدْهُمْ كَمَا يَرِيدُ، وَلَمْ يَسْتَطِعْ عِشْرَتَهُمْ وَاسْتَغْلَظَ طَبْعُهُمْ، وَكَانَ هُوَ وَمَطِيعُ بْنُ إِيَّاسٍ وَحَمَادُ الرَّائِيَّةِ وَيَحْيَى بْنُ زِيَادٍ كَأَنَّهُمْ نَفْسٌ وَاحِدَةٌ، وَكَانَ أَشَدَّهُمْ أُنْسًا بِهِ مَطِيعُ بْنُ إِيَّاسٍ، فَقَالَ حَمَادٌ يَتَشَوَّقُهُ:

لَسْتُ وَاللَّهِ بِنَاسٍ لِمَطِيعِ بْنِ إِيَّاسٍ
ذَاكَ إِنْسَانٌ لَهُ فَضْلٌ لَّ عَلَى كُلِّ أَنْسٍ
غَرَسَ اللَّيْلُ لَهُ فِي كَبْدِي أَحْلَى غِرَاسٍ
فَإِذَا مَا الْكَاسِ دَارَتْ وَاحْتَسَاهَا مَنْ أَحَاسِي

(١) أَلُوط: أطرِد.

كان ذكراناً مطيعاً عندها رِيحان كاسي
[مجزوء الرمل]

حدثنا عيسى بن الحسين عن حماد عن أبيه قال :

دعا مطيع بن إياس صديقاً له من أهل بغداد إلى بستان له بالكرخ، يقال له
بستان صَبَّاح، فأقام معه ثلاثة أيام في فتيان من أهل الكرخ مُردٍ وشبان، ومغنيين
ومغنيات، فكتب مطيع إلى يحيى بن زياد الحارثي يُخبره بأمره ويتشوقه، قال :

كم ليلة بالكرخ قد بثُّها جذلان^(١) في بستان صَبَّاح
في مجلس تنفخ أرواحه ياطيبها من ريح أرواح
يُدير كأساً فإذا ما دنت^(٢) حُفَّت^(٣) بأكواب وأقداح
في فتية بيض بهاليل^(٤) ما إن لهم في الناس من لاح^(٥)
لم يهنني ذاك لفقد امرئ أبيض مثل البدر وضَّاح
كأنما يُشرق من وجهه إذا بدلي ضوء مصباح
[السريع]

قال : فلما قرأ يحيى هذه الأبيات قام من وقته، فركب إليهم، وحمل إليهم ما يصلحهم
من طعام وشراب وفاكهة، فأقاموا فيه أياماً على قصفهم^(٦) حتى ملوا، ثم انصرفوا.

روايته شعراً لفتى كوفي :

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال : حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه عن
محمد بن الفضل قال : قال مطيع بن إياس :

جلست أنا ويحيى بن زياد إلى فتى من أهل الكوفة كان ينسب إلى الصُّبوة^(٧)
ويكتم ذاك، ففاوضناه وأخذنا في أشعار العرب ووصفها البيد وما أشبه ذلك، فقال :
لأحسن من بيد يحارُّ بها القطا^(٨) ومن جبلي طيٍّ ووصفكما سلعا^(٩)

(١) جذلان : فرحان، مسرور. (٢) دنت : قربت.

(٣) حُفَّت : أحيطت.

(٤) بهاليل، الواحد بهلول : وهو السيد الجامع لكل خير.

(٥) الآحي : اللائم. (٦) القصف : المسرة واللَّهُو.

(٧) الصُّبوة : اللُّهُو وجهل الشباب.

(٨) القطا، ضرب من الطيور، الواحدة قطاة، يشبه الحمام.

(٩) سلع : موضع قريب من المدينة المنورة، وقيل أحد جبالها.

تَلاَحِظَ عَيْنَيَّ عَاشِقَيْنِ كِلَاهُمَا لَهُ مُقْلَةٌ فِي وَجْهِ صَاحِبِهِ تَرَعَى [الطويل]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال: حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال: حدثني أبو المضاء قال:

عاتب المهدي مطيع بن إلياس في شيء بلغه عنه، فقال له: يا أمير المؤمنين، إن كان ما بلغك عني حقاً فما تغني المعاذير، وإن كان باطلاً فما تضر الأباطيل. فقبل عذره وقال: فإننا ندعك على جملتك ولا نكشفك. والله أعلم.

حدثني عمي الحسن بن محمد قال: حدثنا الكراني قال: حدثنا العمري عن الهيثم بن عدي قال:

اجتمع حماد الراوية ومطيع بن إلياس ويحيى بن زياد وحكم الوادي يوماً على شراب لهم في بستان بالكوفة، وذلك في زمن الربيع، ودعوا جوهر المغنية، وهي التي يقول فيها مطيع:

أَنْتِ يَا جَوْهَرُ عِنْدِي جَوْهَرَهُ فِي قِيَاسِ الدَّرِّ الْمَشْتَهَرَهُ [الرملي]

فشربوا تحت كرم معروش حتى سكروا، فقال مطيع في ذلك:

صوت

ونجعل سقفنا الشجرا	خرجنا نمتطي الزهرا
تخال بكأسها شررا	ونشربها مُعْتَقَةً
بِدَارَةٍ وَجْهَهَا الْقَمَرَا	وجوهر عندنا تحكي
إِذَا مَا زِدْتَهُ نَظَرَا	يزيدك وجهها حُسْنًا
فَلَمْ نَرِ مِثْلَهَا بَشَرَا	وجوهرُ قد رأيناها

[مجزوء الوافر]

غنى فيه حكم غناء خفيفاً، فلم يزالوا يشربون عليه بقية يومهم. وقد روي أن بعض هذا الشعر للمهدي وأنه قال منه واحداً، وأجازه بالباقي بعض الشعراء. وهذا أصح. لحن حكم في هذا الشعر خفيف رمل بالوسطى.

مطيع يهجو أباه:

حدثنا محمد بن خلف وكيع قال: حدثني حماد عن أبيه قال:

كان مطيع بن إياس عاقاً بأبيه شديد البغض له، وكان يهجوّه، فأقبل يوماً من بُعد، ومطيع يشرب مع إخوان له، فلما رآه أقبل على أصحابه فقال:

هَذَا إِيَّاسٌ مُقْبِلًا جَاءَتْ بِهِ إِحْدَى الْهِنَاتِ^(١)
هَمُوزٌ فُؤُوهُ وَأَنْفُهُ كَلَمُنٌ فِي إِحْدَى الصَّفَاتِ
وَكَأَنَّ سَعْفَصَ بَطْنَهُ وَالثَّغْرَ شَيْنَ قُرَيْشِيَّاتِ
لَمَّا رَأَيْتَكَ آتِيًا أَيَقْنَنْتَ أَنَّكَ شَرُّ آتِ

[مجزوء الكامل]

حدثني جعفر بن قدامة بن زياد الكاتب قال: حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه عن محمد بن الفضل السكوني قال:

مدح مطيع بن إياس معن بن زائدة بقصيدته التي أولها:

أَهْلًا وَسَهْلًا بِسَيِّدِ الْعَرَبِ ذِي الْغُرَرِ الْوَاضِحَاتِ وَالنَّجَبِ
فَتَى نَزَارٍ وَكَهْلِهَا وَأَخِي الـ جُودِ حَوَى غَايَتِيهِ مِنْ كَثْبِ
قِيلَ أَتَاكُمْ أَبُو الْوَلِيدِ فَقَا لِ النَّاسِ طُرًّا^(٢) فِي السَّهْلِ وَالرَّحْبِ
أَبُو الْعُفَاةِ الَّذِي يَلُودُ^(٣) بِهِ مَنْ كَانَ ذَا رَغْبَةٍ وَذَا رَهَبِ
جَاءَ الَّذِي تُفَرِّجُ الْهَمُومُ بِهِ حِينَ يُلْزُ^(٤) الْوُضِينَ^(٥) بِالْحَقْبِ^(٦)
جَاءَ وَجَاءَ الْمَضَاءُ يَقْدُمُهُ رَأْيِي إِذَا هُمْ غَيْرُ مُؤْتَشَبِ^(٧)
شَهْمٌ إِذَا الْحَرْبُ شَبَّ دَائِرُهَا أَعَادَهَا عَوْدَةً عَلَى الْقَطْبِ
يَطْفِئُ نِيرَانَهَا وَيُوقِدُهَا إِذَا خَبَتْ^(٨) نَارُهَا بِلا حَطْبِ
إِلَّا بِوَقْعِ الْمَذْكُرَاتِ^(٩) يُشَبَّهُهُ مَنْ إِذَا مَا انْتُضِينَ^(١٠) بِالشُّهْبِ^(١١)
لَمْ أَرِ قَرْنًا لَهُ يُبَارِزُهُ إِلَّا أَرَاهُ كَالصَّقَرِ وَالْخَرَبِ^(١٢)

(١) الهنات، الواحدة هنة: المفاسد والشرور. (٢) طرًّا: جميعاً.

(٣) يلود: يلجأ، يحتمي. (٤) يلز: يقرن.

(٥) الوضين: بطن عريض منسوج من سيور أو شعر.

(٦) الحقب: الحزام الذي يلي حقو البعير. (٧) مؤتشب: مخلوط غير صريح.

(٨) خبت النار: انطفأت. (٩) المذكرات: السيوف.

(١٠) انتضين: جردن من أعمادها.

(١١) الشهب، الواحد شهاب: ذكر الكواكب.

(١٢) الخرب، بفتح الراء، من الطيور: ذكر الحبارى.

ليثٌ بخفّان^(١) قد حمى أجماً^(٢) شبلاه قد أدباً به فهما قد ومقا^(٤) شكّله وسيرته نِعَمَ الفتى تُقرن الصعابُ به ونعم ما ليلة الشتاء إذا اسـ لا ونعم عنده مخالفة يحصر من لا فلا يُهمُّ بها ترى له الحِلْمَ والنُّهى^(٨) خُلُقاً سيف الإمامين ذاك وذا إذا ذا هودة^(١٠) لا يُخاف نبوتها^(١١)

فصار منها في منزلٍ أشب^(٣) شبهاه في جدّه وفي لعبٍ وأحكم ما منه أكرم الأدب عند تجائي^(٥) الخصوم للركب تُنبّح كلب القرى^(٦) فلم يُجب مثل اختلاف الصعود والصبب ومنه تُضحى نعم على أرب^(٧) في صولة مثل جاحم اللهب^(٩) قلّ بناءُ الوفاء والحسب ودينه لا يُشّاب بالريب

[المنسرح]

فلما سمعها معن قال له: إن شئت مدحناك كما مدحتنا وإن شئت أثبتناك. فاستحيا مطيع من اختيار الثواب على المديح، وهو محتاج إلى الثواب، فأنشأ يقول لمعن:

ثناءً من أميرٍ خيرٌ كسبٍ لصاحبٍ فاقه وأخي ثراءٍ ولكن الزمانَ برى عظامي وما مثل الدراهم من دواءٍ

[الوافر]

فضحك معن حتى استلقى وقال: لقد لطف^(١٢) حتى تخلّصت منها، صدقت، لعمرى ما مثل الدراهم من دواء! وأمر له بثلاثين ألف درهم، وخلع عليه وحمله^(١٣).

(١) خفّان: موضع معروف قرب الكوفة، وهو مأسدة فيه غياض ونزوز.

(٢) الأجم: مأوى الأسد أو الشجر الكثير الملتف.

(٣) أشب: جمّ الشجر. (٤) ومقا: أحبّ.

(٥) تجائي الخصوم: ركعوا خاضعين. (٦) القرى: الضيافة.

(٧) الأرب: الغاية، الحاجة. (٨) النهي: العقول، الواحدة نهية.

(٩) جاحم اللهب: الجاحم الجمر الشديد الاشتعال، وجاحم اللهب أي معظم اللهب وشدّته.

(١٠) الهودة: الإذعان للحق والتوبة.

(١١) نبوتها: عدم قطعها، من نبا السيف.

(١٢) لطف: رقّ.

(١٣) حمّله: أعطاه دابة يستعين بها على السفر.

أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال: حدثني المهلب عن أبيه عن إسحاق قال: كان لمطيع بن إياس صديق من العرب يُجالسه، فضرط ذات يوم وهو عنده، فاستحيا وغاب عن المجلس، فتفقده مطيع وعرف سبب انقطاعه، فكتب إليه، وقال: أظهرت منك لنا هجراً ومقلية^(١) وغبت عنا ثلاثاً لست تغشانا^(٢) هوّن عليك فما في الناس ذو إبلٍ إلا وأينقّه يشرذن أحياناً [البسيط]

مجون مطيع وأصحابه في الصلاة:

أخبرني أبو الحسن الأسدي قال: حدثني العباس بن ميمون طائع قال: حدثنا بعض شيوخنا البصريين الظرفاء وقد ذكرنا مطيع بن إياس، فحدثنا عنه قال: اجتمع يحيى بن زياد ومطيع بن إياس وجميع أصحابهم، فشربوا أياماً تبعاً، فقال لهم يحيى ليلة من الليالي وهم سُكاري: ويحكم! ما صلينا منذ ثلاثة أيام فقوموا بنا حتى نصلي. فقالوا نعم. فقام مطيع فأذن وأقام، ثم قالوا: من يتقدّم؟ فتدافعوا ذلك، فقال مطيع للمغنية: تقدمي فصلي بنا. فتقدمت تصلي بهم عليها غلالة رقيقة مطيّبة بلا سراويل، فلما سجدت بان فرجها، فوثب مطيع وهي ساجدة فكشف عنه وقبّله وقطع صلاته، ثم قال:

ولمّا بدا فرجها جاثماً كراس حليقٍ ولم يعتمد
سجدتُ إليه وقبّلته كما يفعل الساجد المجتهد [المقارب]

فقطعوا صلاتهم، وضحكوا وعادوا إلى شربهم.

حدثني عمي الحسن بن محمد قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثني محمد بن القاسم مولى موسى الهادي قال:

كتب المهدي إلى أبي جعفر يسأله أن يوجه إليه بابنه موسى، فحمله إليه، فلما قدم عليه قامت الخطباء تهنّئه، والشعراء تمدحه، فأكثروا حتى آذوه وأغضبوه، فقام مطيع بن إياس فقال

أحمدُ الله إله الخلق ربّ العالمينا

(١) مقلية: مبعدة، مبغضة.

(٢) تغشانا: تتردد علينا لزيارتنا.

الذي جاء بموسى سالمأفي سالمينا
 الأمير ابن الأمير ابن أمير المؤمنين
 [مجزوء الرمل]
 فقال المهدي: لا حاجة بنا إلى قول بعد ما قاله مطيع. فأمسك الناس، وأمر له
 بصلة.

قال أبو الفرج:

ونسخت من كتاب لأبي سعيد السكري بخطه، قال: حدثني ابن أبي فنن.
 أخبرني يحيى بن علي بن يحيى بهذا الخبر فيما أجاز لنا أن نرويه عنه عن أبي أيوب
 المدائني عن ابن أبي الدواهي، وخبر السكري أتم واللفظ له، قال:

كان بالكوفة رجل يقال له أبو الأصبع له قيان، وكان له ابن وضيء حسن
 الصورة يقال له الأصبع، لم يكن بالكوفة أحسن وجهاً منه، وكان يحيى بن زياد
 ومطيع بن إياس وحماد عجرد وضرباًؤهم يألّفونه ويعشقونه ويُطِرّفونه^(١)، وكلهم كان
 يعشق ابنه أصبع، حتى كان يوم نَوروز^(٢) وعزم أبو الأصبع على أن يصطحب مع
 يحيى بن زياد، وكان يحيى قد أهدى له من الليل جداءً ودجاجاً وفاكهة وشراباً، فقال
 أبو الأصبع لجواريه: إن يحيى بن زياد يزورنا اليوم، فأعدّين له كل ما يصلح لمثله.
 ووجه بغلمان له ثلاثة في حوائجه، ولم يبق بين يديه أحد، فبعث بابنه أصبع إلى
 يحيى يدعوه ويسأله التعجيل، فلما جاءه استأذن له الغلام، فقال له يحيى: قل له
 يدخل، وتنج أنت وأغلق الباب ولا تدع الأصبع يخرج إلا بإذني. ففعل الغلام ودخل
 الأصبع، فأدى إليه رسالة أبيه، فلما فرغ راوده يحيى عن نفسه، فامتنع، فثاوره^(٣)
 يحيى وعاركه حتى صرعه، ثم رام حلّ تكّته، فلم يقدر عليها، فقطعها وناكه، فلما
 فرغ أخرج من تحت مُصلّاه أربعين ديناراً، فأعطاه إياها، فأخذها، وقال له يحيى:
 امض فإنني بالأثر. فخرج أصبع من عنده، فوافاه مطيع بن إياس، فرآه يتبخّر ويتطيّب
 ويتزين، فقال له: كيف أصبحت؟ فلم يُجبه، وشمخ بأنفه، وقطب حاجبيه، وتفخّم،
 فقال له: ويحك ما لك؟ نزل عليك الوحي؟ كَلَمْتُكَ الملائكة؟ بويح لك بالخلافة؟
 وهو يومئ برأسه: لا، لا، في كل كلامه، فقال له: كأنك قد نكت أصبع بن أبي
 الأصبع قال: إي واللّه الساعة نكته، وأنا اليوم في دعوة أبيه. فقال مطيع: فامرأته

(١) يُطِرّفونه: يتحفونه بهداياهم.

(٢) يوم نوروز: أول أيام السنة عند الفرس.

(٣) ثاوره: واثبه.

طالق إن فارقتك أو نقبل متاعك . فأبداه له يحيى حتى قبله ، ثم قال له : كيف قدرت عليه؟ فقال يحيى ما جرى وحديثه بالحديث ، وقام يمضي إلى منزل أبي الأصبع ، فتبعه مطيع ، فقال له : ما تصنع معي والرجل لم يدعك؟ وإنما يريد الخلوة . فقال : أشيعك إلى بابي ونحدث . فمضى معه ، فدخل يحيى ورد الباب في وجه مطيع ، فصبر ساعة ، ثم دق الباب فاستأذن ، فخرج إليه الرسول ، وقال له : يقول لك أنا اليوم على شغل لا أتفرغ معه لك . فتعذر^(١) . قال : فابعث إلي بدواة وقرطاس ، فكتب إليه مطيع

يا أبا الأصبع لا زلت على كل حال ناعماً مُتَّبِعاً
لا تصيّرني في الودّ كمن قطع التّكة قطعاً شنعاً
وأتى ما يشتهي لم يثنيه خيفة أو حفظ حق ضيعة
لو ترى الأصبع ملقى تحته مستكيناً خجلاً قد خضعاً
وله دفع عليه عجل شبق شائك^(٢) ما قد صنعاً
فادع بالأصبع واعلم حاله سترى امرأ قبيحاً شنعاً
[الرمّل]

قال : فقال أبو الأصبع ليحيى : فعلتها يا ابن الزانية؟ قال : واللّه : فضرب بيده إلى تكة ابنه ، فراها مقطوعة ، وأيقن يحيى بالفضيحة ، فلكأ الغلام ، فقال له يحيى : قد كان الذي كان ، وسعى بي إليك مطيع ابن الزانية ، وهذا ابني وهو واللّه أفره^(٣) من ابنك ، وأنا عربي ابن عربية وأنت نبطي ابن نبطية ، فبك ابنك عشر مرات مكان المرة التي نكت ابنك ، فتكون قد ربحت الدنانير ، وللواحد عشرة . فضحك وضحك الجوّاري ، وسكن غضب أبي الأصبع ، وقال لابنه : هات الدنانير يا ابن الفاعلة . فرمى بها إليه . وقام خجلاً ، وقال يحيى : واللّه لا أدخل مطيعاً الساعي ابن الزانية . فقال أبو الأصبع وجوّاريه : واللّه ليدخلن ، فقد نصحننا وغششتنا . فأدخلناه وجلس يشرب ومعهم يحيى يشتمهم بكل لسان ، وهو يضحك ، واللّه أعلم .

أخبرني عمي الحسن بن محمد . قال : حدثنا الكراني عن العمري عن العتبي قال :

حضر مطيع بن إياس وشراعة بن الزندبود ويحيى بن زياد والبة بن الحباب وعبد الله بن العيَّاش المنتوف وحماد عجرد ، مجلساً لأمر من أمراء الكوفة ، فتكایدوا

(١) تعذر : وجد لنفسه عذراً يتعلل به .

(٢) شائك : أحزنك .

(٣) أفره من ابنك : أجمل صورة .

جميعاً عنده، ثم اجتمعوا على مطيع يكأيدونه ويهيجونه فغلبهم جميعاً، حتى قطعهم ثم هجاهم بهذين البيتين، وهما:

وخمسةٌ قد أبانوا لي كيادهم وقد تلظى^(١) له مقلّي^(٢) وطنجير^(٣)
لو يقدرون على لحمي لمزقه قردٌ وكلبٌ وجرواهُ وخنزيرُ
[البسيط]

أخبرني وكيعٌ عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن محمد بن الفضل قال: دخل صديق لمطيع بن إياس، فرأى غلاماً تحته ينيكه، وفوق مطيع غلام له يفعل كذلك، فهو كأنه في تخت^(٤)، فقال له: ما هذا يا أبا سلمى؟ قال: هذه اللذة المضاعفة.

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال: كان حماد الراوية قد هجر مطيعاً لشيء بلغه عنه، وكان مطيع حلقياً، فأنشد شعراً ذات يوم وحماد حاضر، ف قيل له: من يقول هذا يا أبا سلمى؟ قال: الحطيئة. قال حماد: نعم هذا شعر الحطيئة لما حضر الكوفة وصار بها حلقياً. يعرض حماد بأنه كذاب، وأنه حلقي، فأمسك مطيع عن الجواب وضحك.

حدثني محمد بن العباس اليزيدي قال: حدثني محمد بن إسحاق البغوي. قال: حدثنا ابن الأعرابي عن الفضل قال:

جاء رجل إلى مطيع بن إياس. فقال: قد جئتكَ خاطباً؟ قال: لمن؟ قال: لمودّتك. قال: قد أنكحتكها وجعلت الصداق ألا تقبل في قول قائل. ويقال إن الأبيات التي فيها الغناء المذكور بذكرها أخبار مطيع بن إياس يقولها في جارية له يقال لها جودانة كان باعها فندم، فذكر الجاحظ أن مطيعاً حلف أنها كانت تستلقي على ظهرها فيشخص كتفاها ومأكماتها، فتدحرج تحتها الرمان فينفذ إلى الجانب الآخر. ويقال إنه قالها في امرأة من أبناء الدهاقين^(٥) كان يهواها، وشعره يدل على صحة هذا القول، والقول الأول غلط.

(١) تلظى: اشتعل والتهب.

(٢) المقلّي: المقلّة.

(٣) الطنجير، من الآونة التي تستعمل لطبخ الطعام. فارسي معرّب.

(٤) التخت: وعاء توضع فيه الأثواب.

(٥) الدهاقين، الواحد دهقان: رئيس الإقليم، فارسي معرّب.

مطيع يشناق إلى جاريته جودانة :

أخبرني بخبره مع هذه الجارية أبو الحسن الأسدي . قال : حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن سعيد بن سالم قال :

أخبرني مطيع بن إياس الليثي - وكان أبوه من أهل فلسطين من أصحاب الحجاج بن يوسف - أنه كان مع سلم بن قتيبة ، فلما خرج إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام ، كتب إليه المنصور يأمره باستخلاف رجل على عمله والقدوم عليه في خاصته على البريد ، قال مطيع : وكانت لي جارية يقال لها جودانة كنت أحبها ، فأمرني سلم بالخروج معه ، فاضطرت إلى بيع الجارية ، فبعتها وندمت على ذلك بعد خروجي وتمنيت أن أكون أقمت ، وتتبعها نفسي ، ونزلنا حلوان ، فجلست على العقبة أنتظر ثقلتي وعنان دابتي في يدي وأنا مستند إلى نخلة على العقبة وإلى جانبها نخلة أخرى ، فتذكرت الجارية واشتقتها وقلت :

وابكيا لي من ريب هذا الزمان^(٢)
رُق بين الآلاف والجيران
قة قد أبكا كما الذي أبكاني
سوف يلقا كما فتفترقان
بفراق الأحباب والخلائ
قيت من فرقة ابنة الدهقان
ويُسلي دنوهُما أحزاني
ت بصدع للبين^(٤) غير مُدان
عين مني وأصبحت لا تراني
لهباً في الضمير ليس بوان
ب زَفْتِه^(٦) ريحان تختلفان

أسعداني يا نخلتي حلوان^(١)
واعلم أن ريبه لم يزل يُف
ولعمري لو ذقتما ألم الفر
أسعداني وأيقنا أن نحساً
كم رمتني صروف هذي الليالي
غير أني لم تلق نفسي كما لا
جارة لي بالرّي تُذهب همي
فجعتني الأيام أغبط^(٣) ما كن
وبرغمي أن أصبحت لا تراها ال
إن تكن ودعت فقد تركت بي
كحريق الضرام^(٥) في قصب الغا

(١) حلوان : موضع يقع في آخر حدود السواد مما يلي الجبال العراقية من بغداد .

(٢) ريبُ الزمان : صرف الدهر . (٣) أغبط : أشد سروراً .

(٤) البين : البعد . (٥) الضرام : الاشتعال .

(٦) زفته : استخفته .

فعليك السلام (مني) ما سا غ سلاماً عقلي وفاض لساني
[الخفيف]

هكذا ذكر أبو الحسن الأسدي في هذا الخبر، وهو غلط.

نسخت خبر هذا من خط أبي أيوب المدائني عن حماد، ولم يقل عن أبيه عن سعيد بن سالم عن مطيع قال: كانت لي بالرّي جارية أيام مُقامي بها مع سَلَم بن قُتيبة، فكنْتُ أَسْتَرُّ بها، وكنْتُ أَعشَق امرأةً من بنات الدّهّاقين كنت نازلاً إلى جنبها في دار لها، فلما خرجنا بعثُ الجارية وبقيت في نفسي علاقةً من المرأة التي كنت أهواها، فلما نزلنا عقبة حُلوان جلست مسنداً إلى إحدى النخلتين اللتين على العقبة فقلت:

أسعداني يا نخلتي حُلوان وارثيالي من ريب هذا الزمان
[الخفيف]

وذكر الأبيات، فقال لي سَلَم: ويلك فيمن هذه الأبيات؟ أفي جاريتك؟ فاستحييتُ أن أصدقه فقلت: نعم. فكتب من وقته إلى خليفته أن يبتاعها لي، فلم ألبث أن ورد كتابه: إني وجدتها قد تداولها الرجال، فقد عزفت نفسي عنها. فأمر لي بخمسة آلاف درهم، ولا والله ما كان في نفسي منها شيء، ولو كنت أحبها لم أبال إذا رجعت إليّ بمن تداولها، ولم أبال لو ناكها أهل مني كلهم.

أخبرني عمي عن الحسن عن أحمد بن أبي طاهر عن عبد الله بن أبي سعد عن محمد بن الفضل الهاشمي عن سلام الأبرش قال:

لما خرج الرشيد إلى طوس هاج به الدم بحلوان، فأشار عليه الطبيب أن يأكل جُمّاراً^(١)، فأحضر دُهقان حلوان وطلب منه جُمّاراً، فأعلمه أن بلده ليس بها نخل، ولكن على العقبة نخلتان، فمُر بقطع إحداهما. فأتى الرشيدُ بجمارتها، فأكل منها وراح^(٢). فلما انتهى إلى العقبة نظر إلى إحدى النخلتين مقطوعة والأخرى قائمة، وإذا على القائمة مكتوب:

أسعداني يا نخلتي حلوان وابكيالي من ريب هذا الزمان
أسعداني وأيقنا أن نحساً سوف يلقاكما فتفترقان
[الخفيف]

(١) الجُمّار، بضم الجيم: شحم النخل.

(٢) راح: استجم واستعاد نشاطه.

فاغتم الرشيد، وقال: يعزُّ عليَّ أن أكون نحسْتُكما، ولو كنتُ سمعت بهذا الشعر ما قطعت هذه النخلة ولو قتلني الدم.

أخبرني الحسن بن علي. قال: حدثنا الحارثي بن أبي أسامة قال: حدثني محمد بن أبي محمد القيسي عن أبي سمير عبد الله بن أيوب. قال:

لما خرج المهدي فصار بعقبة حلوان استطاب الموضع فتغذى ودعا بحسنة فقال لها: أما ترين طيبَ هذا الموضع؟ غنيني بحياتي حتى أشرب هاهنا أقداحاً، فأخذت مِحْكَةً كانت في يده وأوقعت على مخدة وغنَّته.

أيا نخلتي وادي بُوانة حبَّذا إذا نام حراسُ النخيل جناكما [الطويل]

فقال: أحسنت، ولقد هممت بقطع هاتين النخلتين - يعني نخلتي حلوان - فمنعني منهما هذا الصوت. وقالت له حسنة: أعيدك بالله يا أمير المؤمنين أن تكون النحس المفرق بينهما، فقال لها: وما ذاك؟ فأنشدته أبيات مطيع هذه، فلما بلغت إلى قوله:

أسعداني وأيقنا أن نحساً سوف يلقاكما فتفترقان [الخفيف]

قال: أحسنت والله فيما قلت، إذ نهبتني على هذا، والله لا أقطعهما أبداً، ولأوكلنَّ بهما من يحفظهما ويسقيهما ما حييت. ثم أمر بأن يُفعل، فلم يزل في حياته على ما رسمه إلى أن مات.

نسبة هذا الصوت الذي غنَّته حسنة

أيا نخلتي وادي بُوانة حبَّذا إذا نام حُرَّاسُ النخيل جناكما فطيبكما أربى على النخل بهجةً وزاد على طول الفتاء^(١) فتاكما [الطويل]

يقال إن الشعر لعمر بن أبي ربيعة. والغناء للغريض ثاني ثقليل بالوسطى عن عمرو بن بانة، وفيه لعطرد رمل بالوسطى من روايته ورواية الهشامي.

المنصور ونخلتا حلوان:

أخبرني عمي عن أحمد بن طاهر عن الخراز عن المدائني أن المنصور اجتاز

(١) الفتاء: أوج الشباب وقوته.

بنخلتي حلوان وكانت إحداهما على الطريق، فكانت تضيِّقه وتزحم الأثقال عليه، فأمر بقطعهما، فأنشد قولَ مطيع:

واعلم ما بقيتما أن نحساً سوف يلقاكما فتفترقان
[الخفيف]

قال: لا والله ما كنت ذلك النحس الذي يفرق بينهما، وتركهما.

وذكر أحمد بن إبراهيم عن أبيه عن جده إسماعيل بن داود أن المهدي قال: قد أكثر الشعراء في نخلتي حلوان ولهممت أن أمر بقطعهما. فبلغ قوله المنصور، فكتب إليه:

«بلغني أنك هممت بقطع نخلتي حلوان. ولا فائدة لك في قطعهما، ولا ضرر عليك في بقائهما، فأنا أعيذك بالله أن تكون النحس الذي يلقاها، فتفرق بينهما». يريد قول مطيع.

ومما قالت الشعراء في نخلتي حلوان قول حماد عجرد، وفيه غناء قد ذكرته في أخبار حماد:

جعل الله سدرتي قصر شيرين ن^(١) فداءً لنخلتي حلوان
جئت مستسعداً فلم يسعداني ومطيعٌ بكت له النخلتان
[الخفيف]

لشاعر آخر فيهما:

وأنشدني جحظةً ووكيع عن حماد عن أبيه لبعض الشعراء ولم يُسمه:

أيها العاذلان لا تعذلاني ودعاني من الملام دعاني
وابكيالي فإنني مستحقٌ منكما بالبكاء أن تسعداني
إنني منكما بذلك أولى من مطيع بنخلتي حلوان
فهما تجهلان ما كان يشكو من هواه وأنتما تعلمان
[الخفيف]

وقال فيهما أحمد بن إبراهيم الكاتب في قصيدة:

وكذاك الزمان ليس وإن أَلَّفَ يبقَى عليه مؤتلفان
سلبت كُفُّه الغري^(٢) أخاه ثم ثنى بنخلتي حلوان

(١) شيرين: قصر بين حلوان وهمدان. (٢) الغري: مادة لاصقة تستعمل في صناعة النجارة.

فَكَأَنَّ الْغُرْيَ قَدْ كَانَ فَرْدًا وَكَأَنَّ لَمْ تُجَاوِرِ النَّخْلَتَانِ
[الخفيف]

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا أحمد بن زهير. قال: حدثني مصعب الزبيري عن أبيه قال:

جلس مطيع بن إياس في العلة التي مات فيها في قبة خضراء، وهو على فُرش خُضر، فقال له الطبيب: أي شيء تشتهي اليوم؟ قال: أشتهي ألا أموت. قال: ومات في علة هذه، وذلك بعد ثلاثة أشهر مضت له من خلافة الهادي.
قال أبو الفرج: ما وجدت فيه غناء من شعر مطيع، قال:

صوت

أَمَرَّ مَدَامَةً صِرْفًا كَأَنَّ صَبِيبَهَا وَدَجٌ^(١)
كَأَنَّ الْمَسْكَ نَفَحَتْهَا إِذَا بُزِلَتْ^(٢) لَهَا أَرْجٌ^(٣)
فَظَلَّ تَخَالُهُ مَلَكًا يَصْرِفُهَا^(٤) وَيَمْتَزَجُ^(٥)
[مجزوء الوافر]

الغناء لإبراهيم، ثاني ثقل بالخنصر والوسطى عن ابن المكي. وفيه لحن آخر لابن جامع. وهذه الطريقة بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق.

صوت

جُدِلَتْ كَجَدَلِ الْخَيْزَرَا نَ وَثُنِّيَتْ فَتَثْنَتْ
وَتِيَقُنَتْ أَنَّ الْفَوَا دِيُحِبُّهَا فَادَّلَتْ^(٦)
[مجزوء الكامل]

الغناء لعبد الله بن عباس الربيعي خفيف رمل، وذكر حبش أنه لمقاته.

(١) الودج: عرق في العنق.

(٢) بزلت: أي ثقب الدن الذي يحتوي الخمرة.

(٣) الأرج: العبير، الرائحة.

(٤) يصرفها: يجعلها خالصة.

(٥) يمتزج: يخلط.

(٦) أدلت: تدللت وتغنت.

صوت

أيها المبتغي بلوى^(١) رشادي ألهُ عني فما عليك فسادي
أنتَ خلو من الذي بي وما يعـ لم ما بي إلا القريح^(٢) الفؤاد
[الخفيف]

الغناء ليونس رمل بالبنصر من كتابه ورواية الهشامي .

صوت

ألا إن أهل الدار قد ودّعوا الدارا وقد كان أهل الدار في الدار أجوارا^(٣)
يبكي على إثر الجميع فلا يرى سوى نفسه فيها من القوم ديّارا^(٤)
[الطويل]

الغناء لإبراهيم خفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو بن بانه . وذكر ابن المكي أن فيه
لابن سريج لحناً من الثقيل الأول بالبنصر .

انقضت أخبار مطيع ولله الحمد

صوت

في انقباض وحشمة فإذا صادفتُ أهل الوفاء والكرم
أرسلتُ نفسي على سجيتها^(٥) وقلتُ ما قلتُ غير محتشم
[المنسرح]

الشعر لمحمد بن كُناسة الأسدي ، والغناء لقلم الصالحية ، ثقيل أول بالوسطى .
وذكر ابن خرداذبة أن فيه لإسماعيل بن صالح لحناً .

(١) بلوى : إمتحان ، إختبار .

(٢) القريح : الجريح .

(٣) الأجوار ، الواحد جار المجاور لبيتك .

(٤) الديّار : الساكن .

(٥) السجّية : الطبيعة ، الخلق .

أخبار محمد بن كُناسة ونسبه

هو محمد بن كُناسة، واسم كُناسة عبد الله بن عبد الأعلى بن عُبيد الله بن خليفة بن زهير بن نضلة بن أنيف بن مازن بن صهبان - واسم صهبان كعب - بن دويبة بن أسامة بن نصر بن قُعين بن الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خُزيمة؛ ويكنى أبا يحيى. شاعرٌ من شعراء الدولة العباسية، كوفي المولد والمنشئ، قد حُمل عنه شيء من الحديث؛ وكان إبراهيم بن أدهم الزاهد خاله، وكان امرأً صالحاً لا يتصدى لمدح ولا لهجاء؛ وكانت له جارية شاعرة مغنية يقال لها دنانير؛ وكان أهل الأدب وذوو المروءة يقصدونها للمذاكرة والمساجلة في الشعر.

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال: حدثني إبراهيم بن أبي عثمان قال: حدثني مصعب الزُبيري قال:

قلت لمحمد بن كُناسة الأسدي ونحن بباب أمير المؤمنين: أنت الذي تقول في إبراهيم بن أدهم العابد:

رأيتك ما يُغنيك ما دونه الغنى وقد كان يُغني دون ذاك ابن أدهما
وكان يرى الدنيا صغيراً عظيمها وكان لحق الله فيها مُعظماً
وأكثر ما تلقاه في القوم صامتاً فإن قال بدّ القائلين وأحكما
[الطويل]

فقال محمد بن كُناسة: أنا قلتها وقد تركت أجودها. فقال:

أهان الهوى حتى تجنّبه الهوى كما اجتنب الجاني الدّم الطالب الدّما
[الطويل]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان. قال: حدثني علي بن مسرور العتكي قال: حدثني أبي قال: قال ابن كُناسة:

لقد كنتُ أتحدّث بالحديث فلو لم يجد سامعه إلا القطن الذي على وجه أمه في القبر لتعلّل عليه حتى يستخرجه ويهديه إليّ، وأنا اليوم أتحدّث بذلك الحديث فما أفرغ منه حتى أهينّ له عذراً.

ابن كُناسة يداعب جويرة :

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان إجازةً قال: حدثنا ابن أبي سعد. قال: حدثني عبيد الله بن يحيى بن فرقد. قال: سمعت محمد بن كُناسة يقول:

كنتُ في طريق الكوفة، فإذا أنا بجويرة تلعب بالكعاب^(١) كأنها قضيب بانٍ، فقلت لها: أنتِ أيضاً لو وضعتِ لقالوا ضاعت جارية، ولو قالوا ضاعت ظبية كانوا أصدق. فقالت ويلي عليك يا شيخ! وأنت أيضاً تتكلم بهذا الكلام؟ فكُفْتُ واللهِ إلى بالي ثم تراجعت فقلت:

وإني لحلو مخبري إن خبرتني ولكن يُغطيني ولا ريبَ بي شيخ^(٢)

[الطويل]

فقلت لي وهي تلعب وتبسمت: فما أصنع بك أنا إذا؟ فقلت: لا شيء. وانصرفت.

أخبرنا ابن المرزبان. قال: حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه قال:

سألت محمد بن كُناسة عن قول الشاعر:

إذا الجوزاء أردفت الثرياً^(٣) ظننتُ بآل فاطمة الظنوننا

[الوافر]

فقال: يقول إذا صارت الجوزاء في الموضع الذي تُرى فيه الثرياً خفت تفرّق الحيّ من مجتمعهم؛ والثريا تطلّع بالغداة في الصيف، والجوزاء تطلّع بعد ذلك في أول القيظ.

أخبرني ابن المرزبان. قال: حدثني ابن أبي سعد. قال: حدثني صالح بن أحمد بن عباد قال:

تعريض ابن كُناسة بامرأته التي كان يبغضها:

مرَّ محمد بن كُناسة في طريق بغداد، فنظر إلى مصلوب على جذع، وكانت عنده امرأة يبغضها، وقد ثقل عليه مكانها، فقال يعينها:

أيا جذع مصلوب أتى دون صلبه ثلاثون حولاً كاملاً هل تُبادل

(١) الكعاب: فصوص النرد.

(٢) الشيخ: المسنن، المتقدم في السن.

(٣) الثرياً: مجموعة كواكب في عنق الثور سُميت بذلك لكثرة كواكبها مع ضيق المحل.

فما أنت بالحِمل الذي قد حملته بأضجر مني بالذي أنا حاملُ
[الطويل]

أخبرني ابن المرزبان. قال: حدثنا عبد الله بن محمد. وأخبرني الحسن بن علي عن ابن مهرويه عن محمد بن عمران عن عُبَيْد بن حسن. قال: رأى رجل محمد بن كناسة يحمل بيده بطنَ شاة، فقال: هاته أحمله عنك: فقال: لا. ثم قال:

لا يُنقصُ الكامل من كماله ما جرّ من نفعٍ إلى عياله
[الرجز]

ابن كناسة ينوّه بذكاء جاريته دنانير:

أخبرني وكيع. قال: أخبرني ابن أبي الدنيا. قال: حدثني محمد بن علي بن عثمان عن أبيه قال:

كنت يوماً عند ابن كناسة، فقال لنا: أعرفُكم شيئاً من فهم دنانير؟ يعني جاريته. قلنا: نعم. فكتب إليها: «إنك أمةٌ ضعيفة لكعاء»^(١)، فإذا جاءك كتابي هذا فعجلي بجوابي. والسلام». فكتبت إليه: «ساءني تهجينك»^(٢) إياي عند أبي الحسين^(٣)، وإن من أعياء العبيّ الجواب عما لا جواب له. والسلام».

أخبرني وكيع. قال: أخبرني ابن أبي الدنيا. قال: كتب إليّ الزبير بن بكار أخبرني عليّ بن عثمان الكلابي. قال:

دنانير ترثي صديق أبي الحسين:

جئت يوماً إلى منزل محمد بن كناسة فلم أجده، ووجدت جاريته دنانير جالسة، فقالت لي: ما لك مخزوناً يا أبا الحسين؟ فقلت: رجعتُ من دفن أخ لي من قريش. فسكتت ساعة ثم قالت:

بكيّت على أخ لك من قريش فإبكانا بكأوك يا عليّ
طهارةً صحبه الخبرُ الجليّ فمات وما خبرناه ولكن
[الوافر]

(١) لكعاء: لئيمة.

(٢) التهجين: التقييح.

(٣) كنية علي بن عثمان، راوي الخبر.

أخبرني الحسن بن علي الخفَّاف . قال : حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه .
قال : حدثني محمد بن عمران الضبي قال :

أملق محمد بن كُناسة فلامه قومه في القعود عن السلطان وانتجاعه^(١) الأشراف
بأدبه وعلمه وشعره ، فقال لهم مجيباً عن ذلك :

تؤنّبني أن صُنْتُ عِرْضِي عِصَابَةً لها بين أطناب^(٢) اللئام بَصِيصُ^(٣)
يقولون : لو غَمَّضْتُ لآزِدْتُ رِفْعَةً فقلتُ لهم : إني إذن لحريصُ^(٤)
أَتَكَلِّمُ وَجْهِي لَا أَبَا لَأَبِيكُمْ مطامعُ عنها للكرام محيصُ^(٥)
معاشي دُوبِنَ القوت والعِرْض وافرٌ وبطني عن جدوى^(٦) اللئام خَمِيصُ^(٧)
سألقي المنيالِم أخالط دَنِيَّةً ولم تَسْرِ بي في المخزيات قَلُوصُ^(٨)
[الطويل]

حدثنا الحسن بن علي . قال : حدثني ابن مهرويه . قال : حدثني محمد بن عمر
الجرجاني . قال : حدثني إسحاق الموصلي . قال :
أنشدني محمد بن كُناسة لنفسه قال :

فِي انْقِبَاضٍ وَحِشْمَةٍ فَإِذَا صادفتُ أهل الوفاء والكرم
أرسلتُ نفسي على سَجِيَّتِهَا^(٩) وقلتُ ما قلتُ غير مُحتشم
[المنسرح]

قال إسحاق : فقلت لابن كُناسة : ودِدْتُ أنه نقص من عمري سنتان وأني كنت
سبقتك إلى هذين البيتين فقلتُهما .

ابن كُناسة يرثي إبراهيم بن أدهم :

حدثني الحسن . قال : حدثنا ابن مهرويه . قال : حدثني محمد بن عمران
الضبي . قال : حدثني محمد بن المقدم العجلي قال :

(١) الانتجاع : إتيان امرئ طلباً لرفده ومعروفه .

(٢) الأطناب ، الواحد طنْب : جبل الخباء .

(٣) البصيص : الإشعاع ، البريق .

(٤) الحريص : البخيل ويقال : حرص على الرجل ، أي أشفق وجدّ في نفعه .

(٥) المحيص : المفترّ ، الخلاص . (٦) الجدوى : العطاء ، الكرم .

(٧) خميص : ضامر لشدة الجوع . (٨) القلوص من الإبل : الفتية ، الشابة .

(٩) سجيّتها : طبيعتها ، خلقها .

كانت أم محمد بن كُناسة امرأة من بني عجل ، وكان إبراهيم بن أدهم خاله أو ابن خاله ، فحدثني ابن كناسة أن إبراهيم بن أدهم قدم الكوفة فوجهت أمه إليه بهدية معه ، فقبلها ووهب له ثوباً ، ثم مات إبراهيم ، فرثاه ابن كناسة فقال :

رأيتك ما يكفيك ما دونه الغنى وقد كان يكفي دون ذاك ابن أدهما
وكان يرى الدنيا قليلاً كثيرها فكان لأمر الله فيها مُعظماً
أما الهوى حتى تجنّب الهوى كما اجتنب الجاني الدم الطالب الدما
وللحلم سلطان على الجهل عنده فما يستطيع الجهل أن يترمرماً^(١)
وأكثر ما تلقاه في القوم صامتاً وإن قال بذّ القائلين وأحكما
يُرى مستيكناً خاضعاً متواضعاً وليثاً إذا لاقى الكتيبة ضيغماً
على الجَدث^(٢) الغربي من آل وائل سلامٌ وبرٌّ ما أبر وأكرماً
[الطويل]

أخبرني الحسن . قال : حدثنا ابن مهرويه . قال : حدثني زكريا بن مهراّن . قال :
عابّ محمد بن كُناسة صديقاً له شريف كان ابن كناسة يزوره ويألفه على تأخره عنه ،
فقال ابن كناسة :

ضعفت عن الإخوان حتى جفوتهم^(٣) على غير زهد في الوفاء ولا ودّ
ولكن أيامي تخرم^(٤) منّي^(٥) فما أبلغ الحاجات إلا على جهد
[الطويل]

رأي ابن كناسة في الدنيا :

حدثني الحسن بن علي . قال : حدثنا ابن مهرويه . قال : حدثني محمد بن
عمران الضبي . قال : أنشدني ابن كناسة - قال الضبي : وكان يحيى يستحسنها ويعجب
بها - :

ومن عجب الدنيا تبقيك لليلي^(٦) وأنك فيها للبقاء مريد
وأي بني الأيام إلا وعنده من الدهر ذنب طارف وتليد

(١) ترمرم : حرّك فاه للكلام ولم يتكلّم . (٢) الجدث : القبر .

(٣) جفوتهم : أعرضت عنهم وبعدت . (٤) تخرم : انقطع .

(٥) منّي : قوّتي .

(٦) اليلي ، بكسر الباء : الموت .

ومن يأمن الأيام أما انبياءُها^(١) فخطر^(٢) وأما فجعها فعتيد^(٣)
إذا اعتادت النفس الرضاع من الهوى فإن فطام النفس عنه شديد

[الطويل]

حدثني الحسن . قال : حدثنا ابن مهرويه . قال : حدثني محمد بن عمران
الضبي . قال : قال لي عبيد بن الحسن :

قال لي ابن كُناسة ذات يوم في زمن الربيع : اخرج بنا ننظر إلى الحيرة فإنها
حسنة في هذا الوقت . فخرجت معه حتى بلغنا الخورنق^(٤) ، فلم يزل ينظر إلى البر
وإلى رياض الحيرة ، وحمرة الشقائق ، فأشأ يقول :

الآن حين تزيّن الظَّهْرُ ميثاؤه^(٥) وبراقه^(٦) العُفْرُ^(٧)
بسط الربيع بها الرياض كما بُسِطَ قُطُوعُ^(٨) اليمنة الحمُرُ
برية في البحر نابتة يُجْبَى إليها البرُّ والبحرُ
وجرى الفرات على مياسرها وجرى على أيمانها الزهرُ
وبدا الخورنق في مطالعها فرداً يلوح كأنه الفجرُ
كانت منازل للملوك ولم يُعلم بها المملّك قبرُ
[الكامل]

قال : ثم قال يصف تلك البلاد :

سَمُلْتُ عَنْ بَرْدِ أَرْضٍ زادها البردُ عذاباً
وعَلْتُ عَنْ حَرٍّ أُخْرَى تُلهِبُ النارَ التَّهاباً
مُزِجَتْ حِيناً بِبَرْدٍ فصفا العيشُ وطاباً
[مجزوء الرمل]

(١) الانبياء : الوثوب بعد سكون .

(٢) الخطر : حركة يعمد إليها الفحل فيحرك ذنبه يميناً وشمالاً .

(٣) العتيد من كل شيء : المهيأ للمستقبل .

(٤) الخورنق : موضع في العراق اشتهر بقصر النعمان اللخمي .

(٥) الميثاء : الأرض السهلة .

(٦) البراقة ، الواحدة برقاء : الأرض الغليظة تختلط فيها الرمال بالحصى .

(٧) العفر من الظباء : وهو من أضعفها عدواً .

(٨) قطوع اليمنة : بسط اليمن .

ابن كناسة ينصح ابنه في اختيار الصديق :

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي . قال : حدثنا الحسن بن عليل العنزي . قال :
حدثني إسحاق بن محمد الأسدي . قال : حدثني عبد الأعلى بن محمد بن كناس
قال :

رأني أبي مع أحداث لم يرَهم ، فقال لي :

يُنْبِيكَ عَنْ عَيْبِ الْفَتَى تَرْكُ الصَّلَاةِ أَوْ الْخَدِيقِ
فَإِذَا تَهَاجَرُوا بِالصَّلَا فَمَالَهُ فِي النَّاسِ دِينُ
وَيُزَنُ^(١) ذُو الْحَدَثِ الْمَرِي بِبِمَا يُزَنُ بِهِ الْقَرِينُ^(٢)
إِنَّ الْعَفْيفَ إِذَا تَكَنَّ فَهُ^(٣) الْمَرِيْبُ هُوَ الظَّنِينُ^(٤)

[مجزوء الكامل]

أخبرني عيسى بن الحسين الوراق . قال : حدثني ابن مهوريه . قال : حدثني
أحمد بن خلاد . قال : أخبرنا عباد بن الحسين بن عباد بن كناسة - قال : كان
محمد بن كناسة عم أبيه - قال :

كَانَ يَجِيءُ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ كُنَاسَةَ رَجُلٌ مِنْ عَشِيرَتِهِ ، فَيَجَالِسُهُ ، وَكَانَ يَكْتُبُ
الْحَدِيثَ وَيَتَفَقَّهُ وَيُظْهِرُ أَدْبًا وَنَسْكَأً ؛ وَظَهَرَ مُحَمَّدُ بْنُ كُنَاسَةَ مِنْهُ عَلَى بَاطِنٍ يَخَالِفُ
ظَاهِرَهُ ، فَلَمَّا جَاءَهُ ، قَالَ لَهُ :

مَا مَنْ رَوَى أَدْبًا فَلَمْ يَعْمَلْ بِهِ وَيَكْفُ عَنْ دَفْعِ الْهَوَى بِأَدَبٍ
حَتَّى يَكُونَ بِمَا تَعَلَّمَ عَامِلًا مِنْ صَالِحٍ فَيَكُونَ غَيْرَ مُعَيَّبٍ
وَلَقَلَّمَا يُغْنِي إِصَابُهُ قَائِلٌ أَفْعَالُهُ أَفْعَالُ غَيْرِ مُصِيبٍ

[الكامل]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان . قال : حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه
عن ابن كناسة عن أبيه عن جده قال :

أَتَيْتُ امْرَأَةً مِنْ بَنِي أَوْدٍ تَكْحُلُنِي مِنْ رَمَدٍ كَانَ أَصَابَنِي ، فَكَحَلْتَنِي ثُمَّ قَالَتْ
اضْطَجِعْ قَلِيلًا حَتَّى يَدُورَ الدَّوَاءُ فِي عَيْنِكَ . فَاضْطَجَعْتُ ، ثُمَّ تَمَثَّلْتُ قَوْلَ الشَّاعِرِ :

(١) يَزَنُ : يَتَهَمُ .

(٢) الْقَرِينُ : الصَّاحِبُ ، الصَّدِيقُ .

(٣) تَكْنَفُهُ : حَضَنَهُ وَضَمَّهُ إِلَيْهِ ، اسْتَحُوذَ عَلَيْهِ .

(٤) الظَّنِينُ : الْمُتَهَمُ .

أُمخترمي^(١) رَيْبُ المنون^(٢) ولم أُرَ طبيبَ بني أودٍ على النَّأي^(٣) زينبا [الطويل]

فضحكت ثم قالت: أتدري فيمن قيل هذا الشعر؟ قلت: لا والله. فقالت: فيَّ والله قيلَ، وأنا زينبُ التي عنها، وأنا طبيب أود، أفتردي من الشاعر؟ قلت: لا. قالت: عمك أبو سماك الأسدي.

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق. قال: حدثنا الزبير بن بكار. قال: أخبرني علي بن عثّام الكلابيّ قال:

جارية ابن كُناسة تقول شعراً فيمن يعرض لها بأنه يهواها:

كانت لابن كُناسة جارية شاعرة مغنية، يقال لها دنانير، وكان له صديق يكنى أبا الشعثاء، وكان عفيفاً مزاحاً، فكان يدخل إلى ابن كُناسة يسمع غناء جاريته ويعرض لها بأنه يهواها، فقالت فيه:

لأبي الشعثاء حبٌّ باطنٌ	ليس فيه نهضةٌ لملتهم
يا فؤادي فازدجر عنه ويا	عبثَ الحبِّ به فاقعد وقم
زارني منه كلامٌ صائبٌ	ووسيلاتُ المحبين الكلم
صائدٌ تأمنه غزلائه	مثل ما تأمنُ غزلائُ الحرم
صلِّ إن أحببتَ أن تُعطى المني	يا أبا الشعثاء لله وضم
ثم ميعادُك يوم الحشر في	جَنَّة الخلد إن الله رحم
حيث ألقاك غلاماً ناشئاً	يافعاً ^(٤) قد كُملت فيه النعم

[الرمّل]

ابن كُناسة يرثي جاريته:

أخبرني أحمد بن العباس العسكري المؤدّب. قال: حدثنا الحسن بن عُليل العنزي قال: حدثني أحمد بن محمد الأسدي. قال: حدثني جدي موسى بن صالح قال: ماتت دنانير جارية ابن كُناسة، وكانت أديبة شاعرة، فقال يرثيها بقوله:

(١) أمخترمي: أمهلكي، أميتني.

(٢) رَيْبُ المنون: صرف الدهر.

(٣) النَّأي: البعد.

(٤) اليافع: الشاب الذي بلغ العشرين من عمره.

أَلْحَمْدُ لِلَّهِ لَا شَرِيكَ لَهُ يَا لَيْتَ مَا كَانَ مِنْكَ لَمْ يَكُنْ
إِنْ يَكُنِ الْقَوْلُ قَلًّا فَيْكَ فَمَا أَفَحَمَنِي غَيْرُ شِدَّةِ الْحَزَنِ

[المنسرح]

قال أبو الفرج: وقد روى ابن كناسة حديثاً كثيراً، وروى عنه الثقات من المحدثين؛ فممن روى ابن كناسة عنه سليمان بن مُهران الأعمش، وإسماعيل بن أبي خالد، وهشام بن عروة بن الزبير، ومسعر بن كدام، وعبد العزيز بن أبي داود، وعُمَر بن ذر الهمداني، وجعفر بن بُرقان، وسفيان الثوري، وفطر بن خليفة ونظراؤهم.

طائفة مما روي من الأحاديث:

أخبرني الحسن بن علي. قال: حدثنا محمد بن سعد العوفي. قال: حدثنا محمد بن كناسة. قال: حدثنا الأعمش عن شقيق بن سلمة عن أبي موسى الأشعري. قال: قلت: يا رسول الله إن الرجل يحب القوم ولم يلحق بهم. قال: «المرء مع من أحب».

أخبرني الحسن. قال: حدثنا محمد بن سعد. قال: حدثنا محمد بن كناسة. قال: حدثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن جعفر قال: قال رسول الله ﷺ: «خير نسائها مريم بنت عمران، وخير نسائنا خديجة». والله أعلم.

أخبرني الحسن. قال: حدثنا محمد بن سعد. قال: حدثنا ابن كناسة. قال: حدثنا إسماعيل بن أبي خالد، عن زرّ بن حُبَيْش قال:

كانت في أبيّ بن كعب شراسة، فقلت له: يا أبا المنذر، اخفض جناحك يرحمك الله، وأخبرنا عن ليلة القدر. فقال: هي ليلة سبع وعشرين. وقد روى حديثاً كثيراً ذكرت منه هذه الأحاديث فقط، ليعلم صحة ما حكّيته عنه، وليس استيعاب هذا الجنس مما يصلح هاهنا.

أخبار قلم الصالحية

كانت قلمُ الصالحية جاريةً مولدة صفراء حُلوةً حسنة الغناء والضرب حاذقةً، قد أخذت عن إبراهيم وابنه إسحاق، ويحيى المكي، وزبير بن دحمان. وكانت لصالح بن عبد الوهّاب أخي أحمد بن عبد الوهّاب كاتب صالح بن الرشيد، وقيل: بل كانت لأبيه. وكانت لها صنعة يسيرة نحو عشرين صوتاً. واشتراها الواثق بعشرة آلاف دينار.

فأخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر. قال: حدثني رذاذ أبو الفضل المغنّي مولى المتوكل على الله، قال: حدثني أحمد بن الحسين بن هشام، قال:

كانت قلمُ الصالحية جاريةً صالح بن عبد الوهّاب إحدى المغنّيات المحسنات المتقدّمات، فعُني بين يدي الواثق لحن لها في شعر محمد بن كناسة، قال:

في انقباضٍ وحشمةٍ فإذا صادفتُ أهل الوفاء والكرم
أرسلتُ نفسي على سجيّتها وقلتُ ما قلتُ غير مُحتشم
[المنسرح]

فسأل: لمن الصنعة فيه؟ ف قيل: لقلم الصالحية جارية صالح بن عبد الوهّاب. فبعث إلى محمد بن عبد الملك الزيات فأحضره. فقال: ويلك! من صالح بن عبد الوهّاب هذا؟ فأخبره. قال: أين هو؟ قال: ابعت فأشخصه وأشخص معه جاريته. فقدمّا على الواثق، فدخلت عليه قلم، فأمرها بالجلوس والغناء، فغنّت، فاستحسن غناءها وأمر بابتاعها. فقال صالح: أبيعها بمائة ألف دينار وولاية مصر. فغضب الواثق من ذلك، وردّ عليه. ثم غنى بعد ذلك زُرور الكبير في مجلس الواثق صوتاً، الشعر فيه لأحمد بن عبد الوهّاب أخي صالح، والغناء لقلم، وهو:

أبت دار الأحبة أن تبيننا^(١) أجذك^(٢) ما رأيت لها مُعيناً

(١) تبين: تبع.

(٢) أجذك: أي أحقاً ما تقول.

تقطع نفسه من حبّ ليلي نفوساً ما أثبتن^(١) ولا جُزينا
[الوافر]

فسأل: لمن الغناء؟ فقيل: لقلم جارية صالح. فبعث إلى ابن الزيّات: أشخص صالحاً ومعه قلم. فلما أشخصهما دخلت على الواصل، فأمرها أن تغنيه هذا الصوت، فغنته، فقال لها: الصنعة فيه لك؟ قالت: نعم يا أمير المؤمنين. قال: بارك الله عليك. وبعث إلى صالح فأحضر، فقال: أما إذا وقعت الرغبة فيها من أمير المؤمنين فما يجوز أن أملك شيئاً له فيه رغبة، وقد أهديتها إلى أمير المؤمنين، فإن من حقها عليّ إذا تناهيت في قضائه أن أصيرها ملكه، فبارك الله له فيها. فقال له الواصل: قد قبلتها. وأمر ابن الزيّات أن يدفع إليه خمسة آلاف دينار، وسماها احتياطاً. فلم يعطه ابن الزيّات المال ومطله^(٢) به، فوجه صالح إلى قلم من أعلمها ذلك، فغنت الواصل وقد اصطبح صوتاً، فقال لها: بارك الله فيك وفيمن ربّك. فقالت: يا سيدي وما نفع من رباني مني إلا التعب والغرم علي والخروج مني صيفراً؟ قال: أو لم أمر له بخمسة آلاف دينار؟ قالت: بلى ولكن ابن الزيّات لم يعطه شيئاً. فدعا بخادم من خاصة الخدم ووقع إلى ابن الزيّات بحمل الخمسة آلاف الدينار إليه، وخمسة آلاف دينار أخرى معها. قال صالح: فصرْتُ مع الخادم إليه بالكتاب، فقربني وقال: أما الخمسة الآلاف الأولى فخذها فقد حضرت، والخمسة الآلاف الأخرى أنا أدفعها إليك بعد جمعة. فقمْتُ، ثم تناساني كأنه لم يعرفني، وكتبت أقترضه، فبعث إلي: اكتب لي قبضاً^(٣) بها وخذها بعد جمعة. فكرهت أن أكتب قبضاً بها فلا يحصل لي شيء، فاستترتُ وهو في منزل صديق لي؛ فلما بلغه استتاري خاف أن أشكوه إلى الواصل، فبعث إليّ بالمال وأخذ كتابي بالقبض. ثم لقيني الخادم بعد ذلك فقال لي: أمرني أمير المؤمنين أن أصيرَ إليك فأسألك، هل قبضت المال؟ قلت: نعم قد قبضته. قال صالح: وابتعت بالمال ضيعة وتعلقت بها وجعلتها معاشي، وقعدت عن عمل السلطان فما تعرضت منه لشيء بعدها.

(١) أثبتن: جزين.

(٢) مطله: سوف الوعد وأخلفه.

(٣) القبض: التملك.

علي بن الجهم يمدح الواثق :

أخبرني محمد بن يحيى . قال : أخبرني ابن إسحاق الخراساني . قال : وحدثني محمد بن مُخارق . قال :

لما بويع الواثق بالخلافة دخل عليه علي بن الجهم فأنشده قوله :

قد فاز ذو الدنيا وذو الدين بدولة الواثق هارون
وعمّ بالإحسان من فعله فالناس في خفض وفي لين
ما أكثر الداعي له بالبقا وأكثر التّالي بآمين
[السريع]

وأنشده أيضاً قوله فيه :

وثقت بالملك الوا ثق بالله النفوس
ملك يشقى به الما ل ولا يشقى الجليس
أسد تضحك عن ش لذاته الحرب العبوس
أنس السيف به واست وحش العلق^(١) النفيس^(٢)
يا بني العباس يأبى الل له إلا أن تـسـسـوسـوا
[مجزوء الرمل]

قال : فوصله الواثق صلة سنيّة .

وتغنت قلم جارية صالح بن عبد الوهّاب في هذين الشعرين ، فسمع الواثق الشعرين واللحنين من غيرها فأراد شراءها ، وأمر محمد بن عبد الملك الزيات بإحضار مولاهما وإحضارها ، واشتراها منه بعشرة آلاف دينار .

صوت

وكنّت أعير الدمع قبلك من بكى فأنت على من مات قبلك شاغلّه

(١) العلق ، بكسر العين : كلّ شيء ثمين وغالٍ .

(٢) النفيس : الغالي ، الثمين .

سقى جدثاً^(١) أعرافُ غَمرةِ دونه ببيشة^(٢) ديماتُ^(٣) الربيع ووابله^(٤)
وما بي حبُّ الأرض إلا جوارها صدهُ وقولُ ظنّ أني قائلُهُ
[الطويل]

الشعر للشمر دل بن شريك من قصيدة طويلة مشهورة يرثي بها أخاه، والغناء
لعبد الله بن العباس الربيعي ثقیل أول بالوسطى، ابتداءً نشيد، ولمقاسة بن ناصح
فيه خفيف رمل بالوسطى جمعاً عن الهشامي، وذكر حبش أن خفيف الرمل لخزرج.

(١) الجدث: القبر.

(٢) بيشة: موضع.

(٣) ديمات، الواحدة ديمة: مطر يدوم في سكون بلا رعد ولا برق.

(٤) الوابل: المطر الغزير.

أخبار الشمردل ونسبه

الشمردل بن شريك بن عبد الملك بن رُؤبة بن سلمة بن مكرم بن ضباري بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع. وهو شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية، كان في أيام جرير والفرزدق.

خروجه وإخوته إلى خراسان:

أخبرني أبو دُلف هاشم بن محمد الخزاعي، قال: حدثنا أبو غسان دماذ واسمه رفيع بن سلمة عن أبي عبيدة معمر بن المثنى قال:

كان الشمردل بن شريك شاعراً من شعراء بني تميم في عهد جرير والفرزدق، وكان قد خرج هو وإخوته حكم ووائل وقُدامة إلى خراسان مع وكيع بن أبي سود، فبعث وكيع أخاه وائلاً في بعث لحرب الترك، وبعث أخاه قُدامة إلى فارس في بعث آخر، وبعث أخاه حكماً في بعث إلى سجستان، فقال له الشمردل: إن رأيت أيُّها الأمير أن تنفذنا معاً في وجه واحد، فإننا إذا اجتمعنا تعاوناً وتناصرنا وتناسبنا. فلم يفعل ما سألته، وأنفذهم إلى الوجوه التي أرادها، فقال الشمردل يهجوهم، وكتب بها إلى أخيه حكم مع رجل من بني جُشم بن أد بن طابخة:

إني إليك إذا كتبت قصيدة	لم يأتيني لجوابها مرجوع
أُضيعها الجُشمي فيما بيننا	أم هل إذا وصلت إليك تضيع؟
ولقد علمت، وأنت عني نازح	فيما أتى كبداً الحمار وكيع
وبنو عُدانة كان معروفاً لهم	أن يُهضموا ويَضيمهم ^(١) يربوع
وعُمارة العبد المبيّن إنه	واللؤم في بدن القميص جميع

[الكامل]

رثاؤه لأخويه قدامة ووائل:

قال أبو عبيدة: ولم ينشب^(٢) أن جاءه نعي أخيه قُدامة من فارس؛ قتله جيش

(١) يَضيمهم: يظلمهم.

(٢) لم ينشب: لم يلبث.

لقوهم بها، ثم تلاه نعي أخيه وائل بعده بثلاثة أيام، فقال يرثيها:

أعاذلُ كم من روعةٍ قد شهدتها
إذا وقعت بين الحيازيم^(٢) أسدفت^(٣)
وما أنا إلا مثلٌ من ضربت له
أقول إذا عزيتُ نفسي بإخوة
أبى الموتُ إلا فجَعَ كلَّ بني أب
سبيل حبيبيّ اللذين تبرّضا^(٥)
كأن لم نسريوماً ونحن بغبطة^(٦)
فعيني إن أفضلتما بعد وائل
خليلي من دون الأخلاء أصبحا
فلا يبعدا للداعيين إليهما
فقد عديم الأضياف بعدهما القري^(٨)
وكانا إذا أيدي الغضاب تحطمت
تجاجز أيدي جهل القوم عنهما
كمستأسدي^(١٤) عريسة^(١٥) لهما بها
وغصّة حزن في فراق أخ جزل^(١)
علي الضحى حتى تنسيني أهلي
أسى^(٤) الدهر عن ابني أب فارقا مثلي
مضوا لا ضعاف في الحياة ولا عزل
سيمسون شتى غير مجتمعي الشمل
دموعي حتى أسرع الحزن في عقلي
جميعاً وينزل عند رحيلهما رحلي
وصاحبه دمعاً فعودا على الفضل
رهيني وفاء من وفاة ومن قتل
إذا اغبر آفاق السماء من المحل^(٧)
وأحمد نار الليل كل فتى وغل^(٩)
لواغر^(١٠) صدر أو ضغائن^(١١) من تبل^(١٢)
إذا أتعب الحلم التترع^(١٣) بالجهل
حمى هابه من بالحزونة^(١٦) والسَّهل
[الطويل]

ومنها الصوت الذي ذكرت أخباره بذكره.

رثاؤه أخاه وائلاً أيضاً:

قال أبو عبيدة: وقال يرثي أخاه وائلاً، وهي من مختار المراثي وجيد شعره:

- (١) الجزل من الأصحاب: العظيم.
- (٢) الحيازيم: الإبل المجتازة برفق في المساء.
- (٣) أسدفت: اشتدت الظلمة.
- (٤) أسى، بضم الهمزة، الواحدة أسوة: هو ما يتعزى به الحزين.
- (٥) تبرّض الماء والدمع: خرج قليلاً قليلاً.
- (٦) الغبطة: المسرة.
- (٧) المحل: الجفاف.
- (٨) القري، بكسر القاف: الضيافة.
- (٩) الوغل: الدنى، الجبان.
- (١٠) الواغر: المتقد غيظاً.
- (١١) الضغائن، الواحدة ضغن: الأحقاد.
- (١٢) التبل: العداوة.
- (١٣) التترع: الامتلاء.
- (١٤) المستأسدي: من تشبه بالأسد لشجاعته.
- (١٥) عريسة الأسد: عرينه.
- (١٦) الحزونة: الأرض الصعبة المرتقى، يكثر فيها الحصى.

لعمري لئن غالت أخي دارُ فرقةٍ
وحلّت به أثقالها الأرضُ وانتهى
لقد ضُمنت جلد القوى كان يُتقى
وُصولٌ إذا استغنى وإن كان مقتراً^(٢)
محلٌّ لأضياف الشتاء كأنما
رخيصٌ نضيج اللحم مُغلٍ بنيته
أقول، وقد رجمتُ^(٦) عنه فأسرعت
إلى الله أشكو لا إلى الناس فقدّه
وتحقيق رؤيا في المنام رأيتهما
سقى جدثاً^(٩) أعراف غمرة دونه
بمشوى غريب ليس منا مزاره
إذا ما أتى يومٌ من الدهر دونه
سنا صبح إشراق أضاء ومغرب
تحية من أدى الرسالة حُبت
أبا الصبر إن العين بعدك لم يزل
وكنْتُ أعير الدمع قبلك من بكى
يذكرني هيف^(١٥) الجنوب ومُنتهى

وآب إلينا سيفه ورواحله
بمثواه^(١) منها وهو عفّ مأكله
به جانب الشجر المخوف زلازلُه
من المال لم يُحف^(٣) الصديق مسأله^(٤)
هُم عنده أيتامه وأرامله
إذا بردت عند الصّلاء^(٥) أنامله
إليّ بأخبار اليقين محاصله
ولوعة حزن أوجع القلب داخله
فكان أخي رُمحاً ترقض^(٧) عامله^(٨)
ببيشة^(١٠) ديمات^(١١) الربيع ووابله^(١٢)
بذاني ولا ذو الودّ متّاً مواصله
فحيّاك عنا شرقه وأصائله
من الشمس وافى جناح ليلٍ أوائله
إليه ولم ترجع بشيءٍ رسائله
يخالط جفنيها قذى^(١٣) لا تزيّله^(١٤)
فأنت على من مات بعدك شاغله
مسير الصبا^(١٦) رمساً^(١٧) عليه جنادله^(١٨)

(١) المشوى: المسكن، القرار أو القبر.

(٣) لم يحف الصديق: لم يعدم.

(٥) الصلاء: اسم للوقود والدفع.

(٧) ترفض: تحطّم، تكسّر.

(٩) الجدث: القبر.

(١١) الديمات، الواحدة ديمة: مطر يدوم في سكون بلا رعد وبلا برق.

(١٢) الوابل: المطر الغزير.

(١٣) القذى: ما يقع في العين من قش، أو تراب وسواه.

(١٤) تُزيّله: تفارقه.

(١٦) الصبا: ريح رقيق يهب من مطلع الثريا إلى بنات نعش.

(١٧) الرمس: القبر.

(١٨) الجنادل: الحجارة الصلبة من الصوان.

(٢) المقتّر: القليل المال، الفقير.

(٤) مسأله: من يُطلب منه العون.

(٦) رجمت: رميت.

(٨) عامل المرح: صدره، وهو ما يلي السنان.

(١٠) بيّشة: موضع.

(١٥) الهيف من الرياح: الحارّ يهب من جهة اليمن.

وهتّافَةٌ فوق الغصون تفجعت
من الورق بالأصياف نواحة الضحى
وسورة أيدي القوم إذ حُلَّت الحُبا
فعينيّ إذا أبكاكما الدهر فابكيا
إذا استعبرت عوذُ النساء وشمّرت
وأصبح بيت الهجر قد حال دونه
وثقن به عند الحفيظة فارعوى
إلى ذائد^(٧) في الحرب لم يكُ خاملاً
كما ذاد^(٩) عن عريسة^(١٠) الغيل مُخدير
فما كنت أُلقي لامرئٍ عند موطن
وكنت به أغشى القتال فعزّني^(١٣)
لعمرك إن الموت منا لمولعٌ
فما البعد إلا أننا بعد صحبة
سقى الضفراء^(١٦) الغيث ما دام ثاوياً^(١٧)
وما بي حبُّ الأرض إلا جوارها

لفقد حمام أفردتها حباللُة
إذا الغرقد^(١) التفت عليه غياطلُة^(٢)
حبا^(٣) الشيب واستعوى أخا الحلم جاهلُة
لمن نصره قد بان^(٤) منا ونائلُة^(٥)
مازَرَ يوم ما توارى خلاخلُة
وغال امرأ ما كان يُخشى غوائلُة
إلى صوته جاراته وحلائلُة^(٦)
إذا عاذ^(٨) بالسيف المجرد حاملُة
يخاف الردى^(١١) ركبانه ورواحلُة^(١٢)
أخاً بأخي، لو كان حيّاً أبادلُة
عليه من المقدار من لا أقاتلُة
بمن كان يُرجي نفعه ونوافلُة
كأن لم نُبأيت^(١٤) وائلاً ونقايلُة^(١٥)
بهنّ وجادت أهلَ شوكٍ مخايلُة
صداه وقولٌ ظنّ إنني قائلُة
[الطويل]

رثاؤه لأخيه حكم:

قال أبو عبيدة: ثم قتل أخوه حكم أيضاً في وجهه، وبرز بعض عشيرته إلى قاتله فقتله، وأتى أخاه الشمردل أيضاً نعيه فقال يرثيه:

- (١) الغرقد: ضرب من الشجر.
- (٢) غياطله: ما اجتمع منه والتف.
- (٣) الحباء، الواحد حبوة: وهو من الأثواب ما يحتبى به.
- (٤) بان: بعد واختفى.
- (٥) النائل: العطاء.
- (٦) الحلائل: الزوجات.
- (٧) ذائد: مدافع، محام.
- (٨) عاذ: لجأ، احتمى.
- (٩) ذاد: حامى، دافع.
- (١٠) العريسة: بيت الأسد.
- (١١) الردى: الموت.
- (١٢) الرواحل، الواحدة راحلة من الإبل.
- (١٣) عزّني: غلبني.
- (١٤) لم نبأيت: لم نشارك في المبيت.
- (١٥) نقايله: نشاركه نوم القيلولة عند الظهيرة.
- (١٦) الضفراء، الواحدة ضفرة من الأراضي: السهلة المستطيلة.
- (١٧) الثاوي: الساكن.

بأبيض لا أراه ولا يراني
وكل ابني أب متفارقان
وكنْتُ مُجيبَه أني دعاني
ولو أني الفقيد إذا بكاني
ولم ترهب غوائله الأذاني
نصول به لدى الحرب العوان^(٢)
بدا الخفرات^(٣) من هول الجنان^(٤)
وليس الرّمح إلا بالسنان
وكيف صلاحها بعد البنان
ولا أخشى وراءك من رمان
إلي الطرف^(٥) واغتمزوا لياني^(٦)
وموّلّى لا تصول له يدان
[الوافر]

يقولون: احتسب حكماً وراحوا
وقبل فراقه أيقنت أني
أخ لي لو دعوت أجاب صوتي
فقد أفنى البكاء عليه دمعي
مضى لسبيله لم يعط ضيماً^(١)
قتلنا عنه قاتله وكنّا
قتيلاً ليس مثل أخي إذا ما
وكنّت سنان رمحي من قناتي
وكنّت بنان كفي من يميني
وكان يهابك الأعداء فينا
فقد أبدوا ضغائنهم^(٥) وشدّوا
فداك أخ نبا عنه غناه

إدعاء الفرزدق بيتاً من شعر الشمردل بعد تهديده:

حدثني هاشم بن محمد الخزاعي، قال: حدثنا أبو غسان عن أبي عبيدة عن أبي عمرو وأبي سهيل قالاً:

وقف الفرزدق على الشمردل وهو ينشد قصيدة له فمر فيها هذا البيت:

وما بين من لم يعط سمعا وطاعة
وبين تميم غير جز الحلاقم
[الطويل]

فقال له الفرزدق: واللّه يا شمردل لتتركن لي هذا البيت، أو لتتركن لي عرضك. فقال: خذه لا بارك الله لك فيه. فادّعاه وجعله في قصيدة ذكر فيها قتيبة بن مسلم التي أولها:

(١) الضيم: الظلم.

(٢) الحرب العوان: هي التي ينتصر المتحاربان فيها مرة بعد مرة على بعضهما البعض.

(٣) الخفرات من النساء، الواحدة خفرة: الحيات.

(٤) الجنان: القلب.

(٥) الطرف من الخيول: الكريم الأبوين.

(٦) اغتمزوا لياني: انتهزوا ضعفي.

تَحْنُ بَزُوراءِ المَدِينَةِ نَاقَتِي حَنِينٌ عَجُولٍ تَبْتَغِي البَوَّ^(١) رَائِمٌ^(٢)
[الطويل]

تأويل رؤيا للشمردل ينعي على إثرها أخوه وائل :

حدثنا هاشم . قال : حدثنا غسان عن أبي عبيدة قال :

رأى الشمردل فيما يرى النائم كأن سنان رمحه سقط ، فعبره على بعض من يعبر
الرؤيا ، فأتاه نعي أخيه وائل ، فذلك قوله :

وتحقيق رؤيا في المنام رأيتهما فكان أخي رمحاً ترقض^(٣) عامله^(٤)
[الطويل]

شعره حين سكر مع نديمين ونسي أحدهما نعله :

حدثنا هاشم . قال : حدثنا دماذ عن أبي عبيدة قال :

كان الشمردل مغرماً بالشُّراب ، وكان له نديمان يُعاشِرانه في حانات الخمارين
بخراسان ، أحدهما يقال له ديكُل من قومه ، والآخر من بني شيبان يقال له قبيصة ،
فاجتمعوا يوماً على جزورٍ ونحروه وشربوا حتى سكروا ، وانصرف قبيصة حافياً وترك
نعله عندهم ، وأنسيها من السكر ، فقال الشمردل :

شربتُ ونادمت الملوكة فلم أجد على الكأس ندماناً^(٥) لها مثل ديكُلٍ
أقلّ مكاساً في جزور وإن غلت وأسرع إنضاجاً وإنزال مِرْجَلٍ^(٦)
ترى البازل^(٧) الكوماء^(٨) فوق خُوانه^(٩) مفصّلة أعضاؤها لم تُفصّل
سقيناه بعد الرّي حتى كأنما يرى حين أمسى أبرقي^(١٠) ذات مأسلٍ^(١١)
عشية أنسينا قبيصة نعله فراح الفتى البكري غير مُنَعَلٍ
[الطويل]

(١) البوّ : ولد الناقة .

(٢) الرائم : العطوف .

(٣) ترقض : تكسر .

(٤) عامل الرمح : صدره . وهو ما يلي السنان .

(٥) النديمان : الشرب ، الصحبة الذين يعاقرون الخمرة .

(٦) المِرْجَل : القُدْر .

(٧) البازل من الإبل : الناقة في عامها التاسع .

(٨) الكوماء من الإبل : العظيمة السنام .

(٩) الخوان : المائدة عليها طعام .

(١٠) الأبرقان ، الواحد أبرق : هو خليط من طين وحجارة ورمال .

(١١) المأسل : نبات دقيق الأغصان طويله ، الواحدة أسلة .

حدثنا هاشم قال: حدثنا دماذ عن أبي عُبَيْدة قال:

مدح الشمردل بن شريك هلال بن أَحَوَز المازني واستماحه، فوعده الرغد، ثم رَدَّه زماناً طويلاً حتى ضجر، ثم أمر له بعشرين درهماً فدفَعها إليه وكيَّله غَلَّةً فردَّها، وقال يهجوهُ:

يقولُ هلالٌ كلما جئت زائراً
ألا ليتني أُمسي وبينني وبينه
غداً نصفُ حوْلٍ منه إن قال لي غداً
ولو أنني خُيِّرْتُ بين عَدَاتِهِ
تعوّضت من ساقِي عشرين درهماً
ولو قيل مثلاً كنز قارون عنده
ومثلك منقوص اليدين ردُّته
ولا خيرَ عند المازني أعاوِذه
بعيدُ مناط المَاءِ غُبرُ فداْفُدُهُ^(١)
وبعد غدٍ منه كحول أُراصدُهُ^(٢)
وبين برازي^(٣) ديلمياً أجالدُهُ^(٤)
أتاني بها من غَلَّةِ السوق ناقدُهُ^(٥)
وقيل التمس موعودَهُ لا أعاوِذه
إلى محتدٍ^(٦) قد كان حيناً يُجاحدُهُ^(٧)
[الطويل]

هجاؤه للضبي حين شمت بمصرع إخوته:

حدثنا هاشم قال:

حدثنا أبو غسان عن أبي عُبَيْدة أن رجلاً من بني ضَبَّة كان عدوّاً للشمردل، وكان نازلاً في بني دارم بن مالك، ثم خرج في البعث الذي بُعث مع وكيع، فلما قُتل إخوة الشمردل وماتوا، بلغه عن الضبي سرورٌ بذلك، وشماته بمصيبته فقال:

يا أيُّها المبتغي شتمي^(٨) لأشتمه
ما أَرْضَعْتُ مَرَضِعَ سَخْلًا أَعَقَّ^(٩) بها
إن كان أعمى فإنني عنك غير عَمٍ
في الناس لا عُربٍ منها ولا عجمٍ

(١) الفدافد، الواحد فدغد: المفازة لا ماء فيها ولا أنيس.

(٢) أُراصده: أنتظر وفوده وأرقبه.

(٣) برازي: مصارعتي.

(٤) أجالده: أناضله وأصارعه.

(٥) ناقده: معطيه ثمن السلعة.

(٦) المحتد: الأصل.

(٧) يجاحده: ينكره.

(٨) شتمي: سبّي.

(٩) سَخْلًا أَعَقَّ بها: المولود الضعيف الذي لا يقوى على رعايتها.

مُذالة^(٣) لقدور الناس والحُرْمِ
 من يكسب الشر ثديي أمّه يُلم
 من النشوق الذي يشفي من اللّم^(٥)
 تُطرق على قدع^(٦) أو ترض بالسلم^(٧)
 لا يغدرون ولا يوفون بالذمم
 كأنه في ذرى ثهلان أو خيم^(٩)
 وطول أنضية^(١٠) الأعناق والأمم^(١١)
 راحوا كأنهم مرضى من الكرم
 بالخیل رهط أبي الصهباء والحُطم
 شالت^(١٣) عليه أكف القوم بالجذم^(١٤)
 لم أدفع الموت عن زيق ولا حكم
 لدفع ضيم وقتل الجوع والقرم^(١٥)
 فيها تفرق أحياء ومُخترم^(١٦)

من ابن حنكله^(١) كانت وإن عربت^(٢)
 عوى ليكسبها شراً، فقلت له:
 ومن تعرض شتمي يلق معطسه^(٤)
 متى أجئك وتسمع ما عنيت به
 أو لا فحسبك رهطاً أن يفيدهم
 ليسوا كثعلبة المغبوط^(٨) جارهم
 يشبهون قريشاً من تكلمهم
 إذا غدا المسك يجري في مفارقهم
 جزوا النواصي من عجل، وقد وطئوا
 ويوم أفلتتهن الحوفران^(١٢) وقد
 إني وإن كنت لا أنسى مصابهم
 لا يبعدا فتيا جود ومكرمة
 والبعد غالهما عني بمنزلة

(١) الحنكله من النسوة: الديمة السوداء.

(٢) عربت المرأة: مثلت على زوجها أنها تحبه.

(٣) المُذالة من الإماء: المحترقة.

(٤) المعطس: الأنف.

(٥) اللّم: ضرب من الجنون.

(٦) القدح: الفحش قولاً وفعلاً.

(٧) السلم: الخضوع، الاستسلام.

(٨) المغبوط: المحسود.

(٩) ثهلان، وخيم: من الجبال.

(١٠) الأنضية، الواحد نضي: عظم العنق.

(١١) الأمم، الواحدة أمة: القامة.

(١٢) الحوفران: لقب الحارث بن شريك.

(١٣) شالت: ارتفعت.

(١٤) الجذم، بكسر الجيم: السياط.

(١٥) القرم: شدة شهوة اللحم.

(١٦) المخترم: من مات.

وما بناءً وإن شُدَّت دعائمه
لئن نجوت من الأحداث أو سلمت
إلا سيصبح يوماً خاوي الدِّعم
منهنّ نفسك لم تسلم من الهرم
[البسيط]

رثاؤه لعمر بن يزيد الأسدي:

حدثنا هاشم قال: حدثنا دماذ عن أبي عُبَيْدَةَ، قال:

كان عمر بن يزيد الأسدي صديقاً للشمردل بن شريك، ومُحسناً إليه كثير البرّ به والرّفد له، فأتاه نعيه، وهو بخراسان، فقال يرثيه:

لبس الصباح^(١) وأسلمته ليلة
من صولة يجتاح أخرى مثلها
عطلن أيديهنّ ثم تفجعت
وحليلة رزئت وأخت وابنة
لا يبعد ابنُ يزيد سيّد قومه
حامي الحقيقة لا تزال جياؤه
للحرب محتسب القتال مشمّر
ساد العراق، وكان أول وافد
يُعطي الغلاء بكلّ مجد يشتري
طالت كأن نجومها لا تبرح^(٢)
حتى ترى السّدف^(٣) القيام النّوح^(٤)
ليل التّمّام بهن عبرى تصدح
كالبدّر تنظره عيونُ لُمح
عند الحِفاظِ وحاجة تُستنّج
تغدو مسوّمة^(٥) به وتُروح^(٦)
بالدرع مضطمر^(٧) الحوامل^(٨) سرح
تأتي الملوكة به المهاري^(٩) الطّلح^(١٠)
إن المُغالي بالمكارم أربح
[الكامل]

حدثنا هاشم. قال: حدثنا دماذ عن أبي عُبَيْدَةَ، قال:

- (١) لبس الصباح: دخل فيه.
- (٢) لا تبرح: لا ترحل، لا تغادر.
- (٣) السدف، الواحدة سُدفة: الظلمة، العتمة.
- (٤) النّوح: الباكيات، النائحات.
- (٥) المسوّمة: المعلمة بما يميّز صاحبها في الحرب.
- (٦) تروح: تذهب.
- (٧) المضطمر: الأخص، الضامر.
- (٨) الحوامل: الأقدام.
- (٩) المهاري من الإبل: المنسوبة إلى مهرة بن حيدان، وهي تمتاز بالقوة.
- (١٠) الطّلح: المنهكة لطول الرحلة.

كان الشمر دل صاحب قنص وصيد بالجوارح، وله في الصقر والكلب أراجيز كثيرة، وأنشدنا له قوله:

قد أغتدي، والصبحُ في حِجابِه
وقد بدا أبلقُ^(١) من منجابه^(٢)
مُعاودٍ قد ذلَّ في إصعابه
وعرف الصوت الذي يُدعى به
فقلتُ للقانص إذا أتى به
ويحك ما أبصر إذا رأى به
قَشْعاً^(٦) ترى التبت من جنبه
غضبان يوم قنية رمى به
تحت جديد الأرض أو ترابه
إذ لا يزال حربه يشقى به
جاد، وقد أنشب في إهابه^(١٠)
مثل مُدى الجزار أو حرابه
عصفرة الفؤاد أو قضابه
من خرب^(١١) وخُزِرِ^(١٢) يعلى به

والليل لم يأو إلى مآبِه
بتوَجِّي صاد في شبابه
قد خرَّق الضِّفار من جذابه
ولمعة المُلَمع^(٣) في أثوابِه
قبل طلوع الآل^(٤) أو سرابه
من بطن ملحوب^(٥) إلى لبابه
فانقضَّ كالجلمود^(٧) إذا علا به
فهنَّ يلقيَن من اغتصابِه
من كل شحاج^(٨) الضحى ضَعَابِه^(٩)
منتزع الفؤاد من حجابِه
مخالباً ينشبن في إنشابه
كأنما بالحلق من خضابه
حوى ثمانين على حسابه
لفتية صيدهم يدعى به

(١) الليل الأبلق: الذي اختلط بياضه بسواده.

(٢) المنجاب: موضع.

(٣) الإلماع: الإشارة بثوب أو ما شاكله من مكان بعيد للفت الأنظار.

(٤) الآل: السراب أو ما يُشاهد في الضحى كالماء بين الأرض والسماء.

(٥) ملحوب: موضع.

(٦) القَشْع، بفتح القاف: البيت من آدم.

(٧) الجلمود: الصخر القاسي.

(٨) الشحاج: الصوت الأجش لغلظه.

(٩) الضغاب من الأصوات: المرعب لدويّه.

(١٠) الإهاب: الجلد.

(١١) الخرب، جمعه خربان: ذكر الحُبَارَى.

(١٢) الخُزِر من الأرناب: الذكر.

وَأَعَدَّهُمْ لِمَنْزِلٍ بَتْنَا بِهِ يَطْهَى بِهِ الْخَرْبَانُ أَوْ يَشْوَى بِهِ
فَقَامَ لِلطَّبِيخِ وَلَا حَتَّطَابَهُ أَرَوْعُ يَهْتَاجُ إِذْ هَجَّنَا بِهِ
[الرجز]

أَخْبَرَنَا هَاشِمٌ . قَالَ : حَدَّثَنَا دِمَازٌ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ ، قَالَ :

أَرْجُوزُهُ فِي الذُّئْبِ الَّذِي قَتَلَهُ بَعْدَ أَنْ فَتَكَ بَغْنَمَهُ :

كَانَ ذُئْبٌ قَدْ لَازَمَ مَرْعَى غَنَمٍ لِلشَّمْرَدَلِ ، فَلَا يَزَالُ يَفْرَسُ مِنْهَا الشَّاةَ بَعْدَ الشَّاةِ ،
فَرَصَدَهُ لَيْلَةً حَتَّى جَاءَ لِعَادَتِهِ ، ثُمَّ رَمَاهُ بِسَهْمٍ فَقَتَلَهُ وَقَالَ فِيهِ :

هَلْ خُبِّرَ السَّرْحَانُ^(١) إِذْ يَسْتَخْبِرُ عَنِي وَقَدْ نَامَ الصَّحَابُ السُّمُرُ
لَمَّا رَأَيْتُ الضَّانَ مِنْهُ تَنْفِرُ نَهَضْتُ وَسَنَانُ^(٢) وَطَارَ الْمِئْزَرُ^(٣)
وَرَاعَ مِنْهَا مَرْحٌ مَسْتَبْهَرُ^(٤) كَأَنَّهُ إِعْصَارُ رِيحٍ أَغْبَرُ
فَلَمْ أَزَلْ أَطْرُدُهُ وَيَعْكُرُ^(٥) حَتَّى إِذَا اسْتَيْقَنْتُ أَلَا أَعْذُرُ
وَإِنْ عَقَرَى^(٦) غَنَمِي سَتَكْثُرُ طَارَ بِكَفِّي وَفُوَادِي أَوْجُرُ^(٧)
ثُمْتُ أَهْوَيْتُ لَهُ لَا أَزْجُرُ سَهْمًا فَوَلَّى عَنْهُ ، وَهُوَ يَعْثُرُ^(٨)
وَبِتُّ لَيْلِي آمِنًا أَكْبَرُ

[الرجز]

أَخْبَرَنَا أَبُو الْحَسَنِ الْأَسَدِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الرِّيَاشِيُّ . قَالَ : حَدَّثَنَا الْأَصْمَعِيُّ ، قَالَ :
قَالَ الشَّمْرَدَلُ بْنُ شَرِيكٍ - وَكَانَ يَسْتَجِيدُ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ وَيَسْتَحْسِنُهَا ، وَيَقُولُ : إِنَّهَا لَمِنْ
ظَرِيفِ الْكَلَامِ - :

ثُمَّ اسْتَقَلَّ مَنَعَمَاتٌ كَالْدُمَى^(٩) شُمْسُ الْعِتَابِ قَلِيلَةُ الْأَحْقَادِ

(١) السرحان: الذئب.

(٢) الوسنان: النعسان، من يُغالبه النوم.

(٣) المئزر: الملحفة.

(٤) المستبهر: الواله، وقد ذهب عقله.

(٥) يعكر: يعدو منصرفاً.

(٦) عقرى: جرحى.

(٧) الأوجر: الخائف.

(٨) الدُمى، الواحدة دمية: الصورة يشبه بها الجميلات من النساء.

(٩) الشُّمس، بضمّين، الواحد شمس، بفتح الشين: النافر الذي لم يُروّض.

كُذِبُ المواعِدِ ما يزال أخو الهوى منهنّ بين مودّة وبعادِ
حتى ينالَ حبالهنّ معلقاً عقل الشريد وهنّ غيرُ شرادِ
والحبُّ يصلح بعد هجرٍ بيننا ويهيّجُ معتبةً بغير بعادِ
[الكامل]

صوت

خليلي لا تستعجلا إن تزودا وإن تجمعا شملني وتنتظرا غدا
وإن تنظراني اليوم أقضِ لبانةً وتستوجبا منّا عليّ وتُحمدا
[الطويل]

الشعر للحصين بن الحمام المري، والغناء لبذل الكبري ثاني ثقليل بالبنصر، من روايتها، ومن رواية الهشامي.

فهرس المحتويات

٥	أخبار أبي الطمحان القيني
٥	اسمه ونسبه:
٥	إدراكه الجاهلية والإسلام:
٧	إعتراف أبي الطمحان بأدنى ذنوبه:
٧	إلتجأه إلى بني فزارة من جناية جناها:
٨	إعتذاره لامراته من ركوبه الأهوال:
٩	شعره في بجير بن أوس الطائي وإطلاقه من الأسر:
١٠	حرب جديلة والغوث الطائيين:
١١	إنتعاش المأمون بيتين لأبي الطمحان:
١٢	إستشهاد خالد بن يزيد بيتين له:
١٤	أخبار الأسود ونسبه
١٤	نسبه ومنزلته في الشعر:
١٥	وعد الرشيد بعشرة آلاف لمن يروي قصيدة «نام الخلي...»:
١٨	النعمان يحث خالد بن مالك على المطالبة بثأر عمه:
١٩	ما قاله في فرس أخذها ابنه جراح:
٢١	رثاؤه مسروق بن المنذر النهشلي:
٢٢	ما أجاب به بنته وقد لامته على جوده:
٢٢	ما قاله في ابنه جراح وكان ضئيلاً ضعيفاً:
٢٣	ما قاله لما أسن وكف بصره:
٢٣	شعر لأخيه حطائط وقد لامته أمه على جوده:
٢٥	أخبار أرطاة ونسبه

- ٢٥ نسبه من قبل أبويه :
- ٢٦ منزلته في الشعر :
- ٢٦ إنشاده عبد الملك :
- ٢٦ معرفة عبد الملك مقادير الناس على بعدهم :
- ٢٦ ما قاله لعبد الملك وقد أسنّ :
- ٢٧ مدحه مروان لما اجتمع له أمر الخلافة :
- ٢٨ هجاؤه شيباً :
- ٢٩ حرص العوفيين على العمى عند الكبر :
- ٢٩ ما كان له مع شبيب وقد تمنى لقاءه في يوم قتال :
- ٣٠ خبر حبه لوجزة :
- ٣١ أرطاة ينسب بوجزة :
- ٣٢ أرطاة وزميل يتلاحيان :
- ٣٥ أرطاة يناجي قبر ولده في العشي حولاً كاملاً :
- ٣٩ أخبار جعفر بن علبة الحارثي ونسبه :
- ٤٢ عامل مكة أخذ بحق بني عقيل ويقتل جعفر بن علبة :
- ٤٦ بنت يحيى بن زياد تبكيه وترثيه بأبياته :
- ٤٨ علبة ينحر أولاد النوق والشيء لتصبح مع النسوة بكاء على جعفر :
- ٤٩ أخبار العجير السلولي ونسبه :
- ٤٩ أخبار العجير السلولي ونسبه :
- ٤٩ العجير يذهب ليلاً إلى عبد الملك حين طلبه :
- ٥٢ العجير يقول حين حرمه العامري العطاء :
- ٥٢ العجير يشرب حتى ينتشي فيأمر بنحر جملة .
- ٥٣ العجير يكل زواج ابنته إلى خالها ثم يطلقها من المولى بعد قدومه :
- ٥٦ العجير يفد على عبد الملك فيقيم ببابه .
- ٥٧ قوله في ابنه الفرزدق :
- ٥٨ بنت عمه تختار العامري عليه وتزوجه ليساره :

- وصية عبد الملك لمؤدب ولده: ٦٢
- سليمان بن عبد الملك يعجب بشعر العجير: ٦٣
- رثاء العجير لابن عمه: ٦٣
- أخبار خزيمة بن نهد ونسبه ٦٥
- خزيمة يشب بفاطمة بنت يذكر بن عنزة: ٦٥
- مقتل يذكر بن عنزة: ٦٦
- القارطان: ٦٦
- انهزام قضاة وقتل خزيمة بن نهد: ٦٧
- بهاء تلحق بالترك وتهزمهم: ٦٨
- سليح بن عمرو ونزولها ناحية فلسطين: ٦٨
- نسب المغيرة بن حبناء وأخباره ٧٠
- مديحه لطلحة الطلحات: ٧٠
- مديحه للمهلب بن أبي صفرة: ٧١
- سبب قوله قصيدة الصوت: ٧٣
- سبب التهاجي بين زياد الأعجم والمغيرة بن حبناء: ٧٥
- مناقضات زياد الأعجم والمغيرة بن حبناء: ٧٧
- المغيرة يهجو زياداً بتحريض من ربيعة: ٧٨
- عبد القيس تعتذر إلى المغيرة: ٧٩
- المغيرة وجوائز المهلب: ٨٠
- صخر والمغيرة يتلاحيان لما تعتب المغيرة عليه: ٨١
- أخت صخر تشكوه إلى المغيرة: ٨١
- قول الحجاج في يزيد بن المهلب: ٨٤
- أخبار سويد بن أبي كاهل ونسبه ٨٦
- طبقة سويد: ٨٦
- بين سويد وزباد الأعجم: ٨٧
- إنتماء سويد إلى قيس: ٨٨
- أخبار العتابي ونسبه ٩٢

- ٩٥ بشار يحقد على إجادة العتابي :
- ٩٦ سخرية العتابي من الناس :
- ٩٦ إعجاب يحيى البرمكي بالعتابي :
- ٩٩ العتابي وطوق بن مالك :
- ١٠٠ العتابي يفضل العلم والأدب على المال :
- ١٠١ مدحه جعفر لما أمنه عند الرشيد :
- ١٠٤ لوم زوجته له وما قال في ذلك :
- ١٠٥ الرشيد يرضي عن العتابي ويرد أرزاقه ويصله :
- ١٠٧ أخبار الأبيرد ونسبه الأبيرد يهوى امرأة من قومه فزوّجت غيره :
- ١٠٧ الأبيرد وسعد العجلي :
- ١١٠ مجائل وعرادة يتفاخران بنحر الشياه والإبل :
- ١١٣ أخبار منصور النمري ونسبه مروان ينشد الرشيد :
- ١٢٢ كان هارون الرشيد يحتمل أن يمدح بما يمدح به الأنبياء ويغضب لمن قال كأنه رسوله : ١٢٣..
- ١٢٤ الرشيد يميز شاعره الخاص عن سائر الشعراء :
- ١٢٦ محمد الراوية المعروف بالبيدق ينشد قصيدة النمري :
- ١٢٧ الرشيد يبعث بمن يقتل النمري في يوم وفاته :
- ١٢٧ سبب غضب الرشيد على النمري :
- ١٢٨ غضب الرشيد وطلبه نبش جثة النمري :
- ١٢٨ الفضل بن الربيع يحمي النمري :
- ١٣٠ الرشيد يرفع السيف عن ربيعة :
- ١٣٠ جلساء الرشيد يظنون في هذا البيت حتف منصور :
- ١٣٣ النمري ينشد يزيد بن مزيد فيعطيه مائة دينار :
- ١٣٤ منصور يتحسر على شبابه لما نظرت الغانية إلى غيره :
- ١٣٦ نسب عبد الله بن الحجاج وأخباره

- الحجاج وتسرعهُ إلى الفتن: ١٣٦
- دخوله على عبد الملك بتحليل: ١٣٧
- هجاؤه لكثير بن شهاب بن الحصين: ١٤١
- انتصار معاوية لعبد الله بن الحجاج: ١٤٣
- عبد الله بن الحجاج يعاونه قومه على عمر بن هبيرة: ١٤٦
- أخبار ناهض بن ثومة ونسبه ١٥١
- الفضل بن العباس يتحدث في بداوة ناهض: ١٥٤
- الكعبي يستعدي قومه بني كلاب على من عقر إبله: ١٥٦
- ما وقع بين بني نمير وبني كلاب: ١٥٨
- أخبار المخبل ونسبه ١٦٣
- طبقة في الشعراء: ١٦٣
- عمر بن الخطاب يأمر بعودة شيبان إلى أبيه: ١٦٤
- الزبرقان لا يزوج أخته خليفة المخبل: ١٦٥
- خبر ابن بيض: ١٦٧
- المخبل وخليدة بنت بدر: ١٦٩
- المخبل والزبرقان وعبد وعمر ويحكمون في شعرهم: ١٧٠
- أخبار غيلان ونسبه ١٧٢
- وصف بادية بنت غيلان: ١٧٢
- إتهام ولده عمار بسرقة وما كان بينهما من تدابر: ١٧٢
- غيلان يرثي ولده عامراً: ١٧٣
- وفود غيلان على كسرى: ١٧٧
- ما دار بين غيلان وبين كسرى: ١٧٧
- رثاؤه لأخيه نافع: ١٧٨
- أخبار حاجز ونسبه ١٨٠
- نسخت أخبار حاجز من رواية أبي عمرو الشيباني ١٨٠
- عمرو بن معد يكرب يطعن حاجزاً: ١٨٢

- ١٨٣ خثعم تحيط بحاجز وعجوز تسحر سلاحه ثم ينجو :
- ١٨٤ حاجز يغير على بني هلال :
- ١٨٧ أخبار الحارث بن الطفيل ونسبه
- ١٨٧ وفود الطفيل على رسول الله ﷺ :
- ١٩٤ أخبار عبد الصمد بن المعذل ونسبه
- ١٩٥ المعذل وعبد الله بن سوار :
- ١٩٦ هجاء عبد الصمد لشروين المغني :
- ١٩٦ هجاؤه لزان متزوج زانية :
- ١٩٦ شعره في الفتى الكاتب الذي عشق جارية :
- ١٩٨ هجاؤه لجار له يمشي مشية منكرة :
- ١٩٨ رثاؤه لأبي سلمة الطفيلي :
- ١٩٩ شعره في فتى عشقه :
- ٢٠١ هجاؤه للمهلي الذي كان يخدع الفتيات :
- ٢٠٣ شعره في بستان له :
- ٢٠٤ شعره في يزيد والجارية التي عشقها واشتراها :
- ٢٠٥ فأجابه صديقه :
- ٢١١ وصف عبد الصمد لنزهة :
- ٢١٥ هجاؤه لأخيه أحمد :
- ٢١٥ شعره في غلام له يدعى المغيرة :
- ٢١٦ هجاؤه لأبي تمام :
- ٢١٦ هجاء أبي تمام له :
- ٢١٧ نقد عبد الصمد لأبي تمام :
- ٢١٨ هجاؤه ليزيد المهلي :
- ٢١٩ هجاؤه لابن أخيه :
- ٢٢١ أخبار عبد الرحمن ونسبه
- ٢٢٤ بكاء عبد الرحمن حين رأى رأس الحسين :

- ٢٢٤ بكاء ابن عباس لما حدث بين الأمويين والعباسيين :
- ٢٢٥ ولوع عبد الرحمن بن الحكم بجارية مروان :
- ٢٢٧ هجاؤه لمروان حين أعدى عليه الحناط :
- ٢٢٧ رثاؤه لقتلى قریش يوم الجمل :
- ٢٢٨ غضب معاوية على عبد الرحمن ثم عفو عنه :
- ٢٣٠ أخبار مسعدة ونسبه :
- ٢٣٠ تشبيب مسعدة بنائلة :
- ٢٣٠ عاتكة بنت الفرات وما قيل فيه :
- ٢٣١ ما جرى بين الملاء وعمر بن أبي ربيعة :
- ٢٣٤ أخبار مطيع بن إياس ونسبه :
- ٢٣٤ نكاح أم خارجة :
- ٢٣٤ تشاحن ابن الزبير وجد مطيع :
- ٢٣٥ رجوع الخبر إلى سياقة نسب مطيع بن إياس وأخباره :
- ٢٣٦ صلته بالولاة والخلفاء :
- ٢٣٦ رأي بعض الناس فيه :
- ٢٣٦ إعجاب الوليد بن يزيد بمطيع :
- ٢٣٨ صحبتة لجماعة من الزنادقة :
- ٢٤٣ نسبة هذا الصوت :
- ٢٤٥ شعره في جارية خرجت من قصر الرصافة :
- ٢٤٦ شعره في قينة أو ما إليها بقبلة فصدته :
- ٢٤٧ فضيحتة لأبي دهمان :
- ٢٥٢ مدح مطيع للغمر بن يزيد :
- ٢٥٣ استعطافه ليحيى بن زياد :
- ٢٥٣ رثاؤه له :
- ٢٥٤ شعره في جوهر حين بيعت :
- ٢٥٤ شعره في ريم :
- ٢٥٦ من شعره في جوهر :

- ٢٥٧ مدحه جرير بن يزيد:
- ٢٥٨ إجازة جرير له سرّاً:
- ٢٦٠ نزوله بدير كعب وشعره في جليس ثقیل:
- ٢٦٣ ومما فيها من الأغاني قول مطيع
- ٢٦٤ مطيع وجوهر المغنية:
- ٢٦٤ هجاء مطيع لحمداء عجرد:
- ٢٦٥ مطيع يشبب بجوهر ثم يهجوها:
- ٢٧٠ مطيع يهجو مالك بن أبي سعدة:
- ٢٧٢ روايته شعراً لفتى كوفي:
- ٢٧٣ مطيع يهجو أباه:
- ٢٧٦ مجون مطيع وأصحابه في الصلاة:
- ٢٨٠ مطيع يشاق إلى جاريته جودانة:
- ٢٨٢ نسبة هذا الصوت الذي غنته حسنة
- ٢٨٢ المنصور ونخلتا حلوان:
- ٢٨٣ لشاعر آخر فيهما:
- ٢٨٦ أخبار محمد بن كناسة ونسبه
- ٢٨٧ ابن كناسة يداعب جويرية:
- ٢٨٧ تعريض ابن كناسة بامراته التي كان يبغضها:
- ٢٨٨ ابن كناسة ينوّه بذكاء جاريته دنانير:
- ٢٨٨ دنانير ترثي صديق أبي الحسين:
- ٢٨٩ ابن كناسة يرثي إبراهيم بن أدهم:
- ٢٩٠ رأي ابن كناسة في الدنيا:
- ٢٩٢ ابن كناسة ينصح ابنه في اختيار الصديق:
- ٢٩٣ جارية ابن كناسة تقول شعراً فيمن يعرض لها بأنه يهواها:
- ٢٩٣ ابن كناسة يرثي جاريته:
- ٢٩٤ طائفة مما روي من الأحاديث:

- أخبار قلم الصالحية ٢٩٥
- علي بن الجهم يمدح الواثق : ٢٩٧
- أخبار الشمردل ونسبه ٢٩٩
- خروجه وإخوته إلى خراسان : ٢٩٩
- رثاؤه لأخويه قدامة ووائل : ٢٩٩
- رثاؤه أخاه وائلاً أيضاً : ٣٠٠
- رثاؤه لأخيه حكم : ٣٠٢
- إدعاء الفرزدق بيتاً من شعر الشمردل بعد تهديده : ٣٠٣
- تأويل رؤيا للشمردل ينعى على إثرها أخوه وائل : ٣٠٤
- شعره حين سكر مع نديمين ونسي أحدهما نعله : ٣٠٤
- هجاؤه للضبي حين شمت بمصرع إخوته : ٣٠٥
- رثاؤه لعمر بن يزيد الأسدي : ٣٠٧
- أرجوزته في الذئب الذي قتله بعد أن فتك بغنمه : ٣٠٩